

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

المؤرخون الفلسطينيون والمشروع الصهيوني في فلسطين (1917-1948م) دراسة تاريخية تحليلية

إعداد

ديانا زياد عبد اللطيف القاسم

إشراف

د. عدنان محمد ملحم

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2021م

المؤرخون الفلسطينيون والمشروع الصهيوني في فلسطين (1917-1948م) دراسة تاريخية تحليلية

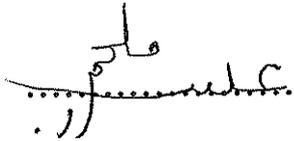
إعداد

ديانا زياد عبد اللطيف القاسم

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2021/06/09م، وأجيزت.

التوقيع

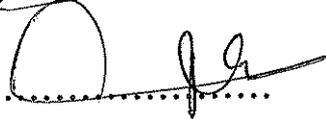
أعضاء لجنة المناقشة



1. د. عدنان ملحم / مشرفاً رئيسياً



2. د. معتصم الناصر / ممتحناً خارجياً



3. د. عامر القبيج / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى مه أطفأ ضياء قلبي برحيله واحتدقت أنفاسي شوقاً له... وعلمني كل الحروف... وقال لي
لا يليق لأحد أن يكون عبداً لأحد... أبي "رحمه الله"

إلى مه رافقتني إلى ميناء النجاة... وحممتني مه صقيع الأيام وظلمها... أمي الحنونة

إلى مه أناروا شموعي حين اغتمت دروبي... إخوتي الأعزاء

الشكر والتقدير

بعد حمد الله وشكوه، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الدكتور عدنان محمد ملحم الذي تحمل عناء الإشراف على الرسالة، وكان مثلاً في العطاء العلمي والإنساني اللامحدود.

والشكر موصول إلى أستاذة قسم التاريخ الدكتور محمد الخطيب، والدكتور عامر القبيح، والدكتور أمية أبو بكر.

والشكر الجزيل لكل العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، وأخص بالذكر روح الأستاذ فايز سلوم "أبو مازن" رحمه الله، والأستاذ عبد الله نصر "أبو محمد".

ولا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي المساعدة من أهلي، وخاصة أخي علاء الذي وقف إلى جانبي في أصعب الأوقات.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدّمة الرسالة التي تحمل العنوان:

المؤرخون الفلسطينيون والمشروع الصهيوني في فلسطين (1917-1948م) دراسة تاريخية تحليلية

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه
حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة كاملة، أو أيّ جزء منها، لم يقَدّم من قبل لنيل أيّ درجة علميّة، أو
لقب علمي، أو بحث لدى أيّ مؤسسة تعليميّة أو بحثيّة أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other
degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالبة: ديانا زياد عبد اللّيف العاصم

Signature:

التوقيع: 

Date:

التاريخ: 9/6/2021

المختصرات الرموز

أولاً: المختصرات

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي:

يشار للمصدر كالتالي: اسم العائلة، والاسم الأول، والكلمة الأولى من اسم كتابه، ثم

الصفحة، مثلاً:

دروزة، محمد، القضية، ج1، ص5.

يشار للمرجع كالتالي: اسم العائلة، والاسم الأول، والكلمة الأولى للمقال، واسم المجلة،

ورقم المجلد، والعدد، ثم الصفحة، مثلاً:

نويهض، بيان، المؤرخون، مجلة دراسات فلسطينية، مج8، ع31، ص1.

ثانياً: الرموز

ج: جزء.

م، ن: نفس المصدر.

ط: طبعة.

ص: صفحة.

مج: مجلد.

ع: عدد.

ق.م: قبل الميلاد.

ق: قسم.

ت: توفي.

م: ميلادي.

(ب. ت): لا إشارة إلى تاريخ النشر.

(ب. ط): لا إشارة إلى الطبعة.

(ب. ن): لا إشارة إلى الناشر.

(ب. م): لا إشارة إلى مكان نشر.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	المختصرات والرموز
ز	فهرس المحتويات
ح	فهرس الجداول
ط	فهرس الملاحق
ك	الملخص
1	المقدمة
4	الفصل الأول: دراسة في المصادر
6	محمد عزة دروزة (1887-1984م)
16	عارف العارف (1892-1973م)
26	عيسى السفري (1894-1949م)
31	مصطفى مراد الدباغ (1898-1989م)
41	أكرم زعيتز (1919-1996م)
49	الفصل الثاني: موقف المؤرخين الفلسطينيين من استراتيجية الحركة الصهيونية لتهويد فلسطين
108	الفصل الثالث: قراءة المؤرخين الفلسطينيين للمقاومة العربية الفلسطينية ضد المشروع الصهيوني
169	الفصل الرابع: رؤية المؤرخين الفلسطينيين لسياسة الحركة الصهيونية تجاه الحلول السياسية للقضية الفلسطينية
220	الفصل الخامس: رؤية المؤرخين الفلسطينيين للمنظمات العسكرية الصهيونية وعمليات تهجير الفلسطينيين ما بين صدور قرار التقسيم وإعلان "إسرائيل"
279	نتائج الدراسة
282	قائمة المصادر والمراجع
293	الملاحق
b	Abstract

فهرس الجداول

الصفحة	الجدول	الرقم
57	أهم الشعوب التي سكنت فلسطين	جدول (1)
96	الأراضي التي تم بيعها وتسريبها لليهود	جدول (2)
184	أعضاء المجلس التشريعي الثاني	جدول (3)
198	الوفود المشاركة في مؤتمر لندن 1939م	جدول (4)

فهرس الملاحق

الصفحة	الملحق	الرقم
294	خارطة تبين أهم الشعوب القديمة التي سكنت فلسطين	ملحق (1)
295	وثيقة تكشف حصول شمعون بيريز على الجنسية الفلسطينية عام 1937م	ملحق (2)
296	جدول يبين أعداد المهاجرين اليهود من عام 1919م إلى عام 1947م	ملحق (3)
298	جدول يبين عدد ومساحة المستوطنات في فلسطين خلال عامي (1914-1946م)	ملحق (4)
299	جدول يبين عدد سكان فلسطين من عام 1919م إلى عام 1947م	ملحق (5)
301	خارطة تقسيم فلسطين عام 1937م	ملحق (6)
302	خارطة تبين مشروع تقسيم فلسطين بناءً على خطة اللجنة الفنية (وودهيد) عام 1938م	ملحق (7)
303	خارطة تقسيم فلسطين في 29 تشرين الثاني 1947م	ملحق (8)
304	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء القدس ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (9)
305	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء يافا ما بين 29/11/1947 - 15/5/1948 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (10)
307	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء حيفا ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (11)
310	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء الرملة ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة للجدول تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (12)
312	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء طولكرم ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة للجدول تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (13)

الصفحة	الملحق	الرقم
314	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء صفد ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (14)
316	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء طبريا ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (15)
318	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء بيسان ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (16)
319	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء عكا ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة في قضاء عكا	ملحق (17)
320	جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء غزة وبئر السبع ما بين 15/5/1948 - 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين وخارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة	ملحق (18)
321	خارطة تبين العمليات العسكرية الصهيونية خارج نطاق الدولة اليهودية المقترحة في توصية الأمم المتحدة بالتقسيم (كانون الأول 1947-15 أيار 1948م)	ملحق (19)
322	المذكرة التي أرسلها عبد القادر الحسيني إلى الجامعة العربية في 6 نيسان 1948م	ملحق (20)

المؤرخون الفلسطينيون والمشروع الصهيوني في فلسطين
(1917-1948م) دراسة تاريخية تحليلية

إعداد

ديانا زياد عبد اللطيف القاسم

إشراف

د. عدنان محمد ملحم

الملخص

اعتمد المشروع الصهيوني في فلسطين على أربعة ركائز هي: الأيدلوجية التوراتية، والقومية، والعمل الصهيوني الدؤوب لهجرة يهود العالم إلى أرض الميعاد، ومصادرة الاراضي العربية بشتى السبل والغايات، وتهيئة الظروف والتحالفات السياسية المساعدة، وبناء مؤسسات صهيونية متكاملة؛ لتحويل هذه الركائز إلى حقيقة على أرض الواقع.

ويبدو السؤال ملحاً وهاماً، كيف نظر، وراقب، وقيم الفلسطينيون تطور المشروع الصهيوني على أرض وطنهم وأبعاده ونتائجه؟

ولذا اختارت الباحثة مجموعة من المؤرخين الفلسطينيين، الذين عاشوا الحدث، وكانوا في الصف القيادي الأول من الحركة الوطنية الفلسطينية، وكتبوا تواريخهم ومذكراتهم من قلب الحدث، وأتون المعركة، وهم: محمد عزة دروزة (1887-1984)، وعارف العارف (1892-1973)، وعيسى السفري (1894-1949)، ومصطفى مراد الدباغ (1898-1989)، وأكرم زعيتر (1909-1996).

وعرضت الباحثة رؤية هؤلاء المؤرخين الفلسطينيين ومواقفهم وآرائهم من المشروع الصهيوني في وطنهم منذ عام 1917م حتى موعد إعلان دولة إسرائيل 15 أيار 1948م، باعتبارهم شهداء على الحدث أولاً، وصناعاً ونقاداً لآليات مقاومته، والتعامل معه ثانياً.

عرض عيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر مطالب الحركة الصهيونية لإقامة المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين خلال القرن التاسع عشر، من منطلق أن اليهود شعب الله المختار، ووطنهم المقدس "فلسطين"، وقد تطور هذا المفهوم ليشكل حجر الزاوية في جلب أعداد كبيرة من اليهود من مختلف أنحاء العالم وإحلالهم بدلاً من العرب الفلسطينيين.

وتبيّن من الدراسة إجماع محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر على أن الحركة الصهيونية بدأت تعمل على نقل اليهود إلى فلسطين بطرق مختلفة، وبدأت الهجرات الأولى بشكل سري عبر البواخر التي تصل ميناء حيفا، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى عام 1914م أصبحت فلسطين تخضع لسلطة الانتداب البريطاني التي سهلت هجرة اليهود من مختلف أقطار العالم إلى فلسطين، ووفرت بريطانيا الحماية المطلقة للنواة الاستيطانية، مما أدى إلى مضاعفة الهجرة الصهيونية إلى فلسطين التي أخذت شكلاً علنياً ومنظماً بعد صدور وعد بلفور 2 تشرين الثاني 1917م، الذي يُعد تعهداً من الحكومة البريطانية لليهود في إقامة الوطن القومي لهم على الأراضي الفلسطينية، فتم توسيع مستوطنة بتاح تكفا، وإقامة العديد من المستوطنات الجديدة، وتعزيز الوجود اليهودي الاستعماري في فلسطين، سواء من خلال تزويدهم بالسلاح أو تنظيم صفوفهم في منظمات إرهابية هدفها ترويع سكان المدن والقرى الفلسطينية وتوفير الحماية اللازمة لمستوطناتهم.

وتابع عيسى السفري أعداد المهاجرين اليهود خلال عامي (1918-1938م)، فوصل عدد اليهود في فلسطين عام 1918م إلى 55 ألفاً، وإلى 62 ألف مهاجر عام 1932م، وإلى 174 ألف مهاجر عام 1938م، فيما أشار محمد دروزة وأكرم زعيتر إلى أن عددهم قفز عام 1947م إلى 590 ألف يهودي، ثم ارتفع عددهم إلى 650 ألفاً عام 1948م، في حين كان عدد الفلسطينيين 1,400,000 نسمة.

وأوضحت الدراسة أن موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتزايدها تراكمت مع التوسع في استيطان الأراضي والاستيلاء عليها، وأشار مصطفى الدباغ إلى أن المساحة التي استولى عليها اليهود حتى عام 1914م بلغت 420 ألف دونم، أُقيم عليها 27 مستوطنة، وأشار عيسى السفري إلى أن مجموع ما بيع لليهود حتى نهاية عام 1931م بلغ سبعون ألف دونم، إلى جانب إنشاء 36 مستوطنة، وذكر عارف العارف أن مجموع الأراضي التي انتقلت إلى اليهود حتى عام 1945م بلغت 1,501,644 دونماً، في حين ذكر محمد دروزة أن اليهود ملكوا حتى عام 1947م حوالي 1,082,000، وذكر مصطفى الدباغ أن عدد المستوطنات خلال الأعوام (1939-1948م) وصل إلى 78 مستوطنة جديدة على مساحة مليوني دونم.

وأبرز محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتز دور الفلسطينيين والعرب في مواجهة مخاطر الاستيطان والهجرة الصهيونية في وقت مبكر من خلال الحملات الإعلامية الصحفية، والمؤتمرات، والأحزاب، والجمعيات، ولكن سرعان ما تحول العمل النضالي السلمي إلى ثورات ومظاهرات شملت جميع فلسطين وأهمها ثورة موسم النبي موسى 1920م، وثورة يافا 1921م، وثورة البراق 1929م، ومظاهرة عارمة عام 1933م، وثورة عز الدين القسام 1935م، والثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939م)، بينما أبرز عارف العارف نشاط جيش الجهاد المقدس، وجيش الإنقاذ، والاخوان المسلمون في التربص لليهود وإيقاع أكبر الخسائر بجيوشهم.

وتباين المؤرخون في عرضهم للحلول السياسية التي طرحتها جميع الأطراف "بريطانية، صهيونية، فلسطينية، عربية"؛ لحل القضية الفلسطينية كل من منطلقه ومفاهيمه، ورأى المؤرخون باستثناء عارف العارف أن من أهم المشاريع التي شكلت تطوراً في المواقف السياسية لمختلف الأطراف مشروع لجنة بيل لتقسيم فلسطين عام 1937م، بينما اعتبر عارف العارف مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود وفقاً لقرار 181 أي قرار تقسيم فلسطين الصادر في 29 تشرين الثاني 1947م من أهم المشاريع التي أثارت ضجة كبيرة بين الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة الصهيونية.

وعدّ المؤرخون المؤسسات العسكرية والتنظيمات شبه العسكرية من أبرز القواعد التي عُتيت بتطبيق المخطط الاستيطاني الصهيوني وتهجير الفلسطينيين من أراضيهم مثل منظمة الهاغاناة، والارغون، وشتيرن، وليحي، وأطنب عارف العارف ومصطفى الدباغ في تتبع مجريات الأحداث التي بدأت بمهاجمة أهالي المدن والقرى الفلسطينية ومهاجمة المزارعين في حقولهم القريبة من المستوطنات، وتنفيذ الجرائم بحق المواطنين على الطرق العامة في أثناء تنقلهم ومهاجمة القرى العربية الواحدة تلو الأخرى، وارتكاب المجازر المختلفة أشهرها "مجزرة دير ياسين، والقسطل، وناصر الدين"، الأمر الذي دفع العديد من المواطنين إلى مغادرة منازلهم ومدنهم وقراهم هروباً من بطش المجرمين الصهاينة، مما أدى إلى تحويل أكثر من نصف الشعب الفلسطيني إلى مشردين في معظم المدن والدول المجاورة، لتثبيت المقولة الصهيونية المزعومة "فلسطين أرض بلا شعب".

المقدمة

استطاع المشروع الصهيونيّ في فلسطين أن ينجز أهدافه؛ بفعل قدرته العالية في بلورة وإنضاج خمسة عوامل هي: الفكرة، والقيادة المؤهلة، والشعب الذي سيثيد المشروع، والتنظيم الفعال، وأخيراً البنية الدولية الملائمة.

تكمن أهمية البحث في أنه سيرصد بشكل دقيق مسيرة المشروع الصهيوني في فلسطين منذ عام 1917م حتى تاريخ إعلان دولة إسرائيل بتاريخ 15 أيار 1948م، من خلال رؤية خاصة تمثلت في كتابات وشهادات خمسة مؤرخين فلسطينيين عايشوا وشاهدوا تطبيق المشروع على أرضهم، وكانوا جزءاً من مكونات قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية التي حاولت الوقوف في وجهه.

ولعل أهمية الدراسة تأتي من أنها ستطرق باباً فريداً في موضوعه وأهدافه، إذ لم يتطرق أحد حسب معلومات الباحثة المتواضعة إلى هذا المسار والموضوع، ولم نعرف حتى اليوم كيف قيّم المؤرخون الفلسطينيون أو نظروا إلى تطور، وظروف، وآليات، ونجاح المشروع الصهيوني على أرض فلسطين خلال فترة الدراسة.

إن قراءة، ودراسة، وتحليل ما كتبه محمد عزة دروزة (1887-1984م)، وعارف العارف (1892-1973م)، وعيسى السفري (1894-1949م)، ومصطفى مراد الدباغ (1898-1989م)، وأكرم زعيتر (1919-1996م)، عن المشروع الصهيوني في فلسطين سيقدم ولأول مرة دراسة جادة عن رؤية فلسطينية تحليلية مقارنة له.

واجهت الباحثة بعضاً من الصعوبات أثناء عملها أهمها عدم القدرة على الوصول إلى الأرشيف الصهيوني في القدس الذي يحتوي على كميات هائلة من الوثائق التي تهّم موضوع الدراسة، وتساعد على إثراء البحث بتأكيد المعلومات التي أوردها المؤرخون الفلسطينيون أو المقارنة بينهما، كما احتوت كتابات المؤرخين على بعض النقص؛ ربما لعدم وصول تلك المعلومات إليهم، فحاولت الباحثة سد النقص بالاعتماد على كتب أخرى اهتمت بدراسة الفترة (1917-1948م).

انطلق عيسى السفري إلى القول بأن أسطورة الاستيطان الصهيوني في زعم المفكرين والقادة الصهاينة أتت من العقيدة التوراتية القائلة بأن اليهود "شعب الله المختار"، وأن أرض فلسطين هي "أرض الميعاد"، وقد تطور هذا المفهوم ليشكل حجر الزاوية في جلب أعداد كبيرة من اليهود من مختلف أنحاء العالم وإحلالهم بدلاً من العرب الفلسطينيين.

وأشار المؤرخون الفلسطينيون إلى أن فلسطين وضعت تحت الإدارة البريطانية التي دَمَجَت الانتداب البريطاني بوعده بلفور 2 تشرين الثاني 1917م معرباً عن تأييده لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي على أرض فلسطين، وخلال فترة الانتداب (1922-1947م) حدثت هجرة يهودية واسعة النطاق معظمها قدمت من أوروبا الشرقية، وتضاعفت هذه الأرقام خلال الثلاثينات نتيجة الاضطهاد النازي، مما أدى إلى تفجير الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939م) بعد سلسلة من الثورات الفلسطينية التي حَمَلَ فيها المناضلون الفلسطينيون سلاحهم في وجه العصابات الصهيونية والاحتلال الإنجليزي، وتلاه استمرار أعمال العنف من كلا الطرفين.

اتسعت آفاق الحلول السياسية لحل الصراع الفلسطيني- الصهيوني، والتي انتهت إلى إحالة مشكلة فلسطين إلى الأمم المتحدة، التي اقترحت تقسيم فلسطين عام 1947م إلى دولتين مستقلتين واحدة عربية وأخرى يهودية، مع تدويل مدينة القدس، وبعد العديد من المباحثات انتهى الأمر إلى إعلان دولة إسرائيل على مساحة 7.7% من أرض فلسطين، وتم تهجير أكثر من نصف الشعب الفلسطيني من أرضهم بالقوة.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي لوصف نشأة وتطور المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، واقتضت طبيعة البحث أن يكون في خمسة فصول هي:

أولاً: دراسة في المصادر: تناول دراسة خمسة مؤرخين، وخلفياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية؛ لمعرفة موقفهم من المشروع الصهيوني في فلسطين.

ثانياً: موقف المؤرخين الفلسطينيين من استراتيجية الحركة الصهيونية لتهويد فلسطين: تحدث عن دور الهجرة الصهيونية في بلورة المشروع الصهيوني، وما رافقها من الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بطرق شتى (الاحتلال البريطاني، السماسرة، الفلاحون الفلسطينيون، الملاك العرب الفلسطينيون، الملاك العرب غير الفلسطينيين).

ثالثاً: قراءة المؤرخين الفلسطينيين للمقاومة العربية الفلسطينية ضد المشروع الصهيوني: استعرض الفصل دراسة الشعب الفلسطيني في دفاعه عن أرضه، وظهر ذلك في الثورات الفلسطينية التي شملت جميع المدن الفلسطينية (انتفاضة القدس، ثورة يافا، ثورة البراق، ثورة 1933م، ثورة عز الدين القسام، الثورة الفلسطينية الكبرى، جيش الإنقاذ، جيش الجهاد المقدس، الاخوان المسلمون).

رابعاً: رؤية المؤرخين الفلسطينيين لسياسة الحركة الصهيونية تجاه الحلول السياسية للقضية الفلسطينية: وقف الفصل على دراسة الحلول التي اقترحتها جميع الأطراف "بريطانية، صهيونية، فلسطينية، عربية" لحل الصراع الفلسطيني _ الصهيوني (المجالس الاستشارية والتنشيرية، الكتاب الأبيض الأول، الوكالة العربية، الدولة ثنائية القومية، حلول جون فيلبي، الكتاب الأبيض الثاني، لجنة بيل، لجنة وودهيد، مؤتمر لندن، الكتاب الأبيض الثالث، مشروع نيوكمب، مشروع نوري السعيد، مؤتمر بلتيمور، لجنة انجلو- أمريكية، مشروع الأمير عبد الله، مؤتمر أنشاص، مشروع موريسون، تقسيم فلسطين 181).

خامساً: رؤية المؤرخين الفلسطينيين للمنظمات العسكرية الصهيونية وعمليات تهجير الفلسطينيين ما بين صدور قرار التقسيم وإعلان "إسرائيل": وقف الفصل على دراسة المنظمات العسكرية الصهيونية (الهاغاناة، البالماخ، إيتسل "الارغون"، الفيلق اليهودي) التي تبنت إقامة الوطن القومي اليهودي فوق الأراضي الفلسطينية وتهجير الفلسطينيين من مدنهم وقراهم بالقوة.

واختتمت الدراسة بالتأكيد على أن تأسيس الكيان الصهيوني على أرض فلسطين لم يكن وليد الصدفة، وإنما نتيجة تخطيط وعمل جاد بين الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية من جهة وبين الحركة الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى.

الفصل الأول

دراسة في المصادر

الفصل الأول

دراسة في المصادر

تعتبر كتابة التاريخ سلاحاً من أسلحة المواجهة المتواصلة، لذلك ظهرت الكتابة العربية عن تاريخ فلسطين المعاصر في النصف الثاني من ثمانينيات القرن العشرين، مترافقة مع ولادة القضية الفلسطينية، التي نجمت كما كتب المؤرخ الفلسطيني إميل توما (1919-1985م) عن "الصراع على الأرض الفلسطينية بين الحركة العربية الفلسطينية من جهة، والاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية من جهة أخرى"¹، ولعل أول كتاب صدر في عهد الاحتلال البريطاني عن تاريخ فلسطين كتاب "تاريخ فلسطين" لخليل طوطح (1887-1955م) وعمر صالح البرغوثي (1894-1965م)، نُشر عام 1923م، وتناول فلسطين وتاريخها منذ أقدم العصور حتى بدايات الاحتلال البريطاني².

اهتم مؤرخو القضية الفلسطينية بدحض مزاعم الكتاب الصهيونية حول صلات اليهود الدينية والتاريخية بفلسطين، لذلك أعطوا أهمية خاصة بالبحث عن منشأ القضية الفلسطينية وأسباب تفجرها، وسبل حلها، ويعتبر محمد عزة دروزة (1887-1984م)، وعارف العارف (1892-1973م)، وعيسى السفري (1894-1949م)، ومصطفى مراد الدباغ (1898-1989م)، وأكرم زعيتر (1909-1996م) من أبرز المؤرخين الفلسطينيين الذين ساهموا بالكتابة التاريخية لإثبات الحق العربي بفلسطين والتأكيد على عروبتها، وانتقاد الحكومة البريطانية التي ساهمت بإنشاء الوطن القومي اليهودي على أرضها؛ كونهم عاصروا اضطهاد الحركة الصهيونية والسلطات البريطانية للشعب الفلسطيني، وكانوا رجال قيادة وسياسة من الطراز الأول.

إنصافاً لتاريخ فلسطين ينبغي الإشارة إلى أن الكتابة الفلسطينية التاريخية تعرضت إلى بعض الاشكاليات، والتي بدأت من ضياع معظم الوثائق والأوراق الرسمية والخاصة، فلم يوجد في فترة الخمسينات مكتبات حاضنة للتراث والفكر، لذلك بات الاعتماد على الذكريات التي سجلها شهود عيان على الأحداث، إضافة إلى أن من كتب التاريخ كانوا من رجال القرار وصنّاع الحدث، وبالتالي تلونت كتاباتهم "باللون الذاتي الذكرياتي" كما تصفه بيان نويهض الحوت، وأضافت قائلة "أن هذا الأمر يحمل صفات أخرى تنتقص منه أبرزها الثغرات في الإطار

¹ توما، إميل، جذور، ص 1.

² الشريف، ماهر، فلسطين، ص 42.

الشمولي لرواية الأحداث وإبراز أحداث معينة من دون أخرى، ورفع أشخاص معينين فوق ما يستحقون، وإهمال آخرين يستحقون"¹.

1. محمد عزة دروزة (1887-1984م)*

مفكر وكاتب ومناضل وطني قومي عربي، يلقب بشيخ المؤرخين²، ويُعتقد أن اسم عائلته مشتق من عمل أجداده في الخياطة، وكان والده "عبد الهادي" تاجراً للأقمشة في سوق خان التجار القديم في نابلس، ويستورد بضائعه من بيروت ودمشق³.

وتعود أصول العائلة "دروزة" إلى عشيرة الفريجات التي تسكن قرية كفرنجة في منطقة عجلون (شرق الأردن)، وهاجرت في أوائل القرن الحادي عشر الهجري إلى نابلس⁴.

ولد دروزة في 21 حزيران عام 1887م في نابلس⁵، وتلقى تعليمه الأساسي فيها، وحصل على الشهادة الابتدائية عام 1900م، ثم التحق بالمدرسة الرشادية الثانوية المتوسطة (الفاطمية الآن)، وأكمل تعليمه فيها، وتخرج منها بعد ثلاث سنوات⁶.

¹ الحوت، بيان، محمد، مجلة دراسات فلسطينية، مج8، ع31، ص1.
* لمزيد من الاطلاع انظر: دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص45، ومئة، ص140. الدجاني، أحمد، وآخرون، من أعلام، ص4. الأغا، نبيل، وجوه، ص229. النوري، محمد، من أعلام، ص177. صالح، جهاد، موسوعة، ج2، ص23. أبو نضال، نزيه، الكاشف، ج4، ص170. سرحان، نمر، سجل، ص56. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص433. العلونة، أحمد، ذيل، ج2، ص190. حمادة، حسين، محمد، ص9. شبيب، سميح، من رواد، ص6. العودات، يعقوب، من أعلام، ص403. مجموعة من المؤلفين، موسوعة، ج4، ص91. دروزة، محمد، حياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص93. شبيب، سميح، صفحات، مجلة شؤون فلسطينية، ع118، ص78. المارديني، زهير، واحد، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص133. عطية، علي، المجاهد، مجلة العلوم الاجتماعية، مج14، ع1، ص381. الحوت، بيان، المؤرخون، مجلة دراسات فلسطينية، ع89، ص52، ومحمد، مجلة دراسات فلسطينية، ع31، ص3. حاطوم، نور، محمد، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص15. سليمان، فريد، محمد، المجلة العربية للثقافة، مج7، ع12، ص145.

² جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص433. الحوت، بيان، المؤرخون، مجلة دراسات فلسطينية، ع89، ص52، ومحمد، مجلة دراسات فلسطينية، ع31، ص3.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، (ص45-46).

⁴ م، ن، ص46.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص45، وحياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص93.

⁶ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص159، وحياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص93.

إلا أن ظروف أسرته المادية لم تمكنه من استكمال دراسته، لذلك حرص على تثقيف نفسه لتعويض جوانب النقص العلمية لديه، فواظب على القراءة والاطلاع في مجالات الأدب والتاريخ والاجتماع والحقوق، سواء باللغة العربية، أو الإنجليزية، أو التركية، حتى وصل عدد ما قرأه إلى 1500 كتاب ومجلد دون أن يتجاوز الثلاثين من عمره¹.

وتلقى دروزة العلم في نابلس على أيدي علماء متخصصين، فدرس الفقه عند الشيخ مصطفى الخياط في الجامع الصلاحي الكبير في نابلس، والحديث عند الشيخ سليمان الترابي، والنحو والصرف عند الشيخ موسى القدومي الذي كان مديراً للمعهد الديني في نابلس حتى عام 1967م².

واضطر للالتحاق بالعمل مبكراً، في مجالات البرق والبريد عام 1906م، والتربية والتعليم، والأوقاف، وانتقل عام 1914م إلى بيروت وعمل في مديريتها، ثم انشغل في السياسية والكتابة³.

وأثناء عمله في البريد بدأت محاولاته الأولى بالكتابة، فاتصل بالصحافة، وشارك في تحرير جريدة الإخاء العثماني، التي كان يصدرها في بيروت عام 1911م محمد شاکر الطيبي، وكان يترجم ما يُنشر في الصحف التركية وخاصة عن أحوال الحركة العربية⁴.

وكتب المقالات الاجتماعية والسياسية في الجرائد الفلسطينية مثل جريدة فلسطين، وجريدة الكرمل، والجامعة العربية، والقدس، والجرائد العربية مثل الحقيقة البيروتية، ومجلتي الكشاف في بيروت، والمرأة الجديدة في القاهرة⁵.

ظل دروزة يترقى في وظائفه حتى أصبح عام 1921م سكرتيراً لديوان الأمير عبد الله بن الحسين (1882-1951م)، ثم قدّم استقالته متجهاً إلى ميدان التربية والتعليم، وتولى عام 1921م إدارة مدرسة النجاح الوطنية التي تأسست عام 1917م في نابلس، ونجح في تحويلها إلى مركز

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص160.

² م، ن، ص161.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص165، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص93.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص166، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، (ص93-94).

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص175.

وطني، إلى جانب رسالتها العلمية، وظهر ذلك في طلابه الذين تتلمذوا على يديه، أمثال القومي السياسي الأردني سليمان النابلسي¹، والمؤرخ والكاتب أكرم زعيتر الذي ذكر في مذكراته الدروس الأسبوعية التي كان يلقيها محمد دروزة على الطلاب عن مبادئ القومية العربية والمجتمع الحديث، مما أثر على تطوير تفكيرهم وتوسعة آفاقهم².

بعد مُضي خمس سنوات على عمله التربوي التعليمي، قرر عام 1928م الانتقال للعمل في إدارة الأوقاف الإسلامية، وعُين مأموراً للأوقاف في نابلس، ثم أصبح مديراً عاماً للأوقاف الإسلامية في فلسطين عام 1932م، واستمر في عمله حتى أصدرت الحكومة البريطانية قراراً بعزله من منصبه عام 1937م؛ نتيجة اشتراكه بالثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939م)، وانتهى بذلك عمله في الوظائف الحكومية³.

بدأ نشاط محمد دروزة في ميدان الحركة الوطنية عام 1909م، حيث عكف على قراءة الجرائد المصرية "المؤيد، والاهرام، والمقطم" التي ساهمت في زيادة وعيه القومي، وبعد صدور الدستور العثماني انتسب إلى نادي جمعية الاتحاد والترقي في نابلس عام 1908م، وسرعان ما انفصل عنه؛ بسبب خطتها لتتريك الأمة واللغة العربية⁴، ونجح بعد ذلك في تأسيس فرع في مدينته لحزب الائتلاف والحرية المعارض عام 1909م، واختير أميناً لسره، وأسس فرعاً في عام 1921م لحزب اللامركزية الإدارية، والذي هدف إلى الاستقلال عن التبعية العثمانية، ومقاومة حملة تذويب العرب ولغتهم، ولعب دوراً في الدعوة في فلسطين إلى إعادة توحيدها مع سوريا، وهو ما قدم رسمياً إلى لجنة كنج - كرين الممثلة للرئيس الأمريكي وودرو ويلسون (Wilson Woodrow) (حكم في الفترة ما بين 1913-1921م)⁵.

كما أسس "الجمعية الإسلامية المسيحية" وتولى سكرتيريتها عام 1918م، ودعا إلى توحيد الجمعيات الوطنية التي تعمل في مختلف أنحاء فلسطين، وعمل عضواً في الهيئة المركزية لجمعية "العربية الفتاة" في دمشق عام 1919م، وهو من مؤسسي جمعية "فتى فلسطين" التي

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، (ص166-167)، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، (ص93-94).

² زعيتر، أكرم، يوميات، ص65.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص172، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص93.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص195، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص93.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص196، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، (ص93-94).

سعت للإعداد للعمل المسلح ضد اليهود والإنجليز منذ عام 1919م¹، وكان عضو الوفد الفلسطيني إلى المؤتمر السوري العام الذي انعقد بين أواخر حزيران عام 1919م وأواخر تموز 1920م، والذي دعا إلى استقلال سوريا الكبرى بحدودها الطبيعية².

انغمس دروزة في النشاط الوطني الفلسطيني منذ أن استقر في نابلس، فشارك بعقد العديد من المؤتمرات السياسية، مثل المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس عام 1919م برئاسة السياسي القومي الفلسطيني عارف الدجاني (1856-1928م)، وأسس مع رفاقه حزب الاستقلال العربي عام 1932م، وكان من أشد المعادين للسياسة البريطانية وقاد المظاهرات ضدها، مما أدى إلى اعتقاله، وتقديمه للمحاكمة، والحكم عليه بالسجن حتى عام 1934م³.

وظل دروزة أحد قادة ثورة فلسطين عام 1936م، حتى تمكنت السلطات الفرنسية من اعتقاله بتحريض من الحكومة البريطانية عام 1939م، وحوكم أمام محكمة عسكرية في دمشق وأصدرت عليه حكماً بالسجن، وأُفرج عنه عام 1941م، وذهب إلى تركيا لاجئاً، وقضى هناك أربع سنوات عاد بعدها إلى فلسطين⁴، واختير عام 1946م عضواً في الهيئة العربية، المؤسسة الوطنية التي نادت بالنضال الفلسطيني، واستقال منها عام 1947م لخلافات مع الحاج أمين الحسيني (1895-1974م) حول الحركة الوطنية الفلسطينية، ودعم إنشاء كيان فلسطيني مثل منظمة التحرير الفلسطينية قادرة على تنظيم المقاومة ضد مشروع الحركة الصهيونية في فلسطين⁵.

واستمر يعمل في خدمة القضية الفلسطينية حتى عام 1948م حيث اشتد عليه المرض، فاستقال من مناصبه وتفرغ للكتابة والتأليف، في القضايا "الإسلامية، والتاريخية، والقومية العربية، والفلسطينية"، ووصل مجموع ما ألفه أكثر من أربعين مصنفاً⁶.

مثلت القضايا العربية محور اهتمام دروزة، فألف فيها عدة كتب منها "تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأقطار منذ أقدم الأزمنة"، و"العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي من

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص199، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص94.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص200، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص94.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص327، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص95.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص491، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص95.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص497، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص96.

⁶ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص10، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص97.

القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر الهجري"، و"الوحدة العربية"، و"نشأة الحركة العربية الحديثة"¹، ثم وضع كتابه "حول الحركة العربية الحديثة" وضمّنه مذكراته عنها².

وألف روايات قومية ومسرحيات تمجد العروبة، مثل رواية "وفود النعمان على كسرى أنوشروان" عام 1911م، و"السماز وصاحب الأرض" عام 1913م³.

وكان قد تعمق في قراءة القرآن والإسلام أثناء وجوده في السجن فانعكس ذلك على كتاباته، فألف "الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة"، و"التفسير الحديث"، و"سيرة الرسول"، و"القرآن والمرأة"، و"القرآن والضمان الاجتماعي"، و"القرآن والمبشرون"، و"اليهود في القرآن الكريم"⁴.

اهتم محمد دروزة برصد مراحل تطور الصراع الفلسطيني الصهيوني في جميع مراحلها، فتنوعت مؤلفاته في شرح ذلك، وألف عام 1951م كتاب "القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها"، واستعرض فيه صلات الإنجليز بالبلاد العربية ومطامعهم فيها، وأدوار القضية الفلسطينية وملابساتها في فترة الانتداب الإنجليزي، وبحث في الدور الأول تاريخها في الفترة ما بين (1917-1931م)، وتناول فيه نيات وخطط وسياسات الإنجليز واليهود ومراميمهم في فلسطين، ونشاط الحركة الوطنية الفلسطينية الأولى تجاه ذلك وتناول في الدور الثاني (1932-1937م) تفاصيل تفاقم الخطر اليهودي ونشوء الأحزاب الفلسطينية، وثورة عام 1936م، واحتوى هذا الجزء على بحوث حول اللجنة الملكية وتقريرها، وشرح في الدور الثالث (1937-1939م) موقف العرب من قرار التقسيم وعنف الحكومة البريطانية في مكافحة المناضلين الفلسطينيين، وانفجار الثورة ووقائعها وخسائرها، وتحقيق غاياتها بالعدول عن التقسيم، وكذلك تفاصيل مؤتمر لندن والكتاب الأبيض عام 1939م، ثم اختتم الجزء الأول بمجموعة من الملاحق تناولت نصوص صك الانتداب، والكتاب الأبيض عام 1922م وعام 1930م، وقوانين وبيانات الأحزاب الفلسطينية خلال هذه الفترة⁵.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص10، وحياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص99.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص22، وحياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص99.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص17، وحياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص98.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص10، وحياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص98.

⁵ هذا العرض اعتماداً على دراسة كتاب القضية الفلسطينية الجزء الأول لمحمد دروزة.

وتناول في الجزء الثاني الدور الرابع للقضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) وفيه بحوث عن النشاط السياسي لليهود في أمريكا وإنجلترا وآثاره، ونشاط العرب ومشاورات الوحدة العربية ونتائجها ومواقف الإنجليز منها، وخصص الدور الخامس لتطورات القضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية (1945-1947م)، وفيه بحوث دقيقة عن استعدادات بريطانيا لإنهاء انتدابها على فلسطين، ونقل القضية الفلسطينية إلى لجان ومنابر الأمم المتحدة، ودور المؤتمرات والاجتماعات والمؤسسات العربية في مواجهة ذلك، واختتم الجزء في مجموعة من الملاحق احتوت على موائيق الجامعة العربية والمذكرات المرسله منها إلى الحكومتين الأمريكية والبريطانية، ونقدها لتقرير لجنة التحقيق الأمريكية الإنجليزية¹.

اتبع محمد دروزة الأسلوب الأدبي السهل البسيط والواضح في كتابه، مدعماً إياه بالعديد من الصور والرسوم والملاحق، ومعتمداً على الطريقة الحولية في تسجيل الأحداث، معتمداً في الوقت نفسه على الرصد والتحليل والاستنتاج، واستقى معلوماته وكتابات من مشاهداته وتجاربه وعلاقاته القيادية والسياسية.

وألف عام 1956م كتاب "تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم"، وتتبع جذورهم التاريخية منذ ثلاثة آلاف عام حتى وقت تصنيفه².

وألف كتاب "مأساة فلسطين" عام 1959م، وهو عرض موجز لقضية فلسطين وتاريخها وتطورها في الفترة ما بين (1914-1956م)، واستعرض فيه جميع الخطط الاستعمارية العالمية للسيطرة على البلاد وتقسيمها وتقديمها للحركة الصهيونية³.

ثم وضع عام 1960م كتاب "فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية العالمية" في الفترة ما بين (1917-1948م)، وامتدح فيه جهاد الفلسطينيين وصمودهم ونضالهم، موضحاً حرص الشعب الفلسطيني في الدفاع عن أرضه⁴.

¹ هذا العرض اعتماداً على دراسة كتاب القضية الفلسطينية الجزء الثاني لمحمد دروزة.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص12، وحياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص99.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص27.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص27، وحياة، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص100.

وألف عام 1973م كتاب "في قضية فلسطين والوحدة العربية ومن وحي النكبة ومعالجتها"، ويعتبر هذا الكتاب جامعاً للرسائل والمقالات والبحوث التي كتبها دروزة بشأن القضية الفلسطينية والوحدة العربية منذ عام 1948م¹.

ووضع عام 1978م كتاب "عبرة من تاريخ فلسطين القديم" وهو مجموعة مقالات في تاريخ فلسطين القديم والصهيونية ووعود الأسفار، ونُشرت في مجلات وصحف دمشقية بين عامي 1975-1977م².

وكتب عام 1979م كتاب "من وحي النكبة صفحات مغلوطة ومهملة من تاريخ القضية الفلسطينية"، وهو عبارة عن رسالة تحمل في ثناياها انتقاداً لكتاب أنيس الصايغ "القضية الفلسطينية والقومية العربية"³.

وألف عام 1979م كتاب "العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث"، واحتوى الجزء الأول على تعريف بشرق الأردن وغربه والعدوان الإسرائيلي عليه قبل الميلاد المسيحي باثني عشر قرناً، واحتوى الجزء الثاني على مراحل العدوان الصهيوني الحديث منذ القرن التاسع عشر بين الصهاينة وأهل البلاد⁴.

بدأ محمد دروزة عام 1932م كتابة مذكراته ومشاهداته عن أحوال فلسطين والبلاد العربية سواء الثقافية والاجتماعية والسياسية والأدبية، منذ عام (1887م-1984م)، وصدرت بعنوان "مذكرات محمد دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن (1305-1404هـ/1887-1984م)⁵.

تألفت المذكرات من ستة أجزاء، تشتمل على 4242 صفحة، واحتوت المجلدات الخمس الأولى على مذكرات ويوميات كتبها دروزة، أما المجلد السادس فتحدث فيه عن مرحلة ما بعد النكبة،

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص24، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص100.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص12، وحياء، المجلة العربية للثقافة، مج6، ع10، ص100.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص12.

⁴ حمادة، حسين، محمد، ص122.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص8.

وجمع فيه المقالات والرسائل والمذكرات الرسمية التي كان قد أرسلها بمفرده أو مع رفاقه إلى الزعماء العرب¹.

وتمتاز هذه المذكرات بأنها تتناول جميع نواحي الحياة سواء عمرانية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ونضالية في مختلف المناطق التي عاشها المؤلف، أو زارها أو مر منها أو سكنها، وكانت سجلاً دقيقاً لما شاهده أو اطلع عليه أو شارك فيه أو سمعه أو قرأ عنه في هذه المناطق².

واستفاض دروزة في الكتابة عن الرجال الذين عرفهم، واستعمل لفظ "الحميمية" عند ذكر أصدقائه المخلصين، وكثيراً ما ذكر "ولم تقم بيننا صداقة حميمية"، وأحياناً يقول "الصداقة الوطيدة"، كما تعتبر مذكراته الأطول زمنياً بين أبناء جيله كلهم (1978-1984م)³.

وأكثر ما يلفت الانتباه في مذكراته اعتماده على اليوميات المنقولة عن الصحف، وخصوصاً في الجزء الثاني والثالث، وكان يذكر اسم الصحيفة وتاريخها، وإذا كان ما أخذه مقالاً أو تصريحاً ينسبه إلى صاحبه⁴.

واتخذ دروزة في مذكراته منهجاً تسجيلياً تحليلياً نقدياً فقال في حوار معه "لا يصح للمؤرخ أن يفرض أفكاره على أحداث التاريخ؛ لأن ذلك ينفي عنه صفته الحقيقية وهي تسجيل الوقائع والأحداث وظروفها، وهذا بالنسبة لمؤرخ الأحداث الجارية، ولكن من حقه أن يُعلق على الأحداث الجارية التي يذكرها ويسجلها، تصويماً أو تنديداً أو تخطئة، وهذا ليس من باب فرض الأفكار وليس من حقه أن يُحرقها ويسجلها حسب هواه ولا حسب قناعاته الشخصية"، وأضاف قائلاً "لقد كنت شاهداً أو عائشاً أو مشاركاً في أحداث الحركة العربية والقضية الفلسطينية زمن الدولة العثمانية وبعدها وفي دمشق وفلسطين، فالتزمت هذه الخطة فيما كتبتة وعلقت عليه"⁵.

واعترف دروزة ناقداً منهجه فقال "إن ما دونت لا ينبغي أن يعد تاريخاً وثائقياً ومن المحتمل أن يكون قد غابت عني أمور كثيرة من مختلف تلك الشؤون، نتيجة نسيان أو غفلة أو عدم سماع أو

¹ اعتماداً على دراسة مذكرات محمد دروزة.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص145.

³ م، ن، ص254.

⁴ م، ن، ج2، ص308.

⁵ الحلبي، عبد الرحمن، محمد، الموقف الأدبي، مج59، ع60، ص53.

مشاهدة والاحاطة لله وحده" .. وقال أيضاً " ومن المحتمل أيضاً أن يكون في ما دونت أخطاء أو أغلاط أو التباسات في الأسماء والأعلام والتواريخ والأحداث والوقائع والعصمة لله وحده، وأفوض من يشرف على طبع هذه المذكرات بحذف أي عبارة يراها نابية أو فيها جنف (ميل)، أو مجافاة لما يعلمه من الحق والحقيقة"¹.

ومن الملاحظ أن موقف دروزة من الحركة الصهيونية لم يختلف في جميع مؤلفاته، فهو يرى أن الفكرة الصهيونية التي حركت يهود أوروبا نحو فلسطين هي بالإسساس فكرة استعمارية رأسمالية، جاءت بعد ظهور "المسألة اليهودية" أي الاضطهادات التي نزلت بهم في أوروبا، وهدفها الأساس إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين أولاً، ثم تحقيق الرواية التوراتية بإنشاء الكيان الذي وعدهم فيه الرب والممتد من الفرات شمالاً إلى النيل جنوباً².

اتسم موقف دروزة بالعداء تجاه الحكومة البريطانية؛ كونها المسؤولة عن مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، بدءاً من إصدار وعد بلفور في 2 تشرين الثاني 1917م، وإقناع فرنسا بالتخلي عن مشروع تدويل فلسطين، وصولاً إلى إصدار عصبة الأمم قراراً في 24 تموز 1922م بانتداب بريطانيا على فلسطين³.

وأكد أن الأمر ازداد سوءاً بعد وضع فلسطين تحت الحكم العسكري البريطاني حتى نهاية حزيران 1920م ثم حولته إلى الحكم المدني، وعينت اليهودي الصهيوني هربرت صموئيل (Herbert Samuel) أول مندوب سام على فلسطين (1920-1925م) حيث شرع في تنفيذ المشروع الصهيوني ميدانياً على الأرض وتابع المندوبون الساميون المسيرة نفسها، ويحمل دروزة الحكومة البريطانية مسؤولية زيادة أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين حيث ارتفع عدد اليهود من 55 ألفاً عام 1918م إلى 650 ألفاً عام 1948م⁴.

وفي الطرف الآخر وقف دروزة موقفاً إيجابياً من الشعب الفلسطيني، وبين حرصهم على أراضيهم، فأكد أن معظم ما اختاره اليهود من أراضي فلسطين هي من أراضي الدولة التي منحتها الحكومة البريطانية أو من أملاك غير الفلسطينيين أو من إقطاعيين فلسطينيين، فما

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص5.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص501، والقضية، ج1، (ص16، ص24)، وفلسطين، ص10، ومآسة، ص5.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص29، ومآسة، ص17.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص31، وفلسطين، (ص15-16)، ومآسة، ص18.

اشتراه اليهود من الفلاحين لم يبلغ ربع ما كان في حيازتهم¹، كما أثبت تمسكهم بحقهم الكامل في فلسطين وإصرارهم على نيل الاستقلال، من خلال نشاطهم السياسي الجهادي طوال فترة الانتداب البريطاني، مطالبين بإلغاء وعد بلفور وإيقاف الهجرة اليهودية ووقف بيع الأراضي وإقامة حكومة فلسطينية وطنية، من خلال إرسال الوفود وعقد المؤتمرات وإنشاء الجمعيات والأحزاب، وبيّن دور الدول العربية (الأردن، العراق، سوريا، لبنان، مصر، اليمن) في خدمة القضية الفلسطينية²، وعندما فشلت المحاولات السلمية لجأ الفلسطينيون إلى المقاومة المسلحة والتي تمثلت بثورة موسم النبي موسى، وثورة يافا، وثورة البراق، وثورة عز الدين القسام، والثورة الفلسطينية الكبرى³.

أيد دروزة فكرة تدويل القضية الفلسطينية، ورحب بإدراجها ضمن جدول أعمال الأمم المتحدة في 2 نيسان 1947م؛ معتقداً أن هذا سيشكل حلاً للصراع الفلسطيني - الصهيوني، وأن تكون القرارات لصالح الفلسطينيين⁴.

وبعد صدور قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود في 29 تشرين الثاني 1947م لاحظ دروزة أن بريطانيا تهدف إلى إقامة وطن يهودي في فلسطين، حيث أوصى القرار بإعطاء نحو 54% من أرض فلسطين لأقلية يهودية مهاجرة تمثل 31.7% من السكان ولا تملك أكثر من 6.5% من الأرض⁵.

ولاحظ دروزة وجود مؤامرة خطيرة بين بريطانيا واليهود، حيث بدأت الحركة الصهيونية في الاستيلاء على قدر أكبر من المساحة المقتطعة لهم، مما أدى إلى وقوع حرب عنيفة بين العرب واليهود، وشكل الفلسطينيون جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، وشكلت الجامعة العربية جيش الإنقاذ من متطوعي البلاد العربية والإسلامية، وتمكنوا من التربص في مواقع العدو وتحقيق أكبر خسائر ممكنة، إلا أن المناضلين الفلسطينيين عانوا من شح الموارد العسكرية، فنشطت المنظمات الصهيونية في نسف البيوت وتدمير المدن والقرى وتشريد السكان، وارتكاب المجازر، ومن الملاحظ ابتعاد دروزة عن ذكر تفاصيل سقوط المدن الفلسطينية الواحدة

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص60، وفلسطين، (ص10-11).

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص631، والقضية، ج1، ص59، وفلسطين، ص18.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص646، والقضية، ج1، ص61، وفلسطين، ص20-21، ومأساة، ص27.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص113.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج5، ص556، والقضية، ج2، ص115.

تلو الأخرى مكتفياً بذكر الحدث فقط أو ذكر القليل جداً من المعلومات، وبالتالي تمكنت الحركة الصهيونية من تحقيق حلمها في إقامة دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية في 15 أيار 1948م، بعد السيطرة على مليوني دونم من مساحة فلسطين البالغة 27 ألف كم¹².

بعد أن أثبت محمد دروزة نفسه مناضلاً وكاتباً وافته المنية في حي الروضة في دمشق يوم الخميس 26 تموز 1984م، عن عمر يناهز 97 عاماً².

2. عارف شحادة بن عبد الرحمن العارف (1892-1973م)*

مؤرخ وصحفي وكاتب وسياسي، ولد في مدينة القدس عام 1892م لوالد عمل تاجراً بسيطاً في أزقتها القديمة³، ويذكر المؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي نقلاً عن لسان ابنة عارف العارف "فريدة"، أن والدها كان يجهل تاريخ ميلاده، فعرفه من أمه التي كانت تقول إنه ولد في نفس العام الذي دخل فيه القطار مدينة القدس⁴.

درس في المدرسة المأمونية في القدس، وفي عام 1906م سافر إلى استانبول في الرابعة عشرة من عمره، والتحق بإحدى مدارسها الثانوية، وتخرج منها عام 1910م، وتابع دراسته الجامعية هناك، ونال منها شهادة في الإدارة والسياسية والاقتصاد عام 1913م⁵، وكان في أثناء ذلك يعمل في صحيفة بيام التركية ليلاً ليسد نفقات حياته ودراسته، وحصل على شهادة الدكتوراة من جامعة استانبول عام 1914م في الاقتصاد السياسي⁶.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج5، ص619، والقضية، ج2، (ص123-130، ص151)، وفلسطين، ص101.
² جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص433. العالونة، أحمد، ذيل، ج2، ص190. حمادة، حسين، محمد، ص9. شبيب، سميح، من رواد، ص11. مجموعة من المؤلفين، موسوعة، ج4، ص101.
* لمزيد من الاطلاع انظر: العارف، عارف، النكبة، ج1، ص382. صالح، جهاد، عارف، ص7، والرواد، ص5. الاغا، نبيل، وجوه، ص149. أبو نضال، نزيه، الكاشف، ص33. شاهين، أحمد، موسوعة، ص678. الدجاني، أحمد، وآخرون، من أعلام، ص70. الناشف، تيسير، مفكرون، ص38. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص256. الهواري، عرفان، أعلام، ص220. العودات، يعقوب، من أعلام، ص400. جبر، يحيى، عارف، ص4. الخالدي، وليد، عارف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع90، ص52. الحزماوي، محمد، المؤرخ، مج11، ع1، ص181. أبو الرب، مجدولين، عارف، مجلة أعلام جديدة، ع33، ص112.
³ صالح، جهاد، الرواد، ص7، الاغا، نبيل، وجوه، ص149.
⁴ الخالدي، وليد، عارف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع90، ص52.
⁵ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص382.
⁶ جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص256. الخالدي، وليد، عارف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع90، ص52.

أُنْتُخِبَ أثناء وجوده في العاصمة العثمانية "استانبول" عضواً في إدارة المنتدى العربي، وانتقل بعدها إلى الكلية العسكرية عند نشوب الحرب العالمية الأولى عام 1914م، وتخرج منها برتبة ضابط، وأُرسل سريعاً إلى جبهة القتال في القفقاس (القوقاز) على الحدود بين قارتي آسيا وأوروبا، وخاض معارك مع جيشه ضد الجيش الروسي، نتج عنها أسره ونفيه عام 1915م لمدة ثلاث سنوات إلى سجن كراسنويارسك في سيبيريا، وتمكن من تعلم اللغة الروسية والألمانية أثناء ذلك، وأصدر هناك جريدة عربية هزلية أسماها "ناقة الله" وقد علم بثورة الشريف حسين بن علي على الأتراك وهو بالمعتقل، واصفاً فرحته والعرب بهذا الإنجاز الكبير.¹

وعندما حدثت الثورة الشيوعية في روسيا عام 1917م هرب عارف من الأسر مع مجموعة من الضباط، عبر منشوريا إلى اليابان فالصين فالبحر الأحمر فمصر، حتى وصل إلى القدس.²

وعندما وصل فلسطين وجدها ترزح تحت الاحتلال البريطاني، فبرزت عنده روح النضال، وانضم إلى النادي العربي في المدينة بسبب أفكاره القومية والوحدوية، وأصدر بالعام نفسه جريدة سوريا الجنوبية لمقاومة الاحتلالين البريطاني والصهيوني، وأغلقتها فوراً حكومة الانتداب واعتقلته بعد ثورة القدس عام 1920م، واتهمته بالتحريض، وحكمت عليه بالإعدام غير أنه تمكن من الفرار إلى شرق الأردن ثم إلى دمشق³، وتوثقت علاقاته مع الحاج أمين الحسيني من خلال نشاطاته الأدبية والوطنية التي كان يصدرها في النادي الأدبي.⁴

وكُلف أثناء إقامته في دمشق من قبل مؤسسات القدس لتمثيلهم في المؤتمر السوري العام الذي عُقد في حزيران عام 1919م، واستكمل في آذار عام 1920م استبدال سوريا بحدودها الطبيعية.⁵

ظل عارف العارف في دمشق إلى أن احتلها الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال هنري غورو (Henery Goro) مما اضطر عارف إلى اللجوء إلى الأردن، حتى سُمح له بالعودة إلى

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، (ص382-283).

² م، ن، ص383.

³ م، ن، ج1، ص384.

⁴ الخالدي، وليد، عارف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع90، ص54.

⁵ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص384.

فلسطين، فعاد إليها وتولى في الفترة ما بين (1920-1926م) مناصب إدارية مختلفة، منها قائم مقام في معظم المدن الفلسطينية (جنين، نابلس، بيسان، يافا)¹.

انتقل بعدها إلى الأردن بدعوة من الأمير عبد الله بن الحسين، وبقي سكرتيراً عاماً لحكومتها وعضواً في المجلس التنفيذي لمدة ثلاث سنوات، وعارض المعاهدة البريطانية - الأردنية الأولى، فسُحب من عمان وأُعيد إلى فلسطين، وعُين قائم مقام لبئر السبع، لمدة عشر سنوات، وانتقل بعدها إلى غزة لمدة أربع سنوات².

وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية انتقل العارف إلى رام الله، وعينه الملك عبد الله حاكماً عسكرياً للمدينة عام 1947م، كما تم تعيينه مساعداً لحاكم لواء القدس وبقي فيها حتى عام 1948م، وبعد حرب النكبة عام 1948م لجأ إلى عمان ومنحه ملكها لقب الباشوية، ثم ولاه في الفترة ما بين عامي (1949-1955م) رئاسة بلدية القدس، وفي أواخر عام 1955م تولى وزارة الأشغال في الحكومة الأردنية³، وفي عام 1967م أصبح مديراً لمتحف الآثار الفلسطينية في القدس⁴.

لم يشغل النضال السياسي والعمل الإداري عارف العارف عن التفكير وتأليف الكتب والإفادة من الأحداث، فألف العديد من الكتب من خلال مشاهداته وتجاربه، وتدور موضوعاته حول أحداث فلسطين التاريخية، والأماكن الإسلامية المقدسة، والصراع العربي الصهيوني وكان مؤرخاً ذا رسالة وطنية بينة، نذر نفسه لتاريخ أرض فلسطين من جميع الجوانب، فاهتم بالشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وأعطى صورة متكاملة عن جميع التطورات فيها، وتابع بعمق أيضاً أحوال العالم العربي المترامي الأطراف، الغارق في زوايا الفقر والجهل والاستبداد⁵.

استفاد من المناصب التي تقلدها فكتب عن المناطق التي عمل بها وسكانها، ففي عام 1933م ألف "القضاء بين البدو" الذي عالج فيه أخبار بدو بئر السبع وبتونهم وأفخاذهم وعاداتهم ومنازلهم، وفي عام 1934م ألف "تاريخ بئر السبع وقبائلها" وشمل تاريخ بئر السبع وقبائلها منذ

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، (ص384-385).

² م، ن، (ص385-386).

³ م، ن، ص386.

⁴ جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص256. الخالدي، وليد، عارف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع90، ص58.

⁵ صالح، جهاد، الرواد، ص18.

عهد الكنعانيين منذ أقدم العصور وحتى عهد الاتراك ومن ثم الإنجليز، وأصدر عام 1943م كتاب "تاريخ غزة" عبّر في مقدمته عن نزعه الوطنية القومية، واستعرض تاريخها منذ العهد الكنعاني حتى فترة الانتداب الإنجليزي عام 1917م، وتحدث عن سكان غزة وأخلاقهم وملابسهم وعاداتهم وأعيادهم، معتمداً على الكتب والأسفار والاحاديث، والآثار التاريخية¹.

وقبل وقوع نكبة فلسطين كتب العارف كتاب "الموجز في تاريخ عسقلان" عام 1943م، و"رؤياي" في العام نفسه، و"تاريخ الحرم المقدسي" عام 1947م، و"المسيحية في القدس" عام 1951م، و"تاريخ القدس" عام 1951م، واستعرض فيه بصورة موجزة تاريخ القدس من اليوم الذي بناها اليبوسيون 3000 ق.م حتى أواخر عهد الانتداب البريطاني 1947م، وأورد أخباراً عن القدس وأسوارها، ومياهاها، وأهميتها التاريخية والجغرافية، ونشاطات سكانها الاقتصادية والعمرانية، وجمعياتها ونواديها والأماكن المقدسة ودور العبادة فيها، واستند إلى القرآن وأسفار العهد القديم ومجموعة الوثائق السريانية لصاحبها يوسف أسطفان (البطريك الماروني الثالث وستون 1766-1793م)، وسجلات المحكمة الشرعية في القدس، ومؤلفات الإخباريين والجغرافيين المسلمين وكتب التاريخ العامة، والمؤلفات الحديثة عن مصر وسوريا وفلسطين والقدس، والعديد من الكتب الإنجليزية والفرنسية².

وألف "المفصل في تاريخ القدس" عام 1961م، وتاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى عام 1958م، و"النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود" عام 1956-1962م، و"أوراق عارف العارف" (1970-1973) وهو سجل الشهداء والمجاهدين العرب الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الدفاع عن أرض آبائهم في فلسطين، ويعتبر من المصادر الهامة في القضية الفلسطينية وتغطي الفترة الواقعة بين 1967-1973م، وقد صدرت هذه الأوراق عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت عام 1973م، وتعد وثائق تاريخية تسجل أحداث القضية الفلسطينية، فأرخت سياسة الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967م، موضحة ما ارتكبه الاحتلال من جرائم بحق الشعب الفلسطيني، محاولاً طمس الهوية الفلسطينية³.

¹ صالح، جهاد، الرواد، ص19.

² الخالدي، وليد، عارف، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع90، ص61.

³ العارف، عارف، النكبة، ص386.

وشغل كتاب "النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود" موضوع الدراسة، وتناول العارف فيه الأحداث التي حصلت في فلسطين منذ صدور قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني 1947م حتى عام 1952م، وهي عبارة عن مذكرات للمؤلف عن الصراع الفلسطيني الصهيوني، فجاءت لتشكّل توثيقاً تاريخياً للنكبة، مما جعل المؤرخين يطلقون عليه "مؤرخ النكبة"¹.

وتألف من ستة أجزاء، اشتملت الأجزاء الأربعة الأولى على ذكر الأحداث التي وقعت في فلسطين بعد صدور قرار التقسيم، فتحدث في الجزء الأول عن قرار تقسيم فلسطين مبيّناً الظروف التي أدت إلى صدوره، وأهدافه، والموقف العربي منه، ووصف المعارك التي دارت بين الجيوش العربية وخصوصاً جيش الإنقاذ وجيش الجهاد المقدس من جهة، وبين العصابات الصهيونية من جهة أخرى في المدن الفلسطينية الكبرى (القدس، حيفا، يافا، صفد، طبريا)، وأسهب في الحديث عن معركة القسطل، ومذبحة دير ياسين، ثم وصف الأوضاع العامة في فلسطين بعد انسحاب الجيش البريطاني في 15 أيار 1948م².

وتناول في الجزء الثاني الوقائع التي حدثت في فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني، وزحف الجيوش العربية الى فلسطين، وبيّن دور حركة الإخوان المسلمين في المعارك، وتحدث عن دور المناضلين الفلسطينيين في القدس³.

وتحدث في الجزء الثالث عن الهدنتين الأولى والثانية، مبيّناً دور الوسيط الدولي⁴، أما الجزء الرابع فتناول معارك النقب وبين دور الجيوش العربية فيها، وتحدث عن مؤتمر أريحا المؤيد للملك عبد الله، وتحدث عن قيام إسرائيل في 15 أيار 1948م، ووضع إحصاءات بيّن فيها خسائر العرب في الأراضي والأرواح⁵.

وخصص الجزء الخامس للملاحق التي تناولت نصوص القرارات واتفاقيات الهدنة، ومشروع لجنة التوفيق الدولية⁶، وفي الجزء السادس وضع أسماء الشهداء العرب والمدافعين

¹ الحزماوي، محمد، المؤرخ، مج11، ع1، ص181.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، (ص14، ص24، ص673).

³ م، ن، ج2، (ص398-399).

⁴ م، ن، ج3، (ص322-323).

⁵ م، ن، ج4، (ص56-59).

⁶ م، ن، ج5، ص99.

عن القضية الفلسطينية، فتضمن اسم الشهيد، ومكان ولادته، وتاريخ استشهاده، ورتبته العسكرية¹.

وأطلق العارف على كتابه "النكبة" معللاً ذلك "كيف لا اسميه النكبة وقد نكبنا نحن معاشر العرب عامة والفلسطينيين خاصة، خلال هذه الحقبة من الزمن بما لم نكب بمثله منذ قرون وأحقاب، فسلبنا وطننا، وطردنا من ديارنا، وفقدنا عدداً كبيراً من أبنائنا وأفلادنا، وأصبنا فوق هذا وذاك بكرامتنا في الصميم"².

وشرح منهجه الحولي في تسجيل الأحداث، حيث رتبها متسلسلة حسب زمن وقوعها، وأسباب ذلك، محاولاً إبراز تلك الصلات المنطقية التي تربط كل واقعة بما وقع قبلها أو بعدها، فقال في مقدمة كتابه من الجزء الأول "فمن واجبنا أن ندون الحوادث التي حدثت كما حدثت، وأن نذكرها كما هي قبل أن ينسج الدهر عليها خيوط النسيان"³.

وأضاف العارف أنه عكف منذ أيام الصبا والدراسة في الآستانة على تدوين مذكراته في يوميات متتابعة يوماً بيوم، وبقي على هذا الحال مدة أربعين عاماً، وازداد شغفه لكتابة يومياته عقب صدور قرار التقسيم رقم 181 في 29 تشرين الثاني 1947م، فسجل أحداث هذا العام دون التحيز إلى أحد سواء كان زعيماً أو حاكماً أو محكوماً⁴.

انتقد عارف العارف كتابة التاريخ فور وقوع الأحداث؛ لأن الكاتب مهما امتلك من الحكمة والنزاهة لا بد أن يكون متأثراً بمصالحه الذاتية أو الحزبية أو القومية أو الدينية، وبالتالي نادى بضرورة كتابة التاريخ بعد مضي ربع قرن، حتى يمتلك المؤلف رواية صادقة شاملة واسعة عن الحدث وأركانه وظروفه⁵.

واعتبر لذلك نفسه راوياً نزاهةً صادقاً في نقل الأحداث عقب صدور قرار التقسيم 29 تشرين الثاني 1947م ومعتمداً على ما رآه بأعينه وما رواه له العدول الثقات، فجمع كماً واسعاً من

¹ العارف، عارف، النكبة، ج6، ص77.

² م، ن، ج1، (ص3-5).

³ م، ن، (ص3-4).

⁴ م، ن، ص4.

⁵ م، ن، ص3.

التاريخ الشفهي عن النكبة، وحرص على مقابلة رواة الرواة، وتتبعه لمعرفة الحقيقة، من خلال زيارته العواصم العربية (بيروت، دمشق، بغداد، القاهرة) في أواخر عام 1953م، فتمكن من مقابلة القادة العرب الذين سجلوا سطوراً مهمة في النضال ضد اليهود¹.

ويميل أسلوب عارف العارف في كتابه النكبة إلى الطابع الأدبي السهل والواضح، إلا أنه يغلب عليه الاطالة في السرد، وتكرار المعلومات في بعض المواضع، ويغلب عليه تصوير الأحداث دون الخوض في التحليل والاستنتاج والنقد إلا ما ندر، واتباع الطريقة الحولية في تسجيل الأحداث فرتبها حسب زمن وقوعها، مشيراً إلى الأسباب التي أدت إلى وقوعها².

واحتلت مدينة القدس حيزاً كبيراً في كتاباته، بينما تحدث باقتضاب عن المدن الأخرى، ويبرر لذلك لأنها عاصمة الوطن، وقد شاهد أكثر المعارك التي وقعت فيها³.

ومنح مساحة معتبرة للمقاومة العربية في القدس إبان أحداث النكبة، فتطرق للمحاولات الأولى لجمع السلاح وإعداد المقاتلين، وشرح ظروف تشكيل حاميتها ومراحل تطورها، وذكر أسماء قادتها، وطبيعة تسليحها، وتوزيع مقاتليها على الأحياء، وقارن بين قدراتها العسكرية وما يقابلها في الجانب الصهيوني، وأسهب في الحديث عن المعارك التي خاضتها⁴.

لفت عارف العارف الانتباه إلى ضعف استعدادات الفلسطينيين العسكرية، وأشار إلى قلة السلاح في أيديهم، ومباشرة المقدسيين جمع السلاح عقب صدور قرار التقسيم، وتحدث عن تشكيل القائد العسكري عبد القادر الحسيني النواة الأولى لجيش الجهاد المقدس⁵.

وأطنب عارف العارف في تتبع أعداد المناضلين الفلسطينيين في مدينة القدس وقراها، مشيراً إلى أن شهر آذار 1948م شهد تحسناً كبيراً في أعدادهم، حيث ضم ما بين (586-750) مقاتلاً، والواضح من الإحصائيات التي اعتمدها عارف العارف أن حي القطمون كان له النصيب الأكبر من المناضلين، إذ وصل عددهم إلى 125 مقاتلاً، بينما كان حي الشماعة الأقل عدداً إذ تواجد

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص4.

² م، ن، ص6.

³ م، ن، ص77.

⁴ م، ن، ص88.

⁵ م، ن، ص89.

منهم 15 مقاتلاً فقط، وكانت السرية التابعة لجيش الإنقاذ المرابطة في الروضة تتألف من 123 مقاتلاً، ورابط داخل البلدة القديمة في القدس ثمانون مقاتلاً، أما في القرى المحيطة بالقدس فقد تواجد في قرية بيت صفافا ثمانون مقاتلاً، وفي صور باهر ثمانون مقاتلاً أيضاً، وفي شعفاط 130 مقاتلاً، وفي سلوان 14 مقاتلاً، وفي الشهر ذاته حدث تطور آخر تمثل في تشكيل فرقة التدمير العربية التابعة لجيش الجهاد المقدس وضمت 25 مقاتلاً¹.

بينما شهد شهر نيسان تراجعاً في الحامية العسكرية العربية، خصوصاً بعد معركة القسطل ومذبحة دير ياسين، فأصبح عدد المقاتلين ثلاثمائة مقاتل، موزعين على عدد من المناطق في القدس وأحيائها، ستون منهم في حي القطمون، وثلاثون في البقعة الفوقا، وأربعون في حي الشيخ جراح، وخمسون في حي المصراة، و120 مقاتلاً في أنحاء مختلفة².

وأكد العارف زيادة أعداد المقاتلين في القدس بعد انتهاء معركة القسطل، فزاد عددهم إلى ما يزيد عن 2000 مقاتلاً، منهم سبعمائة تابعون لجيش الجهاد المقدس مجهزون بخمسمائة بندقية، ومائة رشاش، وسبع مصفحات، وعدد قليل من مدافع الهاون، أما فوج اليرموك فضم خمسمائة مقاتل³.

وأضاف أن اندلاع المواجهات في القدس جاءت ردة فعل على الاعتداءات الصهيونية على المقدسيين، واستخدامهم لما وصفه بوسيلة "المباغثة والضرب والهرب"، مما اضطر الفلسطينيين إلى كبح جماحهم لصد العدوان الصهيوني⁴.

أشاد عارف العارف بقوة المقاومة الفلسطينية، والتي تمثلت في عرقلة سير السيارات اليهودية، وقطع الماء والكهرباء والهاتف عن الأحياء اليهودية في القدس، وفي المقابل هاجم الصهاينة الأحياء العربية وנסفوا البيوت، وقطعوا الأسلاك الكهربائية والتفونية، وسعوا إلى الاستيلاء على المدينة وضواحيها ومدخلها لعزلها عن باقي المدن الفلسطينية، وأخذت المنظمات العسكرية الصهيونية على عاتقها مهمة إجبار المقدسيين على الرحيل⁵.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص173.

² م، ن، ص174.

³ م، ن، ص316.

⁴ م، ن، ص31.

⁵ م، ن، (ص72-77).

واستعرض عارف العارف المعارك التي جرت بين الطرفين في القدس، موضحاً الدور البريطاني في حماية الأحياء اليهودية داخل المدينة المقدسية عند اشتداد الحصار الفلسطيني عليها¹.

اهتم العارف بإبراز مشاركة القطاع الريفي وخاصة قرى القدس ورام الله وبيت لحم والخليل، فقد شكّل الريفيون العمود الفقري لجيش الجهاد المقدس الذي تشكل في قرية صوريف عقب صدور قرار التقسيم، فأمين سر جيش الجهاد المقدس قاسم الريماوي (1918-1982م) من قرية بيت ريماء، ونائب قائد جيش الجهاد كامل عبد الرحمن عريقات (1906-1984م) من أبو ديس، وقائد سرايا العمليات الحربية إبراهيم أبو دية الغنيمات (1919-1952م) من صوريف، وأشار العارف بدور الريفيين في المشاركة بالمعارك الضاربة مثل معركة سنهدريا، ومعركة بيت سوريك، ومعركة شعفاط، ومعركة القسطل، واستفاض العارف في الحديث عن المشاركة الدفاعية والهجومية التي قدمتها قوات جيش الإنقاذ الذي ضم مجموعات من المتطوعين العرب من شتى المناطق، فخاضت العديد من المعارك أهمها معركة جدين².

أفرد العارف مساحة واسعة للمشاركة الفاعلة التي قدمها الإخوان المسلمون، حيث وصل إلى المدينة في شهر نيسان ستون مقاتلاً من عمان تمركزوا على الجبل المطل على عين كارم، وجاءت سرية من سوريا مكونة من 85 مقاتلاً، وأشاد العارف بها فقال "بأن جل أفرادها لم نقل كلهم من الأسر المرموقة في سوريا ومن حملة الشهادات المتقنين، واشتركوا في معارك الحي القديم، وفي القسطل والقطمون وفي الحي الأخير هذا استشهد الكثيرون"، وأشاد بمشاركتهم في العديد من المعارك مثل معركة صور باهر في 17 شباط 1948م، حيث شارك بها جزء من جماعة الإخوان في الأردن والأخوة المصريين، وتحدث عن إقراضهم الهيئة العربية العليا 2500 جنيه³.

تجنب العارف إبراز دوره في الدفاع عن القدس، وربما استفاد من موقعه الوطني في إجراء بعض الاتصالات لتوفير الدعم للمقاومة الفلسطينية، ويبدو أن أكثرية اتصالاته كانت مع الجيش

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، (ص78-88).

² م، ن، ص68.

³ م، ن، ج2، ص372.

الأردني، بسبب استقراره في مواقع القتال، والعلاقة التي ربطته بقائد اللواء الرابع الأردني آنذاك أحمد صدقي الجندي (1896-1979م)¹.

وجه العارف انتقادات شديدة لاستراتيجية الحركة الوطنية الفلسطينية؛ لإحجامها عن الاستعداد الكامل والمنظم للمواجهة الشاملة مع الحركة الصهيونية، وقال "قضينا ثلاثين عاماً نقول ولا نفعل، نؤلف اللجان والجمعيات ونقيم المؤتمرات والمظاهرات، ونكتب المقالات والاحتجاجات دون أن نردف هذا كله أو بعضه بالعمل الصالح المجدي، فلم نشترِ السلاح إلا أقله، ولم ندرب على الاعمال العسكرية من شبابنا سوى القليل، ولم نعمل بالآية الكريمة التي وردت في قرآننا (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)"².

تناول العارف قضايا محددة اعتقد أنها أخطاء ارتكبت وتسببت في هزيمة الفلسطينيين، فهاجم سلوك قادة الحركة الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتهم الحاج أمين الحسيني أثناء المواجهات مع اليهود، والتي عبرت عن نقشي الروح العائلية والشخصية في صناعة القرار الفلسطيني، والتعبئات والتكليفات الوطنية والعسكرية، واستهجن أيضاً امتناع الحاج أمين الحسيني عن الدخول إلى فلسطين، إضافة إلى رفضه استخدام الكثير من عناصر البوليس الفلسطيني الذين كانوا على أهبة الاستعداد للقتال ضد الصهاينة³.

وشن هجوماً عنيفاً على طبقة الأغنياء الفلسطينيين حيث اتهمها بالتقصير في الدفاع عن القدس، ومثال ذلك إحجامها عن المشاركة في التكاليف المالية والمعارك، فذكر ما حدث في معركة حي الشيخ جراح فقال "فرضوا على كل ذكر من سكان الحي أربعة جنيهات فدفع بعضهم ما طلب منه ومعظمهم من الفقراء، وغادر البعض الآخر الحي قبل أن يدفع ما عليه ومعظمهم من الأغنياء، وإن ما جرى في الحي جرى مثله في القطمون والنبي داود ومعظم الأحياء الأخرى إذ هب للنجدة فريق وقعد آخرون"⁴.

امتد نقد العارف ليشمل المقاتلين أنفسهم، فاستنكر بعض الممارسات التي ارتكبتها المقاتلون في تلك الفترة مثل عمليات النهب والسلب لمواقع الصهاينة بعد انسحابهم، مثل ما حصل في القسطل

¹ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص175.

² م، ن، ج2، ص29.

³ م، ن، ص96.

⁴ م، ن، ص282.

والنبي يعقوب و عطروت، ورأى أنه كان بالإمكان الاستفادة من الغنائم بطريقة منظمة تعود بالفائدة على كل الفلسطينيين، كإبقاء على المنازل في المستعمرات التي تم السيطرة عليها من أجل إيواء الفلسطينيين النازحين عن مدنهم وقراهم، وكذلك الاستفادة من الأدوات والآلات التي تركها الصهاينة في تشييد صناعة قوية، وطالت عمليات النهب ووصلت محتويات المكتبات، واستخدمها الباعة في بيع الفواكه والخضراوات¹.

3. عيسى السفري (1894-1949م)*

ولد المؤرخ والأديب والصحفي عيسى روبا السفري عام 1894م في مدينة الرملة لأسرة مسيحية ارتوذكسية، وتلقى فيها دراسته الابتدائية، وانتقل منها إلى مدينة يافا لمتابعة دراسته الثانوية².

عمل مدرساً في المدارس الحكومية، ثم انتقل إلى العمل الصحفي محرراً في جريدة فلسطين اليومية التي كان يصدرها الصحفي الفلسطيني عيسى العيسى (1878-1950م) في يافا، ودعا من خلالها إلى محاربة الانتداب والصهيونية، والتنبيه والتحذير من مخططات العدو والأعبيبه الغادرة³.

وبعد أن ترك جريدة فلسطين أسس مكتبة ومطبعة "فلسطين الجديدة" في يافا، وكانت مجلساً يلتقي فيه الأدباء، وواصل الكتابة في الصحف، إلى أن اعتقلته السلطات البريطانية في سجن المزرعة في عكا لمدة ثلاثة أشهر، عاد بعدها إلى سابق كفاحه القلمي ضد الحركة الصهيونية وحكومة الانتداب البريطاني⁴.

وبعد وقوع النكبة عام 1948م غادر السفري يافا إلى مدينة السلط في الأردن، فأقام فيها قرابة عام ثم انتقل بعدها إلى عمان، وأخذ يشارك في تحرير جريدة فلسطين إبان الفترة

¹ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص409.

* لمزيد من الاطلاع انظر: جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص373. شاهين، أحمد، موسوعة، ج5، ص33. العودات، يعقوب، من أعلام، ص105. أبو نضال، نزيه، والقلبي، عبد الفتاح، الكاشف، ص260. أبو حمد، عرفان، أعلام، ص307. حمادة، محمد، موسوعة، ج6، ص46.

² جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص373. شاهين، أحمد، موسوعة، ج5، ص33..

³ العودات، يعقوب، من أعلام، ص105. أبو نضال، نزيه، والقلبي، عبد الفتاح، الكاشف، ص260.

⁴ جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص373. أبو نضال، نزيه، والقلبي، عبد الفتاح، الكاشف، ص260.

التي صدرت فيها هناك، ولكن الموت لم يهمله طويلاً فتوفي إثر أزمة قلبية عام 1949م في عمان¹.

ويبدو واضحاً أن شخصية السفري الوطنية قد شكلتها تجاربه المختلفة خاصة في مجال الصحافة، ومراقبته الصحفية للأحداث التي عصفت في فلسطين من جميع الجهات، وسجل في مصنفاته القيمة جميع ما شاهده بعين المؤلف والمحلل والأديب، ولذا اعتبرت كتاباته من المؤلفات القيمة، حيث اعتمد عليها من جاء بعده من المؤرخين اللاحقين².

ترك عيسى السفري حصيلة أدبية وتاريخية لا بأس بها، منها "رسالتي" وهي مجموعة مقالات من الشعر المنشور في الأدب والوطن والاجتماع عام 1937م، وكتاب "عجائب الأرقام" عام 1940م، وكتاب "العرب المنتصرة في الجاهلية والإسلام" مخطوط عام 1943م³، وكتاب "دماء ودموع" عام 1947م الذي لم تستطع الباحثة الحصول عليه لعدم توفره، إلا أن السفري قدم عرضاً موجزاً عنه في كتيبة "الوعد الثلاثة في تاريخ فلسطين" فذكر أنه كتب في مقدمته أن الدافع وراء تأليفه "لكثرة ما أرى في هذه البلاد من دماء ووفرة ما هطلت من عيون أهلها من دموع"، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات تناولت كلها القضية الفلسطينية (1917-1948م) بأسلوب شيق وطريف ولغة ممتازة، تزينه خريطة فلسطين⁴.

إلا أن أهم المصادر التاريخية التي خطها عيسى السفري على الإطلاق هو كتابه "فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية" عام 1937م وهو عبارة عن سجل عام للقضية الفلسطينية في عشرين سنة، ويتألف من جزئين في كتاب واحد، عدد صفحاتها 417 ورقة، ويشمل الجزء الأول تاريخ القضية الفلسطينية منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين 1917م حتى نشوب الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م، وتناول الجزء الثاني تاريخ الثورة الفلسطينية الكبرى وتطوراتها ونتائجها حتى مجيء اللجنة الملكية (بيل) 1937م، وأهدى المؤلف الكتاب إلى الذين استشهدوا

¹ الهوارى، عرفان، أعلام، ص78. حمادة، محمد، موسوعة، ج6، ص46.

² شاهين، أحمد، موسوعة، ج5، ص33.

³ جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص373. أبو نضال، نزيه، والقلبي، عبد الفتاح، الكاشف، ص260. أبو حمد، عرفان، أعلام، ص78. حمادة، محمد، موسوعة، ج6، ص46.

⁴ السفري، عيسى، الوعد، ص42-43.

وامتألت فيهم السجون، وذاقوا مرارة العيش، وقدم الكتاب الحاج أمين الحسيني، وأشاد به وبمؤلفه¹.

ويوضح في مقدمة كتابه السبب وراء تأليفه هذا الكتاب، فهو يرى أن القضية الفلسطينية لم تتل الاهتمام الكافي من قبل المؤرخين، إذ لم يوضع لها كتاب خاص بها يشمل كافة تفاصيلها في تلك الحقبة².

ويمكن القول إن الدافع الرئيس وراء تسمية عيسى السفري الكتاب "فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية" أن قضية فلسطين تنحصر تحت عاملين هما وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، والثاني وعد بلفور الذي منح أرض فلسطين وطناً قومياً لليهود³.

يعتبر كتاب عيسى السفري مصدراً أساسياً لكل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية خلال عامي (1917-1937م)، وأوضح منهجه في تأليفه فقال " لا أدعي العصمة والكمال، وإنما أقول إنني حاولت جهدي أن أكون في جانب الحقيقة وأن استوحي الإخلاص في كل ما خطه قلمي فإن وفقت فهذا ما أتمناه، وإن كان هنالك ما يأخذه القارئ اللبيب فليتكلم بتبنيهي إليه لأتلافاه في الطبعة الثانية إن شاء الله"⁴.

واتبع عيسى السفري الأسلوب الأدبي السهل البسيط والواضح في كتابه، مدعماً كتابه بالعديد من الصور والرسوم والخرائط، ومعتمداً على طريقة الموضوعات في تسجيل الأحداث لا الطريقة الحولية، وقدم الأحداث كما رآها من دون الخوض في التحليل والاستنتاج إلا ما ندر.

حرص عيسى السفري على أن يستقي معلوماته من الصحف الفلسطينية التي عاصرت القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها مثل صحيفة سوريا الجنوبية، وصحيفة فلسطين، وصحيفة الجامعة الإسلامية، وصحيفة الدفاع، وصحيفة اللواء، واعتمد على تقارير اللجان البريطانية، وبلاغات الحكومة الرسمية، واعتمد أيضاً على بعض الكتب التاريخية العربية مثل "الثورة العربية الكبرى" لأمين سعيد (1891-1967م)، و"الانتداب باطل ومحال" لوديع البستاني

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، (ص237-240).

² م، ن، ص14.

³ م، ن، (ص13-14).

⁴ م، ن، (ص14-15).

(1886-1954م)، و"في العالم اليهودي" لجبرا نقولا (1912-1974م)، و"تاريخ فلسطين" لعمر البرغوثي (1894-1965م) وخليل طوطح (1887-1955م)، و"خطط الشام" لمحمد كرد علي (1876-1953م)، و"قضية عرب فلسطين" لتوفيق كنعان (1882-1964م)¹.

وضّح عيسى السفري أن اليهود يبنون احتلالهم لفلسطين على مزاعم دينية وتاريخية، فهم يدعون أن الله سبحانه وتعالى وعدهم هذه الأرض من خلال تبني ما ورد في التوراة في سفر حزقيال "افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم يا شعبي واتي بكم إلى أرض إسرائيل"، ويشير اليهود إلى ارتباطهم التاريخي والروحي بفلسطين، فنفى عيسى السفري ذلك بأن حكم بني إسرائيل لفلسطين كان فترة ضئيلة لم تتجاوز الأربعة قرون، بينما استمر الحكم الإسلامي ما يقرب 12 قرناً².

وأكد أن الحكومة البريطانية سعت إلى ضمان نفوذها في بلاد الشام من خلال التفاوض مع المنظمة الصهيونية حول مستقبل فلسطين، والتي نتج عنها إصدار وعد بلفور في 2 تشرين الثاني 1917م والداعي إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ودُمج به صك الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1922م لتهويد أرض فلسطين وطرد سكانها³.

آمن عيسى السفري أن الاحتلال البريطاني هو المسبب الأول لكل ويلات الشعب العربي الفلسطيني، فشجع الفساد، وفتح أبواب الهجرة على مصراعيها وشرعها بإصدار مجموعة من القوانين، فكان عدد المهاجرين عام 1919م 1643 يهودياً ثم ارتفع عددهم إلى 61854 عام 1935م، ويُرجع السفري ذلك إلى الهجرة السرية التي تمت من خلال الزواج السوري والألعاب الرياضية والمعارض والسواحل، ورافقتها عمليات تهويد واسعة للأراضي، فبيع لليهود ما مقداره 187 ألف دونم عام 1935م، وقد بنى اليهود على هذه الأراضي العديد من المستعمرات، وتولت الوكالة اليهودية والصندوق القومي الفلسطيني (الكيرن كايميت)، والصندوق التأسيسي (الكيرن هايسود) والهستدروت مهمة الهجرة وشراء الأراضي⁴.

أشاد السفري بتمسك الفلسطينيين بأرضهم ودفاعهم عن أحقيتهم الكاملة في فلسطين، والذي تجسد في عقد الفلسطينيين ثمان مؤتمرات خلال عامي (1919-1928م)، والجمعيات السياسية

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص172.

² م، ن، ج1، ص61.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص60، والوعود، ص32.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، (ص194-197).

والأدبية والفكرية والوطنية، والأحزاب العربية الفلسطينية، والتي اتحدت جميعاً حاملاً نفس الهدف في المطالبة بإلغاء وعد بلفور، وإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ووقف بيع الأراضي الفلسطينية لليهود، وإقامة حكومة فلسطينية¹.

وأوضح أن الشعب الفلسطيني آمن أن المقاومة السلمية للمشروع الصهيوني غير مجدية نفعاً، وزاد من تقاوم الأمر نكوص بريطانيا عن تنفيذ ما وعدت به في الكتاب الأبيض الصادر عام 1930م بضبط الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، فلجأ الفلسطينيون للمقاومة المسلحة والتي بدأت بوادرها الأولى على شكل مظاهرات خلال عامي (1920-1925م)، إلا أن الفلسطينيين أعربوا عن غضبهم من الاحتلال البريطاني والصهيوني خلال ثورة البراق 1929م، والتي تبعها ثورة عز الدين القسام 1935م، والتي كانت مفتاحاً للثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م².

احتلت الثورة الفلسطينية الكبرى 15 نيسان 1936م جزءاً كاملاً في كتاب عيسى السفري، موضحاً أسباب تفجرها ومجرياتها ونتائجها، والمعارك التي قدمها المناضلين الفلسطينيين خلال الثورة³.

أشاد باللجنة العربية العليا التي تشكلت برئاسة المفتي محمد أمين الحسيني (1895-1974م)، التي دعت إلى مواصلة الإضراب العام إلى أن تغير السلطات البريطانية سياستها تغيراً جوهرياً، والاستجابة لمطالب الشعب الفلسطيني في وقف الهجرة اليهودية، ومنع انتقال الأراضي العربية لليهود، وإنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي⁴.

وذكر المؤرخ السفري الإجراءات التي لجأت إليها الحكومة البريطانية للقضاء على الثورة الفلسطينية، والتي جمعت بين أساليب القمع والعنف، وبين المناورات السياسية، واللجوء إلى لجان التحقيق من أجل التوصل إلى حلول سياسية⁵.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، (ص221-222).

² م، ن، (ص114، ص214).

³ م، ن، ج2، ص9.

⁴ م، ن، (ص9-15).

⁵ م، ن، (ص47-50).

وأكد أن القوات البريطانية عززت الوجود العسكري في فلسطين، فعند بدء الثورة كان عددهم سبعة آلاف جندي بريطاني، وبعد ثلاثة أشهر على بدء الإضراب استقدمت وحدات عسكرية جديدة من مالطة، فأصبح عددهم في حدود 15 ألف جندي، يضاف إليهم ستة آلاف من رجال البوليس، وأربعة آلاف من قوة حرس الحدود، إلى جانب مراقبتها الموائى والمطارات والأعمال الصناعية والتجارية، وفرض الغرامات النقدية والعينية، ومصادرة الأموال، ونسف العديد من البيوت في المدن والقرى الفلسطينية¹.

وعلق عيسى السفري أن الحكومة البريطانية اعتادت على تشكيل اللجان لمواجهة الانتفاضات والهيئات الفلسطينية، فلجأت سلطات الانتداب إلى تشكيل لجنة لمواجهة الثورة الفلسطينية والتحقيق في الأحداث، حيث أعلن وزير المستعمرات البريطاني في بيان له أمام مجلس النواب في 18 أيار 1936، عن تأليف لجنة تحقيق رسمية للذهاب إلى فلسطين والتحقيق في أسباب الاضطرابات والتي دُعيت باسم "لجنة بيل الملكية" وأوقف السفري كتابه حتى هذا العام².

4. مصطفى مراد الدباغ (1898-1989م)*

ولد مصطفى مراد الدباغ في مدينة يافا عام 1898م³، وتلقى دراسته الابتدائية في المدرسة الأميرية فيها، والتحق في المدرسة السلطانية في بيروت لإكمال دراسته الثانوية، والتي كانت معدة لإعداد النخبة الذين سيستلمون الوظائف الإدارية العليا في الدولة العثمانية، ودرس اللغتين التركية والفارسية إلى جانب اللغة العربية⁴.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، (ص126-127).

² م، ن، ص147.

* لمزيد من الاطلاع انظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، ص4. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص475. السوافيري، كامل، الأدب، ص309. الدجاني، أحمد، من أعلام، ص60. محمد، علي، أعلام، ص24. الهواري، عرفان، أعلام، ص431. شبيب، سميح، من رواد، ص26. صالح، جهاد، موسوعة، ص77. العقيل، عبد الله، من أعلام، ص45. حمادة، محمد، موسوعة، ص33. شاهين، أحمد، موسوعة، ج2، ص38. العودات، يعقوب، من أعلام، ص199. لوباني، حسين، معجم، ص76. الحوت، بيان، المؤرخون، مجلة دراسات فلسطينية، مج23، ع89، ص55.

³ مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، ص4. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص475. شبيب، سميح، من رواد، ص26.

⁴ مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، (ص4-5). جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص475. شبيب، سميح، من رواد، ص26.

عُين ضابطاً احتياطياً في الجيش العثماني عام 1915م، وأُرسل إلى معسكرات الجيش في استانبول، وانضم إلى الحملة التي قصدت الحجاز بقيادة الأمير العثماني فخري باشا (1868-1948م)، وعُهد إليه بعمل إداري في المدينة المنورة¹.

وبعد إعلان الحسين بن علي (1854-1931م) الثورة على الأتراك، واستلام قواتهم الموجودة في المدينة المنورة بعد حصارها، التحق بالجيش العربي في الحجاز وخدم فيه ضابطاً لمدة عام².

وبعد الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1919م بدأ العمل في مجال التربية والتعليم، وعمل مديراً لمدرسة المنشية في يافا، ثم مديراً للمدرسة الثانوية في الخليل، ثم مدرساً للاجتماعيات في دار المعلمين في القدس عام 1926م، ثم مساعداً لمفتش المعارف في نابلس وغزة (1927-1933م)، ثم مفتشاً للمعارف في كل من يافا (1933-1940م) ونابلس (1940-1945م)، ويافا مرة ثانية (1945-1948م)³.

أولى الدباغ قبل ضياع فلسطين عام 1948م عناية خاصة لإفنتاح المدارس الريفية الحديثة، فكان يقنع الناس في القرى بالتبرع بالأرض اللازمة، وبناء المدارس على نفقتهم الخاصة، مقابل تولي الحكومة المنتدبة تعيين المعلمين والانفاق والاشراف عليهم، كما سبق أن شارك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين في فلسطين، وذلك رداً على الرعاية البريطانية لجمعية الشبان المسيحية التي اعتبرها الفلسطينيون مشروعاً للاختراق الاستعماري في فلسطين⁴.

وبعد أن حلت النكبة الأولى بفلسطين عام 1948 عُين أستاذاً للاجتماعيات في ثانوية حلب، فمفتشاً لمدرسة المقاصد الخيرية في بيروت عام 1949، ثم عُين مفتشاً للمعارف الأردنية عام 1950، ثم تقلد منصب وكيل وزارة المعارف الأردنية منذ عام 1954م حتى عام 1958م⁵، إلى أن أنهى الانجليز حياته العملية في الأردن عبر رئيس الوزراء الأردني آنذاك "سمير الرفاعي"،

¹ مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، ص4.

² مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، ص4. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص475. شبيب، سميح، من رواد، ص27.

³ مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، (ص6-7). جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص476.

⁴ عودة الله، خالد، مقدمة، <https://www.nawa.ps/ar/post/41556>.

⁵ مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، ص7. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص477.

بسبب تأليفه الكتاب المدرسي "تاريخ فلسطين منذ أقدم الأزمنة حتى اليوم" عام 1956م، والذي عده الانجليز منشوراً سياسياً لا كتاباً مدرسياً¹، فتوجه إلى دولة قطر وعُين مديراً لمعارفها خلال عامي (1959-1961م)².

يُعد الدباغ مؤرخاً وكاتباً ورحالة ورجل إدارة من الطراز الأول، تخصص في مجال المعارف والمعرفة، وقد وضع مصنفات عدة ركزت معظمها على فلسطين والبلاد العربية منها "مدرسة القرية" عام 1935م، و"التاريخ القديم للوطن العربي" عام 1951م، و"الموجز في تاريخ فلسطين" عام 1960م، و"قطر ماضيها وحاضرها" عام 1961م، و"الجزيرة العربية" عام 1962م، و"جزيرة العرب: موطن العرب ومهد الاسلام" عام 1963م، و"القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين" عام 1979م، و"الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين" عام 1980م، و"الموجز في تاريخ الدول الاسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين" عام 1981م، "من هنا وهناك" عام 1986م³، لذا أُطلق عليه لقب "ابن الأرض"، أو "المؤرخ الموسوعي الشامل" أو "المؤرخ الوطني"⁴.

اعتاد الدباغ منذ بدايات حياته العلمية والعملية على تدوين مذكراته ومشاهداته ورحلاته، عن المدن والقرى والصحاري والعائلات والعادات والتقاليد، وكان يهتم برصد الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية في المناطق ذاتها، وتوافرت لذلك جميع المعلومات عن فلسطين والتي ضمها كتابه الموسوعي الكبير "بلادنا فلسطين"⁵.

وذكر الدباغ في مقدمة موسوعته أنه أصدر الجزء الاول منها في فلسطين عام 1947م ويبدو أن الدباغ قد أنجزه قبل أربع سنوات⁶، والدليل على ذلك أن عارف العارف يوثق موسوعة بلادنا فلسطين في قائمة مراجعه في كتابه "تاريخ غزة" الصادر عام 1943، وربما لأن الدباغ وزّع نسخته بتداول محدود؛ نتيجة الرقابة الشديدة التي فرضها الإنجليز على طباعة الكتب، وخاصةً

¹ عودة الله، خالد، مقدمة، <https://www.nawa.ps/ar/post/41556>.

² مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، ص8.

³ م، ن، (ص12-13).

⁴ عودة الله، خالد، مقدمة، <https://www.nawa.ps/ar/post/41556>.

⁵ مجموعة من الباحثين، الموسوعة، ج1، ص4.

⁶ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج1، ص7.

التاريخية¹، ثم وقعت النكبة وبعدها انتقل بمركب صغير من يافا إلى بيروت واضعاً مخطوطة كتابه "عن تاريخ فلسطين وجغرافيتها البالغ عددها أكثر من 6000 صفحة في حقيبة صغيرة، وقد أمضى ما يقرب العشر سنوات في جمع وثائقه وتبويبه وكتابته، إلا أن المركب واجه عاصفة شديدة فرضت على الركاب تخفيف أمتعتهم، فانترع أحد الركاب حقيبته وقذفها إلى البحر².

ويضيف الدباغ أنه عاد إلى جمع كتابه من جديد بعد انتهاء النكبة، وتألفت الموسوعة من 11 مجلداً، تغطي فلسطين وقراها، وصدرت عن دار الطليعة خلال عامي (1965-1976م)³، ثم صدرت مرة جديدة في 27 تشرين الثاني 2018م عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في مقدمة زائدة وضعها وليد الخالدي⁴.

اعتاد المؤرخون والباحثون على وصف موسوعة "بلادنا فلسطين" بأنها مؤلف تاريخي ضخمة، ولكنها في الحقيقة هي مؤلف في الجغرافيا التاريخية أي كتابة تاريخ وحدة جغرافية ما، من ناحية الأحداث التي أثرت فيها الجغرافيا والمكان، وكذلك كيف أثرت الجغرافيا (الموقع والطبوغرافيا) على الأحداث التاريخية فيها⁵.

تناول الدباغ في موسوعته موقع فلسطين ومساحتها وسكانها وأقسامها الطبيعية والتقسيمات الإدارية، وتاريخها منذ عصور ما قبل التاريخ مروراً بتاريخ الأقوام والشعوب السامية التي نزلت فيها، ثم دخول اليهود إليها، وصولاً إلى حكم الرومانيين والقبائل العربية فيها قبل الإسلام، وتحدث بالتفصيل عن تاريخ قضاء غزة منذ الفتح الإسلامي، ومدنها وقراها، وقضاء بئر السبع، ثم تناول جغرافية مدن وقرى الجيار النابلسية وأقضيتها، وجنين، وطولكرم، والديار الياقينية، وديار الخليل، وديار الجليل، وجند الأردن، وديار بيت المقدس، وبالتالي فقد رتب موسوعته حسب الأفضية بحيث يأخذ كل قضاء ويذكر جميع التفاصيل عنه والأحداث التي جرت فيه⁶.

¹ عودة الله، خالد، مقدمة، <https://www.nawa.ps/ar/post/41556>.

² الشريف، ماهر، فلسطين، ص 53.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج 1، ص 7.

⁴ عودة الله، خالد، مقدمة، <https://www.nawa.ps/ar/post/41556>.

⁵ الشريف، ماهر، فلسطين، ص 53.

⁶ هذا العرض اعتماداً على دراسة موسوعة بلادنا فلسطين.

استخدم مصطفى الدباغ مصطلح فلسطين الغربية والشرقية في توصيف حدود فلسطين، وفي مقال نشره خالد عودة الله على مواقع التواصل الاجتماعي يوضح السبب الحقيقي وراء إلحاق الدباغ محافظتي السلط وإربد بالديار النابلسية، وعمان بالديار اليافيّة، ربما لأنها يرتبطان ببعضهما بحكم الجغرافيا والعلاقات الاجتماعية من نسب وعلاقات قرابة، إضافةً إلى المشترك القومي والعادات والانتماء والاقتصاد، لا بسبب أنّ ما يجمعهما الخضوع للانتداب البريطاني، كما أورده الخالدي في مقدّمته للطبعة الجديدة¹.

وتحتوي الموسوعة على معلوماتٍ جغرافية هامة حول القرى والبلدات وتنظيمها الإداري وتاريخها، بالاستناد إلى الكتابات التاريخية العربية والإفريقية والحفريات الأثرية، وإحصاءاتٍ حول مساحات الأراضي لكلّ وحدة، والإنتاج الزراعيّ، والقطاع التعليمي، والشخصيات المشهورة، وصولاً إلى النشاط الاستيطانيّ الصهيونيّ، وتاريخ المقاومة الفلسطينية في الثورات والهبات الشعبية، مثل ثورة 1921م، وثورة البراق 1929م، وثورة 1936م، وصولاً إلى حرب النكبة، جامعاً ما بين المصادر المكتوبة المتنوّعة التراثية والحديثة العربية والإفريقية، والتاريخ الشفوي ومشاهداته الميدانية من خلال الرحلات التي كان يقوم بها في ديار فلسطين خلال عمله كمفتّش للمعارف، ومعتمداً على كتابات الإخباريين والجغرافيين المسلمين، وعلى عدد من الكتب التاريخية العربية أو المترجمة، وعلى المعاجم والمجلات والصحف العربية²، وهو ما دفع بيان نويهض الحوت إلى وصفه "بمؤرخ الحجر والبشر"³.

ويتفق المؤرخون والباحثون على أن موسوعة "بلادنا فلسطين" هي المصدر الأول لجميع الكتب التي كتبت عن المدن والقرى المهجرة والباقية، إلا أن جورج كنعان في كتابه "خطيئة الفلسطينيين: إلى الفلسطينيين المغفلين إنها لغاوة شنعاء وأغلوطة نكراء لن تغفرهما لكم أجيال فلسطين مدى الدهر" وجه إتهاماً إلى مصطفى الدباغ بالمساهمة في عملية اختلاق مملكة إسرائيل على أرض فلسطين في موسوعته، لأن الدباغ قبل ما يُسمّيها "الخزعات التوراتية" التي تمّ تليفها في سبيل اختراع رابطة تاريخية لليهود في فلسطين، كأيدولوجيا استيطانية صهيونية،

¹ عودة الله، خالد، مقدمة، <https://www.nawa.ps/ar/post/41556>.

² هذا العرض اعتماداً على دراسة موسوعة بلادنا فلسطين.

³ الحوت، بيان، المؤرخون، مجلة دراسات فلسطينية، مج23، ع89، ص55.

ويستشهد بعدة مواقع من موسوعته للتدليل على هذه "الجريمة التاريخية" التي لا تُغفر بحسب أقواله¹.

يُعتبر الدافع وراء تأليف مصطفى الدباغ موسوعته هو كتابة التاريخ الفلسطيني كرد على الكتابات الاستعمارية عن تاريخ فلسطين فقال في مقدمة كتابه "هذه البلاد عربية منذ الاف السنين، وأول من عُرف من سكانها الموجات العربية الأولى التي نزلتها منذ بدء التاريخ، فنظراً لأهميتها التاريخية والجغرافية، ولقلة ما لدينا من الكتب التي تبحث بتفصيل وافٍ عن معالمها وآثارها ومقدساتها العربية، إذ إنَّ كلَّ ما كُتِبَ بهذا الموضوع كان مختصراً أو لمؤلفين أجانب لم يبحثوا الناحية التي تهّم معرفتها أهل البلاد، أو كتبوا شيئاً عنها بروح الأجنبيّ الغريب، اجتهدتُ لإخراج هذا الكتاب في أجزاءٍ عدّة"، وأضاف قائلاً "ما كنت لأتصور يوم أصدرت الجزء الأول من هذا الكتاب بأن النكبة ستحل بالوطن بعد ذلك بسنة، وتطيح بأهله وتنتهرهم كما تنثر العواصف الرمال"².

أمام ازدياد مطالبة اليهود بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بحجة أنهم شعب الله المختار سعى الدباغ إلى دحض دعوى اليهود في حقهم التاريخي في البلاد، فهي دعوى باطلة وفاسدة ليس لها مثيل في التاريخ، وافتراء واضح عليه، فإنهم لم يعرفوا فلسطين إلا في بعض عصورها القديمة، ولم يملكوا إلا جزءاً منها لمدة وجيزة، كانت سيادتهم فيها هزيلة متقطعة، أما حق العرب في فلسطين فهو كما تابع "خالد وصريح لا جدال فيه، فإنهم متصلون فيها، وسكنوها منذ فجر تاريخها ومن قبل أن يوجد يهود في العالم، ولم ينقطعوا عنها، واستمروا فيها إلى يومنا هذا"³.

وأشار الدباغ إلى أن خطر إسرائيل لا يهدد الفلسطينيين وحدهم بل العرب في مختلف بقاعهم، فاليهود يعتبرون حدودهم مؤقتة وهم في انتظارهم لتأتي الفرصة السانحة لتتسع سيطرتهم ويتحقق حلمهم في إنشاء دولة يهودية عالمية⁴.

¹ كنعان، جورجي، خطيئة، ص 217.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج 1، ص 19.

³ م، ن، ص 8.

⁴ م، ن، (ص 7-8).

يرى مصطفى الدباغ أن إقامة الوطن القومي اليهودي على أرض فلسطين كان حصيلة إقامة مستوطنة وراء الأخرى، والتي روعيت في بناءها العوامل الاقتصادية والجغرافية والأمنية مثل اختيار الأراضي الخصبة من حيث جودة التربة، وتوفر المياه، والقرب من الشاطئ، وقربها من شبكة الطرق الرئيسية، وهذا ما يفسر وجود عدد كبير من المستوطنات في السهل الساحلي، ومرج بن عامر، وسهل حطين، وسهل زرعين، وسهل البطوف "شمال فلسطين"¹.

اعتبر الدباغ عام 1882م البداية الحقيقية للاستيطان الصهيوني في فلسطين، نتيجة وصول الموجة الأولى من الهجرة الصهيونية (1882-1903م)، وقد جرى نشاط مكثف لبناء العديد من المستوطنات خلال (1881-1900م)، وأقام اليهود هذه المستوطنات وغيرها بأساليب التحايل، مستغلين ضعف الأنظمة والقوانين العثمانية، مما مكنهم من الاستيلاء على مساحات كبيرة من الأراضي وإقامة مستوطنات عليها؛ وبذلك أسس المستوطنون عدة مستوطنات حتى عام 1884م².

ويعود الفضل في بناء المستوطنات في وجهة نظر الدباغ إلى المساعدات التي قدمها أثرياء اليهود تحديداً البارون إدموند دي روتشيلد (Edmond de Rothschild) (1845-1934م)، الذي خصص إعانة شهرية لكل أسرة من المستوطنين، وأخذت الأموال اليهودية تتدفق على المستوطنين من جانب الجمعيات اليهودية على رأسها جمعية أحبباء صهيون، وقد اهتم المستوطنون في هذه المرحلة بتطوير الزراعة وتحديداً الحمضيات³.

ونوه الدباغ إلى ظهور مرحلة جديدة في بناء المستوطنات عام 1900م، على الرغم من جهل الصهاينة بأسلوب الزراعة في فلسطين بما يتلاءم مع ظروف التربة والمناخ مما أدى إلى استمرار العمالة العربية في المستوطنات، وفي هذه الفترة أوكلت إلى العديد من المؤسسات مهمة بناء المستوطنات مثل جمعية الاستيطان اليهودي "بيكا"، وبدأت وفي عام 1901م في شراء أراضٍ جديدة؛ لبناء مستوطنات جديدة عليها، وقد لعبت مؤسسات أخرى بجانب البيكا دوراً أساسياً في تدعيم إقامة المستوطنات، ومن أهمها "الصندوق القومي اليهودي" الذي أنشأ عام 1901م⁴.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج1، ص109.

² م، ن، ج4، ص302.

³ م، ن، ج7، (ص48، ص103).

⁴ م، ن، ج4، ص67.

ولاحظ الدباغ ازدياد أعداد المهاجرين الصهاينة في هذه الفترة، وكان معظمهم من روسيا القيصرية، وكان الدافع الأساسي وراء هجرتهم إلى فلسطين الاضطرابات المعادية لليهود، وخاصة المذابح ولذلك هاجر كثير منهم إلى فلسطين يحدوهم الأمل في إقامة وطن قومي لليهود، وظهرت نوعين جديدين من المستوطنات وهي المستوطنات الزراعية الجماعية (الكيوتس)، والمستوطنات شبه الجماعية (الموشاف)، وتتميز بصغر الحجم إذا قورنت بالمستوطنات التي أنشئت في المرحلة الأولى¹.

وتركزت المستوطنات خلال تلك الفترة في منطقة السهل الساحلي؛ وذلك لاعتبارات متعلقة بوجود مساحات خالية من الأراضي وابتعادها عن مناطق التجمعات العربية، بالإضافة إلى قربها من المستوطنات الأولى، وأكد الدباغ على توجه الصهاينة إلى إقامة مستوطنات جديدة في سهل الحولة وطبريا؛ وذلك لخلق تواجد استيطاني جديد داخل هذه المناطق، تمهيداً للاتصال بمستوطنات السهل الساحلي، ثم بدأ التوجه نحو القدس تمهيداً لبناء المستوطنات فيها كونها مصدر إلهام روحي لليهود، في حين أشار الدباغ إلى خلو النقب من المستوطنات؛ ربما بسبب طبيعته الوعرة².

وحسب توزيع مصطفى الدباغ للمستوطنات عام 1914م يتضح أن أفضية شمال فلسطين (صفد، الناصرة، حيفا، طبريا) كانت تضم 65% من مجمل المستوطنات، في حين ضمت أفضية الوسط (يافا، الرملة، غزة، القدس، بيت لحم) 33% من عدد المستوطنات، بينما لم يشهد قضاء جنين وبيسان وطولكرم والخليل وبئر السبع بناء أي مستوطنة في تلك الفترة³.

واعتبر الدباغ فترة الانتداب البريطاني على فلسطين الفترة الأهم والأخطر للصهيونية الاستيطانية، حيث دُعمت الهجرة اليهودية بمرسوم يسمح بالهجرة في عام 1921م من قبل سلطات الانتداب البريطاني، فتنامى الوجود السياسي للحركة الصهيونية، وتوسعت الأنشطة الاستيطانية من خلال بناء المستوطنات، وامتدت المشاريع الاستيطانية خلال هذه الفترة، وتمكن اليهود من شراء مساحات كبيرة من الأراضي، ووقعت معظم هذه الأراضي في منطقة

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص270.

² م، ن، ج3، (ص104-110).

³ هذا التوزيع اعتماداً على دراسة المستوطنات في المدن الرئيسية داخل موسوعة بلادنا فلسطين.

القدس، كما شهدت هذه الفترة استيلاء اليهود على العديد من الأراضي في مرج ابن عامر؛ لتصل بذلك مستوطنات طبريا بمستوطنات السهل الساحلي¹.

ولاحظ الدباغ أن الهجرات المتتالية من المستوطنين أدت إلى زيادة أعداد المستوطنات اليهودية بشكل كبير، وقد انتشرت هذه المستوطنات على مساحات كبيرة في سهل مرج ابن عامر وغور الأردن وفي الجليل الأعلى والأسفل ووادي بيسان وإلى الشمال من حيفا وعكا، في حين ظلت النقب والمناطق الجبلية تعاني من قلة المستوطنات².

ولفت مصطفى الدباغ النظر إلى ظهور نوع جديد من المستوطنات وهي مستوطنات حوما ومجدال (السور والبرج)، وأطلق هذا الاسم على عملية إقامة 52 مستوطنة يهودية محصنة في فلسطين خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939م)، والتي تم أقامتها في أواخر عام 1939م، بينما اعتبر الدباغ عام 1936م أقل الأعوام في إقامة المستوطنات³.

اعتبر الدباغ إنشاء هذه المستوطنات رد عملي على الكتاب الأبيض الصادر عام 1939م، الذي أكد على الحد من الهجرة والاستيلاء على الأراضي من جانب اليهود، واستمرت الجهود اليهودية في صراعها ضد الكتاب الأبيض واستغلال قانون الأراضي الصادر عام 1940م للحد من امتلاك اليهود لأراضي فلسطين؛ في محاولة لخلق وجود استيطاني في مناطق جديدة والمناطق الموجودة بها مستوطنات يهودية⁴.

ورأى مصطفى الدباغ أن مؤتمر بلتيمور عام 1942م أحدث منعطفاً جديداً في بناء المستوطنات والذي أكد على ضرورة التمرکز نحو الجنوب ومحاولة الاستيلاء على الأراضي بالنقب وإنشاء مستوطنات جديدة فيه؛ كونها جسراً بين الدولة اليهودية والقارات الثلاث (آسيا، أوروبا، إفريقيا)، إضافة إلى الاضرار بمشروع موريسون عام 1946م الذي أوصى ببقاء النقب والقدس تحت المسؤولية البريطانية، لذلك أنشأ اليهود 18 مستوطنة في النقب.

أشاد مصطفى الدباغ بصمود الفلسطينيين أمام الحركة الصهيونية والانتداب البريطاني، وكانت المقاومة العربية عفوية غير منظمة ولم تتعدى في البداية حدود تقديم العرائض الاحتجاجية ضد النشاطات الصهيونية في فلسطين.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، (ص87-100).

² م، ن، ص100.

³ م، ن، ج4، ص270.

⁴ م، ن، ص180.

ويوضح الدباغ اهتمام الصحف العربية بكشف مخاطر الحركة الصهيونية، إلى جانب إنشاء الجمعيات والأحزاب لتعبئة الشعب ضد المخاطر الصهيونية وكان هدفها جميعاً مكافحة الصهيونية، وقامت الحركات الوطنية والإسلامية بالمطالبة بالاستقلال ورفض المشروع الصهيوني، ونفذت تلك الحركات ثورة موسم النبي موسى عام 1920م، وثورة يافا عام 1921م، وثورة البراق عام 1929م، وثورة عز الدين القسام عام 1935م، والثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939م)، وشكلت اللجنة العسكرية بعد صدور قرار تقسيم فلسطين في 29 تشرين الثاني 1947م جيش الإنقاذ، وشكل عبد القادر الحسيني جيش الجهاد المقدس¹.

وأكد مصطفى الدباغ أن المؤامرة كانت أكبر بكثير من إمكانيات الشعب الفلسطيني، ففي بداية عام 1948م شنت العصابات الصهيونية (الهاغاناة، الارغون، شتيرن) عدة هجمات على المدن والقرى الفلسطينية، وحسب إحصائيات الدباغ دمر الصهاينة 230 قرية من أصل 585 وارتكبوا 18 مجزرة أهمها مجزرة دير ياسين والقسطل وناصر الدين².

ونشر مصطفى الدباغ بحث في الموسوعة الفلسطينية، تكون من 37 صفحة، ودار حول أمرين هما التعليم العربي في عهد الانتداب، والتعليم اليهودي في عهد الانتداب³، ونشر بحثاً آخر في مجلة الدراسات العربية، وحمل عنوان "الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني (1854-1948م)، تألف من 12 صفحة⁴.

اختلفت المصادر حول تحديد سنة وفاته، فذكرت بعض المصادر أنه توفي في 7 أيلول 1989م⁵، وذكر بعضها الآخر في 1 أكتوبر 1989م، في بيروت، وعمره 91 عاماً⁶.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، (ص255-266).

² هذه الإحصائية اعتماداً على دراسة موسوعة بلادنا فلسطين.

³ الدباغ، مصطفى، التعليم، الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص46.

⁴ الدباغ، مصطفى، الاستيطان، مجلة دراسات عربية، ع5، ص31.

⁵ جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص475. الدجاني، أحمد، من أعلام، ص60. محمد، علي، أعلام، ص24. الهواري، عرفان، أعلام، ص40. شبيب، سميح، من رواد، ص44. صالح، جهاد، موسوعة، ص77. العقيل، عبد الله، من أعلام، ص45. حمادة، محمد، موسوعة، ص33. شاهين، أحمد، موسوعة، ج1، ص70. العودات، يعقوب، من أعلام، ص104. لوباني، حسين، معجم، ص76. الحوت، بيان، المؤرخون، مجلة دراسات فلسطينية، مج23، ع89، ص55.

⁶ لوباني، حسين، معجم، ص76. الحوت، بيان، المؤرخون، مجلة دراسات فلسطينية، مج23، ع89، ص55.

5. أكرم عمر حسن زعيتر (1909-1996م)*

مفكر وأديب وسياسي ومناضل وطني قومي عربي، ولد في نابلس عام 1909م، داخل أسرة مرموقة، فوالده عمر زعيتر (1872-1924م) من كبار رجالات نابلس، وترأس بلديتها في أوائل القرن العشرين، وأخوه عادل زعيتر (1895-1957م) شيخ المترجمين العرب¹.

تلقى تعليمه الأساسي في المدرسة الهاشمية الابتدائية في نابلس، وأكمل دراسته الثانوية في مدرسة النجاح الوطنية التي تتلمذ فيها على يد محمد عزة دروزة، والتحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، ثم التحق في كلية الحقوق بالقدس².

مارس زعيتر في بداية حياته مهنة التعليم في المدارس الثانوية في فلسطين، ولكن على أثر ثورة عام 1929م وحملة المنسوب البريطاني على العرب الثائرين، استقال من التدريس في ثانوية عكا، ليتفرغ للعمل في الحقل الوطني، فتولى رئاسة تحرير جريدة "مرآة الشرق" المقدسية لصاحبها بولس شحادة (1882-1943م)³.

وبعد ثلاثة أشهر من عمله الصحفي قبض عليه وسجن لانخراطه في العمل الوطني، ثم حُكم عليه بالعودة إلى نابلس، فتولى قيادة المظاهرات يوم إعدام الشهداء الثلاثة فؤاد حسن حجازي (1904-1930م)، ومحمد خليل جمجوم (1902-1930م)، وعطا أحمد الزير (1895-1930م)⁴.

وعند عودته إلى القدس تولى تحرير جريدة "الحياة" التي قامت بدور هام في تحريك أحداث عام 1931م، والمظاهرات التي قامت ضد تسليح اليهود، الأمر الذي أدى إلى القبض عليه وزجه في

* لمزيد من الاطلاع انظر: فلسطين، وديع، وديع، ج1، ص83. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، ص86. الهواري، عرفان، أعلام، ص91. شبيب، سميح، من رواد، ص48. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص65. الاغا، نبيل، وجوه، ص7. صالح، جهاد، موسوعة، ج5، ص103. العودات، يعقوب، من أعلام، ص237. أبو نضال، نزيه، الكاشف، ص197. السلواي، فتح الله، رجال، ص210. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص65. سرحان، نمر، سجل، ص205.

¹ فلسطين، وديع، وديع، ج1، ص83. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، ص86. جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، معجم، ص65.

² فلسطين، وديع، وديع، ج1، ص83. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، ص86.

³ فلسطين، وديع، وديع، ج1، ص84. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، ص86.

⁴ مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، ص87.

السجن وإغلاق الجريدة وإبعاده إلى نابلس من جديد حيث تولى التدريس في "كلية النجاح"، وألف مع نخبة من الأحرار "جمعية العناية بالمساجين العرب"، وفي نفس الفترة أسس مع رفاقه حزب الاستقلال في فلسطين، واشترك في تأسيس "عصبة العمل القومي" في سوريا، وكان نائباً لرئيس مؤتمرها التأسيسي الذي انعقد في قرنيل في لبنان عام 1933م¹.

وفي صيف عام 1936م وقع صدام بين جماعة وطنية وقوات الأمن، مما جعل أكرم زعيتر يلجأ إلى تأليف لجان قومية، وكانت لجنة نابلس أولى هذه اللجان، وتولى أمانة سرها، وتولت هي بدورها الاتصال بأحرار فلسطين، ودعت إلى الإضراب العام الكبير الذي امتد ستة أشهر، والذي مهد لثورة عام 1936م، وفي هذه السنة أُلقت السلطات البريطانية القبض عليه وأرسلته ليكون أول معتقل في عوجا الحفير بالنقب².

في مطلع الحرب العالمية الثانية في عام 1939، وبعد اتفاق بريطانيا وفرنسا على مطاردة الثوار وإخراج اللاجئين السياسيين من سوريا، عمل مفتشاً للمعارف وأستاذاً في دار المعلمين العليا، مسؤولاً عن التوجيه القومي في وزارة المعارف العراقية إلى أن نشبت ثورة رشيد علي الكيلاني عام 1941 فشارك فيها، وحين أخفقت وغادر الكيلاني بغداد لجأ أكرم زعيتر وصحبه إلى بادية الشام، واختفوا فيها مدة ثم لجأوا إلى حلب ومنها بعد ذلك إلى تركيا ليقضي سنوات الحرب لاجئاً سياسياً في الأناضول حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية في تركيا³.

في عام 1947 ترأس وفداً عربياً إلى أمريكا اللاتينية لشرح قضية فلسطين والدفاع عنها، واشترك في معظم المؤتمرات الوطنية والإسلامية المنعقدة في الشرق العربي، ثم تولى أمانة سر الندوة الإسلامية في دوراتها الثلاث المنعقدة في بيت المقدس (1959 - 1962)، ثم مثل الأردن في الدورة السادسة عشرة للأمم المتحدة، وفي عام 1963 عُين سفيراً للأردن في سوريا، حيث مكث قرابة سنة، ثم سفيراً للأردن في إيران وأفغانستان، ووزيراً للخارجية الأردنية عام 1966م، وفي عام 1967 عُين معيناً في مجلس الأعيان الأردني عضواً في اللجنة القانونية، وفي عام 1971 عُين سفيراً للأردن في لبنان واليونان حتى عام 1975م، وفي عام 1982 عُين

¹ مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، (ص87-88). جبارة، تيسير، والبشايوي، سعيد، معجم، ص65.

² فلسطين، ودبيع، ودبيع، ج1، ص85.

³ فلسطين، ودبيع، ودبيع، ج1، ص85. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، ص89.

عضواً في مجلس الأعيان للمرة الثانية، وظل فيه إلى سنة 1993، كما عُين رئيساً للجنة الملكية لشؤون القدس¹.

ترك أكرم زعيتر حصيلة علمية ضخمة منها "تاريخنا بأسلوب قصصي" عام 1935م، وصادر عن مكتبة الأندلس في القدس في 326 صفحة، و"وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (1918-1939م)" عام 1979م، ويضم 512 وثيقة، وتؤرخ لمسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1918م حتى نهاية الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1939م، اختيرت هذه الوثائق من أرشيف اللجنة التنفيذية الفلسطينية الأولى، وفي نفس العام أصدر كتاب "الحكم أمانة"، و"بدوي الجيل وإخاء أربعين عاماً" عام 1987م، وسجل مشاهداته ومذكراته في كتابي "يوميات أكرم زعيتر (1935 - 1939م)" عام 1980م، وتكون من 661 صفحة، وصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، و"مذكرات أكرم زعيتر" التي صدرت عام 1993م عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، وتألّفت من جزأين هما "بواكير النضال من مذكرات أكرم زعيتر (1909 - 1935م)"، و"من أجل أمّتي من مذكرات أكرم زعيتر (1939 - 1946)" عام 1993م².

وألف عام 1955م كتاب "القضية الفلسطينية" وصادر عن دار الجليل في طبعة ثالثة عام 1986م في 327 صفحة، ويؤرخ هذا الكتاب للقضية الفلسطينية منذ نشأتها حتى عام 1951م، بدأ الكتاب بالحديث عن جغرافية فلسطين من حيث حدودها، ومساحتها، وتضاريسها، ومناخها، ومدنها، ثم استعرض تاريخ فلسطين والأمم التي تعاقبت عليها بدءاً بالكنعانيين، مروراً بالفلسطينيين، وصولاً للعبرانيين، حتى مجيء الفتح الإسلامي والحروب الصليبية والحكم العثماني، وعرض للحركة العربية وفلسطين من سايكس بيكو حتى وعد بلفور، ودمجه بصك الانتداب، وتسلم المندوب السامي هربرت صموئيل الحكم، وما اعطي من امتيازات لليهود في عهده، ثم عرض للنضال السياسي الفلسطيني والذي تمثّل في بداية الأمر بعقد المؤتمرات والجمعيات والأحزاب، إلى أن تحول إلى نضال مسلح ضد الانتداب الصهيوني والسلطات البريطانية معاً وتمثّل في اندلاع الثورات والمظاهرات كان أهمها ثورة البراق وثورة عام 1936م، وتناول زعيتر الحلول التي قدمها الحكومة البريطانية لحل القضية الفلسطينية والتي تمحورت في عقد المجالس

¹ فلسطين، وديع، وديع، ج1، ص85. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، (ص93-94).

² مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، ص90.

التشريعية والاستشارية، واللجنة الملكية عام 1937م، والكتاب الأبيض عام 1939م، ومؤتمر لندن¹.

اتباع أكرم زعيتر الأسلوب الأدبي السهل البسيط والواضح في كتابه، مدعماً كتابه بالعديد من الصور والرسوم والخرائط، واعتمد على الطريقة الحولية في تسجيل الأحداث، ولم يكن زعيتر مجرد راوي يروي الأحداث فقط، بل اتبع أسلوب التعليق وإبداء رأيه في بعض المواضيع والمواقف.

بيّن أكرم زعيتر في كتابه أن هناك جوانب عديدة تجعل القضية الفلسطينية هي الأبرز من مثيلاتها من القضايا ويعود ذلك إلى طبيعة فلسطين وقدسيتها، وأنهارها وبحارها التي تحيط بها من مختلف الجوانب، وتربتها الخصبة، واعتدال مناخها².

نفى أكرم زعيتر في كتابه "القضية الفلسطينية" الحق التاريخي الذي يدعيه اليهود في فلسطين، وذلك من خلال إعطائه وصفاً دقيقاً للأمم التي تعاقبت على فلسطين، لإثبات أن اليهود ليسوا سكان فلسطين الأصليين، وأن مرورهم فيها كان كحادث عابر الذي لا يبقى له أي اثر تاريخي، فذكر أن الكنعانيين هاجروا إلى جزيرة العرب عام 2500 ق.م، وكانت هجرتهم واسعة بحيث أصبحوا السكان الأساسيين للبلاد، فأنشئوا فيها ما يقرب 200 مدينة وقرية، واستقر إبراهيم عليه السلام في فلسطين عام 1900 ق.م، وسار أبناؤه على عهده إلى أن هاجروا إلى مصر واستقروا فيها، وبعد موت سليمان انقسمت مملكته إلى دولتين مملكة إسرائيل شمال فلسطين خلال عامي (923-721 ق.م) التي انتهى بها الأمر بسيطرة الاشوريين، ومملكة يهودا (923-586 ق.م) وعاصمتها القدس الى أن سقطت بيد البابليين، وسبى نبوخذ نصر أربعون ألفاً من اليهود، فسقطت مملكتهم عام 586 ق.م³.

وأدرك أكرم زعيتر أن الصهيونية حركة سياسية عدوانية الوسائل والغايات تهدف إلى حشد اليهود في فلسطين وما حولها في البلاد العربية في دولة واحدة، وقد سميت باسم صهيون أحد التلال التي تقوم عليها مدينة القدس⁴.

¹ زعيتر، أكرم، القضية، (ص317-323).

² م، ن، (ص30-33).

³ م، ن، (ص19، ص62-63).

⁴ م، ن، ص46.

ذكر أكرم زعيتر أن الحرب العالمية الأولى شكلت خطراً على جميع الأطراف، ولكنها في الوقت ذاته مثلت فرصة أمام كل طرف للانتفاع من نتائجها في حالة الانتصار، فنشط سوق المفاوضات والمعاهدات السرية لترتيبات ما بعد الحرب، فسعت بريطانيا إلى ضمان نفوذها في بلاد الشام والعراق، من خلال التفاوض مع الشريف حسين بن علي (أمير الحجاز) لدفعه لإعلان الثورة العربية على العثمانيين، مقابل استقلال معظم المناطق العربية في بلاد الشام والعراق تحت زعامته، والتفاوض مع فرنسا وانتهى باتفاق سايكس بيكو عام 1916م، وتكون فلسطين تحت إدارة دولية، ومن ثم التفاوض مع المنظمة الصهيونية حول مستقبل فلسطين وانتهى الأمر بإصدار وعد بلفور في 2 تشرين الثاني 1917م والذي يقضي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين¹.

عدّ أكرم زعيتر وعد بلفور بمثابة عطف وأمنية وتشجيع من جانب الحكومة البريطانية فقط، وليس التزاماً دولياً، فمصطلح الوطن القومي الذي نص الوعد على إنشائه في فلسطين اعتبره زعيتر مجرد اصطلاح اخترعته الحركة الصهيونية وتبنته بريطانيا، وعلل زعيتر ذلك بأن معظم اليهود يجهلون اللغة العبرية، فوعد بلفور وصك الانتداب اعتداء صريح على حقوق العرب الطبيعية والسياسية².

يقول أكرم زعيتر في كتابه "القضية الفلسطينية" أن فلسطين عاشت مؤامرة رهيبة تحت الاحتلال البريطاني، فضيقت على الفلسطينيين سبل العيش، وشجعت الفساد من خلال اشغال أبناء فلسطين ببعضهم بالانقسامات العائلية والطائفية، وفي المقابل شجعت الهجرة اليهودية، فزاد عدد اليهود من 650 ألفاً عام 1918م إلى 650 ألفاً عام 1948م، واتحدت الجهود البريطانية واليهودية للحصول على الأرض الفلسطينية من خلال سن القوانين التي تعطي الأولوية لليهود بالحصول عليها، إلا أنهم لم يحصلوا إلا على 6.5% من فلسطين بحلول 1948م³.

ويضيف أكرم زعيتر في الوقت الذي كانت السلطات البريطانية تسعى حثيثاً لنزع أسلحة الفلسطينيين، وتقتل أحياناً من يحوز سلاحاً نارياً، وتسجن من يملك رصاصات أو خناجر، فإنها غضت الطرف عن تسليح اليهود، بل وشجعت تسليحهم سراً، ودعمتهم لتشكيل القوات

¹ زعيتر، أكرم، القضية، (ص40-45).

² م، ن، (ص49-50).

³ م، ن، ص68.

العسكرية، ونشطت كذلك المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية التي شكلت بنية تحتية قوية لإقامة الدولة اليهودية¹.

لذلك نشطت المقاومة العربية والفلسطينية منذ الاحتلال البريطاني حتى قيام إسرائيل، وتمثلت المواجهة بالبداية بتشكيل المؤتمرات والأحزاب والجمعيات العربية، وبين زعيتير أن النشاط السياسي الفلسطيني تمحور في تلك الفترة حول المطالبة بإلغاء وعد بلفور، وإيقاف الهجرة اليهودية، ووقف بيع الأراضي، وإقامة حكومة فلسطينية منتخبة، والدخول في مفاوضات مع الحكومة البريطانية لعقد معاهدة تؤدي في النهاية إلى استقلال فلسطين².

انتقل الفلسطينيون إلى العمل المسلح فوقعت ثلاث ثورات عبرت عن الغضب الفلسطيني من المشروع الصهيوني وهي ثورة موسم النبي موسى 1920، وثورة يافا 1921م، وثورة البراق 1929م، وسرعان ما نشطت تنظيمات سرية عسكرية مثل الحركة الجهادية بقيادة عز الدين القسام عام 1935م، ومنظمة الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني عام 1947م³.

يرى أكرم زعيتير أن الفلسطينيين فقدوا أملهم بالحصول على حقوقهم في الاستقلال، فقد أخذ الوضع بالتفاقم خاصة بعد نكوص الحكومة البريطانية عن تنفيذ ما أقرته في الكتاب الأبيض في أكتوبر 1930م الذي وعد بضبط الهجرة وإيقاف انتقال الأراضي لليهود، ثم إصدارها الكتاب الأسود في 1931م الذي أكد التزام بريطانيا اتجاه المشروع الصهيوني ومسح عملياً ما جاء في الكتاب الأبيض⁴.

فجر الفلسطينيون أعظم ثورة في التاريخ وهي الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939م، فقد أعلن أبناء فلسطين الاضراب العام في 20 نيسان 1936م حتى تحقيق المطالب الفلسطينية في إنشاء حكومة فلسطينية مسؤولة أمام برلمان منتخب، ووقف الهجرة ومنع بيع الأراضي لليهود، واستمر الاضراب حوالي ستة اشهر، ورافق الإضراب ثورة عارمة عمت كل أرجاء فلسطين ولم تتوقف المرحلة الأولى من الثورة إلا في 12 أكتوبر 1936م بناءً على نداء ملوك وأمراء العرب، وقد وصلت الثورة إلى قمتها في صيف 1938م، ونجح الثوار في السيطرة على الريف

¹ زعيتير، أكرم، القضية، (ص70-68).

² زعيتير، أكرم، القضية، ص72، ووثائق، ص23.

³ زعيتير، أكرم، القضية، ص81، وبواكير، ج1، ص38.

⁴ زعيتير، أكرم، القضية، ص93.

الفلسطيني وقراه تمكنوا من احتلال المدن لفترات محدودة، وانهارت السلطة المدنية البريطانية، مما جعل بريطانيا ترسل تعزيزات ضخمة يقودها عسكريون مرموقون، فأعدت احتلال فلسطين قرية قرية إلى أن أخمدت الثورة في صيف 1939م، واحتلت هذه الثورة مساحة واسعة في يوميات أكرم زعيتر (1935-1939م)¹.

بعد انتهاء الثورة أنهكت القوى الفلسطينية وتشتت قياداتهم، فألفت جامعة الدول العربية الهيئة العربية العليا 1946م وتولى رئاستها الحاج أمين الحسيني، بينما سعى اليهود إلى تجهيز أنفسهم عسكرياً، وزادت هجرتهم خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1946م) إلى 92 ألف يهودي، كما دخل نحو 61 ألفاً خلال الفترة اللاحقة (1946-1948)، وتمكنوا من الحصول على 270 ألف دونماً من الأراضي خلال (1939-1947م)².

ومن وجهة نظر زعيتر اتخذت قضية فلسطين بعداً دولياً عند إدراجها ضمن جدول أعمال الأمم المتحدة في نيسان 1947م، وتشكلت لجنة تحقيق دولية خاصة بفلسطين لدراسة الوضع وانتهت من وضع تقريرها في 31 أغسطس 1947م وكانت قراراتها متحيزة لليهود، وفي مؤتمر صوفر 6 سبتمبر 1947م وعالية 7 أكتوبر 1947م قررت الدول العربية مقاومة اقتراحات اللجنة الدولية وتقديم المعونة من رجال وسلاح لأهل فلسطين³.

وفي 29 تشرين الثاني 1947م أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين 181 إلى دولتين عربية ويهودية، وأوصى القرار بإعطاء نحو 54% من أرض فلسطين لأقلية يهودية مهاجرة، فاندلعت الحرب بين الفلسطينيين واليهود عقب صدور قرار التقسيم، وشكل الفلسطينيون جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، وشكلت الجامعة العربية جيش الإنقاذ من متطوعي البلاد العربية والإسلامية، إلا أن المناضلين عانوا من هزلة في الدعم العربي بالسلاح والعتاد، ومع ذلك فقد تمكنوا من إثارة الرعب والقلق بين اليهود لفترات طويلة⁴.

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص102، ويوميات، ص60.

² زعيتر، أكرم، القضية، (ص145-152)، ويوميات، ص594.

³ زعيتر، أكرم، القضية، ص110، ويوميات، ص180.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص110، ويوميات، ص180.

وفي المقابل نشطت العصابات الصهيونية في تشريد الفلسطينيين وتدمير القرى والمنازل، وارتكاب المجازر كان أبشعها مجزرة دير ياسين والقسطل وناصر الدين، مما مكنهم من إعلان دولتهم (إسرائيل) مساء 14 أيار 1948م¹.

توفي أكرم زعيتر بمنزله في عمان إثر إصابته بسكتة قلبية يوم الخميس الموافق الحادي عشر من نيسان عام 1996م، وعمره 87 عاماً².

¹ زعيتر، أكرم، القضية، (ص214، ص220).

² فلسطين، وديع، وديع، ج1، ص89. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة، ج1، ص105.

الفصل الثاني

موقف المؤرخين الفلسطينيين من استراتيجية الحركة الصهيونية لتهويد فلسطين

الفصل الثاني

موقف المؤرخين الفلسطينيين من استراتيجية الحركة الصهيونية

لتهويد فلسطين

شكلت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ركيزة أساسية في بلورة المشروع الصهيوني، ورأى المؤرخون الفلسطينيون أن الحركة الصهيونية اعتمدت على مسوغات دينية، وتاريخية، وسياسية؛ لإقناع اليهود بالهجرة من أماكن وجودهم الأصلية إلى فلسطين.

يستند الادعاء الصهيوني في شأن فلسطين على وعود توراتية قديمة، وقد أشار عيسى السفري إلى النص الوارد في التوراة في سفر حزقيال "أفتح قبوركم واصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل"¹، وجاء في سفر التثنية "لأنك شعب مقدس للرب الهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"، والفكرة نفسها تتواتر في سفر اللاويين "أنا الرب الهكم الذي ميزكم من الشعوب لتكونوا لي"²، والملاحظ مخاطبة الله لليهود بصفتهم شعب الله المختار، ولكن جولدا مائير تفضل أن تصف اليهود بأنهم هم اختاروا الله بقولها "أن الله لم يختار اليهود بل أن اليهود كانوا أول أناس اختاروا الله، أول شعب في التاريخ صنعوا شيئاً ثورياً حقيقياً، ولقد كان ذلك الخيار الذي جعلهم فريدين"³.

وذكر محمد دروزة أن اليهود حددوا دولتهم اليهودية في فلسطين من الفرات شمالاً إلى النيل جنوباً⁴، وهذا يتطابق مع ما ورد في سفر التكوين أن الاله قطع عهداً مع إبراهيم قائلاً "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" على اعتبار أنها أرض الميعاد التي سيعود إليها إبراهيم تحت قيادة المسيح المخلص⁵.

أما الجانب الآخر لادعاء الصهاينة بملكية فلسطين - حسب عيسى السفري، ومصطفى الدباغ، وأكرم زعيتير - فيتمثل في أن العبرانيين القدماء "بني إسرائيل" قد كانوا فيما سبق يحتلون تلك

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص61.

² المسيري، عبد الوهاب، الموسوعة، ج5، ص72.

³ مائير، جولدا، اعترافات، (ص50-51).

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص24.

⁵ المسيري، عبد الوهاب، موسوعة، ج5، ص79.

البلاد قبل ألفي عام¹، كما روجت الحركة الصهيونية لفكرة الارض الخالية من خلال الشعار القائل "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" لتبرير السيطرة على الأرض، وقد دافع عن هذا المفهوم كل من حايمم وايزمان (1874-1952م) وجولدا مائير (1898-1978م) بدعوى أن فلسطين كانت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى مقاطعة مهجورة ومهملة في الامبراطورية العثمانية²، ويضيف وايزمان أن عدد سكانها كان لا يزيد على 600 ألف نسمة منهم ثمانون ألف يهودي³، ولكن ينفي عيسى السفري وأكرم زعيتر هذا القول بدليل أن عدد اليهود لم يكن حتى عام 1917م يتجاوز 50 ألف نسمة يقابلهم العرب 650 ألف نسمة⁴.

ودحض مصطفى الدباغ مزاعم الدعاية الصهيونية القائلة "أن فلسطين كانت أرضاً خربة، لم تُعمّر إلا على أيديهم"، إضافة إلى قول دافيد بن غوريون "أن هذا البلد صنع منا شعباً، وشعبنا صنع هذا البلد، لم يصنع أي شعب آخر غيرنا هذا البلد، كما أن هذا البلد لم يُنجب أي شعب آخر"⁵.

وبرهن مصطفى الدباغ أن فلسطين كانت قبل الهجرة اليهودية أرضاً مأهولة بالسكان تفيض بالحياة الاقتصادية والثقافية والتعليمية والعمرائية والفنية، فعرفت فلسطين قبل وقوعها تحت الانتداب الحياة المرهفة والراقية في مختلف المدن والقرى الفلسطينية، والحياة السكنية الجميلة والمطاعم الباريسية والشوارع المضيئة بالكهرباء، واحتوت على العديد من المصانع والشركات والبنوك والمطارات ومحطات السكك الحديدية، والمدارس والجامعات والكليات⁶، فكانت المدارس الفلسطينية على ثلاثة أنواع منها الحكومية (الأكثر عدداً وانتشاراً)، والمدارس العربية الخاصة، والمدارس الأجنبية الخاصة سواءً دينية أو علمانية فمؤسسوها أوروبيون وأمريكيون⁷، وأنشأت الكلية العربية في مدينتي القدس والناصره، وكلية النجاح في نابلس التي تحولت إلى جامعة شاملة بعد النكبة، وكانت الهيئة العربية العليا تبعث المدرسين للتعليم المجاني في عدة

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص62. الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج1، ص8. زعيتر، أكرم، القضية، ص62.

² وايزمان، حايمم، مذكرات، ص36، مائير، جولدا، اعترافات، ص21.

³ وايزمان، حايمم، مذكرات، ص36.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ص7. زعيتر، أكرم، القضية، ص51.

⁵ بن غوريون، دافيد، الحرب، ص56.

⁶ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص120.

⁷ م، ن.

دول عربية مجاورة، وشهد الطب في فلسطين ازدهاراً واسعاً من ناحية المستشفيات والطواقم الطبية الماهرة¹.

وهذا يتوافق مع المذكرة التي أوردها محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر والمقدمة من الوفد الفلسطيني إلى رئيس عصبة الأمم في جنيف للمطالبة بتشكيل حكومة وطنية في فلسطين أيلول 1921م، وورد فيها "أن معدل من يستطيعون القراءة والكتابة والمتعلمين من شعب فلسطين بلغ أكثر من 45% من تعداد السكان، وهي نسبة لا يستهان بها آنذاك، وقد تخرج مئات من شبانها في الكليات التركية والجامعات الغربية كمهندسين وميكانيكيين وأطباء ومحامين ومعلمين وكثيرون منهم يشغلون مراكز مهمة في أمريكا ومصر والسودان"².

وأضاف مصطفى الدباغ قول حاييم وايزمان "كان الفلسطينيون يوفدون أحياناً رسلاً إلى القرى لإثارة الفلاحين ضد اليهود، وتحاول الجمعيات كذلك تنظيم الارهابيين والمؤسسات السرية؛ لكي تقوم فيما بعد بحرب عصابات ضد اليهود، وقد انخرط الكثيرون منهم في صفوف رجال البوليس حتى يسهل عليهم تنفيذ مهماتهم، كما أن الكثيرين منهم شباب متعلمون جداً درسوا في أوروبا وبعضهم يعرف القضية معرفة تامة"³.

واعتبر عيسى السفري ومصطفى الدباغ المجلات والصحف من أهم مظاهر الحياة الثقافية في فلسطين خلال فترة الانتداب والتي وصل عددها إلى 22 مجلة و57 صحيفة، وتولت مهمة نشر مساهمات الشعراء والأدباء والمتقنين الأدبية والسياسية⁴، وأيضاً ازدهرت حركة الترجمة وأشهر المترجمين في تلك الفترة خليل بيدس (1874-1949م)، وعادل زعيتر⁵، وعرفت فلسطين المطبعة والطباعة منذ عام 1846م مثل مطبعة رهبان دير الفرنسي سكان في القدس، ثم انتشرت لاحقاً في باقي المدن⁶، وشهدت القدس ثاني أكبر إذاعة عربية بعد الإذاعة المصرية وهي "إذاعة

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7 ص123.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص55. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص26. زعيتر، أكرم، القضية، ص65.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص237.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص211-212. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص241.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص17. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص56.

⁶ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص287.

هنا القدس"، وكان أول صوت صدح بها صوت إبراهيم طوقان (1905-1941م) صاحب نشيد "موطني"¹.

ولاقت الأنشطة الرياضية إقبالاً شديداً من الشبان الفلسطينيين، -مع العلم أن المؤرخون الفلسطينيون أهملوا الحديث عنها-، ففي عام 1908م شكلت مدرسة المطران في القدس أول فريق كرة قدم، ثم تأسس الاتحاد الفلسطيني لكرة القدم في القدس عام 1928م، وبلغ عدد الأندية الرياضية في فلسطين في تلك الفترة نحو 65 نادياً، منها نادي الدجاني والأرثوذكسي في القدس، ونادي إسلامي يافا، ونادي إسلامي حيفا، والنادي القومي في عكا، ونادي عكا الرياضي، ونادي غزة الرياضي، والنادي العربي، والنادي الأرثوذكسي².

وعلى الصعيد الفني أشار مصطفى الدباغ إلى افتتاح سينما أوراكل في القدس عام 1908م، تلاها العديد من دور العرض السينمائي في مختلف المدن الفلسطينية³، وتم إخراج خمسة أفلام للمخرج الفلسطيني إبراهيم حسن سرحان، الذي أنشأ استوديو فلسطين في يافا، وفي أواخر العشرينات اكتشف الفلسطينيون في حيفا التمثيل المسرحي، فتأسست جمعية التمثيل الأدبي، وجمعية الرابطة الأدبية⁴.

وأمام سقوط المقولة الصهيونية حول الفراغ الديمغرافي لفلسطين، نشأت فوراً آلية أخرى تتطوي على الفراغ الحضاري أي أن سكان فلسطين ليسوا بشراً، وهم في مستوى متدني من سلم الحضارة والرقى⁵، واعتبارهم جماعات هامشية لا كيان لهم، ويعتبر نص بلفور نموذجاً صهيونياً على ذلك، فلم يرد في النص اسم المواطنين العرب بل وصفهم على أنهم "طوائف غير يهودية" أي نزع هوية وكيان الشعب الفلسطيني واعتبارهم أقلية⁶، ووصف زئيف جابوتنسكي (1880-1940م) الشعب الفلسطيني بأنهم رعاع يضجون بالصراخ، ويأكلون الهرة والجرذان⁷، وأضاف أن الفلسطينيين عرقٌ ضعيفٌ منحط يقع في أسفل درجات التطور

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص180.

² الخالدي، وليد، بناء، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 39، ص70.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص107.

⁴ الخالدي، وليد، بناء، مجلة الدراسات الفلسطينية، ص70.

⁵ عبد الكريم، إبراهيم، تهويد، ص30.

⁶ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص28.

⁷ عبد الكريم، إبراهيم، تهويد، ص31.

الإنساني، وعزا أصولهم إلى مجموعات بشرية بدائية متوحشة جاءت من سفوح الجبال والصحاري واحتشدت في موجات متتالية في فلسطين وتركت بذورها هناك، فهم منعدمو المواهب وخليطاً من أعراق مختلفة¹، وفي الأدب اليهودي وُصف العرب بأنهم بدائيون وسريعو التهيج².

وأصر اليهود على تسويق الرؤية الصهيونية من خلال الربط بين اليهود واسم البلاد حيث أطلقوا على فلسطين تسمية "إيرتس يسرائيل" أي الأرض اليهودية الموعودة، وكان ذلك بمثابة رافعة للعمل الصهيوني الرامي إلى تهويد فلسطين وضم ملكيتها لليهود³، وقال مناحيم بيغن (1913-1992م) "إن اليهود لو تحدثوا عن فلسطين بدلاً من إيرتس يسرائيل، فإنهم يفقدون كل حق لهم في الأرض، لأنهم بذلك يعترفون ضمناً بأن هناك وجوداً فلسطينياً، وبالتالي إن عبارة أرض إسرائيل تدل على عدم الاعتراف بأي شعب آخر على هذه الأرض"⁴.

لم يخفى على المؤرخين الفلسطينيين أن عملية استبدال المسميات تنطوي على مساعي صهيونية مدروسة لامتلاك فلسطين وحرمان العرب من البقاء فيها والانتساب إليها، واستدل عيسى السفري وأكرم زعيتر أن الصهيونية لفظة كنعانية (عربية) وليست صهيونية؛ كونها مشتقة من لفظ "صهيون"، وهي رابية في أورشليم كان قد أقام عليها اليبوسيون "أبناء عموم الكنعانيين العرب" حصناً قبل ظهور قوم موسى (بني إسرائيل) بحوالي ألفي عام⁵.

وفي هذا الإطار تداولت مواقع التواصل الاجتماعي وثيقة تاريخية تثبت اعتراف الحكومة البريطانية بأرض فلسطين وإنكار وجود ما يسمى دولة "إسرائيل"، والوثيقة عبارة عن تأشيرة فيزا من القنصلية البريطانية تخوّل أحد الطلاب بالدخول إلى فلسطين في 28 آب 1940م، وكتب فيها "تسعركم بأننا مخولين بمنحك تأشيرة لدخول أرض فلسطين صالحة لغاية 5 أكتوبر 1940م"⁶.

¹ عبد الكريم، إبراهيم، تهويد، ص33.

² م، ن، ص30.

³ م، ن، ص31.

⁴ بيغن، مناحيم، التمرد، ص39.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص8.

⁶ العمق المغربي، وثيقة، <https://al3omk.com>.

سعى المؤرخون الفلسطينيون إلى دحض دعاوى اليهود بأحقيتهم في فلسطين، من خلال الاعتماد على الحقائق التاريخية، وقد أجمع عيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن اليهود ليسوا سكان فلسطين الأصليين وإنما هم طارئون عليها، ولم يملكوا إلا جزءاً منها¹، فالأمم التي توالت على فلسطين كثيرة*، بدءاً بالكنعانيين الذين توطنوا فلسطين عام 3500 ق.م، مروراً باليهود الذين هاجرت إحدى قبائلهم من العراق إلى فلسطين عام 2000 ق.م، وقد اضطرتهم مجاعات فلسطين المتوالية للهجرة إلى مصر حيث استعبدتهم الفراعنة، وقد ظل اليهود مشردين فيها إلى أن أنقذهم موسى عليه السلام من غربتهم وعاد بهم إلى أرض كنعان في زمن رمسيس الثاني عام 1250 ق.م².

إلا أن اليهود رفضوا دخول فلسطين؛ لأن فيها قوماً جبارين (الفلسطينيون)، واستعان عيسى السفري بالآية الكريمة من سورة المائدة "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فنتقبوا خاسرين.. قالوا يا موسى أن فيها قوماً جبارين وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن خرجوا فأنا داخلون.. إنا لن ندخلها أبداً ما دامو فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون"³، وهكذا اضطر موسى إلى الذهاب بهم إلى فلسطين عن طريق الجنوب الشرقي؛ ليتحاشى بأس الفلسطينيين، وصعد إلى جبل نبو قبالة أريحا، فأراه الرب أرض فلسطين، وقال له "هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر" وهو ما ورد في سفر التثنية⁴.

وأشار عيسى السفري وأكرم زعيتر إلى تولي يوشع بن نون قيادة اليهود بعد وفاة موسى عليه السلام، فعبر بالإسرائيليين نهر الأردن واستولوا على أريحا وأحرقوها وما فيها بالنار، وأهلكوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ بحد السيف⁵.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص62، والوعود، ص12. الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج1، ص8. زعيتر، أكرم، القضية، ص62.

* للاطلاع على خارطة أهم الشعوب القديمة التي سكنت فلسطين، انظر ملحق (1)، ص294.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص62، والوعود، ص15. زعيتر، أكرم، القضية، (ص19، و ص63).

³ السفري، عيسى، الوعود، ص14.

⁴ م، ن، ص15.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص62، والوعود، ص15. زعيتر، أكرم، القضية، (ص19، و ص63).

ويتابع عيسى السفري وأكرم زعيتر الحديث حول انقسام اليهود بعد ذلك إلى مملكتين، مملكة إسرائيل وقصبتها السامرة (نابلس)، وقد دامت مدة 250 سنة إلى أن سقطت في يد شلمناصر الخامس ملك آشور عام 722 ق.م، ومملكة يهوذا وقصبتها اورشليم (القدس)، ودامت 130 عاماً بعد انقراض مملكة إسرائيل، ثم أبيدت على يد نبوخذ نصر عام 586 ق.م، فسبى الشعب اليهودي إلى بابل مدة سبعين عاماً، إلى أن رجع اليهود بأمر قورش¹، وتلا ذلك الحكم اليوناني بقيادة الاسكندر المقدوني عام 332 ق.م لمدة سبعة وعشرين عاماً، وجاء الحكم الروماني سنة 63 ق.م بقيادة بومبي لمدة سبعين عاماً، وفي عام 637م حكم العرب فلسطين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح لمدة ثمانمائة وثمانين عاماً، ثم انتقل الحكم في فلسطين إلى الاتراك سنة 1517م في زمن سليم الأول لمدة أربعمئة عام، إلى أن احتلها الإنجليز عام 1918م.²

أراد المؤرخون من خلال عرض هذا التسلسل التاريخي للأمم التي تعاقبت على حكم فلسطين، التأكيد بأن اليهود سكنوا فلسطين مدة ثمانية قرون (1400-856 ق.م)، وكان مرورهم كحادث عابر من حوادث التاريخ التي لم يبق لها أثر ولم تترتب عليه أية حقوق تاريخية.

وهذا الجدول يوضح أهم الشعوب التي سكنت فلسطين والدول التي تعاقبت عليها، نقلاً عن عيسى السفري³:

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص63، والوعود، ص18. زعيتر، أكرم، القضية، (ص22-23).

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص6، والوعود، (ص18-19). زعيتر، أكرم، القضية، ص24.

³ السفري، عيسى، الوعود، ص38.

جدول (1) أهم الشعوب التي سكنت فلسطين

الشعب	سنة وجودهم	مدة الحكم
الكنعانيون	2500 ق.م	عام 1895
الفلسطينيون	1920 ق.م	عام 1225
العبرانيون	1250 ق.م	عام 645
الاشوريون	721 ق.م	عام 133
البابليون	588 ق.م	عام 37
الفرس	551 ق.م	عام 219
اليونان	332 ق.م	عام 270
الرومان	63 ق.م	عام 700
العرب	637 م	عام 880
الأتراك	1517م	عام 400
الإنجليز	1917م	عام 30

وتطرق مصطفى الدباغ إلى الحديث عن ذكريات اليهود في فلسطين لدحض دعواهم في حقهم التاريخي فيها، فلم يتبقى لهم من الأماكن التي يزعمون بتقليدها في فلسطين سوى حائط البراق، وهي لا تتوازي بذكريات ومقدسات المسيحيين والمسلمين في فلسطين، ففيها ولد المسيح ورفع إلى السماء، وخرج منها الحواريون "تلاميذ المسيح ورسله"، وأسري بمحمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج إلى السماء¹.

وشكل حائط البراق لبعض اليهود عادة دينية بدليل ما ذكرته جولدا مائير في مذكراتها "نشأت في بيت يهودي تقليدي إلا أنني لم أكن من النوع الديني، كما أنني كنت اذهب إلى حائط المبكى دون أية عاطفة دينية، وكان ذهابي كأن شيئاً عليّ أن أقوم به"، وأضافت ساخرة "لقد رأيت لأول مرة اليهود رجالاً ونساءً يصلون ويكفون أمامه ويضعون قصاصات ورق مكتوباً عليه التوسلات في شقوق الحائط"².

يرى عيسى السفري أن الحركة الصهيونية استندت إلى وعد بلفور الذي يقضي ببناء وطن قومي لليهود في فلسطين لتبرير أحقيتهم التاريخية في الأراضي الفلسطينية، وأضاف أن الوعد أعطي

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج1، ص8.

² مائير، جولدا، اعترافات، ص41.

لليهود يوم 2 تشرين الثاني 1917م وفلسطين لا تزال تحت حكم الاتراك، كما أنه لم يستشر أصحاب البلاد في الأمر فلا يحق لأحد شرعاً أن يتصرف بملك غيره فيهبه لمن شاء في أي وقت شاء، وبناءً على ذلك يعتبر هذا الوعد لاغي وغير قانوني حتى لو وافقت عليه 52 دولة¹.

يتفق محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن الحركة الصهيونية عمدت إلى جوانب أخرى لتؤلف البنية الأساسية لانطلاقة الحركة الصهيونية استناداً إلى الاضطهادات التي نزلت باليهود في روسيا وبولونيا ورومانيا، وهو ما عرف "بالمسألة اليهودية"، والتي يتوازي معها في المفهوم مصطلح معاداة السامية².

وأثارت هذه المسألة مخاوف المؤرخين الفلسطينيين، فقال محمد دروزة "أنها تتطوي على حشر الملايين من اليهود من مختلف أنحاء الأرض، وإقامة كيان قومي يهودي بلغة قومية، وأمجاد قومية، وخلع جذور العرب وهدم كيانهم في فلسطين العربية أولاً، وفي امتداد تلك الحدود المجاورة لها بعد ذلك، وقطع الصلة التي تربط المواطن العربية في آسيا وأفريقيا ببعضها ثانياً، وتؤدي إلى نشوب صراع شديد بين العرب واليهود والحيلولة دون قيام كيان عربي قومي، وضرب كيانهم السياسي"³.

ويرى أكرم زعيتر أن الاضطهادات بلغت ذروتها على إثر المذابح الروسية عام 1882م، مما دفع ليون بينسك (Lion Pinsker) (1821-1891م) أحد زعماء الصهيونية إلى تأليف كتاب التحرير الذاتي قال فيه أن العالم يحتقر اليهود لأنهم ليسوا أمة ولأنهم أجانب في كل بلد يعيشون فيه، والعلاج الناجع لهذا الداء المستعصي هو إيجاد قومية يهودية لشعب يعيش في أرض الوطن⁴.

ونتيجة لسوء معاملة اليهود في روسيا عقب اغتيال الاسكندر الثاني عام 1882م، يذكر عيسى السفري وأكرم زعيتر إنشاء اليهود في روسيا جمعية أحياء أو عشاق صهيون نسبة إلى أحد

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص60، والوعود، ص32.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص16. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص8. زعيتر، أكرم، القضية، ص47.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص16.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص46.

التلال التي تقوم عليها مدينة القدس، بهدف رجوع اليهود إلى فلسطين ليجمعوا فيها شتاتهم ويوجدوا مركزاً روحياً لهم فيها¹.

يافت أكرم زعيتر النظر إلى أن فلسطين لم تكن الخيار الأول لتوطين اليهود، فالأرجنتين وأوغندا وليبيا كانوا موضوع بحث ودراسة على الرغم من عدم وجود علاقات تاريخية لهم معها، فقد تبلورت في ذهن ثيودور هرتزل فكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بعد عام 1896م²، وكتب كتاب "الدولة اليهودية" بين فيه أن اليهود قومية بلا وطن ولا تحل قضيتهم إلا من خلال التجمع في وطن لهم، ولا بد أن يكون موقعه في أرض الله الموعودة (فلسطين)³، ويمكن أخذ أوغندا والارجنتين كوطن بديل مبدئياً، ولكن لا بد أن يكون رجوع كل اليهود إلى فلسطين الأرض التي أعطاه الله لليهود⁴.

ويضيف ثيودور هرتزل في يومياته عدة عوامل كانت وراء اختياره فلسطين، أهمها الالتقاء مع المصالح الغربية، "إذا أخذنا فلسطين سوف تشكل جزءاً من استحكامات أوروبا في مواجهة آسيا كموقع أمامي للحضارة الغربية في مواجهة البربرية، وعلينا كدولة طبيعية أن نبقى على اتصال بكل أوروبا التي سيكون من واجبها أن تضمن وجودنا"، إلى جانب قدسية فلسطين في الديانة اليهودية فيقول "لا يريد اليهود الذهاب إلى الأرجنتين لكنهم يريدون بقوة الذهاب إلى فلسطين"⁵.

ويوضح عيسى السفري وأكرم زعيتر ما فعله هرتزل في سبيل الحصول على دعم وتأييد دولي لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فبدأ بألمانيا لكنه لم يجد أي تفاعل جدي من طرف مستشار القيصر الألماني ولهم الثاني (Wilhelm)، فاتجه نحو روسيا واقترح على وزير المالية الروسي الكونت سيرجي دي ويت (Serge de Witt) الضغط على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني من أجل السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين، ولكن طلبه قوبل بالرفض، إلى أن توجه إلى بريطانيا التي احتفت به ودعمته⁶.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص8. زعيتر، أكرم، القضية، ص47.

² زعيتر، أكرم، القضية، ص63.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص9. زعيتر، أكرم، القضية، ص63.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص63.

⁵ هرتزل، ثيودور، يوميات، ص28.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص10. زعيتر، أكرم، القضية، ص47.

وقررت بريطانيا منح الصهاينة قسم من فلسطين، وتنبه المؤرخون الفلسطينيون إلى خطورة الكيان الصهيوني، واعتبره دروزة دمار أحلام العرب "ينهك قواهم، ويعرقل كل محاولة للوحدة أو الاتحاد فيما بينهم"¹.

واستشعر جمال الحسيني خطورة الصهيونية عندما قال "أنها حركة سياسية غايتها تأسيس مملكة يهودية في فلسطين، وأنها إذا سيطرت على فلسطين فستسيطر على المناطق المجاورة لها، وبذلك تبسط نفوذاً سياسياً واقتصادياً على جميع أطراف البلاد العربية، فتصبح هي نقطة الاتصال بين الشرق والغرب"².

ولم يكن ليختلف في جوهره عما كتبه خليل السكاكيني في مذكراته عندما تخيل السيطرة اليهودية على أرض فلسطين بأنها ضربة لقلب العروبة؛ لأن فلسطين هي الحلقة التي تربط جزيرة العرب بمصر وأفريقيا فإذا احتلها اليهود حالوا دون اتصال الأمة العربية ببعضها³.

والفكرة ذاتها عالجتها صحيفة الجامعة العربية عندما قالت "أن كلمة الوطن القومي اليهودي مرنة، تستطيع السياسة البريطانية أن تفسرها كما تشاء، فهي تعني حيناً تسهيل سبل الاستعمار والاستيطان لليهود في فلسطين، ومزاحمة أهلها على مرافق الحياة وموارد الثروة والسلطان السياسي، وتعني حيناً آخر تحويل فلسطين إلى بلاد يهودية وجعلها مملكة يهودية قلباً وقالباً، وإغراقها بسيل من مهاجري اليهود، والضغط عليهم بشتى الوسائل لاضطرارهم إلى الجلاء عنها"⁴.

ويذكر عيسى السفري وأكرم زعيتر أن هرتزل لم يكتفِ بمساعدة بريطانيا، بل اتجه نحو اسطنبول والتقى بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني وعرض عليه عرضاً مباشراً بشراء جزءاً من فلسطين، مقابل سداد ديون الامبراطورية العثمانية، وإنشاء جامعة عثمانية في فلسطين، ولكن السلطان رفض منحه قطعة واحدة وعبر عن ذلك بقوله " أن فلسطين ليست ملكاً لي بل هي ملكاً لشعبي"⁵، ويشير السفري إلى تمكن السلطان عبد الحميد من وضع العراقيين أمام هجرة

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص25.

² خلة، كامل، فلسطين، ص256.

³ السكاكيني، خليل، كذا، ص65.

⁴ صحيفة الجامعة العربية، 1933\10\22م.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص10. زعيتر، أكرم، القضية، ص47.

اليهود لمدة ثلاثة أشهر وتوفي هرتزل عام 1904م بعد أن نجح في جعل قضية اليهود قضية دولية سياسية¹.

والجدير بالذكر أن هذه العراقيل والقوانين التي أصدرتها الدولة العثمانية لم تلقَ اهتماماً عند الحركة الصهيونية، فمنذ عام 1882م بدأت أفواج المهاجرين الروس بالتوافد إلى فلسطين، وبذلك يمكن اعتبار عام 1882م نقطة تحول هامة في تاريخ فلسطين خلال القرن التاسع عشر، حيث سجلت الهجرة اليهودية إليها أولى خطواتها المنظمة.

وبدأت الحركة الصهيونية قبل إعلان الانتداب البريطاني على فلسطين بتأسيس الأطر اللازمة لتحقيق الهجرة إلى فلسطين، ويشير عيسى السفري وأكرم زعيتز إلى أن الهجرة الصهيونية في بداية الأمر نظمت ومولت من قبل **جمعية أحباء صهيون** التي تأسست عام 1882م،² إضافة إلى دور بعض الشخصيات الصهيونية في تمويل نقل المهاجرين إلى فلسطين أمثال البارون إدموند روتشيلد (Edmond Rothschild) الذي ينتمي إلى عائلة ثرية³.

افتقرت كتابات المؤرخين الفلسطينيين إلى الحديث عن **جمعية الاستعمار اليهودي (الايكا)** التي أسست عام 1891م بمبادرة البارون موريس دي هيرش (Maurice de Hirsch)، وكان روتشيلد من أبرز أعضاء إدارتها، وهدفت إلى تهجير اليهود الفقراء والمحتاجين من أي مكان في أوروبا وآسيا حيث يعانون القهر والحرمان من الحقوق السياسية إلى أي مكان آخر في العالم يُمكن سكانه من التمتع بحقوق الإنسان⁴.

ووفقاً لما أورده عيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتز أصبحت الجمعية تعمل تحت اسم **جمعية الاستعمار اليهودي في فلسطين (البيكا)** عام 1883م، واستمر عملها في تقديم الخدمات والتسهيلات للمهاجرين اليهود إلى فلسطين⁵.

تولت **المنظمة الصهيونية** أمور الإشراف على الهجرة والاستيطان في فلسطين عام 1904م، وخلت كتابات المؤرخين من ذكر أعداد الذين استقروا في فلسطين آنذاك، والذين بلغوا نحو 40

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص10.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص8. زعيتز، أكرم، القضية، ص46، وبواكير، ج1، ص77.

³ زعيتز، أكرم، القضية، ص68، وبواكير، ج1، ص77.

⁴ المسيري، عبد الوهاب، موسوعة، ج6، ص203.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1 ص144. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص67. زعيتز، أكرم، القضية، ص68.

ألف جاء معظمهم من روسيا ورومانيا، بينما وصل عدد المهاجرين إلى فلسطين حتى عام 1914م 85 ألف مهاجر يهودي¹، وربما يعود نقص هذه المعلومات عند المؤرخين؛ بسبب عدم حصولهم على هذه الأرقام التي ظهرت لاحقاً.

يبين أكرم زعيتر دور **البنك الوطني اليهودي** الذي أسس في المؤتمر الصهيوني المنعقد في لاهاي عام 1908م، حيث قرر تخصيص قرض لبناء حي عصري للمهاجرين بالقرب من يافا².

ويرى محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن الانتداب البريطاني على فلسطين وفّر تسهيلات سرعت في تحقيق خطط الحركة الصهيونية، لاسيما بعد أن تضمن صك الانتداب إقراراً شرعياً **بالوكالة اليهودية** عام 1920م والتي ساهمت في تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين³، فقد كانت تصاريح الهجرة تُسلم إلى الوكالة اليهودية التي توزعها على مكاتبها في الخارج دون أي إشراف أو رقابة، واستطاعت بذلك جلب المزيد من العمال اليهود⁴، ويشير السفري إلى أن ميزانية الوكالة السنوية قُدرت بمئات الألوف من الجنيهات، وجمعت التبرعات النظامية للصندوق التأسيسي (الكيرين هايسود) لصالح دعم الهجرة والعمال⁵، فتمكنت من إدخال 41,645 مهاجراً خلال عامي (1922-1925م)⁶.

ويبرز عيسى السفري دور الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين (**الهستدروت**) الذي تأسس عام 1920م من العمال اليهود المهاجرين والعاملين في الجمعيات التعاونية، وتركز عمله في تنشيط الهجرة واختيار المهاجرين من الشباب، وتدريبهم على العمل الزراعي؛ لتمكينهم من جلب عائلاتهم لاحقاً⁷.

وأشار محمد دروزة إلى **الجمعية العربية اليهودية** التي أنشأها كلفريسكي من يهود الجاعونة، وعرفت باسمه "الجمعية الكلفريسكية"، ودعا إلى التعاون بين العرب واليهود، لتخفيف مفهوم

¹ أبو صبيح، عمران، الهجرة، (ص17-18).

² زعيتر، أكرم، القضية، ص48.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص60، والقضية، ج1، ص29. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18، وص46.

زعيتر، أكرم، القضية، ص60.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص72.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص21.

⁶ م، ن، ص143.

⁷ م، ن، ص19.

هدف اليهود في فلسطين، وتضليل العرب عنه زاعمين أنهم يريدون العيش معهم بسلام، إلا أن هذه الحركة ظلت محصورة في نطاق ضيق، فتضاءل شأنها، ونفض اليهود أيديهم منها لأنهم لم يعودوا في حاجة إليها لتفاهة ما أدته لهم من خدمة¹.

ورأى عيسى السفري أن المؤسسات التعليمية الصهيونية تبنت بدعم من حكومة الانتداب مهمة الدعوة إلى الهجرة، من خلال غرس المعتقدات الصهيونية في نفوس الأطفال والشبان بأن اليهود في العالم لا حل لمشكلتهم سوى الهجرة إلى فلسطين، وإقامة دولة يهودية فيها، ونشر اللغة العبرية، حتى أصبح الاعتقاد السائد أن أرض فلسطين هي أرض إسرائيل².

واعترف موسى مينو حين في كتابه "انحطاط اليهودية في عصرنا" عن تشريب الناشئة اليهود المفاهيم الصهيونية المتعلقة بفلسطين وبدولة اليهود القادمة على الطريق، فتحدث عن دراسته في مدرسة جمنازيا هرتسليا العبرية قائلاً "كانوا يعلموننا يومياً واجباتنا المقدسة نحو عمينو، أرتسينو، مولادتينو (شعبنا، بلدنا، وطننا)، وخرسوا في قلوبنا الفتية بشكل متكرر أن أرض الآباء يجب أن تعود لنا مطهرة من الغوييم (نظيفة من الأجانب - العرب)، وعلينا تكريس حياتنا لهذا الغرض"³.

وأشار مصطفى الدباغ في مقال نشره في الموسوعة الفلسطينية تحت عنوان "التعليم اليهودي في عهد الانتداب" إلى مراحل التعليم عند اليهود والذي يشمل مرحلة رياض الأطفال، وتمتد من سن الثالثة إلى السادسة، وضمت 339 مدرسة واحتوت على 12,490 طالباً، و469 معلماً، ومرحلة التعليم الابتدائي، وتمتد من السادسة إلى الرابعة عشرة، واحتوت على 269 مدرسة، و55,471 طالباً، و2,422 معلماً، ومرحلة التعليم الثانوي الذي شمل 28 مدرسة، و9,527 طالباً، و613 معلماً، وانقسم التعليم الثانوي إلى التعليم الثانوي الأكاديمي واحتوى على ستة مدارس، و886 طالباً، و107 معلماً، والتعليم الثانوي المهني واحتوى على تسع مدارس، و886 طالباً، و107 معلماً، والتعليم الثانوي الزراعي الذي شمل على سبع مدارس، ولم يطلعنا الدباغ على أعداد الطلاب والمعلمين فيه⁴.

¹ دروزه، محمد، القضية، ج1، ص41.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص20.

³ ليلينثال، الفريد، إسرائيل، ص32.

⁴ الدباغ، مصطفى، التعليم، الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص46-48.

وأكد عيسى السفري أن الصحافة الصهيونية في فلسطين كان لها الأثر الأكبر في إقناع اليهود بالذهاب إلى فلسطين وتوطينهم فيها، فأصدرت المنظمة الصهيونية صحيفة حدشوت هارتس (أخبار الأرض) عام 1918م في القدس، وصحيفة دورا هيوم (بريد اليوم) عام 1919م والتي تولى رئاستها زئيف جابونتسكي، وفي عام 1922م أسس الهستدروت صحيفة دافار (شيء)¹، وأسست الحركة التصحيحية صحيفة هعام (الشعب)، إلا أن الصحيفة تعرضت للإغلاق لمهاجمتها حكومة الانتداب، فأصدرت صحيفة جديدة في العام نفسه أطلقت عليها هياردين (الأردن)².

وخارج نطاق مؤرخينا تناول صالح النعامي في كتابه "الصحافة والإعلام" موضوع سماح حكومة الانتداب للحركة الصهيونية بإصدار الصحف الناطقة باللغة العربية؛ للتأثير على الفلسطينيين وإقناعهم بتغيير مواقفهم بشأن الهجرة إلى فلسطين، بحيث تعمل تلك الصحف على تسويق الدعاية الصهيونية القائلة "إن إقامة الدولة الصهيونية يأتي لرفعة المنطقة، وبث روح الحضارة في الشرق، الأمر الذي يعود بالفائدة على سكان المنطقة العربية في حال تعاونهم مع المشروع الصهيوني"، فأصدرت في العشرينيات عدة صحف منها صحيفة الأخبار، وصحيفة بريد السلام وصحيفة بريد اليوم، وصحيفة اتحاد العمال، ومجلة حقيقة الأمر³.

ينوه عيسى السفري إلى توقف موجات الهجرة الصهيونية إلى فلسطين أثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)⁴، ويتفق محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر على تدفق المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين من جديد بعد الانتداب البريطاني عليها عام 1918م، حيث أصدرت بريطانيا وعد بلفور بتاريخ 2 تشرين الثاني 1917م والذي أعطى الهجرة الصهيونية إلى فلسطين الصبغة القانونية⁵.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص19.

² م، ن.

³ النعامي، صالح، الصحافة، ص22.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص23. العارف، عارف، تاريخ، ص140. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص49.

الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج4، ص174. زعيتر، أكرم، القضية، ص50.

ويتابع المؤرخون إلى أن وعد بلفور أُدمج بصك الانتداب البريطاني على فلسطين الذي وفر الشروط الكفيلة لإطلاق يد الحركة الصهيونية من أجل مضاعفة الهجرة¹، فقد نصت المادة السادسة منه على "أن الإدارة البريطانية سوف تلتزم بتسهيل الهجرة اليهودية بشروط مناسبة"²، وتولت اللجنة الصهيونية برئاسة هاييم وايزمان وبالتعاون مع الحكومة البريطانية مهمة العمل على وضع وعد بلفور موضع التنفيذ، وقيادة المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين³.

ويشير محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى إصرار الحركة الصهيونية على توسيع نطاق الهجرة اليهودية، وطالبوا الحكومة البريطانية حتى وافقت على إرسال لجنة برئاسة هاييم وايزمان إلى فلسطين، أسفرت عن توقيع اتفاقية فيصل - وايزمان عام 1919م، نتج عنها حصول اليهود على تسهيلات لتنشيط الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالسرعة الممكنة⁴.

وحاولت الحركة الصهيونية استغلال مؤتمر الصلح الذي عقدته دول الحلفاء عام 1919م؛ لاقتسام الأراضي التي تمت السيطرة عليها في الحرب العالمية الأولى، وأشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى المذكرة الرسمية التي قدمتها المنظمة الصهيونية العالمية للمؤتمر، مطالبة بما يسمى الحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين، وحق إقامة وطن قومي لهم، والسماح بتدفق أعداد كبيرة من المهاجرين⁵.

وفي الوقت نفسه أشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى المذكرات التي بعثها عرب فلسطين إلى مؤتمر الصلح منها مذكرة الاحتجاج التي بعثها وجهاء مدينة نابلس في 11 كانون الثاني 1919م⁶، والمذكرة التي بعثها المؤتمر العربي الفلسطيني الأول في 3 شباط 1919م⁷، واحتجت المذكرات العربية على كل اتفاق يعطي اليهود حقوقاً في فلسطين، والمطالبة بوقف التسلل الصهيوني إلى فلسطين⁸.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص28. العارف، عارف، تاريخ، ص145. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص104. زعيتر، أكرم، القضية، ص59.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص29. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، (ص50-51). زعيتر، أكرم، القضية، ص60.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص23. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص245. زعيتر، أكرم، القضية، ص53.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص42. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص14. زعيتر، أكرم، القضية، ص54.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص34. زعيتر، أكرم، القضية، ص54.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص34.

⁷ م، ن، ص34.

⁸ م، ن، ص35.

بعد أن عرض محمد دروزة و عارف العارف و عيسى السفري و مصطفى الدباغ و أكرم زعيتر التباين في وجهات النظر، قرر مؤتمر الصلح بناءً على اقتراح الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون (Woodrow Wilson) إرسال لجنة أمريكية "لجنة كنج - كرين" لتقرير مصير المنطقة، و بعد أن طافت اللجنة في مختلف المدن الفلسطينية وضعت تقريراً أعلنت فيه رفضها لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وأوصت بأن تحدد الهجرة نهائياً إلى فلسطين، ولكن بريطانيا لم تهتم بتقرير اللجنة واستمرت في تنفيذ مخططاتها¹.

ويرى محمد دروزة و عارف العارف و عيسى السفري و مصطفى الدباغ و أكرم زعيتر أن الأمر ازداد سوءاً بعد تعيين بريطانيا هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين في الأول من تموز عام 1920م أحد المؤيدين للهجرة الصهيونية إلى فلسطين²، ففي عهده (1920-1925م) وصل عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين حوالي 82 ألف مهاجر³، حيث ارتفع عدد الصهاينة من 15079 نسمة عام 1920م إلى 33801 نسمة عام 1925م⁴.

وحسب وجهة نظر عيسى السفري أن سبب هذه الزيادة يعود إلى مجموعة القوانين التي أصدرت في عهد المندوب السابق فيما يخص موضوع الهجرة، فأصدر أول قانون للهجرة في 26 آب عام 1920م، وبموجب هذا القانون أُعطي للمندوب السامي حق تحديد عدد المهاجرين اليهود من أن إلى آخر بناءً على ظروف ومقدرات البلاد الاستيعابية والاقتصادية، وقد خولت المنظمة الصهيونية بموجبه صلاحية إحضار 16,500 يهودي سنوياً مصنفاً حسب الفئات التالية وهم الأشخاص الذين تضمن المنظمة الصهيونية اعالتهم لمدة سنة كاملة، والأشخاص الذين تتوفر لديهم القدرة على إعالة أنفسهم، ورجال الدين الذين تتوفر وسائل أعاشتهم في فلسطين⁵.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص344، والقضية، ج1، ص36، وفلسطين، ص14. العارف، عارف، تاريخ، ص141. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص34. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص240. زعيتر، أكرم، القضية، ص55، ووثائق، ص29.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص31. العارف، عارف، تاريخ، ص142. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص44. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص253. زعيتر، أكرم، القضية، ص67.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص143. زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص143.

⁵ م، ن، ص141.

ويكمل محمد دروزة وعيسى السفري الحديث عن إصدار هربرت صموئيل قانوناً جديداً للهجرة في 3 حزيران عام 1921م، نتيجة الصدمات التي حدثت بين العرب واليهود في الأول من أيار 1921م، وتزايد استياء الفلسطينيين من الهجرة الصهيونية¹، وبموجب هذا القانون سُحِّحَ بقدوم المهاجرين من فئات معينة حسب إمكانياتهم المالية وقدرتهم على العمل، أي أصحاب الاموال المستقلة الذين لا يقل رأس مالهم عن 10,000 جنيه، والعاملون في المهن الحرة برأس مال لا يقل عن 500 جنيه، والحرفيون المهرة برأس مال لا يقل عن 250 جنيه، وأيضاً أصحاب الفرص المؤكدة في إيجاد العمل في البلاد، ثم الأشخاص الذين يكفل معيشتهم أشخاص مقيمون في فلسطين مثل الأقارب².

وجرى عدة تعديلات على قانون المهاجرة السابق ذكره، فقد عُُدِّلَ في عام 1924م، و1925م، و1926م - ولم يتطرق السفري الى ذكر تفاصيل هذه القوانين - لكن هذه التعديلات كانت شكلية فلم تغير شيئاً في جوهر نظام الهجرة بل سهلت تجاوز نصوصه بهدف تسهيل تسريب أكبر عدد ممكن من المهاجرين اليهود³.

وذكر عيسى السفري أن هذا القانون عُُدِّلَ بقانون آخر صدر عام 1928م⁴ والذي صنف المهاجرين المسموح دخولهم الى فلسطين، معتمداً على الوضع الاقتصادي للمهاجر، أي الأشخاص الذين يملكون مبلغاً لا يقل عن ألف جنيه وعائلاتهم، وذوو المهن والحرف الذين يملكون ما لا يقل عن 500 جنيه، والصناع المهرة الذين يملكون ما لا يقل عن 250 جنيهاً، والأشخاص الذين لهم إيراد ثابت لا يقل عن أربعة جنيهات في الشهر، والأيتام القادمون إلى ملاجئ فلسطين، والرجال والنساء الذين يتعاطون الأشغال الدينية والمضمونة معيشتهم ومعيشة عائلاتهم، والطلبة المضمونة معيشتهم، والعمال من الرجال والنساء وعائلاتهم، والأشخاص الذين يعتمدون في معيشتهم على أقرباء لهم في فلسطين، شرط أن يكون لهم القدرة على إعالتهم⁵.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص 141.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص72. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص141.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص141.

⁴ م، ن.

⁵ م، ن، ص141

وللمساعدة في إنجاز المشروع الصهيوني يذكر عيسى السفري القانون الذي أصدرته الولايات المتحدة الأمريكية عام 1921م وتم بموجبه وضع قيود على هجرة اليهود إلى أراضيها، إلى جانب موجة الاضطرابات السياسية التي اجتاحت بولندا والاتحاد السوفيتي، الأمر الذي ساعد على زيادة عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين، فوفد خلال هذا العام حوالي 4784 يهودي¹.

رأى عيسى السفري أن الحكومة البريطانية شرعت إلى تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين من خلال منح الجنسية الفلسطينية لليهود، فأنشئت في الأول من أيلول 1920م دائرة الهجرة والسفر وتمثل مهمتها في تسهيل ومراقبة السفر إلى فلسطين، وإصدار شهادات جنسية خاصة بالسكان²، فقد نصت المادة السابعة من صك الانتداب بأنه "يترتب على الحكومة أن تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً تسهل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً لهم على الجنسية الفلسطينية"³.

فأخذ المندوبون الساميون بدءاً بهربرت صموئيل (Herbert Samuel) وانتهاءً إلى الآن كينغهام (Alan Cunningham) (1945-1948م) بسن القوانين التي تخدم تلك الفكرة، لإضفاء الصفة القانونية على الهجرة الصهيونية، فوضع قانون الجنسية الفلسطينية عام 1925م، وكان يتم منح الجنسية بعدة طرق أما عن طريق التبديل من الجنسية التركية إلى الجنسية الفلسطينية، أو الزواج أو الولادة أو التجنس (إثبات أن الشخص أقام في فلسطين مدة لا تقل عن سنتين من الثلاث سنوات السابقة لتاريخ تقديمه للطلب، وأن يكون ملماً باللغة الإنجليزية أو العربية أو العبرية، وأن يكون حسن الاخلاق)، وهو ما وثقه عيسى السفري⁴.

ويقول عيسى السفري وبالفعل تم قبول 1322 طلباً للحصول على الجنسية الفلسطينية من أصل 6007 طلباً عام 1935م⁵، وبموجب المادة الثالثة من قانون الجنسية فإنه يحق للمندوب السامي أن يصدر جوازات سفر أو هوية إلى كل متجنس، وكانت حكومة الانتداب تكتب على جواز

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص32.

² م، ن، ص128.

³ م، ن، ص128.

⁴ م، ن، ص129.

⁵ م، ن.

السفر "إدارة السفر والهجرة - وطني فلسطيني" بمعنى من يقيم في فلسطين خمس سنوات يعد وطنياً فلسطينياً¹.

وكشفت وثيقة تاريخية تناقلتها وسائل التواصل الاجتماعي حول حصول رئيس الوزراء السابق شمعون بيريز (1923-2016م) على الجنسية الفلسطينية بعد قدومه من بيلاروسيا عام 1937م، وتظهر الوثيقة توقيع بيريز على طلب الجنسية التي تضمنت بياناً يقول "أقسم أن أكون مخلصاً ووفياً للحكومة الفلسطينية"².*

زادت حدة التوتر بين اليهود والفلسطينيين إثر القوانين التي صدرت لزيادة معدلات الهجرة، فلجأت بريطانيا على حد قول محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر إلى إصدار الكتاب الأبيض عام 1922م، والذي حدد عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين³.

من الملاحظ أن هذا الكتاب لم يفعل فعله المطلوب، بدليل الزيادة التي طرأت على حجم الهجرة اليهودية إلى فلسطين في الأعوام التي أعقبت صدور الكتاب، فيذكر عيسى السفري دخول 7421 مهاجراً إلى فلسطين عام 1923م⁴، و12856 مهاجراً عام 1924م، و33801 عام 1925م⁵.

يتطرق عيسى السفري وأكرم زعيتر إلى الحديث عن الأزمة الاقتصادية التي أصابت الحركة الصهيونية خلال الأعوام (1927-1931م)، تحديداً في عهد المندوب السامي اللورد بلومر (Bloomer) (1925-1928م)⁶، فانخفض بذلك عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين من 13081 مهاجراً عام 1926م إلى 2713 مهاجراً عام 1927م⁷ وإلى 2178 مهاجراً عام 1928م، ثم عاودت معدلات الهجرة الصعود بشكلٍ ضئيل في عهد المندوب السامي السير جون

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص128-130.

² وكالة وطن، وثيقة، www.wattan.net.

* للاطلاع على الوثيقة، انظر ملحق (2)، ص 295

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص39. السفري، عيسى، فلسطين، ص 74. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ص56. زعيتر، أكرم، القضية، ص 73.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ص143.

⁵ م، ن.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص130. زعيتر، أكرم، يوميات، ص262.

⁷ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص143. ⁰

تشانسلور (John Chancellor) (1928-1931م)¹، فوفد في أوائل عام 1929م حوالي 5249 مهاجراً، ثم انخفض العدد عام 1930 إلى 4944 وإلى 4075 مهاجراً عام 1931م²، ولم يتجاوز عدد المهاجرين خلال (1927-1931م) عشرون ألف مهاجر³.

ويرى محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن هذا الانخفاض عائد إلى تصاعد الاحتجاجات الفلسطينية ضد الهجرة الصهيونية والتي بلغت الذروة في انتفاضة البراق عام 1929م⁴، وإزاء ذلك وجدت بريطانيا نفسها مجبرة على العودة إلى سياسة كسب الوقت لتهديئة الخواطر عن طريق اللجان، فقامت بتشكيل لجنة شو (Shaw) للبحث في أسباب الاضطرابات، وتوصلت إلى إصدار بيان صريح عن السياسة التي تتوي الحكومة اتباعها فيما يتعلق بتنظيم المهاجرين اليهود إلى فلسطين ومراقبتها في المستقبل، وأن تعيد الحكومة النظر في التنظيم الإداري المتبع لتنظيم الهجرة، إلى جانب التوصل لآخذ آراء الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة إلى فلسطين⁵.

ثم تبعها مباشرة تقرير هوب سمبسون (Hope Simpson) عام 1930م الذي حدد المجموع الممكن بمائة ألف شخص من اليهود والعرب معاً، ورحب بقرار إدارة الانتداب لذلك العام بإيقاف قوائم الهجرة بالنظر لحالة البلاد الاقتصادية، منتقداً سياسية الوكالة اليهودية بتضخيم قوائم الهجرة والضغط للسماح بالمزيد من المهاجرين بغض النظر عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لفلسطين وفقاً لما أورده محمد دروزة، وعارف العارف، وعيسى السفري، ومصطفى الدباغ، وأكرم زعيتر⁶.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص189. زعيتر، أكرم، يوميات، ص262.⁰

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص143.

³ م، ن، ص 197.⁰

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص61، وفلسطين، ص21. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص114. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص262. زعيتر، أكرم، القضية، ص82، وبواكير، ج1، ص38.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص670، والقضية، ج1، ص69، وفلسطين، (ص22-23). العارف، عارف، تاريخ، ص149. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص130. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص262. زعيتر، أكرم، القضية، ص84، وبواكير، ج1، ص58.

⁶ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص680، والقضية، ج1، ص72، وفلسطين، ص24. العارف، عارف، تاريخ، ص152. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص141. زعيتر، أكرم، القضية، ص89، وبواكير، ج1، ص193.

يعتبر محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتز أن تقرير لجنة شو (Shaw)، ولجنة هوب سمبسون (Hope Simpson) كانا سبباً من أسباب إصدار اللورد باسفيلد Passfield الكتاب الأبيض عام 1930م، حيث تبني الأفكار الرئيسية للجنة، وقرر الكتاب فيما يتعلق بالهجرة ربطها بأحوال العمل في فلسطين، على أن يؤخذ بعين الاعتبار عدد العاطلين عن العمل في البلاد عند إعداد جداول المهاجرين، وأن تكون القدرة الاستيعابية هي الدليل في تحديد مقدار الهجرة¹.

ويضيف محمد دروزة إلى أن مشروع جون فيلبي (John Philippi) عام 1929م الذي اعتبر حلاً لقضية فلسطين احتوى على بعض النصوص الخاصة بالهجرة، فأقترح أن يمنع الاجانب من الهجرة إلى فلسطين وخاصة العرب واليهود، ويحق لحكومة فلسطين أن تحدد العدد المستطاع قبوله سنوياً بحسب استعداد البلاد الاقتصادي، وأن الهجرة إلى فلسطين حرة وخصوصاً للعرب واليهود مع اعتبار مصالح البلاد وطاقتها الاقتصادية².

ويبقى القول إن هذه التقارير كانت شكلية لامتناس غضب الشارع الفلسطيني، والدليل على ذلك ارتفاع عدد الصهاينة في فلسطين من 83,790 نسمة عام 1922م³ إلى 174,606 نسمة عام 1931م⁴، إلى جانب إصدار الحكومة البريطانية الكتاب الاسود (وفق تسمية العرب) عام 1931م والذي يقضي باستمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين وعدم إيقافها⁵.

وشهدت الهجرة اليهودية إلى فلسطين حركة مهمة تراكمت مع قدوم المندوب السامي آرثر واكهورب (Arthur Wakhop) (1932-1939م)⁶، وذكر محمد دروزة أنه "استطاع استمالة الفلسطينيين لذلك كان نصيب اليهود في عهده كبيراً"، وأشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتز إلى أن عدد المهاجرين القانونيين (الذين يدخلون بعلم السلطات) بلغ عام 1932م

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص682، والقضية، ج1، ص72، وفلسطين، ص25. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص141. زعيتز، أكرم، القضية، ص92، وبواكير، ج1، ص204.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص659، والقضية، ج1، ص65.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص143.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص143. زعيتز، أكرم، القضية، ص99.⁰

⁵ زعيتز، أكرم، القضية، ص93.

⁶ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص702، والقضية، ج1، ص92. العارف، عارف، تاريخ، ص153. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص194. زعيتز، أكرم، القضية، ص96، وبواكير، ج1، ص437.

20 ألف مهاجر¹، وفي سنة 1933م 40 ألفاً نتيجة وصول الحزب النازي إلى ألمانيا، وعلى أثر ذلك ضغطت المنظمة الصهيونية على سلطات الانتداب لتعديل قوانين الهجرة، فسنت قانوناً جديداً في آب عام 1933م؛ لتسهيل هجرة الصهاينة إلى فلسطين².

وفي سنة 1934م وصل عدد المهاجرين إلى 40 ألفاً³، ويُرجع محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر ذلك إلى الهجرة غير الشرعية⁴، عن طريق التهريب مثل الحفلات الرياضية التي يقيمها اليهود كل سنتين مرة عرفت باسم المكابين⁵، والمعارض التي أقيمت سبع مرات خلال (1924-1936م)⁶، ثم الزواج السوري، إضافة إلى تزوير الجوازات الرسمية⁷، فارتفع عدد المهاجرين عام 1935م إلى 60 ألف يهودي⁸.

يذكر عيسى السفري عدد المهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين خلال عامي (1919-1936م) بجوازات رسمية وأماكن استقدامهم، فمن بولونيا قدم 110 ألف، وألمانيا 22 ألف، ورومانيا 13 ألف، ولتوانيا 9000، واليمن 8000، والاتحاد السوفيتي 30 ألف، والولايات المتحدة 8000، واليونان 6000، والعراق 5000، وتشيكوسلوفاكيا 3500، ولتفيا 4000، والنمسا 3500، وتركيا 3500، وبلاد أخرى 34,500، فالمجموع 260 ألف، مقارنة بعدد الذين دخلوا عن طريق التهريب 140 ألف مهاجر⁹.

يُجمع محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن الهجرة الصهيونية أخذت بالهبوط سنة 1936 نتيجة اشتعال الثورة الفلسطينية (1936-1939)¹⁰، فقد أعلنت اللجنة

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص92. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص197. زعيتر، أكرم، القضية، ص97.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص92. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص197. زعيتر، أكرم، القضية، ص96.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص92. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص197. زعيتر، أكرم، القضية، ص99.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص93. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص194. زعيتر، أكرم، القضية، ص90، وبواكير، ج1، ص653.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص99. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص194. زعيتر، أكرم، القضية، ص100.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص195.

⁷ دروزة، محمد، القضية، ص99. السفري، عيسى، فلسطين، ص196. زعيتر، أكرم، القضية، ص90.

⁸ السفري، عيسى، فلسطين، ص195. زعيتر، أكرم، القضية، ص99.

⁹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص148.

¹⁰ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص128. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص9. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص270. زعيتر، أكرم، القضية، ص145.

القومية في حيفا اضراباً عاماً شمل جميع المدن الفلسطينية ابتداءً من 22 نيسان 1936م، استمر ستة أشهر احتجاجاً على استمرار الهجرة الى فلسطين¹، وفي 27 نيسان 1936م تم الاتفاق على تشكيل لجنة عربية عليا برئاسة الحاج أمين الحسيني، وكان ميثاقها استمرار الإضراب إلى أن تُوقف الحكومة البريطانية الهجرة، وإقامة حكومة وطنية نيابية².

ورأى محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن انخفاض أعداد المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين عام 1936م أغضب الحكومة البريطانية، فعمدت إلى إعطاء 4500 شهادة هجرة جديدة لستة أشهر من السنة، مما زاد من لهيب الثورة³، إلا أن عدد المهاجرين استمر بالهبوط، فوفد إلى فلسطين عام 1936م نحو 29,727 مهاجر يهودي مقارنة بعددهم عام 1935م 60 ألف مهاجر⁴.

على إثر اشتداد أحداث الثورة الفلسطينية 1936م -حسب المؤرخين- عينت الحكومة البريطانية لجنة ملكية برئاسة بيل في آب 1936م وأعزت أسباب الاضطرابات إلى الهجرة اليهودية، وتوصلت اللجنة إلى وجوب أخذ الاعتبارات السياسية والاجتماعية والنفسية وقابلية الاستيعاب الاقتصادية بعين الاعتبار حين تقرر نسبة الهجرة، فحددت عدد المهاجرين باثنتي عشر مهاجراً سنوياً خلال الخمس سنوات التالية كحد أقصى⁵.

ويقول عيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر ثم أعلنت اللجنة عن خطة التقسيم في 7 تموز 1937م وأعلنت أنها تتوي السماح بدخول عدد لا يتجاوز ثمانية آلاف مهاجر بدءاً من آب 1937م حتى آذار 1938م⁶.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص128، وفلسطين، ص38. عارف، العارف، نكبة، ص43، وتاريخ، ص155. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص9. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ص44. زعيتر، أكرم، القضية، ص102، وبواكير، ج1، ص780، ويوميات، ص64.

² دروزة، محمد، فلسطين، ص39. عارف، العارف، نكبة، ص43، وتاريخ، ص155. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص23. زعيتر، أكرم، القضية، ص103، ويوميات، ص76.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص409. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص32. زعيتر، أكرم، القضية، ص104.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص197.

⁵ العارف، عارف، تاريخ، ص160. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص23. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص262. زعيتر، أكرم، القضية، (ص113-114)، ويوميات، ص237.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص30. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص262. زعيتر، أكرم، القضية، ص141.

نشطت الحكومة البريطانية بعد إعلانها خطة التقسيم في عقد المؤتمرات وإرسال اللجان لحل مشكلة الهجرة بين العرب واليهود، فأشار محمد دروزة ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر إلى إيعاز الحكومة البريطانية إلى الحكام العرب بفكرة مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن بتاريخ 7 شباط 1939م وأسفر على تضييق الهجرة اليهودية دون إيقافها¹، واعتبر مصطفى الدباغ وأكرم زعيتر هذا المؤتمر بمثابة تمهيد لإصدار الكتاب الأبيض بتاريخ 17 أيار 1939م²، وتناول هذا الكتاب موضوع الهجرة اليهودية فحددها بعشرة آلاف مهاجر سنوياً لمدة خمس سنوات، بالإضافة إلى 25 ألف مهاجر يهودي يسمح لهم بالدخول فوراً حسب الظروف الاقتصادية، وبعد ذلك تتوقف الهجرة على موافقة العرب³.

ولكن في حقيقة الأمر لم تسفر هذه الحلول عن إيقاف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين أو حتى تخفيفها، فوفقاً لما أورده محمد دروزة وأكرم زعيتر قفز عدد اليهود خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) نحو 15 ألف مهاجر⁴، بطرق غير شرعية إما عن طريق الإبحار مباشرة إلى فلسطين، أو بالإبحار إلى موانئ محايدة في تركيا والبلقان ثم الانتقال إلى فلسطين بحراً أو براً⁵، وقد كان الأسطول البريطاني المكلف بمراقبة شواطئ فلسطين لمقاومة الهجرة غير الشرعية يقوم بإرشاد سفن المهاجرين الصهاينة وأمدادها بالماء والمؤن والوقود وقيادتها إلى السواحل الفلسطينية حيث يجري عملية استيلاء وهمية عليها⁶.

ويوضح محمد دروزة وأكرم زعيتر ما جرى من أحداث عام 1943م حيث أصدرت حكومة الانتداب تعليمات إلى سفارتها بتركيا بإعطاء تصاريح دخول إلى فلسطين لليهود الفارين من الأراضي التي يحتلها النازيون⁷، كما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية عام 1944 عمليات إخراج اليهود من الأراضي التي تحتلها ألمانيا النازية وأقامت لهذا الغرض مكتباً خاصاً أطلق عليه اسم "مكتب مهاجري الحرب"⁸.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص55، وفلسطين، ص78. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص408. زعيتر، أكرم، القضية، ص66، ويوميات، 573.

² الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج4، ص408. زعيتر، أكرم، القضية، ص144، ويوميات، ص594.

³ الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج4، ص408. زعيتر، أكرم، القضية، ص145، ويوميات، ص594.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص23. زعيتر، أكرم، القضية، ص152.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص34. زعيتر، أكرم، القضية، (ص151-152).

⁶ زعيتر، أكرم، القضية، ص152.

⁷ م، ن، ص159.

⁸ م، ن، ص160.

ويستطرد أكرم زعيتر الحديث حول طلب الرئيس الأمريكي هاري ترومان (Harry S. Truman) بعد الحرب مباشرة وتنفيذاً لمقررات مؤتمر بلتيمور عام 1942م إدخال مئة ألف يهودي فوراً إلى فلسطين¹، وتشكلت لجنة تحقيق أنجلو - أمريكية عام 1945م لبحث مدى قدرة فلسطين على استيعاب اليهود المشردين في أوروبا، وفي الأول من أيار عام 1946م نشرت لجنة التحقيق توصياتها فأيدت مطالب ترومان وفتحت أبواب الهجرة بشتى أشكالها²، ومنحت مئة ألف شهادة هجرة لليهود³، بحجة عدم وجود بلد غير فلسطين يلجأ إليه اليهود⁴، وهو ما أيده مشروع موريسون المنعقد في 10 تشرين الأول 1946م⁵.

يُظهر محمد دروزة وأكرم زعيتر غضب المسؤولين العرب من تقرير لجنة التحقيق الانجلو- أمريكية، وسعيهم إلى عقد أول مؤتمر قمة عربي في أنشاص قرب القاهرة بتاريخ 27 أيار 1946م، وطالبوا بوقف الهجرة وقفاً تاماً، والعمل على تحقيق استقلال فلسطين⁶، ولكن لم يجد الفلسطينيون أي صدى لمطالبهم، فوصل إلى فلسطين بعد الحرب (1945-1948م) حوالي 65 سفينة مهاجرين غير شرعيين تحمل سبعون ألف مهاجر تسلل قسم منهم إلى البلاد⁷، وقسم اضطرت الحكومة إلى احتجازهم في معسكرات بقبرص يبلغ عددهم حوالي خمسون ألفاً، قامت الحكومة بإدخالهم على دفعات بمعدل 750 مهاجراً شهرياً⁸، وهكذا دخل إلى فلسطين بين عامي (1940-1948م) نحو 120 ألف مهاجر يهودي⁹.*

أرخ محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر لبداية المقاومة الفلسطينية ببداية هجرة اليهود إلى فلسطين، أي منذ ثمانينات القرن التاسع عشر.

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص154.

² م، ن، ص 163.

³ م، ن، ص172.

⁴ م، ن، ص176.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص64. زعيتر، أكرم، القضية، ص186.

⁶ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص66. زعيتر، أكرم، القضية، ص179-180.

⁷ زعيتر، أكرم، القضية، ص191.

⁸ م، ن، ص218.

⁹ م، ن، ص220.

* للاطلاع على أعداد المهاجرين اليهود (1919-1947م)، انظر ملحق (3)، ص296.

يُرجع عيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر بداية المقاومة الفلسطينية للهجرة الصهيونية إلى عام 1908م من خلال الصحف الفلسطينية، أهمها صحيفة الكرمل الصادرة عام 1908م¹، وصحيفة فلسطين عام 1911م²، وصحيفة مرآة الشرق عام 1919م³، واتفقت هذه الصحف على التوعية بمخاطر الهجرة الصهيونية إلى فلسطين من خلال نشر المقالات التي تولى نشرها في تلك الفترة خليل السكاكيني ونجيب عازوري.

ويعزز عيسى السفري ومصطفى الدباغ دور جريدة سوريا الجنوبية الصادرة بعد الاحتلال مباشرة عام 1919م لصاحبها عارف العارف، والتي حملت لواء الجهاد ضد الصهيونية وأعلنت رفضها التام للهجرة اليهودية⁴.

مقابل ذلك يرى عيسى السفري ومصطفى الدباغ أن الحكومة البريطانية ونشطاء الحركة الصهيونية شعرت أن الصحافة الفلسطينية تشكل خطراً على المخططات الصهيونية، فعملت على إغلاق الصحف⁵، فتعرضت صحيفة سوريا الجنوبية للإغلاق عدة مرات إلى أن أغلقت نهائياً عام 1920م⁶، وأغلقت صحيفة فلسطين عام 1936م⁷، وتوقفت صحيفة مرآة الشرق عن الصدور في حدود عام 1939م⁸.

ويضيف عيسى السفري ومحمد دروزة ما احتواه قانون الطوارئ الذي صدر أثناء بدء اضطرابات عام 1936م، حيث أعلنت المادة الثالثة منه عن منع الصحف الفلسطينية من نشر الأخبار من دون الحصول على تصريح ممضي من حاكم اللواء البريطاني، ويحق له رفض أي طلب من أي صحيفة من دون أن يبين اسباب ذلك، وأن يلغي التصريح متى يشاء⁹.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص212. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص244. زعيتر، أكرم، بواكير، ج1، ص26.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص211. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص244.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص212. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص241. زعيتر، أكرم، بواكير، ج1، ص109.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص30. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ص241.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص26. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص244.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص30.

⁷ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص211. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص244.

⁸ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص212.

⁹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص130. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، (ص47 - 48).

وفي هذه الأثناء نشط عرب فلسطين في توحيد صفوفهم لمواجهة الخطر الصهيوني، ويظهر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر تعاضد المسلمين والمسيحيين لإيقاف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، فألف المسلمون والمسيحيون في كل مدينة من مدن فلسطين جمعية أطلق عليها "الجمعية الإسلامية - المسيحية" عام 1919م، وأول عمل قامت به هذه الجمعيات الاحتجاج على الانتداب البريطاني على فلسطين وإدماج وعد بلفور به، ثم رفض الهجرة الصهيونية رفضاً تاماً؛ فالهجرة ستتسبب في زيادة المجاعات وتعرض البلاد للعديد من الثورات والحروب الدائمة¹.

يبرز محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر دور الحركة الوطنية الفلسطينية في وضع الخطوط السياسية لحركة النضال الوطني وبت الدعاية لها في الخارج من خلال عقد **المؤتمرات الفلسطينية**، فعقدت خلال عامي (1919م-1929م) سبع مؤتمرات، الأول في القدس في آذار عام 1919م²، والثاني في يافا عام 1920م³، والثالث في حيفا عام 1921م⁴، والرابع في القدس عام 1921م⁵، والخامس في نابلس 1922م⁶، والسادس في يافا 1925م⁷، والسابع في القدس 1928م⁸.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص309. القضية، ج1، ص35، وفلسطين، ص12. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص31. زعيتر، أكرم، القضية، ص65، ووثائق، (ص24-25).

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص327، والقضية، ج1، ص35، وفلسطين، (ص12-13). العارف، عارف، تاريخ، ص141. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص26. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص254. زعيتر، أكرم، القضية، ص72، ووثائق، ص23.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص348، والقضية، ج1، ص38، وفلسطين، ص14. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص27. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص254. زعيتر، أكرم، القضية، ص72، ووثائق، ص28.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص479، والقضية، ج1، ص38، وفلسطين، ص15. العارف، عارف، تاريخ، ص144. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص29. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص254. زعيتر، أكرم، القضية، ص72.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص510، والقضية، ج1، ص43، وفلسطين، ص15. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص80. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص254. زعيتر، أكرم، القضية، ص72.

⁶ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص558، والقضية، ج1، ص43، وفلسطين، ص16. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص85. زعيتر، أكرم، القضية، ص74.

⁷ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص575، والقضية، ج1، ص45، وفلسطين، ص17. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص87.

⁸ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص631، والقضية، ج1، ص59، وفلسطين، ص18. العارف، عارف، تاريخ، ص148. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص89. زعيتر، أكرم، القضية، ص76.

وأجمعت هذه المؤتمرات على هدف واحد وهو تعبئة الشعب لمقاومة المشروع الصهيوني، والدعوة إلى استقلال فلسطين، وتحقيق الوحدة العربية، وعدم القبول بإقامة وطن قومي يهودي، ورفض الهجرة اليهودية¹.

ويبرز عيسى السفري وأكرم زعيتر دور المرأة الفلسطينية في المشاركة في الحياة السياسية من خلال عقد **المؤتمرات النسائية** سواء داخل فلسطين أو خارجها من الدول العربية المجاورة، فعُقد في القدس يوم 26 تشرين الأول عام 1929م أول مؤتمر نسائي عربي، مؤيداً لقرارات المؤتمرات الفلسطينية السابقة فيما يتعلق بالهجرة، كما ذهب وفد نسائي لمقابلة المندوب السامي وأعرب عن رغبتهم في إلغاء وعد بلفور، ومنع الهجرة اليهودية².

كما عُقدت مؤتمرات أخرى وفقاً لما أشار عيسى السفري وأكرم زعيتر مثل **مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني** في 13 تموز عام 1934م وتمخض عنه القيام ببعض الفعاليات الميدانية أهمها تشكيل جماعات لرصد السواحل وإيقاف المهاجرين اليهود المتسللين ليلاً، وأخذت اسم "لجنة حراسة السواحل والحدود"³.

ولم يختلف دور طلبة المدارس الفلسطينيين عن غيرهم من كافة الشعب، فيذكر محمد دروزة وعيسى السفري **المؤتمر الطلابي** الذي عُقد في يافا بتاريخ 10 ايار 1936م مؤيداً الأمة العربية في قرارها بخصوص وقف الهجرة الصهيونية⁴.

ويشير محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى توجه الحركة الوطنية الفلسطينية إلى عقد **الاحزاب الفلسطينية** لمقاومة المد الصهيوني، ويبرز محمد دروزة دور الحزب الوطني الذي شكّل في 10 تشرين الثاني 1923م في معارضة الهجرة الصهيونية، وأنتخب لرئاسته الشيخ سليمان التاجي الفاروقي، ولكن لم تكد تنقضي مدة قصيرة على تشكيل هذا الحزب حتى جرفته الحركة الوطنية وانتهى أمره⁵.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص35. العارف، عارف، تاريخ، ص157. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص26. زعيتر، أكرم، القضية، ص72.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص123. زعيتر، أكرم، القضية، ص130، وبواكير، ج1، ص56.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص200. زعيتر، أكرم، القضية، ص99، وبواكير، ج1، ص653.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص27. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص24.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص579، والقضية، ج1، ص103.

وأشرف محمد عزة دروزة بنفسه على تأسيس حزب الاستقلال العربي في آب عام 1932م في دمشق، وتكون من القوى الرئيسية في المجتمع الفلسطيني أمثال عوني عبد الهادي (1889-1970م)، ورشيد الحاج إبراهيم (1889-1953م)، وأكرم زعيتر، وعجاج نويهض (1897-1982م)، وحمدي الحسيني، وطالب الحزب باستقلال فلسطين ورفض وعد بلفور وإيقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين¹.

ويذكر محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري أن الاحزاب الفلسطينية أخذت بالتتابع حاملة نفس الهدف في المطالبة بوقف الهجرة وتمثل ذلك في حزب الدفاع الوطني الذي تأسس في القدس عام 1934م برئاسة راغب النشاشيبي (1880-1951م)، وعضوية يعقوب فراج (1874-1944م)، ومغرم مغرم، وحسن الصدقي، وعبد الرحمن التاجي، وعمر البيطار، وعيسى العيسى، وعادل الشوا، ومصطفى الخيري، وعاصم السعيد، وسليمان طوقان، والحزب الوطني الفلسطيني الذي تأسس عام 1935م في القدس برئاسة جمال الحسيني وعضوية فريد العنبتاوي، وإبراهيم درويش، ويوسف الدجاني، وألفرد روك، وتأسس حزب الإصلاح في القدس عام 1935م، ولم يتولى رئاسته أحد²، بينما تأسس حزب الكتلة الوطنية في نابلس عام 1935م، برئاسة عبد اللطيف بك صلاح، وعضوية عبد الله مخلص، وعبد الله متري، وحمدي النابلسي، وشفيق عسل³.

وسانددت الدول العربية الشعب الفلسطيني في مقاومته للهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وعزز محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر دور مؤتمر بلودان الذي عقد في 8 أيلول 1937م في سوريا، حضره ممثلون عن الأقطار العربية المختلفة، برئاسة ناجي سويدي، وطالب المؤتمر بوقف الهجرة اليهودية حالاً⁴، كما دعت لجنة برلمانية مصرية إلى

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص789، والقضية ج1، ص103. العارف، عارف، تاريخ، ص156. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص220. زعيتر، أكرم، بواكير، ج1، ص412.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص859، والقضية، ج1، ص117. العارف، عارف، نكبة، ص43، وتاريخ، ص156. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص221. زعيتر، أكرم، يوميات، ص18.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص858، والقضية، ج1، ص117. العارف، عارف، نكبة، ص43، وتاريخ، ص156. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص221-222. زعيتر، أكرم، يوميات، ص18.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص510، والقضية، ج1، ص56، وفلسطين، ص46. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص66. زعيتر، أكرم، القضية، ص121، ويوميات، ص315.

مؤتمر برلماني عربي عُقد في القاهرة في 7 تشرين الأول عام 1938م اشترك فيه ممثلو للبرلمانات العربية في مصر والعراق وسوريا ولبنان ومندوبون عن المغرب واليمن¹.

وتناول محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر **المظاهرات الشعبية** والصدمات التي اندلعت بين الفلسطينيين مع الجنود البريطانيين الذين اعتبرهم الشعب الفلسطيني مسؤولين عن الوجود الصهيوني والهجرة اليهودية التي لا تتوقف، وكان أهم تلك المظاهرات ثورة النبي موسى عام 1920م²، وثورة يافا عام 1921م³، ومظاهرات عام 1923م، و1924م⁴، و1933م⁵، ثم توالى سلسلة الصدمات والثورات في مختلف المدن الفلسطينية منددة بوقف الهجرة كان أهمها ثورة عام 1929م⁶، وثورة عام 1935م⁷، وثورة عام 1936م⁸.

يمكن القول أن دولة "إسرائيل" تجسيد حقيقي لفكرة اختراع شعب وتفكيك آخر، ففي 15 أيار 1948م أُعلن قيام دولة إسرائيل ولم يكن عدد اليهود آنذاك يتجاوز 650 ألف نسمة، في حين كان عدد السكان العرب الفلسطينيين أكثر من 1,300,000 نسمة⁹.

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص129، ويوميات، ص407.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37، وفلسطين، ص19. العارف، عارف، تاريخ، ص143. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص40. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص260. زعيتر، أكرم، القضية، ص65، وبواكير، ج1، ص139.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص38، وفلسطين، ص19. العارف، عارف، تاريخ، ص143. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص67. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص260. زعيتر، أكرم، القضية، ص69، وبواكير، ج1، ص139.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص102. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص264. زعيتر، أكرم، القضية، ص76.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص843، والقضية، ج1، ص112. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص189. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص266. زعيتر، أكرم، القضية، ص97.

⁶ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص646، والقضية، ج1، ص61، وفلسطين، ص21. العارف، عارف، تاريخ، ص148. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص114. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص264. زعيتر، أكرم، القضية، ص82، وبواكير، ج1، ص38.

⁷ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص862، والقضية، ج1، ص120. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص9. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص268. زعيتر، أكرم، القضية، ص102، ويوميات، ص32.

⁸ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص11، والقضية، ج1، ص128. العارف، عارف، تاريخ، ص157. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص9. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص269. زعيتر، أكرم، القضية، ص101، ويوميات، ص32.

⁹ أبو صبيح، عمران، الهجرة، (ص17-18)

ترافقت موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتزايدها مع التوسع في استيطان الأراضي والاستيلاء عليها، وأول ما سعت إليه الحركة الصهيونية حسب ما أشار عيسى السفري هو تعليم اليهود أصول الزراعة الحديثة ليسهل الاستيلاء على الأراضي، فأنشأت جمعية يهودية أفرنسية مدرسة زراعية يهودية قرب يافا عام 1870م تدعى مدرسة مكفا إسرائيل والمعروفة عند العرب "نيتز" فكانت أول مدرسة زراعية في فلسطين¹.

ويُرجع عيسى السفري ومصطفى الدباغ بداية الاستيطان اليهودي في فلسطين إلى إنشاء مستوطنة بتاح تكفا عام 1878م، على مساحة 3375 دونم من أراضي قرية ملبس قرب يافا².

وقد تطور عدد ومساحة المستعمرات والأراضي الزراعية في فلسطين تطوراً سريعاً، ويشير مصطفى الدباغ إلى أن عدد المستعمرات كان عام 1882م خمس مستعمرات فقط وهي زخرون يعقوب، وونس تسيونا، ويسود هامعلا، وغديرة، وعكرون، إضافة إلى تجدد الاستيطان في بتاح تكفا وریشون لتسيون³.

ويتابع الدباغ إلى أن العدد ارتفع عام 1900 إلى 22 مستعمرة بلغت مساحتها 220 ألف دونم، ثم إلى 47 مستعمرة زراعية عام 1914⁴، وبلغت المساحة التي استولى عليها اليهود آنذاك بشتى الطرق 420 ألف دونم⁵.

ينوه عيسى السفري إلى توقف عمليات بيع الأراضي إلى اليهود خلال الحرب (1914-1918م)، واستئنفت في عهد المندوب السامي هربرت صموئيل (Herbert Samuel) (1920-1925م)⁶، وسار على نهجه المندوبون الساميون من بعده وهم اللورد بلومر (Bloomer) (1925-1928م)، ثم المندوب السامي السير جون تشانسلور (John Chancellor) (1928-1931م)، الأمر الذي أدى إلى زيادة بيوع الأراضي إلى اليهود في فلسطين بوتيرة لا تقل عن

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص9.

² السفري، عيسى، ج1 فلسطين، ص9. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص617، والاستيطان، مجلة دراسات عربية، ص31.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج1، ص281، والاستيطان، مجلة دراسات عربية، ص32.

⁴ الدباغ، مصطفى، بلادنا، ج5، ص146، والاستيطان، مجلة دراسات عربية، ص33.

⁵ الدباغ، مصطفى، الاستيطان، مجلة دراسات عربية، ص32.⁰

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص19.

وتيرة تصاعد أعداد المهاجرين اليهود¹، حتى وصل مجموع ما بيع لليهود نهاية عام 1931م سبعون ألف دونم²، إلى جانب إنشاء 36 مستوطنة جديدة³، فوصل بذلك العدد إلى 105 مستوطنة.

ويرى أكرم زعيتر أن سبب الزيادة تعود إلى تقديم أراضي الغور عام 1920م إلى الحركة الصهيونية، بعد أن حولت حكومة الانتداب البريطاني ملكيتها من اسم السلطان عبد الحميد الثاني إليها⁴، كما أعطت حكومة الانتداب لليهود وفق ما ذكر عيسى السفري وأكرم زعيتر أراضي عثليت والكبارة وتلال قيسارية عام 1920م، والتي بلغت 175 ألف دونم⁵، ووهبت الحكومة للحركة الصهيونية 82 ألف دونم من الأراضي في مناطق مختلفة من البلاد عام 1921م⁶.

وأضاف محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن الحكومة البريطانية شرعت في إعطاء الامتيازات للشركات اليهودية، مع السماح باستثمار أموالها في فلسطين دون التقيد بدفع أية عوائد ضريبية؛ حتى يسهل سيطرة اليهود على الأراضي والمياه والثروات المعدنية، فمنح هربرت صموئيل في 12 أيلول 1921م امتياز استغلال الموارد المائية من نهر الأردن واليرموك وروافدهما؛ لتوليد الطاقة الكهربائية من شركة كهرباء فلسطين التي أسسها المهندس الروسي بنحاس روتنبرغ (Pinchas Rutenberg) (مشروع روتنبرغ Rutenberg)⁷.

ورأى المؤرخون أن المشروع شكّل وسيلة فعالة لتهود أراضى فلسطين وتهجير الشعب الفلسطيني من أراضيهم؛ فتمكنت الشركة من امتلاك 18 ألف دونم من الأراضي العربية الفلسطينية؛ بحجة حاجة شركة الكهرباء إليها في بناء الخزانات، وإنشاء المباني الضرورية (المكاتب، المستودعات، الخطوط الحديدية، ووسائل النقل)، وحرمت الفلسطينيين من استخدام

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص189. زعيتر، أكرم، يوميات، ص262.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص198.

³ الدباغ، مصطفى، الاستيطان، مجلة دراسات عربية، ع1، ص33.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

⁵ م، ن، ص69.

⁶ م، ن.

⁷ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص97-98. زعيتر، أكرم، القضية، ص69.

الموارد المائية في مختلف المناطق الفلسطينية والأردنية، إلى جانب حرمانهم من القيام بأيّة مشروعات صناعية وزراعية بعد منعهم استخدام الطاقة الكهربائية¹.

ومنحت الحكومة البريطانية لشركة البوتاس أو شركة البحر الميت امتياز استخراج المعادن والبوتاس والأملاح من البحر الميت في كانون الثاني 1929م، وأدى المشروع على حد قول محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى استيلاء الشركة على 175 ألف دونم من الأراضي العربية الفلسطينية².

وتابع المؤرخون الحديث حول منح بريطانيا لشركة "تحسين الأراضي الفلسطينية المحدود الصهيونية" امتياز تجفيف بحيرة الحولة في أوائل الثلاثينات، وبالتالي أصبحت الشركة تتحكم بأخصب أراضي فلسطين، وسيطرت على حوالي 57 ألف دونم من الأراضي العربية، وأفرغت منطقة الحولة بأكملها من السكان الفلسطينيين، وشردت 1500 عائلة، وتمكن اليهود من السيطرة على منطقة الجليل الأعلى³.

ويوضح عارف العارف وعيسى السفري ما فعلته حكومة الانتداب لكي تضمن انتقال الأراضي لليهود بشكل قانوني، فقد شرع صموئيل إلى إصدار القوانين الخاصة بالأرض وحذا المندوبون الساميون حذوه⁴، وينبغي التنويه إلى أن المؤرخون الفلسطينيون لم يتعمقوا في ذكر هذه القوانين وتفصيلها.

لم يشير المؤرخون إلى إصدار الحكومة البريطانية في 23 أيلول 1920م قانون تصحيح سجلات الطابو، الذي أعطى الحق لكل من يدعي بملكية أرض مسجلة بغير اسمه برفع قضيته إلى المحكمة⁵.

وأورد عارف العارف وعيسى السفري قانون انتقال الأراضي الذي صدر في أيلول عام 1920م⁶، وبموجبه كان انتقال الأراضي مرهوناً بموافقة حكومة الانتداب وأكد أنه لا يسمح

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص97-98. زعيتر، أكرم، القضية، ص69.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، (ص97-100). زعيتر، أكرم، القضية، ص79.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص101. زعيتر، أكرم، القضية، ص96.

⁴ العارف، عارف، تاريخ، ص150. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص161.

⁵ الحزماوي، محمد، ملكية، ص28.

⁶ العارف، عارف، تاريخ، ص150. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص131.

للشخص الواحد بامتلاك أكثر من 300 دونم من الأراضي الزراعية، ولا يسمح له بامتلاك أكثر من 30 دونم داخل مناطق المدن، وكان على المالك أن يكون مقيماً في فلسطين، وأن يقوم بزراعة الأراضي وتحسينها بنفسه¹.

وذكر عيسى السفري **قانون الأراضي المحلولة** أو غير المستثمرة الذي صدر عام 1921م، والذي يهدف إلى سيطرة حكومة الانتداب البريطاني على الأراضي التي لم يزرعها الفلاحون العرب، وخاصة أن أغلبها لم يزرع في سنوات الحرب، فصادرت الحكومة الأراضي بحجة تركها ثلاث سنوات دون زراعة، لوضع التسهيلات أمام اليهود، ولوضع حجر الأساس لبناء الوطن القومي اليهودي².

ولم يذكر المؤرخون **قانون الأراضي الموات** الذي صدر عام 1921م، ونص على أن كل من نقب أرضاً أو زرعها دون أن يحصل على موافقة مدير الأراضي لا يحق له أن يحصل على سند ملكية لها، ويقدم للمحاكمة لتجاوزه القانون الخاص بالأراضي، وبموجب ذلك سيطرت الحكومة على ما نسبته 50-60% من أراضي فلسطين³.

ويذكر عيسى السفري إصدار الحكومة البريطانية **قانون محاكم الأراضي** في 8 نيسان 1921م للبت في ملكية الأراضي والحكم في منازعات الملكية⁴.

وأضاف عيسى السفري وأكرم زعيتر خطوة نورمان بنتويش (Norman Bentwich) في 15 أيار 1921م بتشكيل محاكم للأراضي يرأسها قاضٍ بريطاني وعضو فلسطيني، مهمتها البت في قضايا الأراضي المرهونة لليهود، وخاصة أن معظم الفلاحين الفلسطينيين قد قاموا بالاستدانة من المرابين اليهود مقابل رهن أراضيهم، وبفوائد عالية بعد إغلاق هربرت صموئيل البنك الزراعي العثماني عام 1921م⁵، وعندما عجز الفلاحين الفلسطينيين توجه المرابين اليهود إلى المحاكم مطالبين أن تحكم لهم بنزع ملكية الأراضي المرهونة.

¹ الحزماوي، محمد، ملكية، ص80.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص150.

³ الحزماوي، محمد، ملكية، ص85.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص58.

⁵ م، ن، ص185.

وتحدث عيسى السفري عن نص **دستور فلسطين** الصادر بتاريخ 10 تموز 1922م على أنه يحق للمندوب السامي التصرف بالأراضي العمومية؛ لأنه أمين عن حكومة فلسطين، وأعطت المادة 13 من الدستور صلاحية مطلقة للمندوب السامي في أن يهب أو يؤجر تلك الأراضي، ويحق له أن يأذن بإشغالها¹.

كما لم يتعرض المؤرخون إلى ذكر القانون الذي أصدرته الحكومة البريطانية في 1 آذار عام 1926م وعرف **بقانون الغابات** واستخدم كستار لمصادرة الأراضي العربية، ونقلها لسيطرة البريطانيين، ومن ثم نقل ملكيتها مباشرة لليهود².

وذكر أكرم زعيتر **قانون نزع الملكية** الذي أصدرته سلطات الانتداب في 1 آب 1926م، وأهمل زعيتر ذكر بنود القانون³، الذي أعطى الحق لكل مستثمر يريد إنشاء مشروع ما على قطعة أرض أن يتفاوض مع صاحبها لينشئ عليها مشروعه، وفي حال لم يتوصل لاتفاق يقدم منشئ المشروع عريضة للمندوب السامي والذي يمكنه أن يصدر أمراً بنزع ملكية الأرض من صاحبها أو يعطى الحق للمستثمر بوضع يده على الأرض⁴.

ويذكر أكرم زعيتر ما حدث بموجب هذا القانون حيث أقيمت في مارس 1925م الجامعة العبرية على أرض عربية في جبل الزيتون وقامت السلطات البريطانية بانتزاعها من أيدي أصحابها العرب بالقوة⁵.

وأشار محمد دروزة إلى إصدار الحكومة المنتدبة عام 1928م **قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي**، فقد خضعت ملكية أراضي فلسطين في أواخر العهد العثماني لنظام المشاع، الذي كان يحول دون شراء الصهاينة أراض فيها، وبموجب هذا القانون تم إنشاء مركز لإحصاء أراضي الحكومة وتسوية نزاعات ملكية الاراضي، أو الأراضي التي لها كوشان الملكية من عهد الدولة المنتدبة، ويسمح القانون لكل مالك مهما بلغت حصته أن يحصل على خريطة وسند لحصته أو ملكه، وكانت قضايا هذه المحاكم تطول كثيراً، وتنتهي عادة بتسجيل تلك الأراضي باسم أملاك

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص57.

² الحزماوي، محمد، ملكية، ص89.

³ زعيتر، أكرم، القضية، ص77.

⁴ الحزماوي، محمد، ملكية، ص92.

⁵ زعيتر، أكرم، القضية، ص77.

الحكومة وحرمان أصحابها العرب منها، ويستند الحكم الجائر في ذلك إلى أن الأراضي معطلة، ومن ثم تبقى الأرض باسم الدولة مجرد فترة انتقالية لا أكثر ثم تعود الدولة من بعدها فتسهل انتقال الأراضي إلى اليهود¹.

وذكر محمد دروزة أن حكومة الانتداب ركزت عمليات التسوية في المناطق التي يكثر فيها اليهود ويزداد نشاط شرائهم للأراضي، وفي المناطق التي تكثر فيها الأراضي المشاع، وانحصرت في الغالب في مناطق السهول الساحلية والخصبة والأراضي المروية أو القابلة للري، وذلك بهدف تحقيق المطامع الصهيونية لانتزاع أكبر مساحة ممكنة من الأراضي العربية².

ينبغي الإشارة إلى ما ذكره أكرم زعيتر أن تقرير الكتاب الأبيض عام 1930م دعا إلى تسجيل ملكية الأراضي، معتبراً نظام المشاع العربي التقليدي عقبة في وجه التقدم، وارتأى إلى أنه يجب في كافة الأحوال تقييد نقل الملكية بمخططات الإدارة وموافقتها³.

ويشير محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري إلى إصدار الحكومة عام 1929م قانون حماية مستأجري الأراضي الزراعية، ونص على دفع التعويضات لبعض المستأجرين مقابل خروجهم من الأرض⁴.

وأصدرت الحكومة البريطانية مرسوماً بتعديل الدستور الفلسطيني بتاريخ 7 شباط 1933م، وبموجبه أجاز للمندوب السامي تحويل أراضي الميري إلى أراض ملك، وبذلك تيسر للمندوب السامي أن يمنح لليهود أية أرض يرى أنها مناسبة لإنشاء الوطن القومي اليهودي⁵.

يرى عارف العارف وعيسى السفري أن هربت صموئيل لم يكتف بإصدار القوانين التي سهلت عملية انتقال الأراضي لليهود، بل لجأ إلى تضيق الخناق على الشعب الفلسطيني اقتصادياً

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص97.

² م، ن، ص98.

³ زعيتر، أكرم، القضية، ص90.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، (ص69، ص74). العارف، عارف، تاريخ، ص150. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص131.

⁵ الحزماوي، محمد، ملكية، ص286.

وارهاقه بالضرائب والديون، ففرض ضرائب مباشرة على الدخل التي يتحمل عبئها الافراد¹، مثل ضرائب الحيوانات والعشر والويركر (تعني الخراج أو الجزية أو المال الميري، وتم فرضها بموجب خط كلخانه عام 1839م، وتقسّم إلى ويركو الأملاك، وويركو التمتع)، والمسققات (بدأت الدولة بجبايتها منذ عام 1858م)، ثم استبدلت هذه الضرائب عام 1928م بضريبة الأملاك في المدن²، معتمداً على طريقة التخمين ليُقدر قيمة الضرائب بغض النظر عن وفرة الأمطار وخصب المحصول فوجد الفلاح نفسه يدفع حوالي 25-50% من دخله للضريبة³.

ويعتبر عيسى السفري وأكرم زعيتر أن الوضع ازداد سوءاً عندما منعت سلطات الانتداب تصدير الحبوب والزيت "أساس ثروة البلاد" على الرغم من وفرة المحصول؛ حتى تهبط الاسعار ويعجز الفلاح عن تسديد ديونه وتأدية ضرائبه فيضطر إلى بيع أرضه لليهود⁴.

يرى عيسى السفري أن الفلاح الفلسطيني أُجبر على بيع أرضه نظراً لعبء الضرائب الملقاة عليه، وعدم تمكنه من دفعها، مما اضطره إلى الالتجاء للمرابين اليهود للاستدانة منهم بالفائدة التي يحدونها⁵، ويدعم وجهة نظر السفري ويكملها مقال نشره أحد الفلاحين الفلسطينيين في جريدة فلسطين عام 1930م حيث قال "أنني ابيع أراضي وممتلكاتي لأن سياسة الحكومة تجبرني على ذلك، فهي تطلب مني دفع الضرائب والعشور، في الوقت الذي لا أملك فيه الوسائل الضرورية للحياة لإعالتني وإعالة أسرتي، وفي مثل هذه الظروف أحاول أن اتوجه مستغيثاً إلى الاغنياء للحصول على قرض والذي يجب أن ادفعه في نهاية مدة لا تزيد عن شهرين مع 50% من قيمته كفائدة، ولعدم قدرتي أظل أجدد المدة وتتضاعف الديون التي لم آخذ منها قدراً صغيراً من الفائدة والأموال"⁶.

وأورد محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر السفري اعتراف هوب سمبسون (Hope Simpson) في تقريره "أن الفلاحين العرب في وضع مشين، فهم إلى جانب حاجتهم للأموال اللازمة للزراعة، غارقون في ديون كثيرة، التي تزداد باستمرار نتيجة

¹ العارف، عارف، تاريخ، ص162. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص161.

² العارف، عارف، تاريخ، ص162. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص186.

³ العارف، عارف، تاريخ، ص162.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص185. زعيتر، أكرم، القضية، ص78.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص199.

⁶ جريدة فلسطين، 1930\8\24.

للضرائب الباهظة ومعدلات الفائدة العالية إلى جانب أنهم لا يعرفون كيفية الاستفادة من طرق الزراعة الحديثة التي يمكن أن تساعدهم¹، وقدم Simpson اقتراحات لاستصلاح بعض الأراضي لتشغيل الفلاحين العرب العاطلين عن العمل، ووجه اللوم إلى الوكالة اليهودية لاتباع قاعدة المقاطعة المستمرة ضد العمال العرب بما يتنافى مع نظام الانتداب، ويخلق وضعاً خطيراً في البلاد، كما حدد مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين بـ 6544 ألف دونم مع استثناء منطقة بئر السبع لاستحالة استعمارها، وبذلك يكون نصيب اليهود من هذه الأراضي ما يقارب المليون دونم²، إلا أن أكرم زعيتر علق مستهزئاً بأن الفترة التي أعقبت تقرير سمبسون انتقل الكثير من الأراضي لليهود حتى وصل العدد إلى أكثر من 667 دونم³.

حاول الفلسطينيون الخروج من مأزق الديون والضرائب حسب رأي عيسى السفري وأكرم زعيتر عن طريق إنشاء البنوك التي تخصصت في إقراض الفلاحين وإعمار أراضيهم لزيادة إنتاجها والحفاظ عليها، وربما جاءت هذه الفكرة من تقرير لجنة شو (Shaw) التي أوصت بإحياء البنك الزراعي وإيجاد وسائل لإقراض المزارعين العرب⁴، فأنشئ البنك العربي على يد أحمد حلمي باشا بالاشتراك مع عبد الحميد شومان ومحمد عبده حلمي خلال شهر أيار 1930م، برأسمال قدره 15 ألف جنيه فلسطيني، ثم زيد في سنة 1933 إلى ثلاثين ألف جنيه، وزيد في سنة 1934م إلى أربعين ألف جنيه، إضافة إلى رأسمال احتياطي بقيمة عشرين ألف جنيه⁵.

ونتج عن نجاح هذا البنك بنكين آخرين في سنة 1935م هما البنك الزراعي العربي ورأسماله 200 ألف جنيه، ومركزه القدس وله فروع في طولكرم وغزة والرملة وطبريا وعكا وبيسان، والبنك الصناعي العربي ورأسماله 39 ألف جنيه ومركزه القدس، وهو ما ذكره عيسى السفري⁶.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص72. العارف، عارف، تاريخ، ص151. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص145.

زعيتر، أكرم، القضية، ص89، وبواكير، ج1، ص192.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص (680-682)، والقضية، ج1، ص72. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص145-

ص146. زعيتر، أكرم، القضية، ص88، وبواكير، ج1، ص194.

³ زعيتر، أكرم، القضية، ص99.

⁴ م، ن، ص85.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص186.

⁶ م، ن، ص187.

ويقول محمد دروزة وعيسى السفري لم يقف الفلسطينيون عند هذا الحد، إذ عقدت القيادات الفلسطينية مؤتمر اللجان القومية في 7 أيار 1936م، واتخذ قراراً بالامتناع عن دفع الضرائب للحكومة البريطانية اعتباراً من 15 أيار 1936م؛ وذلك إذا لم تغير الحكومة سياستها في التعامل مع الفلاح الفلسطيني¹.

يُدوّن عيسى السفري ما فعلته حكومة الانتداب لتحسين الوضع الاقتصادي للفلاح من خلال إرسال اللجان، فأرسلت في الأول من أيار عام 1930م لجنة برئاسة المستر جونسون Johnson "نائب مدير المالية"، وعضوية المستر جروسبي Grosby "مساعد حاكم اللواء الجنوبي"، وعينت بوضع التدابير اللازمة لحل مشكلة الضرائب وذلك من خلال قيام الحكومة بعمل تجارب زراعية على مرأى المزارعين وتدريبهم على اتباع أساليب زراعية أفضل من التي يتبعونها، وتأسيس هيئات تعاونية في القدس يعهد إليها إصدار قروض زراعية، والاستعاضة عن ضريبي الويركر والعشر بضريبة أرض واطئة تقرض على أساس قيمة الآجار، وإنعام النظر في إلغاء ضريبة تعداد المواشي عندما توضع ضريبة الدخل موضع الإجراء التام، وتنزيل ضريبة العشر في الأرياف إلى 7 ونصف في المائة، ورفع ضريبة الأملاك في المدن لتلافي هذا النقص، واستعمال ربع ضريبة الدخل لأجل تنزيل ضريبة العشر المستبدلة إلى 50% في الأرياف على أساس المزروعات الصيفية إذا ظلت أسعارها منخفضة².

وأضاف عيسى السفري ما حدث في شهر حزيران عام 1930م، حيث قدم إلى فلسطين السيد ستركلاند (Starkland) "أحد موظفي حكومة الهند" بهدف دراسة الأوضاع الاقتصادية للفلاحين³، وتوصل إلى أن ديون الفلاح ليست فقط عبئاً ثقيلاً عليهم بل أنهم لا يستطيعون تسديد ديونهم، حتى أصبحت جمعيات التعاون والقروض التي تمنحها الحكومة غير قادرة على جعل الفلاح في حالة تمكنه من تسديد ديونه، إضافة إلى ارتفاع معدل الفائدة التي يدفعها الفلاح الفلسطيني إذ تراوحت ما بين (30-200%)، وذكر أنه وجد في بعض القرى التي زارها أن ديون بعض الفلاحين تتراوح ما بين (10-100 جنيه)⁴.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص23، والقضية، ج1، ص124، وفلسطين، ص40. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص41.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، (ص152-153).

³ م، ن، ص153.

⁴ م، ن، ص154.

وذكر عيسى السفري معارضة ستركلاند (Starkland) فكرة البنك الزراعي الذي طالب العرب به لمعالجة مشكلة الديون إذ اتضح له من خلال التجربة في العديد من البلدان أن مثل هذا البنك كان يقرض الفلاحين مقابل رهن الارض، وأورد أمثلة على ذلك من خلال تجربته في مصر وكينيا وشرق الاردن، مبيناً عدم ملائمة هذا البنك للفلاحين الفلسطينيين¹.

وأضاف السفري رأي ستركلاند بأن أفضل الطرق لتخليص الفلاح من ديونه هي تشكيل جمعيات تعاونية في القرى الفلسطينية تقوم بتقديم القروض للفلاحين بفوائد قليلة²، وأن يرافق هذه الجمعيات تأسيس بنك تعاوني مركزي، وتتمحور مهمته في قبول الودائع المالية من الناس، والقروض من الحكومة أو البنوك التجارية، وتقديم القروض للجمعيات الابتدائية³.

أرسلت وزارة المستعمرات المستر لويس فرنش (Louis French) مديراً للتحسين والعمران في فلسطين وفق ما ذكر محمد دروزة وعيسى السفري، تحت اسم "المشروع الانشائي للعمران في فلسطين" في أواخر تموز عام 1931م، ونادى بضرورة إعطاء قروض للمزارعين العرب واليهود، والبحث في مساحة الأراضي القابلة للزراعة، مع مراعاة القدرة الاقتصادية للبلاد بالنسبة للمهاجرة، إلى جانب وضع اقتراحات للتجفيف والري وإحياء الأراضي⁴.

ظلت هذه الاقتراحات التي قدمتها اللجان البريطانية لتحسين وضع الفلاح الفلسطيني مجرد حبر على ورق، إذ استمرت حكومة الانتداب في سياستها القمعية الرامية إلى تجريد الفلاحين من أراضيهم.

لجأت الحكومة البريطانية إلى استخدام القوة عند رفض الفلاح الفلسطيني إخلاء الارض، ويقول محمد دروزة وهو شاهد على المرحلة أن كثيراً من القرى والمزارع التي اشتراها اليهود من الأسر السورية واللبنانية قد أُجلي سكانها الفلسطينيون عنها بالقوة حتى أن بعضهم قد قتل برصاص الانجليز وهم يدافعون عنها⁵.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص154.

² م، ن.

³ م، ن، ص155.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، (ص74-75). السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص156.

⁵ دروزة، محمد، حول، ص92.

واتفق محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر على أن مشكلة أرض وادي الحوارث التي بيعت لليهود من قبل أسرة آل التيان اللبنانية عام 1929م وبلغت مساحته 33 ألف دونم بمبلغ 41 ألف جنيه فلسطيني خير شاهد على ذلك¹، فعندما أراد اليهود وضع اليد عليها بعد شرائها رفض سكانها؛ لأن عملية الشراء أغفلت حقوقهم، ولم يخصص لهم مصدر رزق ولا مأوى يذهبون اليه، ونتيجة لذلك أرسلت حكومة الانتداب 16 شاحنة محملة بقوات البوليس والشرطة وأجلت السكان الراضين بالقوة².

ويكمل عيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر الحديث حول إجلاء عرب الزبيدات عن أراضيهم بالقوة عن طريق قتل الشاب سعيد محمد علي الأحمد بالرصاص عام 1935م³، وإجلاء أهالي قرية العفولة والقرى الخمس المجاورة لها، وكذلك إجلاء أهل قرية طبعون (جنوبي شرقي يافا) وتسليم أراضيهم لليهود⁴.

ينوه محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى أن شراء الأراضي كان يتم عن طريق جمعيات ومؤسسات صهيونية تخصصت بذلك، مع العلم أن المؤرخين ذكروا ذلك بشكل مقتضب ومختصر جداً.

أشار السفري إلى جمعية فلسطين التي تأسست عام 1861 في أوروبا لشراء أراضي واسعة في فلسطين وتقسيمها قطعاً صغيرة⁵.

وذكر أكرم زعيتر جمعية الاستعمار اليهودي الفلسطيني (البيكا) عام 1883م⁶ التي اشترت ما يزيد عن 450 ألف دونم من الأراضي الزراعية الخصبة في القدس وطبريا وصفد والخليل، وبلغت مجموع الأراضي التي بحوزتها حتى عام 1945م نحو 469,407 كان منها 39,520

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص98، وفلسطين، ص11. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص199. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص342. زعيتر، أكرم، القضية، ص96، وبواكير، ج1، ص70.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص98. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص199. زعيتر، أكرم، القضية، ص96، وبواكير، ج1، ص70.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص199. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص164. زعيتر، أكرم، يوميات، ص1.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص199.

⁵ م، ن، ص9.

⁶ زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

دونماً امتيازات حكومية، و429,887 دونماً اشترتها من الملاكين العرب¹، وعملت الجمعية على تشجيع الاستيطان من خلال تسهيلات بيع الأراضي لليهود، وتمحورت حول دفع نسبة صغيرة من تكلفة الأراضي والمواشي، ومدة تسديد الدين خمسون سنة، وحددت الفائدة السنوية ما بين (1-3%) سنوياً².

ويشير عيسى السفري وأكرم زعيتر إلى تأسيس الحركة الصهيونية للصندوق القومي (الكيرن كيميت)³ عام 1907م⁴، وقيل 1910م⁵، الذي تلخص عمله في البحث عن بائعي الأراضي وخاصة الملاك الكبار، وشراء الأراضي وهي خالية من المزارعين المستأجرين، وتجنب عزل المستعمرات، وقد تضاعفت ملكيته من 22 ألف دونم عام 1930م⁶، وإلى 516 ألف دونم عام 1940م⁷، وإلى 860 ألف دونم عام 1944م كلفتها نحو ستة ملايين جنيه، وتمتلك هي الأراضي باسم الشعب اليهودي وتؤجرها للمزارعين اليهود بأجور زهيدة جداً لمدة 49 سنة قابلة للتجديد⁸، وفي عام 1947م وصل إجمالي الأراضي تحت ملكية الصندوق إلى 856 ألف دونم عمل على إعدادها للاستيطان⁹.

وأشار أكرم زعيتر إلى تأسيس شركة إعمار الأراضي الفلسطينية خلال المؤتمر الصهيوني المنعقد في لاهاي عام 1908 بهدف إيجاد الظروف المناسبة لاستثمار الأموال من أجل استيطان المهاجرين اليهود، وشراء الأراضي وتهيئتها للزراعة¹⁰، وقد حصلت الشركة حتى نهاية عام 1935م على 579,492 دونماً¹¹.

¹ الحزماوي، محمد، ملكية، 272.

² م، ن، ص 278.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18. زعيتر، أكرم، القضية، ص68، وبواكير، ج1، ص193.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18.

⁶ الحزماوي، محمد، ملكية، ص278.

⁷ م، ن، ص 279.

⁸ زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

⁹ الحزماوي، محمد، ملكية، ص278.

¹⁰ زعيتر، أكرم، القضية، ص48.

¹¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص198.

ويقول محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن الصندوق التأسيسي الفلسطيني (الكيرن هايسود)¹ الذي تأسس عام 1920م² وقيل 1923م³ اعتبر اليد اليمنى للكيرن كيميت، فبينما كان الأخير يقوم بشراء الاراضي كان الكيرن هايسود يختص بالخدمات العامة والتزويد بالمال من خلال القروض طويلة الاجل لإقامة المستوطنات⁴، ويذكر زعيتر أن مجموع ما أنفقه الصندوق حتى نهاية عام 1945م عشرين مليون جنيه⁵.

ويوضح عيسى السفري دور **الوكالة اليهودية** في شراء مساحات كبيرة من الاراضي، فقد نصت المادة السادسة من صك الانتداب على أن الإدارة البريطانية سوف تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية استيطان اليهود في الأراضي بما في ذلك الأراضي الحكومية والأراضي الخالية وغير اللازمة للاستعمال العام⁶، وذلك من خلال قيامها برفع أسعار الأراضي لإغراء الفلاحين لبيع أراضيهم، وأعربت عن استعدادها إلى دفع أثمان باهظة لتجريد الفلسطينيين من أراضيهم وأملاكهم⁷، فارتفع سعر الاراضي خلال (1920-1925م) نحو ضعفي أو ثلاثة أضعاف الأسعار التي بيعت بها قبل الحرب⁸.

أما على صعيد الحركة المصرفية، فأوضح عيسى السفري ومصطفى الدباغ دور **بنك أنجلو-فلسطين** الذي أسس في لندن عام 1905م بمبادرة من الحكومة البريطانية، في مساعدة اليهود على شراء مساحات واسعة من الاراضي عبر تخصيص مبالغ متاحة للإقراض بفائدة أقل مقارنة بالعرب، وكان للبنك فروع في القدس وصفد ويافا وطبريا وغزة⁹.

رأى عيسى السفري ومصطفى الدباغ أن الحكومة البريطانية دعمت إنشاء المؤسسات التعليمية الزراعية الصهيونية في فلسطين؛ التي سعت إلى خدمة المشروع الصهيوني من خلال عمل الأبحاث الزراعية، وتقوية علاقة اليهود بالأرض وتشجيعهم للاستيطان فيها وزراعتها، فأقيمت

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18. زعيتر، أكرم، القضية، ص68، وبواكير، ج1، ص193.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18.

³ زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18. زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

⁵ زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18.

⁷ البديري، هند، أراضي، ص90.

⁸ م، ن، ص91.

⁹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص18. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص245.

الجامعة العبرية عام 1925م كمركز للأبحاث العلمية¹، وتولى رئاستها الدكتور ماغنس (Magnes)، وتولى حاييم وايزمان رئاسة مجلس الحكام، وأعدت دوائر الجامعة عدداً من الأبحاث العلمية فدرست دائرة علم الحيوان دراسة شاملة عن فئران الحقل، ودرست دائرة الطفيليات ما يصيب الحيوانات من طفيليات وإيجاد لقاحاً له، ودرست دائرة الكيمياء تأثير استخدام المياه المالحة للري على بعض أنواع التربة، واهتمت دائرة الصحة والبكتيريا بدراسة أسباب مرض التهاب الضرع الذي يصيب الإبقار الحلوبة وطريقة مكافحته، ودرست مشكلة انتشار مرض الجدري بين الدواجن وطريقة علاجه، وحاولت اكتشاف مرض سبيروشييتوس الذي يصيب الطيور واكتشاف لقاح لعلاجه².

ورأى مصطفى الدباغ أن المعهد الزراعي الجامعي القومي ارتبط بالجامعة العبرية لتقديم الدورات التدريبية لمدة خمس سنوات لدراسة العلوم الطبيعية، واحتوى المعهد على العديد من الأقسام وهي قسم الحشرات، والتربة، والري، والدواجن، والهندسة الزراعية³.

ويتابع مصطفى الدباغ الحديث حول إنشاء محطة الأبحاث والتجارب الزراعية في رحوبوت عام 1928م، وأشار الدباغ إلى التجارب التي أجرتها وهي ترك الأرض دون زراعة خلال الصيف لإراحتها، وزراعتها في باقي فصول السنة، واستنباط نوع من الحشائش والقمح والشعير لتغذية الماشية⁴.

وأشار الدباغ إلى إنشاء حاييم وايزمان عام 1934م مؤسسة دانيال زيف للبحث العلمي، وتم إجراء أبحاثاً اختصت بطرق زيادة إنتاجية التربة، ومكافحة أمراض النبات والحيوان، وفي عام 1944م تغير مسماه إلى معهد وايزمن للعلوم⁵.

أكد مصطفى الدباغ أن هذه المؤسسات الزراعية ساهمت في زيادة الأراضي المزروعة بالحمضيات والتي قدرها الدباغ عام 1922م بحوالي 32 ألف دونم، امتلك الصهاينة منها عشرة

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص20. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص259.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص20.

³ الدباغ، مصطفى، التعليم، الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص47.

⁴ م، ن، موسوعة، ج7، ص625.

⁵ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص632.

آلاف دونم، ويزرع بالدونم الواحد خمسون شجرة، فامتلك الصهاينة 500 ألف شجرة¹، ثم قفزت المساحة المزروعة بالحمضيات للصهاينة إلى 11,500 دونم عام 1925م، وإلى 17 ألف دونم عام 1926م، وإلى 24 ألف دونم عام 1927م، وإلى 31 ألف دونم عام 1928م، وإلى 46 ألف دونم نهاية 1929م²، وإلى ستين ألف دونم عام 1930م من أصل المساحة الكلية البالغة 110 آلاف دونم في العام نفسه، وأشار الدباغ إلى اهتمام الحركة الصهيونية بزراعة الحبوب إلى جانب اهتمامها بزراعة الحمضيات، فمن بين 903 ألف دونم من الأراضي الزراعية لدى الصهاينة عام 1927م، زُرِع منها 254,600 دونم بالحبوب (28,19%)³.

لم تقتصر عملية انتقال الأراضي لليهود فقط على حكومة الانتداب، فقد ظهر داخل الفلسطينيين أنفسهم سماسرة وخونة سخرُوا أنفسهم لخدمة الحركة الصهيونية، وفقاً لإغراءات مالية، وتمثل عملهم في تقديم بيانات إلى الحركة الصهيونية للمناطق المعروضة للبيع.

ويعطي عيسى السفري مثالاً عملياً حول نشاط السماسرة، حيث ظهر ذلك جلياً خلال بيع أرض في قرية البجعة تبلغ مساحتها أربعة آلاف دونم مقابل ثلاث جنيهاً فلسطينية للدونم الواحد⁴، وانتقد محمد دروزة سعي كبار الحركة الوطنية لتشكيل شركة للمتاجرة بالأراضي⁵.

ولم يتناول مؤرخينا قضية ودور السماسرة في بيع الأراضي لليهود، وقد وصفت جريدة الجامعة العربية أنواعهم فقالت "فمنهم الزعيم الخطير، والوجيه الهمام، والحسيب والنسيب، والوطني الكبير، والأستاذ الجليل، وذو الألقاب الرفيعة، والثروات الطائلة، ناهيك عن أرباب الدرجة الثانية الذين هم أقل وجاهة ولكنهم أكثر حركة وتنقلاً"⁶.

ووردت مقالة في جريدة الكرمل في 20 حزيران 1925م هاجمت السماسرة بالقول "يا سماسرة يا باعة الأراضي ويا أعداء الله والوطن يا من تبيعون أعراضكم ومقدساتكم وبلادكم، أفلا تخجلون؟!"⁷.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص72.

² م، ن، ص73.

³ م، ن، (ص75-76).

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص197.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص90.

⁶ جريدة الجامعة العربية، 1925\6\20.

⁷ جريدة الكرمل، 1925\6\20.

وكتب القنصل الألماني في القدس عام 1933م قائلاً "أن قادة الحركة الوطنية الفلسطينية كانوا يحرضون ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين نهاراً، ويبيعون أراضيهم لليهود ليلاً"¹.

وهاجم أكرم زعيتر من خلال مقال نشره في جريدة الجامعة العربية السماسرة ودعا إلى نشر اسمائهم والتشهير بهم²، وأشار السفري إلى الصحف التي تولت هذا الأمر وهي جريدة الكرمل لصاحبها نجيب نصار³، وجريدة فلسطين لصاحبها عيسى العيسى، وجريدة الجامعة الإسلامية لصاحبها سليمان الفاروقي⁴، وجريدة النفير لصاحبها سهيل زكا، وجريدة الدفاع لصاحبها إبراهيم الشنطي، وجريدة اللواء لصاحبها جمال الحسيني⁵.

ونفى محمد دروزة بيع الفلسطينيين أراضيهم لليهود، وأشار الى أن عرب فلسطين لم يبيعوا طيلة فترة الانتداب البريطاني على فلسطين (1917-1948م) سوى نصف مليون دونم والبائعون ملاك وليسوا فلاحين، ولم يتجاوز عددهم ألف شخص من أصل مليون وربع⁶.

وبالرجوع إلى الجدول التالي يتبين مدى صحة رأي دروزة، حيث تظهر الأرقام أن أكثر من 65% من الأراضي بيعت من قبل العرب غير الفلسطينيين، في حين لا يتجاوز ما تم بيعه من قبل الفلاحين أكثر من 7.5% من مجموع الأراضي التي تم بيعها وتسريبها لليهود.

جدول (2) الأراضي التي تم بيعها وتسريبها لليهود

فترة الشراء	الملاك العرب غير الفلسطينيين	الملاك العرب الفلسطينيين	الفلاحون الفلسطينيون	مجموع المساحة المشتراة
1920-1922م	77,794 دونم ⁷	21,44 دونم	3,900 دونم	103.134 دونم
1923-1928م	171,706 دونم	42,712 دونم	3,260 دونم	217,678 دونم
1928-1932م	42,38 دونم	33,454 دونم	16,940 دونم	92,774 دونم
1933-1936م	6,107 دونم	25,778 دونم	9,265 دونم ⁸	41,150 دونم
المجموع	297,987 دونم	105,384 دونم	33,365 دونم	454,736 دونم

¹ الحزماوي، محمد، ملكية، ص237.

² زعيتر، أكرم، جريدة الجامعة العربية، 14\5\1931.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص212.

⁴ م، ن، ص211.

⁵ م، ن، ص212.

⁶ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص60، وفلسطين، (ص10-11).

⁷ جرار، مروان، مبررات، مجلة الدراسات الاجتماعية، ع35، ص30.

⁸ الحزماوي، محمد، ملكية، ص267.

ويعطي محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر بعضاً من الشواهد التاريخية حول ما باعه الملاك العرب غير الفلسطينيين (الملاك الغائبون) إلى اليهود، فقد باع آل سرسق اللبنانيون أراضي مرج بن عامر بين عامي (1921-1925م)، البالغ مساحته حوالي 400 ألف دونم¹، وباع آل الخوري اللبنانيون أراضي قرية الخريبة على جبل الكرمل والبالغة مساحتها 3850 دونماً²، وباع آل القباني اللبنانيون وادي القباني قرب طولكرم عام 1929م وقدر مساحته 4 آلاف دونم³، وباع آل اليوسف أرضاً قرب الحولة ضمن الحدود السورية تبلغ مساحتها نحو مئة ألف دونم⁴، وباع آل المارديني السوريون بعض أملاكهم في صفد، وباعت أسرة المملوك في صور (لبنان) قرينتين في قضاء عكا، وباعت أسرة الأحذب اللبنانية أراضي لها في فلسطين، وبلغ مجموع ما باعتته هذه العائلات 28 ألف دونم في أوائل الثلاثينات⁵، وباع تجار بيروت أراضي قرية تل الشام جنوبي شرقي حيفا عام 1932م⁶، وأراضي قرية الحارثية شرقي حيفا عام 1935م⁷، كما باعوا أراضي قرية شفية في العام نفسه (ولم يذكر مصطفى الدباغ مساحة الأراضي المباعة)⁸.

لم يورد المؤرخون موضع الدراسة أسماء باعة الأراضي الفلسطينية لليهود رغم انتقادهم الشديد لأفعالهم، وعلى رأسهم القيادات والمخاتير، واكتفى أكرم زعيتر بذكر توغل سلامة عبد الرحمن "ابن رئيس بلدية طولكرم" في سمسة الأراضي العربية لليهود، إضافة إلى بيع عضو في المجلس الإسلامي الأعلى أرضاً لليهود⁹، إلا أن الصحافة الفلسطينية قد أُنبتت في ذكر أسماء هؤلاء الباعة في مناطق غابة عزون وتل أبيب التي تقدر مساحتها بعشرات الدونمات عام 1925م¹⁰.

¹ دروزة، محمد، فلسطين، ص 11. السفري، عيسى، فلسطين، ج 1، ص 198. زعيتر، أكرم، القضية، ص 78.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج 1، ص 198.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج 2، ص 74. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج 3، ص 341.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج 2، ص 522.

⁵ زعيتر، أكرم، بواكير، ج 1، ص 523.

⁶ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج 7، ص 671.

⁷ م، ن، ص 676.

⁸ م، ن، ص 672.

⁹ زعيتر، أكرم، بواكير، ج 1، ص 427.

¹⁰ صحيفة فلسطين، 1930.

وأضافت صحيفة فلسطين بيع الفلسطينيين العديد من الأراضي قرب تل أبيب البالغة 1600 دونم، إلى جانب ما بيع من شفا عمرو لصالح شركة الإيكا الصهيونية وبلغت قيمته 15 ألف دونم¹.

وتذكر صحيفة الكرمل بيع غور بيسان مقابل ثلاثمائة جنيه²، كما بيع في قضاء الرملة مساحات واسعة من الأراضي بلغت 2000 دونم³ وتبين صحيفة الجامعة العربية بيع أرض جبلية قرب مجدل الصادق بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه⁴.

وتشير جريدة الدفاع إلى بيع حوالي 750 دونماً من أراضي قرية ذنابة بجوار وادي القباني⁵، كما بيع ما يقرب 200 دونم إلى اليهود من أراضي القرية ذاتها⁶.

وأشار يوسف نحمانى في كتابه "مذكرات سمسار اراض صهيون" إلى عدد من المناطق التي باعها السماسرة العرب لليهود، فيذكر قصة شرائه جبل الهراوي، وأراضي قرية العديسة وتبلغ 600 دونم وجاحولا والبويزية عام 1938م⁷، وكذلك أراضي قرى ميس الجبل والمطلة والمنارة وقَدَس والمالكية ومعدر وعولم عام 1945م⁸.

ويورد نحمانى أسماء البائعين في المنطقة التي عمل بها، مثل خربة صبح البالغة مساحتها 6 آلاف دونم فأقيمت عليها مستوطننا حانيتا وأيلون⁹، كما بيع في سنة 1939م أراضي قرية الخصاص¹⁰.

¹ صحيفة فلسطين، 1930\6\25.

² صحيفة الكرمل، 1925\12\27.

³ م، ن، 1925\12\29.

⁴ جريدة الجامعة العربية، 1932\3\15.

⁵ جريدة الدفاع، 1934\11\30.

⁶ م، ن.

⁷ نحمانى، يوسف، مذكرات، ص57.

⁸ م، ن، ص77.

⁹ م، ن، ص59.

¹⁰ م، ن، ص58.

وتمكن نحمانى من شراء أراضٍ في الزوية وهونين سنة 1944م¹، وفي صفد، وفي قرية خيام الوليد²، ويذكر قصة شرائه أراضٍ في قرية الغابسية بلغت مساحتها 4 آلاف دونم³.

ينبغي الإشارة إلى أن عمليات البيع والشراء للأراضي الفلسطينية خضعت للتشويه الصهيوني ومثال على ذلك ما كشفته الوثيقة التي عثر عليها الباحث الإسرائيلي "شموئيل غيلر" من الأرشيف الصهيوني تدور حول مزاعم الحركة الصهيونية في شرائها للأرض التي أقيمت عليها مدينة تل أبيب "قيما بعد" من ملاكها الفلسطينيين، فأشار إلى أنها أرض اميرية تم استئجارها بموجب عقد بين البنك الفلسطيني ومجموعة من اليهود عام 1909م⁴.

ومن جهة أخرى أبرز محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتز الدور الذي قامت به الحركة الوطنية الفلسطينية في مواجهة ازدياد بيع الأراض من قبل الفلسطينيين لليهود، بعد فشل عمليات النصح والارشاد التي قام بها أركانها ومؤسساتها المختلفة من خلال الصحف والمجلات والخطب وزيارات العلماء والشيوخ، فأنشئت المجالس والصناديق وعقدت المؤتمرات.

ووفقاً لما أورده المؤرخون يتضح أنه كان لتشكل المجلس الإسلامي الأعلى عام 1932م الدور الأكبر في إنقاذ أراضٍ كثيرة كانت مهددة بالبيع مثل دير عمرو وزيتا والأرض المشاع في قرى الطيبة وعتيل والطيرة، وأوقف البيع في حوالي ستين قرية من قرى يافا⁵.

وتألفت مؤسسات وطنية ساهمت في إيقاف بيع الأراضٍ فأنشئ صندوق الأمة الفلسطيني في كانون الثاني 1932م بإدارة أحمد حلمي باشا حسب ما أشار عيسى السفري وأكرم زعيتز⁶،

¹ نحمانى، يوسف، مذكرات، ص86.

² م، ن، ص99.

³ م، ن، ص59.

⁴ غيلر، شموئيل، سما الإخبارية، مزاعم، <https://samanews.ps/>.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص705، والقضية، ج1، ص79، وفلسطين، ص38. العارف، عارف، تاريخ، ص154. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص166. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص270. زعيتز، أكرم، القضية، ص100، وبواكير، ج1، ص372.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص188. زعيتز، أكرم، القضية، ص99.

وتمكن من إنقاذ أراضي البطيحة شمال شرقي فلسطين البالغة مساحتها ثلاثمائة ألف دونم¹، ونتج عن هذا الصندوق تأسيس الشركة العربية لإنقاذ الاراضي في تشرين الأول 1932م².

ويرى المؤرخون أن المجلس الإسلامي نشط في عقد المؤتمرات للعلماء من مختلف أنحاء فلسطين من أجل تداول أمر منع تسريب ملكية الاراضي لليهود، مثل مؤتمر علماء فلسطين بشقيه الأول عام 1935م³، والثاني عام 1936م⁴، وحملوا نفس الهدف في إصدار فتاوى تحرم بيع الأراضي الفلسطينية لليهود، وتكفير كل من باع أو توسط في عمليات بيع أراض لليهود⁵.

ويُظهر عيسى السفري دور المؤتمرات الفلسطينية وبالتحديد المؤتمر العربي الفلسطيني عام 1919م⁶، والمؤتمر الفلسطيني الخامس عام 1922م، ومؤتمر اللجان الطلابية في يافا 1936م⁷، ومؤتمر بئر السبع الذي عُقد في 16 اذار 1936م⁸، بإيقاف بيع الاراضي لليهود، والضرب على أيدي السماسرة الذين يساعدون الصهاينة على شراء الاراضي⁹.

وذكر عيسى السفري وأكرم زعيتر نشاط الاحزاب الفلسطينية التي تشكلت في الفترة ما بين عامي (1932-1935م) وقدمت مذكرة مشتركة إلى الحكومة البريطانية بتاريخ 26 تشرين الثاني 1935م مطالبة بوقف بيع الأراضي لليهود أولها حزب الاستقلال العربي 1932م، وحزب الدفاع الوطني عام 1934م، والحزب العربي الفلسطيني، وحزب الاصلاح¹⁰، وحزب الكتلة الوطنية عام 1935م¹¹.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص169.

² م، ن، ص182.

³ دروزة، محمد، فلسطين، ص33. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص207. زعيتر، أكرم، القضية، ص100.

⁴ دروزة، محمد، فلسطين، ص34. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص209. زعيتر، أكرم، القضية، ص100.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، (ص207-209). زعيتر، أكرم، القضية، ص100.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص26.

⁷ م، ن، ج2، ص24.

⁸ م، ن، ص28.

⁹ م، ن، ج1، ص85.

¹⁰ م، ن، ص221.

¹¹ م، ن، ص222.

وعرض أكرم زعيتر دعوة المشتركين في مؤتمر أنشاص المنعقد في القاهرة بتاريخ 27 أيار 1946م وضع تشريع في كل دولة عربية يمنع بموجبه بيع أي أرض للصهاينة، واعتبار هذا العمل بمثابة جرم جنائي¹.

وأورد الشكوى التي قدمها المحامي عوني عبد الهادي ممثل الباعة الفلسطينيين إلى دافيد بن غوريون بسبب الاضرار الاقتصادية التي لحقت بالعرب جراء سيطرة اليهود على أراضيهم وقال "ان اليهود يطردون العرب ويملكون أجود الأراضي، ولقد ادخل اليهود للعرب سياسة المضاربات التجارية، فهم يدفعون ثمناً فاحشاً للأراضي، صحيح أن بعض من يبيعون أراضيهم ينشئون بساتين البرتقال ولكن من يضمن أن لا يغري اليهود هؤلاء بأموال كثيرة ويشتروا منهم هذه البساتين"².

ظل الإنجليز على عدم مبالاتهم لما كان من احتجاجات العرب، فأخذت بيوع الاراضي لليهود تزداد في عهد المندوب السامي ارثر واكهوب³، فقد استخدم أسلوباً خبيثاً للتمويه كما ذكر محمد دروزة وعارف العارف، وأظهر عطفه على الفلاح الفلسطيني وخفض الاعشار ثم ألغاهما واستبدلها بضريبة الأرض الموحدة، وشجع الاعمال والمختبرات الزراعية وأقام الولايم للأعيان والفلاحين والبدو، وزار القرى، وأجرى محادثات مع الفلاحين، إلى غير ذلك من الاعمال الثائوية، فاستجاب له الكثير من أعضاء الحركة الوطنية⁴.

أشار محمد دروزة إلى زيادة استيلاء اليهود على الأراضي في عهد ارثر واكهوب، عقب صعود النازية في ألمانيا عام 1933م، وبدأت الحركة الصهيونية في توسيع نشاطها الاستيطاني نحو شرق الأردن⁵، تطبيقاً للمادة الخامسة والعشرين من صك الانتداب التي تنص "على حق الدولة المنتدبة أن تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من مواد الصك التي لا تكون ملائمة للأحوال المحلية الحاضرة في الاقسام الواقعة شرق نهر الاردن، وأن تضع لإدارة هذه الاقسام ما تراه ملائماً لتلك الأحوال من تدابير"، ورأى اليهود في شرق الأردن مساحات شاسعة صالحة

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص180.

² م، ن، ص262.

³ العارف، عارف، تاريخ، ص153.

⁴ م، ن، ص153-154.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص99.

للاستغلال والاستعمار لكونها رخيصة وخالية من السكان، وتقدر مساحتها تسعين ألف كيلو متر، وتعدادها السكاني حوالي أربعمئة ألف، ونصفهم بدو رحل¹.

وأوضح محمد دروزة سعي اليهود إلى وضع يدهم على أراضٍ أُعطيت من قبل الانجليز إلى العاهل الأردني، وبدأت مساعيهم لتأجيرها لهم مدة تسع وتسعين عام، من أجل إعمارها، وبالتالي تتوسع سيطرتهم إلى الضفة الشرقية من الأردن، إلا أن ضجة كبيرة أثيرت حول الموضوع مما أدى إلى انكفاف اليد اليهودية².

في الوقت الذي اشتعلت فيه الثورة الفلسطينية عام 1936م مطالبة بوقف الهجرة، طالبت أيضاً بسن تشريعات تمنع تسريب الاراضي لليهود، فلم تجد سلطات الانتداب أمامها إلا اسكات الفلسطينيين ببعض الحلول المؤقتة، فيذكر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر ما تناولته لجنة بيل الملكية عام 1936م فيما يخص مسألة الأراضي، فإذا رغب أحد أفراد الدولتين ممن يمتلك أراضٍ في الدولة الثانية أن يبيع أرضه وما فيها من الأشجار والمحصولات، فيتوجب على الحكومة القيام بشراء هذه الممتلكات، مع اتخاذ التدابير لمنع شراء اليهود للأراضي في الدولة العربية، ومنع شراء العرب للأراضي في الدولة اليهودية، كما يجب أن تتم تسوية ملكية الأراضي الساحلية الواقعة في الدولة اليهودية خلال سنتين³.

ووفقاً لتقديرات اللجنة رأى مصطفى الدباغ أن صفقات بيع الأراضي لليهود بلغت عام 1933م حوالي 4159 ألف دولار، وارتفعت إلى 8270 ألف دولار عام 1935م، واستثمرت جزءاً من هذه الأموال في المشاريع الصناعية التي ازداد عددها عن 1200 قبل الحرب العالمية الأولى إلى 2200 عام 1936م⁴، في حين استثمر الجزء الأكبر من الأموال في زراعة الأراضي بالحمضيات، حيث سيطر الصهاينة على 120 ألف دونم عام 1933م، وارتفعت إلى 140 ألف دونم عام 1934م من أصل 250 ألف دونم زُرعت بالحمضيات في فلسطين، في حين بلغت المساحة المزروعة بالحمضيات في العام التالي (1935م) حوالي 280 ألف دونم، حاز الصهاينة

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص99. زعيتر، أكرم، القضية، ص61.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص100.

³ دروزة، محمد، فلسطين، (ص44-45). السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص147. زعيتر، أكرم، القضية، ص113.

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص72. زعيتر، أكرم، القضية، ص113.

منها على ما نسبته 57,2%، وحاز الفلسطينيون على 42,8%¹، وبلغت الأراضي المزروعة بالحمضيات خلال سنوات الثورة (1936-1939) حوالي 300 ألف دونم، تمكن الصهاينة من امتلاك 156 ألف دونم مقابل 144 ألف دونم للفلسطينيين²، وفي المقابل ارتفعت مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب عام 1936م إلى 328,600 دونم من أصل 1,392,600 دونم (23,5%)، وفي عام 1936م بلغت قيمة الصادرات من البطيخ 6,642 طن من أصل 81,335 طناً، وفي سياق التوسع اليهودي في الأراضي بلغ ما دفعه اليهود ثمناً للأراضي الفلسطينية المشتراه نحو 1700 ألف جنيه فلسطيني مقابل 72,905 دونم³.

والملاحظ أن مساحة الأراضي المزروعة بالحمضيات تزايدت بشكل سريع خلال العشرينات والثلاثينات؛ وربما يعود ذلك إلى توسع الصهاينة في اتباع أنماط الزراعة المختلطة، وإدخال أنواع جديدة على زراعة الحمضيات مثل الكرفوفت والكلمنتينا، إلى جانب ارتفاع نسبة تصدير الحمضيات إلى الدول الأوروبية، فبلغ مجموع الصناديق المصدرة عام 1939م حوالي 15,264,776 صندوقاً⁴.

ومع ارتفاع مساحة الأراضي الزراعية التي استولى عليها اليهود، أشار مصطفى الدباغ إلى زيادة عدد المستوطنات، فتمكن الصهاينة من إنشاء 105 مستوطنة جديدة خلال الاعوام (1932-1939م)، فوصل بذلك عدد المستوطنات إلى 210 مستوطنة⁵.

يرى عيسى السفري أنه خلال فترة الثورة الفلسطينية (1936-1939م) ازدادت المستوطنات الجماعية (الكيوتز) القائمة على أساس الملكية الجماعية داخل القرية، والمستوطنات التعاونية (الموشاف) فكانت عبارة عن قرى زراعية ذات طابع تعاوني عائلي، فارتفع عددها عام 1939م إلى 103 بعد ما كانت 27 موشافاً في عام 1936م⁶، ونوه مصطفى الدباغ إلى ظهور نوع جديد من المستوطنات وهي مستوطنات حوما ومجدال (السور والبرج)، وأطلق هذا الاسم على عملية

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص74.

² م، ن، ص72.

³ م، ن، (ص72-73).

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص73.

⁵ الدباغ، مصطفى، الاستيطان، مجلة دراسات عربية، ع1، ص36.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص20.

إقامة 52 مستوطنة يهودية محصنة في فلسطين خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939م)، والتي تم إقامتها في أواخر عام 1939م¹.

وفي أثناء اشتعال المرحلة الثانية من الثورة الفلسطينية الكبرى عينت الحكومة البريطانية في أوائل آذار 1938م لجنة برئاسة السير جون وودهيد (John Woodhead) والتي عرفت باسمه، وتوصلت اللجنة وفقاً لما أورده محمد دروزة ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر فيما يخص قضية الأراضي إلى إعطاء الدولة اليهودية قطعة من الأرض طولها 75 كم تقع شمال سهل سارونة شريطة تقاطعها مع أرض عربية في يافا ومع الممر الذي يربط أرض القدس الواقعة تحت الانتداب بالبحر، وبموجب هذه الخطة لا تنتقل إلى الحكم العربي المساحات الأخرى التي اقترحت لجنة بيل الملكية إعطاءها للدولة اليهودية بل تبقى تحت إدارة الانتداب².

وفي أوائل شهر حزيران 1938م قامت اللجنة الفنية بزيارة شرق الأردن والتقت بالأمير عبد الله الذي طرح عليها حلاً للقضية الفلسطينية، تناول فيه موضوع الأراضي، والتي نصت وفقاً لما أورده محمد دروزة وأكرم زعيتر على نفي حق اليهود شراء الأراضي الفلسطينية، ودعا إلى وقف بيعها لليهود والعمل على استعادة ما بيع منها من خلال التبرع بالأموال سنوياً من مختلف البلاد العربية والإسلامية، فهو يرى أن مسألة بيع الأراضي من أهم العوامل التي تدعم الوجود الصهيوني في فلسطين وترسخ وجوده وبالتالي سيتم سيطرة الحركة الصهيونية كلياً على فلسطين³.

يقول محمد دروزة وأكرم زعيتر بعد فشل مؤتمر لندن الصادر 7 شباط 1939م في حل مشكلة الأراضي⁴، أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض عام 17 أيار 1939م وتناول موضوع الأراضي، فقرر تقسيمها إلى أراضٍ يمنع بيعها نهائياً، وأراضٍ يسمح ببيعها، وأراضٍ يسمح ببيعها بعد موافقة المندوب السامي⁵.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص270.

² زعيتر، أكرم، القضية، ص121.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص122. زعيتر، أكرم، القضية، ص97.

⁴ دروزة، محمد، فلسطين، ص65. زعيتر، أكرم، القضية، ص141.

⁵ زعيتر، أكرم، القضية، ص146.

يقول أكرم زعيتر حاولت الحكومة البريطانية الالتزام بتنفيذ سياسة الكتاب الأبيض سواء وافق العرب واليهود أم رفضوا، فأصدرت قانون انتقال الأراضي في 28 شباط عام 1940م¹، وطبقاً لهذا القانون قسمت أراضي فلسطين إلى ثلاث مناطق وتشمل الأولى القسم الجبلي الداخلي والجليل الغربي وجزءاً من منطقة غزة، وتشمل الثانية الحولة وسهل بيسان ومرج ابن عامر، وتشمل الثالثة السهل الساحلي بين يافا وحيفا وعكا².

أشار أكرم زعيتر إلى أن لجنة الانجلو الامريكية أوصت بإلغاء نظام انتقالات الأراضي لعام 1940م، والاستعاضة عنه بنظام يقوم على سياسة حرية بيعها وإجارتها واستعمالها بغض النظر عن العنصر أو الطائفة، وأن يتضمن النظام نصاً يضمن حماية مصالح صغار المالكين والمزارعين المستأجرين حماية وافية³.

وعقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاً في بلودان بتاريخ 8 حزيران 1946م للنظر في تقرير لجنة التحقيق أنجلو - أمريكية، وأوصى بوضع تشريعات قانونية تمنع انتقال الأراضي لليهود، ومقاطعة المؤسسات الصهيونية التي تساعد على تسهيل بيع الأراضي لليهود⁴.

لم تستطع هذه القرارات منع اليهود من الاستيلاء على الأراضي، فقد ازدادت مساحة الأراضي التي استولى عليها اليهود، ويذكر عارف العارف أن مجموع الأراضي التي انتقلت إلى اليهود حتى عام 1945 بلغت 1,501,644 دونماً⁵، في حين ذكر محمد دروزة أن اليهود ملكوا حتى عام 1947م حوالي 1,820,000 دونم (6.6%)⁶، وهو ما يوافق ما ذكره أمين الحسيني أن مجموع الأراضي التي كانت بحوزة اليهود حتى قيام إسرائيل عام 1948 بلغ مليوني دونم⁷، أي ما يعادل (7.7%) من مساحة فلسطين البالغة 27 ألف كم²، بينما بلغ عدد المستوطنات خلال

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص150.

² م، ن.

³ م، ن، ص173.

⁴ دروزة، محمد، فلسطين، ص46. زعيتر، أكرم، القضية، ص182.

⁵ العارف، عارف، أوراق، ج8، ص64.

⁶ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص60، وفلسطين، ص11.

⁷ الحسيني، أمين، حقائق، ص11.

الأعوام (1939-1948م) 78 مستوطنة جديدة على مساحة 1,807,300 دونم¹، وبذلك يكون عدد المستوطنات قد وصل حتى عام 1948م ما يقرب 288 مستوطنة*.

أما فيما يخص الأراضي الزراعية، فلفت مصطفى الدباغ النظر إلى أن مساحة الأراضي المزروعة بالحمضيات تقلصت خلال الأربعينات إلى 250 ألف دونم، امتلك الصهاينة منها 120 ألف دونم عام 1940م، ومئة ألف دونم عام 1945م، وربما يعود ذلك إلى توقف تصدير الحمضيات إلى الدول الأوروبية، وفي عام 1948م عاودت ارتفاعها إلى 125 ألف دونم، بلغ إنتاجها 272,700 طن، وشغلت البيارات المزروعة بالحمضيات حوالي 13 ألف عامل، منهم 7700 عامل صهيوني يقابلهم 5300 عامل فلسطيني².

ولاحظ مصطفى الدباغ انخفاض مساهمة الصهاينة في زراعة الحبوب، فبلغ إنتاجهم عام 1944م حوالي 57,456 طناً، بلغ منها مجموع ما أنتجته الأراضي التابعة للحركة الصهيونية حوالي 5500 طن (9,5% من المحصول العام)، وبلغ إنتاج محصول الشعير ما يقرب 41,482 طناً، منها 6000 طن (14,4% من المحصول العام)، وبلغ إنتاج محصول القطاني (القول، العدس، الذرة، السمسم، الحمص) ما يقرب 1,350 طناً (3%) من الإنتاج العام البالغ حوالي 45,065 طناً، واصل إنتاجهم للحبوب قليلاً نوعاً ما، فبلغ قيمة إنتاجهم عام 1947م حوالي 497,048 جنيه فلسطيني (10%) من أصل 4,900,457 جنيه، فحاز الفلسطينيون على ما نسبته 90%؛ وربما يعود ذلك إلى رخص أسعار الحبوب مقارنة بغيرها، وقلة الطلب عليها في الخارج، وقلة إنتاج الدونم الواحد في فلسطين مقارنة بالدول المجاورة³.

ويطلعنا مصطفى الدباغ على الأهمية التي حظيت بها زراعة الزيتون من قبل الصهاينة، ومع ذلك ظلت زراعتها لصالح الفلسطينيين حتى عام 1945م، وبلغ عددها حوالي 595,405 دونماً، امتلك الصهاينة 7000 دونماً فقط، وقدرت قيمة الإنتاج عام 1947م بحوالي 3,373,555 جنيه فلسطيني، كان منها للصهاينة 53,235 جنيه فلسطيني (1,5%)، وللإسرائيليين حوالي 3,320,320 جنيه فلسطيني (98,5%)⁴.

¹ الدباغ، مصطفى، الاستيطان، مجلة دراسات عربية، ع1، (ص35-37).

* للاطلاع على عدد ومساحة المستوطنات في فلسطين (1914-1946م)، انظر ملحق (4)، ص298.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص277.

³ م، ن، ج4، ص120.

⁴ م، ن، ج6، ص277.

وتحدث مصطفى الدباغ الحديث عن الزراعة الصهيونية للخضراوات، ففي القرن التاسع عشر اعتمد الصهاينة على الفلسطينيين لإمدادهم بالخضراوات الأساسية (البندورة، البطاطا)، ومع بدايات القرن العشرين اهتمت الصهيونية بزراعتها للاستغناء عن الإنتاج الفلسطيني، وبموجب قانون وقاية النبات الذي أصدرته السلطات البريطانية فقد منعت استيراد البندورة إلى فلسطين، وخفضت الرسوم الجمركية عليها، فأغرقت الأسواق بالبندورة المستوردة، بالمقابل رفعت الرسوم الجمركية على البطاطا المستوردة من جنیه إسترليني إلى ثلاث جنيهات على الطن، مما أدى إلى رفع الإنتاج من 2,850 طناً عام 1935م إلى 53 ألف طن عام 1944م، وبلغ إنتاج الصهاينة منها ما نسبته 23,5%¹.

على الرغم من الدعم البريطاني للصهاينة في مجال زراعة الخضراوات، إلا أن الإنتاج الفلسطيني فاق الإنتاج الصهيوني، ووفقاً لإحصائيات مصطفى الدباغ فقد قدرت قيمة إنتاج الأراضي المزروعة بالخضراوات عام 1947م حوالي 6,859,423 جنيه فلسطيني، بلغ إنتاج الصهاينة منها حوالي 1,745.870 جنيه فلسطيني (25,5%)، في حين بلغ إنتاج الفلسطينيين حوالي 5,113,553 جنيه فلسطيني (74,5%)².

وأكد الدباغ على أن زراعة البطيخ بقيت زراعة عربية، فبعد عام 1944م بلغت قيمة إنتاجه 102,502 طن، منه 6,552 طن (6,3%) أنتجته الأراضي الصهيونية، والباقي من إنتاج الأراضي الفلسطينية، في حين بلغت قيمة المنتج من البطيخ عام 1947م حوالي 1,053,605 جنيه فلسطيني، امتلك الصهاينة فقط 83,975 جنيهاً (7,97%)، بينما امتلك الفلسطينيون 969,630 جنيهاً (92.3%)³.

وأخيراً يمكن القول إن سهولة تسريب الأراضي إلى الحركة الصهيونية يعود إلى جملة من الأسباب أهمها رشوة الولاة العثمانيين والمسؤولين البريطانيين بعدهم لتسهيل انتقال الأراضي لليهود، ودفع مبالغ باهظة مغرية لقاء الأراضي المشتراة، والتفاهم والعلاقات السرية بين اليهود ورموز العائلات التي تورطت في بيع الأراضي، واتباع أساليب التحايل والخداع والطرق الملتوية في الحصول على الأراضي.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص210.

² م، ن، ص210.

³ م، ن، ج7، ص28.

الفصل الثالث

قراءة المؤرخين الفلسطينيين للمقاومة
العربية الفلسطينية ضد المشروع الصهيونيّ

الفصل الثالث

قراءة المؤرخين الفلسطينيين للمقاومة العربية الفلسطينية ضد المشروع الصهيوني

سعى المؤرخون الفلسطينيون إلى إثبات التضحية التي قام بها الشعب الفلسطيني في سبيل مقاومة المشروع الصهيوني، وأخذت هذه المبادرة الشعبية تفرض نفسها على القيادة السياسية وتدفعها للجهد، وتدرجت قوة مقاومة هذا المشروع بحسب ازدياد الخطورة العملية له من هجرة يهودية واستيطان وبناء للمؤسسات.

يُرجع مصطفى الدباغ أولى علامات المقاومة الفلسطينية المسلحة إلى عام 1883م، عندما هاجم الفلاحون الفلسطينيون من أبناء قرية الجاعونة قضاء صفد مستعمرة روش بينا¹، وفي السياق ذاته شن الفلاحون المطرودون من أرضهم هجوماً على مستوطنة بتاح تكفا عام 1886م²، وفي أواخر تشرين الأول عام 1888م شهدت مستوطنة غديرة هجوماً عليها³، وخلال فترة (1919-1920م) وقعت هجمات عربية على المستعمرات اليهودية في الجليل الأعلى حيث دُمّرت مستعمرات المظلة وتل حاي وكفار جلعادي، مما اضطر اليهود للفرار⁴.

ويتحدث محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر عن زيادة استياء الشعب الفلسطيني من الامتداد الصهيوني⁵، فشهد عام 1920م أول تحرك شعبي جماهيري واسع، تمثل في **انتفاضة موسم النبي موسى في القدس**⁶، وحدثت الشرارة الأولى عندما كانت وفود القرى محتشدة في القدس يوم 4 نيسان عام 1920م؛ للمشاركة في الموسم الديني السنوي (موسم النبي موسى)⁷، وتولّى عدد من رجالات فلسطين مهمة الخطابة في

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص190.

² الدباغ، مصطفى، الاستيطان، مجلة دراسات عربية، ع1، ص21.

³ م، ن، ص22.

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص240.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37، وفلسطين، ص19. العارف، عارف، تاريخ، ص142. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص40. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص248. زعيتر، أكرم، القضية، ص65.

⁶ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37، وفلسطين، ص19. العارف، عارف، تاريخ، ص142. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص40. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص246. زعيتر، أكرم، القضية، ص65.

⁷ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37. العارف، عارف، تاريخ، ص143. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص40. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص248. زعيتر، أكرم، القضية، ص65.

الحشود، وفي مقدمتهم الحاج أمين الحسيني، وموسى كاظم الحسيني، وعارف العارف، مما زاد من حماس الجماهير¹.

يوضح محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر ما حدث خلال الثورة من اعتداء من قبل اليهود على العلم الفلسطيني في الخليل، فهاجمهم المتظاهرون الفلسطينيون، مما أدى إلى اتساع الاشتباكات في المدن الفلسطينية لتشمل مدينة القدس، واستمرّ الوضع على هذا الحال حتى 10 نيسان 1920م².

ويبيّن محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر دور بريطانيا في خدمة المشروع الصهيوني، عندما عملت على إقالة موسى كاظم الحسيني من رئاسة بلدية القدس، وعينت راغب النشاشيبي، لتشهد فلسطين بعد ذلك صراعات عائلية شديدة (حسينية ونشاشيبيية)³، إضافة إلى إصدار سلطات الانتداب أحكاماً مختلفة بالسجن ضد 23 شخصاً من ضمنهم عارف العارف، وأمين الحسيني، اللذان تمكنا من الفرار إلى شرق الأردن⁴.

يُحصي عارف العارف وعيسى السفري عدد القتلى بعد انتهاء الثورة، والتي تمخضت عن مقتل تسعة يهود وجرح 250 يهودياً، من بينهم 18 إصابة خطيرة⁵، أمّا الفلسطينيون فاستشهد منهم أربعة، وجرح 21 آخرين، وجرح سبعة جنود بريطانيون⁶.

لجأت الحكومة البريطانية إلى تهدئة الخواطر وحول ذلك يذكر مصطفى الدباغ وأكرم زعيتر تكليف الحكومة البريطانية للجنة بالين برئاسة "الجنرال بالين Palin"؛ للتحقيق في أسباب ثورة عام 1920م⁷، وأفادت اللجنة في تقريرها أن الهجوم كان يستهدف الحركة الصهيونية، وأن

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص40. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص249. زعيتر، أكرم، القضية، ص65.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص40. زعيتر، أكرم، القضية، ص65.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37، وفلسطين، ص19. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص41. زعيتر، أكرم، القضية، ص65.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص37. العارف، عارف، تاريخ، ص142. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص45. الدباغ، زعيتر، أكرم، القضية، ص65.

⁵ العارف، عارف، تاريخ، ص142. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص41.

⁶ العارف، عارف، تاريخ، ص142. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص41.

⁷ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص251. زعيتر، أكرم، القضية، ص66.

الوحدات العسكرية (الهاغاناة) التي شكلها فلاديمير جابوتنسكي شكّلت دون معرفة الإدارة العامّة البريطانية وموافقتها، وأضاف زعيتز أن اللجنة حملت الزعماء الصهاينة مسؤولية الاضطرابات في فلسطين، فاليهوديَّ عدُّ مالكاً للأرض بينما يكون الفلاح الفلسطينيَّ أجيراً فيها¹.

يروى محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتز ما حصل على هامش انتفاضة موسم النبي موسى إذ اندلعت ثورة يافا في الأول من أيار عام 1921م²، حيث سعى اليهود إلى التآر لدماء الذين قتلوا في الانتفاضة السابقة، وتمثل ذلك في مظاهرة حاشدة من ثل أبيب باتجاه حي المنشية بيافا تصحبها وتحرسها قوات بريطانية، فتصدى لها شباب الحيّ وردّوها على أعقابها بعد معركة بدأها المتظاهرون، وسقط فيها عدد من القتلى والجرحى³.

ويتابع محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتز الحديث حول ما جرى في اليوم الثاني من أيار حيث عاودت العصابات الصهيونية مهاجمة حي المنشية، ونشبت معركة أخرى استطاع أهالي يافا خلالها أن يردّوا المهاجمين على أعقابهم بعد تكبيدهم الخسائر الموجهة⁴.

وأورد عيسى السفري ما حدث في اليوم نفسه، حيث عمدت العصابات الصهيونية إلى تغيير وجهة عدوانها بالهجوم على قرية العباسية المجاورة ليافا، والقيام بمذبحة ضد الفلاحين الأمنين، فرد أهالي القرى بالهجوم على المستعمرات المجاورة واشتبكت عشيرة أبو كشك مع القوات البريطانية التي كانت تحمي المعتدين الصهاينة⁵.

أما في اليوم الثالث فينوّه عيسى السفري إلى اتساع نطاق الثورة، حيث حاول الشبان المتحمسون مهاجمة مستعمرة بتاح تكفا، فتصدّت لها قوات الحكومة البريطانية بإطلاق النار الكثيف الذي أوقع ستين شهيداً فلسطينياً وعشرات الجرحى، وقد طلبت الحكومة من كل من الزعيم موسى كاظم الحسيني، والمفتي الحاج أمين الحسيني، وبطريك اللاتين تهدئة الخواطر، واتّضح فيما

¹ زعيتز، أكرم، القضية، ص66.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص38، وفلسطين، ص19، ومأساة، ص20. العارف، عارف، تاريخ، ص144. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص67. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص260. زعيتز، أكرم، القضية، ص69.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص38، وفلسطين، ص19. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص67. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص260. زعيتز، أكرم، القضية، ص69.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص38. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص68. زعيتز، أكرم، القضية، ص69

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص68.

بعد أن ذلك كان مجرد خديعة؛ لأنَّ الحكومة أرسلت في طلب قوَّات من قبرص، وحالما وصلت هذه القوَّات نقض البريطانيون سياسة التهدئة وهاجم العرب في يافا والمناطق المجاورة¹.

تدخلَّ الجيش البريطاني في ثورة يافا عام 1921م لصالح اليهود، ويذكر عيسى السفري أن القوَّات البريطانيَّة لاحقت النَّائرين حتى مضارب عرب أبو كشك، فأمهلتهم مدة ساعتين لتسليم أنفسهم مع سلاحهم، ونتيجة لرفضهم اعتقلت السلطات البريطانيَّة الشيخ شاعر أبو كشك، ونسفت بيته، وحكمت عليه بالسجن مدة عشر سنوات، إلى أن تدخلَّ الوجهاء ومشايخ بئر السبع وخفَّضوا الحكم إلى سنتين²، كما فرضت بريطانيا على معظم المدن الفلسطينيَّة (طولكرم، قلقيلية، قاقون، وادي الحوارث، وكفر سابا) غرامة ماليَّة قدرها 6000 جنيه³.

انتهت ثورة يافا في 16 أيار 1921م دون تحقيق أهدافها، وحسب عارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ قُتل 74 صهيونيًّا، وجرح 146 صهيونيًّا أمَّا العرب أهل البلاد فسقط منهم 48 شهيداً وجرح نحو 73 شخصاً⁴، في حين أشار أكرم زعيتر إلى مقتل 50 يهودياً، وجرح 150 آخرين، واستشهد من العرب 50، وجرح 75 عربياً⁵.

أمّنت السلطات البريطانيَّة بعد ثورة يافا بضرورة تشكيل لجنة تحقيق بريطانيَّة (لتهدئة هياج العرب واليهود) برئاسة قاضي القضاة توماس هايكرافت Thomas Haycraft ودعيت باسمه "لجنة هايكرافت Haycraft"⁶، وقرّرت اللجنة أن أسباب الثورة ترجع إلى خطة بريطانيا بإقامة وطن لليهود في فلسطين، وإلى انحياز بريطانيا السافر مع اليهود وعملها على حرمان العرب من حكم أنفسهم بأنفسهم، وهو ما وثَّقه محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر في كتاباتهم⁷.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص68.

² م، ن، ص68.

³ م، ن، ص68.

⁴ العارف، عارف، تاريخ، ص143. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص69. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص260.

⁵ زعيتر، أكرم، القضية، ص69.

⁶ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص38، وفلسطين، ص20. العارف، عارف، تاريخ، ص143. السفري، عيسى، فلسطين،

ج1، ص69. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص261. زعيتر، أكرم، القضية، ص70.

⁷ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص38، وفلسطين، ص20. العارف، عارف، تاريخ، ص143. السفري، عيسى، فلسطين،

ج1، ص69. زعيتر، أكرم، القضية، ص70.

أكد محمد دروزة وعيسى السفري أنّ الحكومة البريطانية في لندن أعربت عن رغبتها في إجراء مباحثات مع الفلسطينيين بشأن الأوضاع في فلسطين، فعقد المؤتمر الفلسطيني الرابع في القدس بتاريخ 25 حزيران 1921م، وقرّر إرسال وفد إلى لندن للدعاية لقضية فلسطين، ومباحثة الحكومة البريطانية، وبالفعل عُقدت عدة مفاوضات رسمية بين الطرفين، ولكنها لم تسفر عن أيّ شيء، فعاد الوفد إلى فلسطين في آب 1922م بعد قضائه سنة هناك¹.

وصف محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر العمل الوطنيّ في فلسطين بين عامي (1922م-1929م) بالركود بشكلٍ عامّ، باستثناء المظاهرات التي قام بها الفلسطينيون عند زيارة آرثر بلفور Arthur Balfour فلسطين عام 1925م، ومظاهرات التأييد للثورة السورية 1925-1927م².

يفسّر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر هذا الركود نتيجة ضعف قيادة الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة، وشراسة الاستعمار البريطانيّ، وزيادة معدلات الهجرة الصهيونيّة إلى فلسطين، وتشكيل المؤسسات العسكريّة الصهيونيّة، ممّا أدى إلى عدم تكافؤ القوى بين الاستعمار الصهيونيّ والانتداب البريطانيّ من جهة والحركة الوطنيّة الفلسطينيّة من جهة أخرى³.

رأى الشعب الفلسطينيّ أنّ الوضع أخذ يزداد سوءاً في بداية عام 1929م، وعلّل محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر ذلك نتيجة زيادة أعداد اليهود في فلسطين، ووصولهم على رؤوس أموال ضخمة نتيجة التسهيلات التي منحتها بريطانيا لهم⁴.

وسط هذا المناخ المتوتر اندلعت ثورة عام 1929م، والتي أطلق عليها محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر "ثورة البراق"، وحدثت الشرارة الأولى في 14 آب 1929م في تل أبيب، حيث نظّم الصهاينة مظاهرة ضخمة بمناسبة ذكرى تدمير هيكل سليمان، ثمّ أتبعوها بمظاهرة أخرى في اليوم التالي في القدس، حتى وصلوا إلى قرب

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص38، ص70. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص80.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص27. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص41. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص264. زعيتر، أكرم، القضية، ص76-77.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص40. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص41. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص259. زعيتر، أكرم، القضية، ص76-77.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص61. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص110. زعيتر، أكرم، القضية، ص80.

حائط البراق، رافعين العلم الصهيوني، وأخذوا ينشدون النشيد القومي الصهيوني "الهاتكفا - الأمل"، مطالبين باستعادة حائط البراق، زاعمين أنه الجدار الباقي من هيكل سليمان¹.

وينظر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر تلا مناسبة "تدمير هيكل سليمان"، ذكرى المولد النبوي الشريف في 16 آب 1929م، وجرت العادة في هذا اليوم عند المسلمين، أن يتوجه أهالي القدس والقرى المجاورة إلى تأدية صلاة الظهر في المسجد الأقصى، وبعد الانتهاء من الصلاة خرج المصلون في مظاهرة ضخمة، متجهين نحو حائط البراق، وحطّوا منضدة لليهود، وأحرقوا بعض الأوراق التي تحتوي على بعض النصوص الصلواتية لليهود والموضوعة في ثقب حائط البراق².

وتناول محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر ما جرى في اليوم التالي (17 آب)، حيث حدث اشتباك بين العرب واليهود، راح ضحيته 11 جريحاً من الطرفين والقضاء على حياة رجل صهيوني، فما كان من سلطات الانتداب إلا أن سارعت إلى اعتقال عدد كبير من الشباب العرب، مع عدد ضئيل جداً من اليهود³.

يقول محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر بعد المساعدة البريطانية لليهود، تحمّس الصهاينة إلى شنّ هجوم على حائط البراق لتثبيت ملكيته لهم، فوصلت الأخبار إلى أهالي القدس، فتدفقوا يوم الجمعة 23 آب 1929م لتأدية صلاة الظهر، وهم مسلّحون بالعصي، فوقع صدام بين الطرفين، وتدخلت السلطات البريطانية مرة أخرى لصالح اليهود، بإطلاق النيران على الفلسطينيين، وأطلقت طائراتها لإخافة العرب، وأدخلت مصفحاتها، وأرسلت نجدات من الشرطة؛ لتعيد الهدوء للمدينة⁴.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص646، والقضية، ج1، ص61، وفلسطين، ص20-21، ومأساة، ص27. العارف، عارف، تاريخ، ص147. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص113. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص264-265. زعيتر، أكرم، القضية، ص81، وبواكير، ج1، ص38.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص647، والقضية، ج1، ص61. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص110. زعيتر، أكرم، القضية، ص82، وبواكير، ج1، ص38.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص647، والقضية، ج1، ص62. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص111. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص265. زعيتر، أكرم، القضية، ص82، وبواكير، ج1، ص38.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص650، والقضية، ج1، ص61. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص111. زعيتر، أكرم، القضية، ص82.

لم تتوقف عملية التصدي للاضطرابات عام 1929م على أهالي القدس فقط، ويعزّر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر دور المدن الأخرى في التصدي للصهاينة، فعمّت المظاهرات معظم المدن الفلسطينية، ففي الخليل قام العرب بهجوم على الحيّ اليهودي، ذهب ضحيته 60 يهودياً، وجرح أكثر من 50 يهودياً، وفي السياق ذاته حاول أهالي نابلس انتزاع الأسلحة من أحد مراكز الشرطة، فأطلقت الشرطة النار عليهم، ونشبت اضطرابات عنيفة، وفي بيسان شنّ العرب هجوماً على اليهود، وفي يافا قامت اضطرابات مماثلة تخللها هجوم على عدة مستعمرات صهيونية، وركز العرب خلال مقاومتهم لليهود على الهجوم على المستعمرات القريبة منهم في مختلف المدن الفلسطينية، وبالتالي تم تدمير ست مستوطنات تدميراً كاملاً خلال يومين (25 و 26 آب)¹.

أشار عيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر إلى ردّ اليهود على العرب من خلال شنّ عدّة غارات في الحيّ القديم في حيفا، رافقها عدة غارات على ضاحية هادار هاكرمل قرب حيفا، وفي يافا قامت الشرطة بصدّ هجوم عربيّ مستخدمة النّار، فقُتِلَ إمام أحد المساجد وستة من العرب²، وفي القدس هاجم اليهود يوم 26 آب مسجد عكاشة وهو مسجد قديم العهد، فأصابوه بأضرار بالغة، وانتهكوا قدسيّة الأضرحة التي يضمّها³، فهاجم العرب الحيّ اليهودي في صفد في 29 آب 1929م، وقتلوا عشرين يهودياً، وجرحوا 25 آخرين⁴.

وفي نهاية شهر آب 1929م بدأت الحالة تتّجه إلى الهدوء باستثناء بعض الهجمات والحوادث، وأسفرت الثورة حسب إحصاءات محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر عن مقتل 133 يهودياً وجرح 239 من بينهم 198 إصابتهم بالغة، أمّا العرب فقد قُدموا 116 شهيداً في حين بلغ عدد جرحاهم 232 شخصاً⁵، ودمرت القوّات البريطانيّة عدة قرى مثل لفتا ودير ياسين⁶.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، 657، والقضية، ج1، ص63. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص114. زعيتر، أكرم، القضية، ص82، وبواكير، ج1، ص42.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص114. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص266.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص114. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص266. زعيتر، أكرم، القضية، ص82، وبواكير، ج1، ص40.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص114. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص267. زعيتر، أكرم، القضية، ص82.

⁵ دروزة، محمد، فلسطين، ص21. العارف، عارف، تاريخ، ص148. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص115. زعيتر، أكرم، القضية، ص82، وبواكير، ج1، ص42.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص115. زعيتر، أكرم، القضية، ص82.

أبرز عيسى السفري وأكرم زعيتر الدعم البريطاني لليهود إثر ثورة البراق، فقَدَّمت إلى المحاكمة ما يزيد على ألف شخص، أكثر من 900 منهم من العرب، فاتَّهم العرب مسؤول العدالة في فلسطين نورمان بنتويش بالظلم والتحيز الفاضح¹، وقد أصرت السلطات البريطانيَّة على إعدام ثلاثة من العرب هم عطا الزير، ومحمد جمجوم، وفؤاد حجازي، ونفَّذ الحكم فيهم يوم الثلاثاء 17 حزيران 1930م في سجن عكا²، وطبقت السلطات البريطانية أحكام قانون العقوبات المشتركة على سكَّان المدن والقرى التي اشتركت في الهجوم المنظم على اليهود وفرضت عليهم غرامات كبيرة³.

استنتج عيسى السفري وأكرم زعيتر أنَّ ثورة عام 1929م أسفرت عن حقيقة أساسية مفادها أنَّ القوات البريطانيَّة في فلسطين لم تكن إلَّا لتحقيق المطامع الصهيونيَّة في إنشاء الوطن القومي اليهودي، وحماية اليهود، لذلك صمَّ العرب على مواجهة الصهاينة والبريطانيين بسلاح المقاطعة الاقتصادية لمدة ستة أشهر، إلى جانب اشتعال الثورة ضدَّ الصهيونيَّة خارج فلسطين، فظهرت بوادر تشكيل خلايا فدائيَّة يصل إليها المتطوِّعون والأسلحة من الأردن وسورية ولبنان والعراق، الأمر الذي أثار قلقاً شديداً في الدوائر البريطانيَّة⁴.

لجأت الحكومة البريطانيَّة إلى تهدئة موجة السخط والاستياء التي انتشرت بين العرب، فشكَّلت لجنة برلمانية عرفت باسم "لجنة شو Shaw"، نسبة إلى رئيسها "والتر شو Walter Shaw"، للتحقيق في أسباب ثورة عام 1929م، وقد وصلت اللجَّة إلى فلسطين في 23 أيلول 1929م، وانتهت من تقريرها في 6 آذار 1930م، وعزت السبب الرئيس للأحداث إلى شعور العرب بالعداء والبغضاء لليهود، وهو شعور نشأ من خيبة أمانهم السياسية والوطنية، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي نتيجة الهجرة اليهودية وشراء الأراضي، وأن وعد بلفور ما هو إلا تعهدات مزدوجة يصعب القيام بها في وقت واحد، وأنَّه منافع لحقوق الشعب العربي الطبيعيَّة، وأنَّ الصعوبات التي تعانيها حكومة فلسطين تتفاقم بسبب ما يشعر به الفلسطينيون من النفور لعدم تمتعهم بشيء من الحكم الذاتي، إضافة إلى عدم امتلاكهم وسيلة للاتصال بالحكومة البريطانيَّة

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص115. زعيتر، أكرم، القضية، ص86.

² العارف، عارف، تاريخ، ص148. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص115. زعيتر، أكرم، القضية، ص86، وبواكير، ج1، ص170.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص115. زعيتر، أكرم، القضية، ص86.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص125. زعيتر، أكرم، القضية، ص82، وبواكير، ج1، ص496.

مباشرة بخلاف اليهود، وهو ما ذكره محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر¹.

وأوصت لجنة شو حسب ما أشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر بأن تقوم بريطانيا بإصدار بيان صريح عن السياسة التي تنوي أتباعها في فلسطين وبالتالي تفسير المعنى المقصود بأحكام صك الانتداب وخاصة فيما يتعلق بصيانة حقوق الطوائف غير اليهودية في فلسطين، وإيضاح أهمية قيام الحكم الذاتي في فلسطين، وتشكيل لجنة دولية من قبل مجلس عصبة الأمم لتحديد حقوق العرب واليهود في حائط البراق².

يقول محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر وافقت عصبة الأمم على تأليف لجنة ثلاثية لدراسة مسألة البراق، وتألقت من سويدي، وهولندي، وسويسري، ووصلت اللجنة إلى فلسطين أواخر شهر أيار 1930م، واستمعت إلى شهادات العرب من مختلف الأقطار العربية، فأصدرت اللجنة تقريرها وأرفقته بكتاب أبيض، واعترف التقرير بملاكية المسلمين لحائط البراق، كونه جزءاً من الحرم الشريف، وتقتصر زيارة اليهود على الوجه المحدد لهم منذ الاحتلال من دون ستائر وأبواق، مكتفين بجلب أدوات محددة للعبادة وفي أوقات معينة³.

بعد انتهاء ثورة البراق آمن الشعب الفلسطيني أن أسلوب الاحتجاج والتظاهر لا يجدي نفعاً، فلا بد من اللجوء إلى العصابات المسلحة، وبالفعل شكل الفلسطينيون أول تنظيم مسلح عُرف باسم **عصابة الكف الأخضر** في تشرين الأول عام 1929م بقيادة أحمد طافش من أهالي مدينة صفد⁴.

تجاهلت معظم المؤلفات التي بحثت في تاريخ فلسطين هذه الحركة بما في ذلك كتابات محمد دروزة وعيسى السفري، بينما اكتفى أكرم زعيتر بذكر شيء بسيط عن أحمد طافش⁵، وهذا

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص(670-673)، والقضية، ج1، ص67، وفلسطين، ص22. العارف، عارف، تاريخ، ص149. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص128. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص268. زعيتر، أكرم، القضية، ص83، وبواكير، ج1، ص57.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص672، والقضية، ج1، ص68. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص129. زعيتر، أكرم، القضية، ص83.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص694، والقضية، ج1، ص77. العارف، عارف، تاريخ، ص148. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص139. زعيتر، أكرم، القضية، ص86، وبواكير، ج1، ص187.

⁴ الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ، ص208.

⁵ زعيتر، أكرم، وبواكير، ج1، ص121.

يتوافق مع ما كتبه جميل عرفات في سلسلته من ذاكرة الوطن "لقد تغاضى المؤرخون عن التعرض لتوثيق بعض الحركات الشعبية والثورات الفلاحية مثل أحمد طافش 1929م، ومصطفى علي الأحمد 1931م، وأبو جلدة والعرميطي 1932م، 1934م، وأعتقد أن سبب ذلك عدم التنسيق بين هذه الحركات التي مركزها وعمدتها الثورة، والقيادات السياسية التي خشيت على مراكزها من هذه الحركات"¹.

ويذكر أن عبد الوهاب الكيالي لجأ إلى الأرشيف الإنجليزي ليكتب عن هذه الحركة فقال "من أبرز الدلائل على الحالة النفسية الفلسطينية وعمق الأثر الذي خلفته أحداث عام 1929م ظهور عصابة مسلحة في منطقة صفد-عكا-سمخ، وكانت تتألف من 27 شخصاً اشتركوا بصورة علنية في ثورة البراق، لذلك اضطر أفرادها إلى الالتجاء إلى التلال المحاذية للحدود السورية، وكان ظهور عصابة تشن الهجوم على الجيش والبوليس البريطاني والمستعمرين اليهود أمراً جديداً"².

بدأت عصابة الكف الأخضر نشاطها فور تشكيلها، ووثق عبد الوهاب الكيالي أعمالها الأولى عندما شنت هجوماً على الحي اليهودي في صفد، وكررت هجومها مرة أخرى في منتصف تشرين الثاني 1929م حيث أصبحت أكثر قوة بعد انضمام عدد من الثوار السوريين لها³.

أرسلت الحكومة البريطانية مساعدات وتعزيزات من الشرطة إلى صفد، مما أدى إلى ذهاب رجال عصابة الكف الأخضر إلى عكا لنصب الكمائن لدوريات الشرطة والجيش البريطاني، فقامت بريطانيا بحشد قوات كبيرة من الجيش لرصد حركات الثوار، فتمكنت القوات البريطانية من إلقاء القبض على أحمد طافش، فتوقف نشاط العصابة عام 1930م⁴.

أشار محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر إلى توقف المقاومة الفلسطينية خلال الأعوام التي أعقبت انتهاء عصابة الكف الأخضر (1930-1933م)، إلا أن اللجنة التنفيذية قررت عم الإضراب في فلسطين وتسيير مظاهرات في 27 تشرين الأول 1933م، فخرجت مظاهرة كبيرة في يافا، فنشب اشتباك بين الفلسطينيين المتظاهرين والشرطة

¹ عرفات، جميل، من ذاكرة، ص20.

² الكيالي، عبد الوهاب، الموجز، ص137-138.

³ م، ن، ص138.

⁴ م، ن، ص141.

البريطانية، ما لبث أن تحول إلى مواجهات عنيفة أدت إلى استشهاد 30 فلسطينياً، وإصابة 60 آخرين، كان أحدهم موسى الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية الذي تلقى كدمات، ذكر أنها أدت إلى وفاته عام 1934م¹.

على إثر مظاهرة يافا قامت مظاهرات عنيفة في بقية المدن الفلسطينية، وحدثت مواجهات بين السلطات البريطانية والفلسطينيين في حيفا ونابلس والقدس، وحسب إحصائيات عيسى السفري وأكرم زعيتير استشهد في القدس ويافا 35 عربياً، وجرح 255 آخرون²، أما المصادر البريطانية فأشارت إلى استشهاد 26 عربياً، وجرح 187 آخرين، وقتل شرطي بريطاني واحد³.

ويقول محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتير أن عز الدين القسام رأى أن الوضع أخذ يزداد سوءاً في فلسطين فقرر إعلان الثورة في تشرين الثاني عام 1935م بعد عشر سنوات من التنظيم والإعداد السري الجهادي، وكان معه 200 مقاتل، فيما هناك 800 من الأنصار⁴.

يرى محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتير أن عز الدين القسام مهد الطريق للثورة المسلحة ضد الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية من خلال نشر الثورة في مختلف المناطق سواء في المدن أو الريف، وتركيزه على عقد الحلقات السرية مع الجنود والمسليحين الفلسطينيين، وبالفعل فقد تمكن من تشكيل مجموعة قيادية، لكل منهم مهمة خاصة، وتشمل الدعوة، والتدريب، والاستخبارات والمعلومات، والعلاقات الخارجية، والأموال والتبرعات، والنشاط العسكري السري والعلني⁵.

وفي 20 تشرين الثاني 1935م خطط عز الدين القسام وجماعته للهجوم على إحدى المستعمرات اليهودية تدعى "بيت ألفا"، إلا أن قوات كبيرة من الشرطة البريطانية طوقت القسام ومجموعة من

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص112، وفلسطين، ص30-31. العارف، عارف، تاريخ، ص154-155. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص188-189. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص273. زعيتير، أكرم، القضية، 97، وبواكير، ج1، ص313.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص192. زعيتير، أكرم، القضية، ص98.

³ علوش، ناجي، المقاومة، ص40.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص862، والقضية، ج1، ص120، وفلسطين، ص36-37. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص214. زعيتير، أكرم، القضية، ص101، ويوميات، ص27.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص864، والقضية، ج1، ص120، وفلسطين، ص37. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص214. زعيتير، أكرم، القضية، ص101، ويوميات، ص28.

رفاقه في أحراش بلدة يعبد، واستمرت المعركة مدة أربع ساعات ونصف¹، وحسب عيسى السفري وأكرم زعيتر فإن البريطانيين خسروا 15 رجلاً، لكن التقارير البريطانية أشارت إلى مقتل شرطي واحد وجرح آخر، وقد استشهد في هذه المعركة الشيخ القسام نفسه واثنان من رفاقه، كما قبض على ستة آخرين².

ويؤكد محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن استشهاد عز الدين القسام كان له الأثر الأكبر في اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م، فبعد وفاته قامت جماعته الجهادية باختيار قائد جديد لها وهو الشيخ فرحان السعدي³، وبدأت بشن هجماتها فور تشكلها، ففي 15 نيسان 1936م قام فرحان السعدي وجماعته بقتل اثنين من اليهود وجرح ثالث على طريق طولكرم - نابلس⁴.

ويتابع محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر القول حول ما جرى في اليوم التالي (16 نيسان) عندما اغتال اليهود اثنين من العرب رداً على الهجوم العربي الأول، فتصاعدت الصدامات بين العرب واليهود في 19 نيسان في يافا، والتي أدت إلى مقتل تسعة من اليهود، وجرح 45 آخرين، وقُتل من العرب اثنان، وجرح 28 آخرون⁵.

نتيجة التوتر الذي ساد البلاد، أشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى أن الحكومة البريطانية أعلنت منع التجول في يافا وتل أبيب من الساعة السابعة مساءً حتى الخامسة من صباح اليوم التالي، كما أعلنت حالة الطوارئ في جميع المدن الفلسطينية وقرائها⁶، مما أدى إلى اتساع المقاومة الفلسطينية من قبل عدة حركات مثل **عصابة الكف الأسود** التي انبثقت عن

¹ دروزة، محمد، فلسطين، ص38. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص214.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص214. زعيتر، أكرم، القضية، ص102.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص121، وفلسطين، ص38. العارف، عارف، تاريخ، ص155. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص9. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص279. زعيتر، أكرم، القضية، ص102، وبواكير، ج1، ص792.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص121، وفلسطين، ص38. العارف، عارف، تاريخ، ص155. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص9. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص279. زعيتر، أكرم، القضية، ص102، ويوميات، ص60.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص11، والقضية، ج1، ص122. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص9. زعيتر، أكرم، القضية، ص102.

⁶ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص11، والقضية، ج1، ص130. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص11. زعيتر، أكرم، القضية، ص102.

مجموعات الشيخ عز الدين القسام بقيادة سرور برهم، وتمثل نشاطها في البداية في حيفا إلى أن شمل جميع المدن الفلسطينية، وهدفت إلى اغتيال رجال العصابات الصهيونية، وتصفية سماسرة الأرض، ومهاجمة الحاميات البريطانية¹، وذكر أكرم زعيتر في يومياته اغتيال العصابة لأحمد نايف أحد الضباط العملاء للإنجليز².

وأشار أكرم زعيتر إلى اللجنة القومية غير الحزبية التي شكلها بنفسه مع مجموعة من الشباب المثقفين في 20 نيسان 1936م في نابلس، التي دعت إلى الإضراب العام في فلسطين، وأن يستمر إلى أن تعلن السلطات البريطانية استجابتها للمطالب الفلسطينية³، وفي 25 نيسان عاودت الأحزاب الفلسطينية اجتماعها برئاسة الحاج أمين الحسيني، وأجمعوا على ضرورة تنفيذ الإضراب ونشر الثورة في جميع المدن والقرى الفلسطينية⁴.

بدأ الإضراب الشامل في يافا ورافقه مظاهرات واشتباكات امتدت من نابلس حتى القدس، وأشار محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر إلى توحيد القيادة الفلسطينية بتشكيل اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني في 25 نيسان 1936م⁵، وأعربت عن إصرارها على استمرار الإضراب، ونادت بمطالب الشعب الفلسطيني في إنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي، ورفض إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين⁶.

استمر الإضراب مدة ستة أشهر، وأشار محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى تبني الشعب الفلسطيني خلاله سياسة العصيان المدني بالامتناع عن دفع الضرائب اعتباراً من 15 أيار 1936م، واجتاحت المظاهرات معظم المدن الفلسطينية (يافا، نابلس، الرملة، عكا)⁷.

¹ علقم، نبيل، تاريخ، ص 86.

² زعيتر، أكرم، يوميات، ص 148.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج 2، ص 15. زعيتر، أكرم، القضية، ص 102، ويوميات، ص 64.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج 1، ص 123. السفري، عيسى، فلسطين، ج 2، ص 22. زعيتر، أكرم، القضية، ص 103، ويوميات، ص 64.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج 2، ص 15-16، والقضية، ج 1، ص 122، وفلسطين، ص 38-39. العارف، عارف، تاريخ، ص 156. السفري، عيسى، فلسطين، ج 2، ص 22. زعيتر، أكرم، القضية، ص 103، ويوميات، ص 76.

⁶ دروزة، محمد، مذكرات، ج 2، ص 16، والقضية، ج 1، ص 122. العارف، عارف، تاريخ، ص 157. السفري، عيسى، فلسطين، ج 2، ص 22. زعيتر، أكرم، القضية، ص 103، ويوميات، ص 76.

⁷ دروزة، محمد، مذكرات، ج 2، ص 22، والقضية، ج 1، ص 124، وفلسطين، ص 40. العارف، عارف، تاريخ، ص 157. السفري، عيسى، فلسطين، ج 2، ص 41. زعيتر، أكرم، القضية، ص 103، ويوميات، ص 82.

وفي المقابل ذكر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر حملة الاعتقالات الواسعة التي مارستها السلطات البريطانية في معظم المدن الفلسطينية، ففي 15 أيار 1936م أعلن المندوب السامي أنه تم إلقاء القبض على أكثر من 600 شخصاً، وفي 23 أيار اعتقلت السلطات البريطانية 61 عربياً من مختلف أنحاء البلاد، حيث أجبر معظمهم على البقاء تحت مراقبة البوليس في غير المدن التي كانوا يقطنونها، ومع تزايد أعداد المعتقلين انشأت الحكومة البريطانية معتقلاً في عوجا الحفير في الصحراء على مقربة من الحدود المصرية (بعيداً عن العمران)، ثم أنشأت معتقلاً آخر في صرفند قرب مدينة الرملة (مركز الجيش والقوة الجوية)¹.

بدأ الفلسطينيون يستعدون لخوض ثورة عارمة، وذكر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر الإمدادات التي وصلت إلى الفلسطينيين من الثوار العرب (العراق، وسوريا، وشرق الأردن) التي قدرت بحوالي 250 رجلاً على رأسهم فوزي القاوقجي، الذي تولى قيادة الثورة ونظم الشؤون الإدارية للمخابرات، وأقام محكمة للثورة، وأسس غرفة للعمليات العسكرية².

أخذت العمليات الثورية المسلحة بالانتشار في معظم أرجاء فلسطين خلال المرحلة الأولى للثورة، وقيل إنها وصلت أربعة آلاف عملية³، وأولى العمليات التي أشار إليها عيسى السفري هي معركة نور شمس التي وقعت في 23 أيار 1936م، واعتقلت السلطات البريطانية زعيم منطقة طولكرم "سليم عبد الرحمن"، ورداً على ذلك هاجمت مجموعة من المسلحين العرب فرقة من الجنود البريطانيين في نور شمس بطولكرم، راح ضحيتها اثنان من الضباط البريطانيين، إضافة إلى استشهاد اثنين من العرب⁴.

أشار محمد دروزة وعيسى السفري إلى اتساع حملة الاعتقالات التي قامت بها السلطات البريطانية، ففي 7 حزيران 1936م ألقت القبض على عوني عبد الهادي وزج به في معسكر الاعتقال في صرفند، كما لاقى خليفته في المنصب محمد دروزة المصير نفسه، فوصل بذلك عدد المعتقلين في نهاية حزيران 1936 إلى 400 معتقل⁵.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص28، والقضية، ج1، ص132. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص45-46. زعيتر، أكرم، القضية، ص105.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص134. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص123. زعيتر، أكرم، القضية، ص106، ويوميات، ص156.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص63.

⁴ م، ن، ص58، وص63.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص40-41، والقضية، ج1، ص132-133. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص45.

ويرى عيسى السفري وأكرم زعيتر أن الأمر ازداد سوءاً عندما قامت سلطات الانتداب بتتقيح أنظمة الطوارئ ونشرها في عدد خاص من الوقائع الفلسطينية "جريدة الحكومة الرسمية" في منتصف حزيران 1936م¹، وبموجب تلك الأنظمة اعتُبر "كل شخص يطلق النار على أي جندي أو رجل بوليس، أو يلقي قنبلة، أو يعطلّ عمل ميناء أو سكة حديد أو محطة كهرباء، أو طريق عام، أو يخرب أي مادة أو ملك مما يخص أي ميناء، أو سكة حديد، أو محطة كهرباء أو طريق عام، أو يخرب أي خط تلفون أو تلغراف، أو يعطلّ أو يعرض للخطر سلامة أي باخرة أو طائرة أو مركبة اعتُبر مجرماً، وإذا ثبت أنه ارتكب إحدى هذه المخالفات يحكم عليه بعد إدانته أمام محكمة الجنايات الكبرى إما بالإعدام أو بالسجن المؤبد"، كما أشارت تلك الأنظمة إلى أن "كل جريمة ترتكب قرب أي بلدة أو قرية أو بيت، وكان من أسباب ارتكابها إحداث خسارة أو ضرر لأي ملك، واعتقد حاكم اللواء أن سكان تلك البلدة أو القرية أو البيت قد ارتكبوا هذا الجرم أو تسببوا في إيقاع الخسارة أو الضرر، أو ستروا على الجرم، أو امتنعوا عن تقديم المساعدة لاكتشاف المرتكب، والقبض عليه، فإنه يجوز للحاكم أن يفرض على سكان هذه البلدة أو القرية أو البيت غرامة مشتركة إما نقداً وإما بأخذ دواب أو غنم أو ماعز، أو أي حيوانات أخرى أو حبوب أو أي محصولات زراعية، كما يجوز لحاكم اللواء أن يضع يده بالنيابة عن المندوب السامي، على أي بيت أو بناء أو عمارة اقتنع أنه أطلقت منها رصاصات أو قنبلة أو أي مواد أخرى قابلة للالتهاب، كما يجوز له بعد الحصول على أمر من المندوب السامي أن يضع يده على أي بناء اعتقد أن سكانه قد ارتكبوا أو ساعدوا على ارتكاب عمل تخريبي، ومن ثم أن يأمر بهدمه أو بالتصرف فيه كيف شاء"².

بناءً على قانون الطوارئ، شرعت السلطات البريطانية بنسف ما تختاره من بيوت المدن والقرى بالديناميت وتفرض عليها ما تشاء من غرامات، وخلال أشهر الإضراب نسفت السلطات عدداً كبيراً من البيوت في مدن اللد، والخليل، ونابلس، وغزة، والمجدل، وصفد، وبيت لحم، وخان يونس، وقلقيلية، وفرضت غرامات مالية كبيرة على سكانها وهو ما وثقه محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر³.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص46. زعيتر، أكرم، القضية، ص106.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص46-48.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص133. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص73. زعيتر، أكرم، القضية، ص125.

وكان أوضح مظهر لإجرام السلطات البريطانية على حد وصف محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ هو نسف البلدة القديمة في مدينة يافا، فعندما وجد الثوار ملجأ لهم في أزقتها الضيقة ومنازلها القديمة المتلاصقة، قررت الحكومة وضع حد لتواجدهم فيها¹، وفي صباح 16 حزيران 1936م فوجئ سكان البلدة القديمة بطائرة حربية تحوم فوق المدينة وتلقي عليهم منشوراً جاء فيه "أن الحكومة على وشك البدء في مشروع يرمي إلى توسيع وتحسين المدينة القديمة في يافا، وذلك ببناء طريقتين وستكون الخطوات الأولى الضرورية هدم وإزالة بعض الأبنية المزحمة وغير الصحية"، وأضاف المنشور "أن الحكومة ستدفع تعويضات لأصحاب الأملاك وستتظر في كل حالة على حدة وحسب استحقاقها، ولكن إذا حصلت مقاومة، فإن الجيش سيستعمل القوة للقيام بالعمل"².

وفي 18 حزيران 1936م حشدت بريطانيا في المدينة نحو 1200 جندي ورجل شرطة، وحضر حاكم اللواء الجنوبي وقائد حامية يافا ومدير البوليس للإشراف على عملية نسف البيوت، واستلم الجيش زمام المحافظة على أمن الطرق الموصلة إلى المدينة بعد أن سدّها بالأسلاك الشائكة، وكان ذلك اليوم من أروع الأيام التي مرت على يافا، ورأى عيسى السفري ومصطفى الدباغ أن العملية أسفرت عن نسف 220 بيتاً تسكنها 450 عائلة، ونسف 850 براكية خشبية يسكنها 4000 شخصاً، وإلحاق الضرر بأمكن العبادة وخاصة كنيسة الخضر بحي العجمي، وكنيسة دير الروم، وكنيسة دير اللاتين، ومسجد الشيخ رسلان، وتشريد ما يقرب من 6 آلاف نسمة³، وقد ادّعى أورمسي غور Ormsby Gore "وزير المستعمرات" أمام مجلس العموم في 24 حزيران "أن نسف البلدة القديمة في يافا كان لشق طريقتين جديدين للميناء، وأنه قد تمّ تقديم تعويضات مناسبة لأصحاب البيوت التي نسفت"، ورفض في أول تموز قبول الاتهام الموجه إلى القوات البريطانية بتخريب ونهب البيوت في أثناء التفتيش عن الأسلحة، لكنه اعترف أن ذلك كان "لضرورة الأمن العام" غير أن مايكل ماكdonnell Michael McDonnell "قاضي القضاة البريطاني في المحكمة العليا في القدس" أصدر في 3 تموز 1936م قراراً بشأن

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص133. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص75. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص272

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص133-134. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص76. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص272.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص77. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص274. زعيتر، أكرم، القضية، ص105.

نسف البلدة القديمة في يافا، عاب فيه على السلطات البريطانية ادّعاءها بتحسين المدينة وهي تقصد النسف، وأكد أن قانون الطوارئ الصادر في 19 نيسان يشير "بهدم وليس نسف أيّ بناء"¹.

واعترف دافيد بن غوريون في يومياته في منتصف تموز 1936م برغبته في تدمير يافا حيث قال "أرحب بتدمير يافا ميناء ومدينة، فليحدث هذا الأمر؛ إذ سيكون من الأفضل أن هذه المدينة التي سمّنت من الهجرة اليهودية والاستيطان تستحق التدمير؛ لأنها رفعت الفأس في وجه من بناها، وجعلها تزدهر، فإذا ذهبت يافا إلى الجحيم لن احسب نفسي من الباكين عليها"².

كما نسفت السلطات البريطانية العديد من البيوت في القرى، وفرضت غرامات عينية ونقدية على حوالي 250 قرية، ويعطي عيسى السفري مثلاً عملياً على ذلك عندما فرض على سكان قرية عزون تقديم 300 دجاجة، و 500 بيضة، وخمسة خراف، بينما فرض على أهالي قرية إندور (شرقي الناصرة) دفع 200 جنيه غرامة، وعندما كان الأهالي يمتنعون عن دفع الغرامة كانت السلطات تصدر ما في القرية من الحبوب والدجاج والخيول والحمير والبقر، وتفرض على أهالي القرى نقل الأشياء المصادرة على ظهورهم إلى السيارات، كما حصل في قرى بلعا، وجبع، ويطا، وبرقة، ويازور، وغيرها³.

ورداً على ذلك هاجم المناضلون الفلسطينيون قافلة يهودية ترافقها قوة عسكرية من الجيش البريطاني، تسير من حيفا الى تل أبيب (غرب قرية عنبتا) في 21 حزيران 1936م، والتي أطلق عليها عيسى السفري "معركة عنبتا"، وأسفرت المعركة عن مقتل جنديين بريطانيين، واستشهاد اثنين من العرب⁴.

ويذكر عيسى السفري ومصطفى الدباغ ما حدث في 25 حزيران 1936م عندما نصب الثوار كميناً لقطار شحن بالقرب من مدينة اللد، مما أدى إلى خروجه عن الخط وإلى مقتل جنديين بريطانيين وسائق القطار العربي، فتلقت اللد عقوبتها الجماعية التي تمثّلت في حملة نقتيش

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص78. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص274.

² مصالحة، نور، طرد، ص142.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص74-75.

⁴ م، ن، ص63.

عسكرية واسعة رافقها نسف العديد من البيوت، وإصابات في الأرواح، وغرامة جماعية مقدارها 5000 جنيه فلسطيني¹.

وفي 26 حزيران 1936م تمكن الثوار من تحطيم طائرة يهودية، بعد تقدم اليهود بثلاث مصفحات وثلاث طائرات و300 جندي (معركة وادي عزون)، وذكر محمد دروزة وعيسى السفري أسماء الشهداء من أبناء القرية وهم أحمد عبد الله القدومي، ومحمد مصطفى عنايا، والعبد الهمشري عدوان².

اعتبرت السلطات البريطانية اعمال العرب غير قانونية مما دفعها إلى شن حملة اعتقالات واسعة في شهر تموز والتي تركّزت على أعضاء اللجان القومية في المدن، فاعتقلت عشرة من أعضاء اللجنة القومية بالقدس ونقلتهم إلى سجن عكا، الذي تحوّل إلى السجن المركزي في فلسطين، وقد اشتهر سجّانو ذلك السجن بسوء معاملتهم للمعتقلين السياسيين³، كما اشتهر معتقلوه بالجوء المتكرر إلى سلاح الإضراب عن الطعام، كما حدث ما بين 11 و 15 أيار 1937، عندما أُضرب عن الطعام 196 معتقلاً عربياً في سجن عكا، احتجاجاً على سوء معاملتهم وعلى اعتقالهم دون مبرر أو محاكمة وفقاً لما ذكره عيسى السفري وأكرم زعيتر⁴.

جرت عمليات التفتيش والبحث عن الثوار والأسلحة في المدن أولاً ثم انتقلت إلى القرى فعلى أثر انتشار فرق الأنصار المسلحة في جبال نابلس وهجومها المتكرر على دوريات الجيش وقوافله، عمد الجيش إلى تطويق هذه الجبال وتفتيشها، وفيما يلي وصف لعمليات التفتيش، التي جرت في 5 تموز 1936، كما جاء في كتاب عيسى السفري الذي شاهد الحملة، فقال لقد طوّق 4000 جندي مساحة 14 ميلاً تحدها شرقاً طريق القدس - نابلس، وغرباً السكة الحديدية بين طولكرم واللد، وذلك بعد أن ترامى للحكومة أنه يوجد فيها 150 ثائراً، ولجأ الجيش إلى استخدام المصفحات، واستخدام طائراته في مراقبة حركة تقدم المشاة، وكان الجنود يفتشون كل قروي يمر في المنطقة، ولكنهم لم يعثروا على شيء⁵.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص59. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص484.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص236. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص64.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص106. زعيتر، أكرم، يوميات، ص238.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص92. زعيتر، أكرم، يوميات، ص238.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص71.

وأشار عيسى السفري إلى أن حملات التفتيش في القرى ترافقت مع فرض العقوبات الجماعية على سكانها، فعندما هاجمت فرقة من الثوار في 12 آب 1936م أفراد فصيلة جند كانوا يستحمون في بركة "سحنة" بالقرب من بيت ألفا، وقتلوا أحد أفرادها وأخذوا المدفع الرشاش الخاص بالفصيلة وخمس بنادق، أجرى رجال الجيش تفتيشاً في قرية "فقوعة" في منطقة كتلة مستعمرات حارود، ولما وجدوا المدفع الرشاش فيها هدموا بيوتاً كثيرة، وقتلوا 12 من سكانها¹.

ويصف عيسى السفري الذي كان شاهداً على أحداث الثورة وعلى الإجراءات البريطانية للقضاء عليها عمليات التفتيش، فكتب "حينما كانت السلطة تشتبه بقرية ما تأمر حالاً بذهاب قوة كبيرة من الجند والبوليس بدباباتها ومدافعها الرشاشة إليها، يطرقون أبواب بيوتها بأعقاب بنادقهم بشدة، ويأمرون مختارها بعزل النساء عن الرجال، ثم يأخذون في تفتيش القرية، فيبعثرون محتوياتها ويحطمون آنيتها المملوءة بالسمن والزيت والحبوب، ولدى انتهاء التفتيش يطلقون النار في الهواء لإرهاب السكان"²، ويضيف السفري "أما عندما كانت تصدر طلقات نارية من إحدى القرى، فقد كان الجنود يهاجمونها من سائر أطرافها ويطلقون عليها النار، الأمر الذي كان يؤدي إلى وقوع إصابات بين سكانها"، كما حدث في قرية قولة بين الرملة واللد، حيث أسفر الهجوم عن قتل امرأة وجرح أربعة أشخاص، كما كان الجنود، في بعض الأحيان ينتقمون من القرويين بقتل مواشيهم، أو بنسف بيوتهم، وخوفاً من فظاعة التفتيش، شرع بعض القرويين إلى هجر قراهم، فقدم مخاتير قرية قباطية لحاكم نابلس مفاتيح بيوت القرية، بعد أن أخلت من السكان، وهاجر سكان قرى أخرى إلى شرق الأردن، وكذلك فعل عرب البواطن المخيمين في شرق بيسان فرحلوا عن أراضيهم في اتجاه شرق الأردن³.

ويبرز عيسى السفري نشاط السلطات البريطانية في سبيل إخماد الثورة الفلسطينية الكبرى، فعند بدء الثورة كان عددهم ما يقرب 7000 جندي، وبعد مضي ثلاثة أشهر على الإضراب استقدمت الحكومة البريطانية وحدات عسكرية جديدة من مالطة، واستحضرت وحدات من المشاة ومن الدبابات والمصفحات من بريطانيا، وبذلك أصبح عدد رجال الجيش البريطاني في فلسطين في حدود 15 ألف جندي، يضاف إليهم ستة آلاف من رجال البوليس، وأربعة آلاف من قوة حرس

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص73.

² م، ن، ص71.

³ م، ن، ص71-72.

الحدود¹، وأسندت الحكومة البريطانية القيادة العليا لقواتها في فلسطين إلى الجنرال جون ديل John Dell "رئيس أركان حرب الجيوش الإمبراطورية البريطانية"، وأطلقت يده في اتخاذ ما يراه من التدابير والإجراءات للقضاء على الثورة، فشكّل مركزاً لقيادة الجيوش البريطانية في فلسطين وشرق الأردن، واستقدم إمدادات عسكرية جديدة إلى فلسطين²، ولما تكامل عدد القوات أصدرت الحكومة في 30 أيلول 1936 مرسوماً يقضي بفرض الأحكام العرفية، تمّ بموجبه تشديد الرقابة على المطبوعات، ومراقبة المرافئ والمطارات، والنقلات البرية، والتجارة والتصدير والاستيراد والإنتاج والصناعة، ومصادرة الأموال، وفرض الغرامات³.

بعد تمادي الحكومة البريطانية ثارت تائرة العرب، واعتبر عيسى السفري الفترة الممتدة من آب-تشرين الأول 1936م عاماً مليئاً بالمعارك الفلسطينية، ففي 10 آب 1936م احتل فريق كبير من الثوار الفلسطينيين جميع الاستحكامات والخنادق الواقعة في الجبلين المتقابلين بين نابلس وبلعا، وعندما جاءت القوات البريطانية للمرابطة فيهما انهال الثوار عليهم بوابل من الرصاص والرشاشات، ونتيجة لكثرة عددهم خاف البريطانيون من مواجهتهم، وأرسلوا إشارة لاسلكية إلى مركز الجيش في نابلس، فوصلت 18 سيارة تحمل عدداً كبيراً من الجند ومدفعان وخمسُ مصفحات وخمسُ طائرات⁴، أدت إلى معركة عنيفة استمرت حوالي ثماني ساعات أطلق عليها محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر "معركة بلعا الأولى"، وعندما عادت القوات البريطانية إلى نابلس بعد انتهاء المعركة انفجرت تحت عجلات إحدى السيارات قنبلة أعدت لهذه الغاية، وقُتل ر.م فستنج R.M Festing "ضابط فرقة السيفورث هايلندرز"، وجرح أربعة جنود، أحدهم إصابته خطيرة⁵.

وفي صباح 17 آب 1936م مرت قافلة يهودية قادمة من القدس إلى حيفا، ترافقها قوة من الجند ومصفحتان وطائرة، وعند وصولها إلى قرية عصرية الشمالية أنهال عليها الثوار بالرصاص، وبدأ إطلاق النار الكثيف بين الطرفين، ووصل الخبر إلى قيادة الجيش البريطاني في نابلس،

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص98.

² م، ن، ص98-99.

³ م، ن، ص126-127.

⁴ م، ن، ص109.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص136. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص(109-110). الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص305. زعيتر، أكرم، القضية، ص106.

فأمدتهم بقوة جديدة من الجيش مع خمس مصفحات وثلاث طائرات وسيارتين مع عدد من المدافع، فوقعت معركة عنيفة بين الطرفين لمدة أربع ساعات أطلق عليها عيسى السفري "معركة عصيرة الشمالية"، وأصيب 24 فلسطينياً بين قتيل وجريح، وجرح ضابط بريطاني، وتعطلت ثلاث سيارات عسكرية¹.

وفي صباح 20 آب مرت دورية مؤلفة من ثلاث سيارات مملوءة بالجنود، أدت إلى معركة كبيرة في عرعر، وأطلق عليها عيسى السفري وأكرم زعيتر "معركة وادي عرعر"، كاد النصر يكون فيها حليف الثوار لولا مجيء نجدة مؤلفة من خمس سيارات وثلاث طائرات، ودبابات ومدافع، واستمرت المعركة مدة 12 ساعة، أدت إلى وقوع 32 إصابة من العرب بين قتيل وجريح، وجرح بريطاني واحد².

وفي مساء 29 آب 1936م احتدمت معركة حامية الوطيس بين العرب واليهود في موقع قريب من قرية عين دور على طريق مسحة - العفولة، أطلق عليها عيسى السفري ومصطفى الدباغ "معركة عين دور"، أدت إلى استشهاد عربي واحد، وقتيلان من اليهود، وثلاثة جرحى، وحُطمت طائرة³.

وفي ساعات مبكرة من صباح 3 أيلول 1936م خرجت من طولكرم سرية عسكرية مؤلفة من عشرين سيارة مملوءة بالجنود والدبابات، فأطلق الثوار النيران على الجنود، وقد امتدت المعركة حتى قرية بلعا، لذلك أطلق عليها عيسى السفري ومصطفى الدباغ "معركة بلعا الثانية"، وأسفرت عن إسقاط طائرتين وحرقت اثنتين، وقتل ضابطين وجرح آخرين، واستشهد عشرة فلسطينيين، وجرح ستة⁴.

وفي صباح 9 أيلول 1936م اشتبك 60 ثائراً مع مجموعة من الجنود على جانبي طريق ترشيحا- نهاريا، أطلق عليها محمد دروزة وعيسى السفري "معركة ترشيحا"، أدت إلى مقتل ثلاثة من الجنود، وجرح أربعة، واستشهد 29 ثائراً، وجرح ثمانية⁵.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص110.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص111. زعيتر، أكرم، يوميات، ص354.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص111. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج10، ص537.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص129. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص305.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص153. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص129-130.

ورد خبر إلى القوات البريطانية عن وجود عدد من الثوار المرابطين في سهل قرية جبع في 24 أيلول 1936م، والتي أطلق عليها السفري "معركة جبع"، فذهبت طائرات تصحبها قوة من الجند، وطوقت الثوار من جميع الجهات، وحدث اشتباك عنيف بينهما، كادت الهزيمة تطيح بالثوار، لولا مجيء نجدة من نابلس وجنين لإنقاذهم، وأسفر القتال عن إصابة 54 ثائراً، وسقوط طائرة واحدة وجرح قائدها، وقتل ضابط بريطاني، وعندما عادت سيارة عسكرية إلى نابلس انفجر تحتها لغم زرعه الثوار أدى إلى مقتل أربعة جنود¹.

ذكر عيسى السفري الهجوم الذي شنه الثوار على مراكز الجند في نابلس، بعد انتهاء معركة جبع بنصف ساعة، وانقسم المناضلون إلى سبع فرق هجومية، هاجمت الفرقة الأولى الجنود في الجهة الشرقية من المدينة، وهاجمت الثانية القوات في ساحة محطة السكة الحديدية، وهاجمت الثالثة الجنود في النادي الرياضي، فيما هاجمت الرابعة الجنود في المحكمة الشرعية، وهاجمت الخامسة الجنود في المدرسة الغزالية، وهاجمت الفرقة السادسة سرايا الحاكم، بينما رابطت الفرقة السابعة في سفوح الجبال لحماية الثوار، ومراقبة حركات الأعداء، فقابلهم الجند بإطلاق النار والمدافع والعيارات النارية، وانهالت المصفحات في تصويب مدافعها بقوة، وبذلك أصبحت نابلس ساحة حرب مما سبب ذعراً وخوفاً كبيرين لأهالي المدينة².

وفي ظهر 24 أيلول 1936م قام 400 ثائر بسد الطريق العام بالحجارة وقطع أسلاك الهاتف في حلحول، وعندما جاءت سيارة محملة بـ 1500 جندي من الخليل أنهال الثوار عليهم بالنار، مما أدى إلى حدوث معركة عرفت "بمعركة حلحول" وفق ما ذكر عيسى السفري، أدت إلى جرح اثنين من البريطانيين، وقتل ثلاثة من العرب³.

واعتبر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر معركة "بيت إمرين" التي حدثت يوم الأربعاء في 29 أيلول 1936م أشد معركة شهدتها نابلس وضواحيها، حيث علمت فرقة من الجنود اليهود بوجود مجموعة كبيرة من الثوار بالقرب من بيت إمرين، فوصلت نجدة من طولكرم وجنين إلى الثوار بعد وصولهم الخبر، وتمكن البريطانيون من تطويق الثوار في جبال برقة وبيت إمرين وسبسطية والسيلة، واشتد إطلاق النار بين الطرفين لمدة خمس ساعات، وبعدها غادر الجنود

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص130-131.

² م، ن، ص131-132.

³ م، ن، ص132-133.

وانسحب الثوار الى مخابئهم بعد أن اسقطوا طائرتين، وأصابوا ثلاثة جنود بجراح خطيرة، وسقط من العرب 22 ثائراً بين جريح وقتيل¹.

وأشار عيسى السفري وأكرم زعيتر إلى تواجد 120 ثائراً في جبال الخضر، وقد تمكن 3000 جندي من تطويقهم في 6 تشرين الأول 1936م، واحتدمت معركة عُرفت "بمعركة الخضر"، وأسفرت عن قتل قائدها "سعيد بك العاص"، وجرح ثائر آخر²، وفي اليوم نفسه شهدت قرية كفر صور حدوث معركة "معركة كفر صور"، أسفرت عن تعطيل دبابتين، وإصابة 15 ثائراً³.

وعزز محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر دور مدينة جنين في الثورة الفلسطينية، فقد وقع فيها معظم المعارك الرئيسية، في مقدمتها معركة صانور والندقومية واليامون، وتعد جنين آخر موقع توقفت فيه الثورة عام 1939م، ومن أشهر الحوادث التي شهدتها جنين اغتيال الحاكم البريطاني موفيت Mofeit الذي عرف بشدة عداوته للعرب على يد المجاهد علي أبو الرب من قباطية في شهر آب 1938م، مما دفع السلطات البريطانية الى تدمير سوق المدينة التجاري وهدم العديد من المنازل⁴.

يقول عيسى السفري رافقت العمليات المسلحة أعمالاً ثوريةً مثل مهاجمة المستعمرات البريطانية واليهودية، ومهاجمة مراكز الشرطة الإنجليزية، وتدمير خطوط سكة الحديد والجسور، ومهاجمة حافلات المهاجرين اليهود، ومهاجمة المطارات الانجليزية⁵، ففي ليلة 15-16 تشرين الأول 1937م، أحرق الثوار مطار اللد، وفرضت السلطات البريطانية على المدينة نظام منع التجول لمدة 23 ساعة في اليوم طيلة أربعة أيام متتالية، وهدمت منزلين، وفرضت خمسة آلاف جنيه غرامة جماعية على سكان المدينة⁶.

أسفرت المرحلة الأولى من الثورة حسب إحصائيات عيسى السفري وأكرم زعيتر عن مقتل 80 يهودياً وجرح 300 آخرين، بينما قُتل من الجيش البريطاني 40 جندياً، وجُرح 260 آخرين،

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص213. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص133-134، زعيتر، أكرم، يوميات، ص194.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص124-125. زعيتر، أكرم، يوميات، ص201.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص135. زعيتر، أكرم، يوميات، ص206.

⁴ دروزة، محمد، فلسطين، ص49. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص130. زعيتر، أكرم، يوميات، ص438.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص62، وص108.

⁶ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص485.

بينما استشهد من العرب 200 تائراً، وجرح 810 آخرين¹، بينما ذكر محمد دروزة أن شهداء العرب زاد عن 750 شهيداً، وزاد عدد الجرحى عن 1500².

أشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى توقف المرحلة الأولى من الإضراب والثورة الفلسطينية في 12 تشرين الأول 1936م على يد زعماء السعودية واليمن والعراق وشرق الأردن، فقد حاولت الحكومة البريطانية تطويق الثورة بسياج عربي، حيث أوعزت إلى الأمير عبد الله بالتوسط لدى اللجنة العربية العليا لحثها على الدعوة إلى وقف الإضراب العام والاضطرابات، فدعا الأمير أعضاء اللجنة إلى عمان في 6 حزيران 1936، ثم اجتمع بهم مرة ثانية في عمان في 7 آب، إلا أن وساطته تلك لم تسفر حينها عن أي نتيجة، حيث أبلغه أعضاء اللجنة أنهم عاجزون عن وقف الإضراب ما لم تقرر الحكومة وقف الهجرة، وكانت الحكومة البريطانية قد حاولت في أول تموز 1936م جس نبض الملك عبد العزيز بن سعود للتدخل، لكنه اشترط أن يكون ذلك بالاشتراك مع ملك العراق غازي بن فيصل الأول الهاشمي، وإمام اليمن يحيى حميد الدين، والأمير عبد الله بن الحسين³.

وفي 17 آب من العام نفسه أشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى ما أعلنه نوري السعيد "وزير خارجية العراق" بضرورة توجهه إلى فلسطين، وبالفعل وصل إلى القدس في 20 آب، وقدم مذكرة إلى اللجنة العربية العليا تتضمن اقتراحاً بأن تقوم اللجنة باتخاذ جميع التدابير لإنهاء الإضراب والاضطرابات، على أن تتوسط الحكومة العراقية لدى الحكومة البريطانية لتحقيق جميع مطالب العرب المشروعة، لكن وزير المستعمرات البريطاني أورمسي غور Ormsby Gore ردّ تلغرافياً في 25 آب "بأن حكومته توافق على الوساطة العربية لإيقاف الاضطرابات، ولكن من دون أن تعلن عن أي أمر بشأن مطالب العرب قبل إيقاف الاضطرابات"⁴.

وفي 24 أيلول 1936م وثق عيسى السفري البيان الذي وضعه الأمير عبد الله بعد استلامه رسالة من الملك عبد العزيز بن سعود في الأول من أيلول تنصّ على أن "بريطانيا تضمن حقوق

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص146. زعيتر، أكرم، القضية، ص109.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص156.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص138. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص114. زعيتر، أكرم، القضية، ص107.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص101، والقضية، ج1، ص139. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص115. زعيتر، أكرم، يوميات، ص153.

العرب في حالة إيقاف الثورة"، إلا أن السلطات البريطانية لم توافق على تلك الصيغة، وفي أواخر الشهر نفسه أرسلت اللجنة العربية العليا التي باتت راجبة في إيجاد مخرج يوقف الاضطرابات في البلاد وفداً عنها للاجتماع بالملك عبد العزيز، كما أوفدت ممثلاً عنها إلى شرقي الأردن لمقابلة الأمير عبد الله ونتيجة لهذه الاتصالات، وطبقاً لاستشارات مسبقة مع الحكومة البريطانية، وجّه الملك عبد العزيز والملك غازي والأمير عبد الله في العاشر من تشرين الأول نداءً مشتركاً دعواً فيه إلى حل الإضراب ووقف الثورة والاعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة¹.

وبالفعل توقف الإضراب نهاية عام 1936م وحتى بداية الأشهر الأولى من عام 1937م، إلا أن عمليات الثوار الفلسطينيين ذات الطابع الفردي استمرت كالنسف والقنص والتي نتج عنها مقتل 97 شخصاً، من ضمنهم 9 جنود بريطانيين، وجرح 149 شخصاً من بينهم 13 بريطانياً، وهو ما وثقه محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر².

لجأت الحكومة البريطانية على حد قول محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر إلى إرسال لجنة ملكية "بيل" في 18 أيار 1937م لإيقاف الثورة بشكل نهائي³، إلا أن تقرير اللجنة الملكية الذي نشرته في 7 تموز 1937م والذي يوصي بتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب أدى إلى تفجير المرحلة الثانية من الثورة الفلسطينية الكبرى والتي امتدت من أيلول 1937م حتى أيلول 1939م، والتي بدأت على إثر حادثة اغتيال حاكم لواء الجليل "أندروز Andrews" على يد جماعة عز الدين القسام في 26 أيلول 1937م⁴.

وبعد انطلاق المرحلة الثانية من الثورة في نهاية أيلول 1937م رأى محمد دروزة وأكرم زعيتر أن سلطات الانتداب استدعت من البنغال إلى فلسطين تشارلز تيغارت Charles Tiggart

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص114.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص196-198. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص131. زعيتر، أكرم، القضية، ص108.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص91، والقضية، ج1، ص151، وفلسطين، ص44. العارف، عارف، تاريخ، ص159. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص147. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص275. زعيتر، أكرم، القضية، ص110، ويوميات، ص180.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص152-187 السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص147. زعيتر، أكرم، القضية، ص123، ويوميات، ص237.

"الخبير البريطاني في حرب العصابات"، وقررت إقامة خط تيغارت وهو عبارة عن "أسلاك شائكة بطول 80 كيلومتراً على حدود فلسطين مع سورية ولبنان، و40 كيلومتراً على حدود فلسطين مع شرق الأردن، بعرض ثلاثة أمتار وارتفاع ثلاثة أمتار أيضاً، وفيه مصائد ألغام، و15 قلعة مجهزة بالحراس ومعدات الكشف"¹، بهدف الحدّ من مشاركة أبناء البلدان العربية المجاورة لفلسطين في الثورة، وأعلنت سلطات الانتداب في 10 تشرين الثاني 1937م إنشاء محاكم عسكرية بموجب أنظمة الطوارئ، وخولت السلطات هذه المحاكم العسكرية الحقّ في إصدار حكم الإعدام على كل شخص يحمل سلاحاً -بغض النظر عن نوع ذلك السلاح-، أو يحرز ذخيرة ولو كانت مخبأة، واعتُبرت أحكام المحاكم العسكرية نافذة لا استئناف فيها ولا نقض ولا عفو يشملها²، وأمرت سلطات الانتداب بحل اللجنة العربية العليا في تشرين الأول 1937م ونفي بعض أعضائها إلى جزر سيشل، وإقالة المفتي الحاج أمين الحسيني من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وحل اللجان القومية، والقيام بحملة اعتقالات واسعة³.

وحاصرت القوات البريطانية قوة كبيرة من الثوار الفلسطينيين في منطقة النزلات في طولكرم بقيادة عبد الرحيم الحاج محمد، وعندما بدأ المناضلون بالانسحاب أخذت الطائرات البريطانية تشن قصفاً عليهم عند مرورهم بالوادي الواقع بين صيدا ودير الغصون في 17 تشرين الأول 1937م، وأطلق عليها أكرم زعيتر "معركة صيدا"، إلا أن المناضلين نجحوا بالإفلات وفي مقدمتهم عبد الرحيم الحاج محمد⁴.

ثم هاجمت السلطات البريطانية الثوار المرابطين في قرية النزلة الشرقية، ف وقعت معركة بين الفلسطينيين والبريطانيين في 16 كانون الأول 1937م والتي أطلق عليها أكرم زعيتر معركة "النزلة الشرقية"، وكان من أخطاء الثوار فتحهم ثغرة من الحصن مكنت الكثير من الثوار للهروب⁵.

إلا أنّ السلطات البريطانية لم تتمكن من إنهاء الثورة، بل على العكس وصلت الثورة في عام 1938م إلى قمة نفوذها، حيث زاد عدد الثوار إلى حوالي عشرة آلاف، وتسلم قيادة الثورة في

¹ دروزة، محمد، فلسطين، ص50. زعيتر، أكرم، القضية، ص126.

² دروزة، محمد، فلسطين، ص50-52. زعيتر، أكرم، القضية، ص126.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص187. زعيتر، أكرم، يوميات، ص520.

⁴ زعيتر، أكرم، يوميات، ص337.

⁵ م، ن، ص344.

كل منطقة قائد معين، ففي منطقة طولكرم الشرقية تولى عبد الرحيم الحاج محمد، وفي منطقة طولكرم الغربية تولى عارف عبد الرازق، وتولى حسن سلامة منطقة اللد، وتولى عيسى البطاط منطقة الجليل، وتولى عبد القادر الحسيني منطقة القدس، واقتحم الثوار معظم المدن الرئيسية وفقاً لما ذكره محمد دروزة وأكرم زعيتر¹.

ودُعمت الثورة بتشكيل اللجان، ويتحدث محمد دروزة عن "لجنة الجهاد المركزية" التي تولى إدارتها بنفسه في دمشق تحت إشراف الحاج أمين الحسيني، وتولت اللجنة مهمة توجيه الثورة وإسعاف المصابين².

أشار أكرم زعيتر إلى ازدياد تخوف القوات البريطانية من قوة الثوار، الأمر الذي دفع بالمندوب السامي إلى إصدار أمرٍ خضعت البلاد بموجبه لسلطة القائد العام للقوات البريطانية في البلاد، حيث تسلّم الجيش في اليوم نفسه السلطة في لواء القدس، ثم وسّع بعد أربعة أيام نطاق الحكم العسكري ليشمل كل أنحاء البلاد، التي قُسمت إلى أربعة ألوية عسكرية، على رأس كل منها حاكم عسكري، وابتداءً من أول تشرين الثاني، أخضع الجيش حركة المرور على الطرقات للمراقبة، وأصبح كل مسافر بحاجة إلى هوية شخصية، وتصريح عسكري خاص للتنقل بين منطقة وأخرى³.

وزاد لهيب الثورة وفق وصف أكرم زعيتر، عندما أصدرت السلطات بلاغاً رسمياً في شباط 1938 أعلنت فيه تقديم مكافأة مالية تتراوح بين 100 و500 جنيه لقاء القبض على أي واحد من قائمة ضمت 21 ثائراً، واضطرت السلطات البريطانية لاحتلال عدد من القرى في منطقة الجليل والناصرية في 23 أيار 1938، وأصدرت بلاغاً في حزيران 1938م حملت فيه المخاتير وسكان القرى مسؤولية "أي اعتداء يحدث ضمن أراضيها على الخفراء أو رجال البوليس"، وتوعدت بأن تفرض على القرية التي يحصل فيها أيُّ اعتداءٍ عقوباتٍ جماعية⁴.

وبناءً على ذلك ذكر أكرم زعيتر عمليات التمشيط الواسعة التي قامت بها القوات البريطانية في 2 تشرين الثاني 1938م في منطقة المثلث الكبير (جنين، نابلس، طولكرم)، حيث ألقت القبض

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص211، وفلسطين، 51. زعيتر، أكرم، يوميات، ص330.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص212. زعيتر، أكرم، يوميات، ص88.

³ زعيتر، أكرم، يوميات، ص354.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص126-127.

على قرابة 300 شخصٍ أتهموا بالتعاون مع الثوار، ونقلتهم إلى معتقلٍ جُهِّزَ لهذه الغاية في مدينة طولكرم¹، واعترفت سلطات الانتداب في تقرير أصدرته في عام 1938 بوجود 2643 عربياً داخل المعتقلات، وبالحكم على 328 منهم لمدة تتراوح بين السنة ومدى الحياة، واعترفت بتنفيذ حكم الإعدام بحق 54 عربياً²، وأصبحت السلطات البريطانية تطلق النار على أي فلاح فلسطيني يرتدي الكوفية والعقال، على اعتباره ثائراً، لذلك أصدر قادة الثورة أمراً بنزع الطربوش ولبس الكوفية كنوع من التضامن مع الثوار³، وأضاف زعيتر أن سلطات الانتداب نفذت عمليات الإعدام في عدد كبير من كبار السن في سجن عكا، وعلى رأسهم الشيخ فرحان السعدي، الذي تجاوز لحظة إعدامه السبعين من العمر، وبلغ عدد الثوار الذين أُعدموا خلال الفترة الواقعة بين تشرين الأول 1938م وكانون الثاني 1939م 45 مناضلاً⁴.

ووفقاً لما أورده عيسى السفري فقد لجأت السلطات البريطانية إلى أساليب أخرى للتفريق بين العرب والإيقاع بين المسلمين والمسيحيين، وبين المدنيين والقرويين، واستغلت النزاعات الطائفية والعائلية (الحسينية والنشاشيبية)، وشجعت أعوانها على كسر الإضراب والكشف عن الثوار، وأسندت إلى المتعاونين معها وظائف حكومية استحدثتها لهذا الغرض، كما قدمت الأموال لعدد من القرويين والعشائر كقروض زراعية⁵.

ويورد عيسى السفري الذي كان كما ذكرنا شاهداً على أحداث الثورة نصوص بعض المناشير التي كانت تلقبها الطائرات البريطانية على المدن والقرى لتأليب الفقراء على الأغنياء، أو لفصل سكان القرى عن سكان المدن وإبعادهم عن الثورة، فقد جاء في أحد هذه المناشير التي أقيمت خلال أيام الإضراب العام "من الذي يخسر بسبب الأعمال الخارجة على القانون القائمة الآن؟ إن الرجل الغني يعيش مرتاحاً في المدينة، هو لا يعرض أسباب معيشته للخطر، ولكنه يطلب إلى الرجل الفقير أن يفعل ذلك، إن الذي يخسر هو ذلك التاجر الصغير الذي أُجبر على إغلاق دكانه، إن الذي يخسر هو ذلك البائع الصغير الذي تتلف بضائعه فيما لو حاول بيعها، إن الذي

¹ زعيتر، أكرم، يوميات، ص372.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص207. زعيتر، أكرم، القضية، ص127، ويوميات، ص440.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص207. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص275. زعيتر، أكرم، القضية، ص127، ويوميات، ص440.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص127، ويوميات، ص340.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص99.

يخسر هو الفلاح الذي لا يستطيع أن يبيع محصولاته في السوق، أليس بصحيح؟ إن الرجل الفقير هو الذي يخسر دائماً، ومع ذلك فإن كل هذه الأعمال لا طائل تحتها، إنكم لن تجنوا شيئاً من مواصلة الإضراب، فهو إنما يسبب التعب لكم ولقرينكم، الزموا الهدوء والسكينة¹.

وأورد السفري منشوراً آخرَ ألقى على القرى جاء فيه "في أوقات الضيق عندما أمسكت السماء عن المطر وأمحلت مزروعاتكم أعفتكم الحكومة من دفع الضرائب، ومدت الحكومة يد المساعدة لكم وأعانتكم، ولكن الحكومة الآن تنفق أموالها على توقيف الأعمال الخارجة على القانون، فإذا لم تتوقفوا عن الأعمال الخارجة على القانون، وتحافظوا على النظام، فلا يكون هنالك إعفاءات من الضرائب ولا إعانات وترتفع الضرائب، إنكم أنتم الذين تتضررون، من الذي يخسر من جراء الأعمال الخارجة على القانون؟ إن الذي يخسر هو أنتم وقرينكم"².

وفي أجواء المنازعات الداخلية التي نشأت في البلاد أشار أكرم زعيتر إلى تزايد حملات الاغتيالات السياسية الفلسطينية التي استهدفت عملاء المخابرات البريطانية، وعلى رأسهم المخاتير والوجهاء، ويذكر زعيتر أن عمليات الاغتيال تلك بلغت ذروتها عندما فرض القائد يوسف أبو درة أحكاماً بالإعدام على 38 مختاراً ووجيهاً قروياً، ونفذ عدداً من الثوار الحكم في 5 كانون الثاني 1939م، فأعدم بعضهم، وأصيب آخرون بجراح، ونجح الباقون بالفرار³.

وقفت الحكومة البريطانية حائرة أمام قوة الثورة والثوار، فاضطرت إلى إرسال تعزيزات عسكرية ضخمة بقيادة أفضل القادة العسكريين لديها مثل "ديل Dill"، و"ويفل Wavell" و"هينيك Haining"، و"مونتكومري Montgomery" لاحتلال القرى الفلسطينية، من خلال استخدام كافة وسائل البطش والدمار والعقوبات الجماعية والضرب، والاستعانة بالوسائل الحديثة من طائرات ومدفيعات ودبابات، وبالفعل رأى أكرم زعيتر أن السلطات البريطانية تمكنت خلال (تشرين الثاني 1938م - تشرين الثاني 1939م) من احتلال 2088 قرية فلسطينية، واستشهد الكثير من قادة الثورة، واضطر آخرون إلى الانسحاب، وأخذت ملامح الثورة بالانطفاء التدريجي حتى أواخر عام 1939م⁴.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص100.

² م، ن.

³ زعيتر، أكرم، يوميات، ص212-215.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص127-128، ويوميات، ص589.

توقفت الثورة الفلسطينية الكبرى بشكل كامل في أيلول عام 1939م، ويُرجع محمد دروزة ذلك إلى عوامل الانهالك والاعياء التي اصابته الشعب الفلسطيني، وإلى الضعف الاقتصادي الفلسطيني، والخلافات الداخلية الفلسطينية الحزبية والعائلية، واستشهاد أو انسحاب أو اعتقال عدد من قادة الثورة البارزين¹، وفي المقابل تعترف الرواية الإسرائيلية بأنه لولا الدرع العسكري البريطاني والتعبئة الجزئية للجيش البريطاني النظامي في بريطانيا نفسها، لما تمكنت القوات اليهودية من الصمود أمام الثورة الفلسطينية الكبرى، وأنه لولا التعاون العسكري البريطاني لما تمكنوا من تطوير قواتهم وإحراز النصر وإجبار الثوار على الانسحاب².

قدّر محمد دروزة ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر اصابات اليهود خلال المرحلة الثانية للثورة (أيلول 1937-أيلول 1939م) حوالي 1500 يهودي، أما إصابات الجيش البريطاني فقدّرت بحوالي 1800 بين قتلى وجرحى، أما شهداء العرب فقدّرت بما يقرب من 7000 شهيد³.

دخلت فلسطين في شبه هدنة مؤقتة بعد انتهاء الثورة الفلسطينية الكبرى، وعاش الشعب الفلسطيني آملاً جديدةً رسم فيها خيالهم قصوراً من الحرية والاستقلال، حيث نشطت الحكومة البريطانية في إصدار التوكيدات والتطمينات التي وعدت باستقلال فلسطين، وإيقاف فكرة إقامة وطن قومي يهودي فيها، بدءاً بإصدار الكتاب الأبيض عام 1939م، ووصولاً إلى تشكيل المؤتمرات واللجان البريطانية والأمريكية.

بعد أن أوصت اللجنة الدولية التي أنشأتها هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، أدرك الشعب الفلسطيني أن الحكومة البريطانية تسهّل إقامة الوطن القومي اليهودي من تحت الطاولة، فبدأت بوادر العمل المسلح تظهر في الأراضي العربية الفلسطينية من جديد، حيث عقد مجلس الجامعة العربية مؤتمراً في عالية في 7 تشرين الأول 1947م⁴، وقرر المؤتمر العرب تشكيل لجنة سمّوها "اللجنة العسكرية"، وتألّفت من اللواء إسماعيل صفوت باشا ممثلاً عن العراق، والذي اختير رئيساً للجنة، فيما اختير طه باشا الهاشمي "أحد الرجال العسكريين في

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص216-218.

² خليفة، أحمد (مترجم)، الثورة، ص531.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص220، وفلسطين، ص44. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص282. زعيتر، أكرم، القضية، ص128.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص14. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص413.

العراق" خبيراً عسكرياً في اللجنة، ومثل المقدم محمود الهندي سوريا، ومثل شوكت شقير لبنان، ومثل محمد عزة دروزة فلسطين ثم حل مكانه صبحي الخضراء، ولم ترسل مصر والأردن واليمن والسعودية أحداً من رجالها العسكريين ليمثلوها في اللجنة، فاكتفت مصر بإنابة أحد موظفيها المدنيين، وأرسلت السعودية الشيخ يوسف ياسين ليمثلها، وهو ما وثقه عارف العارف¹.

وأشار عارف العارف إلى أن اللجنة العسكرية اتخذت دمشق مقراً لأعمالها، وعقدت اجتماعها الأول في عالية في 8 تشرين الأول 1947م وبحثت فيه مسألة النضال في فلسطين، وفي اليوم التالي رفعت تقريراً إلى مجلس الجامعة جاء فيه "إن للصهيونيين في فلسطين منظمات سياسية وتشكيلات عسكرية يستطيعون معها أن يؤلفوا فوراً حكومة صهيونية، وأن لهم قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد والمال، وفي مقدورهم أن يجندوا خلال مدة قصيرة ما يريدون من القوات الاحتياطية، وليس لعرب فلسطين من المال والسلاح ما يمكن أن يقاس لأعدائهم اليهود، وأن ما لا يقل عن 350 ألف عربي يعيشون في مناطق أكثريتها يهودية وهم معرضون للفناء إذا داهمهم الصهاينة"².

وذكر عارف العارف ما أوصت به اللجنة من أن يتم المبادرة فوراً بتجنيد المتطوعين وتسليحهم، وأن تحشد الدول العربية جيوشها النظامية قرب الحدود الفلسطينية، وأن تؤلف قيادة عربية عامة، وأن يمد عرب فلسطين بما لا يقل عن عشرة الاف بندقية، ومقادير كافية من الرشاشات، وأن يوضع تحت تصرف اللجنة العسكرية مليون دينار لتمويل القوات الفلسطينية، وأن تبادر الدول العربية لشراء أكبر كمية ممكنة من الاسلحة والعتاد، وحشد الطائرات لمراقبة المواصلات البحرية، ومنع وصول النجذات الى اليهود في فلسطين³، ولكن الجامعة العربية لم تعط أي اهتمام لتنفيذ هذه المقترحات باستثناء تخصيص مليون دينار، وإرسال كميات من السلاح، وتمكنت اللجنة العسكرية قبل انتهاء شهر تشرين الأول من إقامة معسكر في قننة لتدريب المتطوعين، والتحق فيه ما يقرب ألف شاب فلسطيني، ثم بدأ متطوعو البلاد العربية يتوافدون إليه تدريجياً⁴.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص16-17.

² م، ن، ص18-ص19.

³ م، ن، ص19.

⁴ م، ن، ص19-ص20.

إلا أن الجامعة العربية عادت عن قرارها في 8 كانون الأول 1947م، عندما عقدت اجتماعاً في القاهرة وفقاً لما ذكره عارف العارف، أعربت فيه عن تزويد اللجنة العسكرية حالاً بعشرة آلاف بندقية مع عتاد لا يقل عن 500 خرطوشة لكل بندقية، وتزويدها بـ 3000 متطوع، 500 من فلسطين ومصر والعراق وسوريا، و300 من لبنان، و200 من الأردن، وتحويل نصف مليون ريال من اليمن لمساعدة فلسطين¹.

اعتبر محمد دروزة وعارف العارف ومصطفى الدباغ تآليف جيش الانتقاذ أول عمل قامت به اللجنة العسكرية، فتحت باب التطوع على مصراعيه فانضم متطوعون سوريون ولبنانيون وعراقيون وأردنيون ومصريون وسعوديون ويمنيون وعدد قليل من جنسيات غير عربية (تركيا، يوغسلافيا، والمانيا)، وبلغ عدد المتطوعين حوالي عشرة الاف وبدأ بذلك تكوين جيش التحرير الذي سمي لاحقاً "جيش الانتقاذ" في مطلع كانون الأول عام 1947م، وأسندت قيادته الى اللواء إسماعيل صفوت باشا العراقي، ثم أعطيت الى الضابط فوزي القاوقجي، وتولى الإدارة العقيد محمود الهندي، وتولى مهمة الحركات المقدم شوكت شقير ووصفي مصطفى التل، وانتدب العميد طه باشا الهاشمي للتدريب والتنظيم².

دخل جيش الانتقاذ إلى فلسطين أفواجاً، وكانت أول الأفواج -وفق ما ذكره عارف العارف- فوج اليرموك الأول بقيادة المقدم محمد صفا (سوريا) وتولى مهمة العمل في القطاع الكائن بين جنين وبيسان، ثم فوج اليرموك الثاني بقيادة أديب الشيشكلي (سوريا) وتولى العمل في منطقة الجليل (صفد، عكا، الناصرة)، وفوج اليرموك الثالث بقيادة عبد الحميد الراوي (العراق) وتولى العمل في قطاع رام الله أولاً ثم القدس، ثم فوج القادسية بقيادة مهدي صالح العاني (العراق) وتولى العمل في قطاع رام الله وباب الواد، وتلاه فوج حطين بقيادة محمد عباس (العراق) وتولى العمل في قطاع السامرة وطولكرم، ثم فوج اجنادين بقيادة ميشيل عيسى (فلسطين) وتولى العمل بين رام الله والقدس وفيما بعد في يافا، ثم فوج العراق بقيادة عادل نجم الدين وتولى العمل في يافا والقطاع الغربي، واخيراً فوج الدروز "جبل العرب" بقيادة شكيب وهاب سعدي وتولى العمل في شفا عمرو³، وفي عام 1948م أعيد ترتيب جيش الانتقاذ على شكل ألوية فأصبح هناك "لواء

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص33.

² دروزة، محمد، فلسطين، ص80، وفلسطين، ص80. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص38. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص413.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص38-40.

اليرموك الاول" بقيادة محمد صفا، ولواء اليرموك الثاني بقيادة أديب الشيشكلي، ولواء اليرموك الثالث بقيادة مهدي صالح العاني، والفوج العلوي بقيادة غسان جديد¹.

أشار عارف العارف إلى أن جيش الإنقاذ مٌوّنَ من قبل لجنة الطوارئ التي تألفت من أميل الغوري، وسعد الدين العارف، وغالب الخالدي، وراضي أبو السعود، وفؤاد عبد الغني الخالدي، وصالح الريماوي من أجل إدارة شؤون المدينة وتوفير احتياجات السكان الدفاعية والمادية، إلا أنهم استعاضوا عنها بلجنة قومية تشكلت في 26 كانون الثاني 1948م من الدكتور فوتي فريج، والشيخ أسعد الامام الحسيني، وحنّا عطا الله، وتوفيق وفا الدجاني، والحاج طاهر بركات، والمحامي تحسين كمال، والمحامي وديع الصافي، واتخذت اللجنة مقراً لها في عمارة لدير الروم بين حارة النصارى وباب الخليل، واهتمت بتوفير احتياجات جيش الإنقاذ وامتته بالمؤن والذخائر، وانفقت عليه زهاء 12 ألف جنيه، مما دفعها إلى الاستدانة من البنك العربي 5000 جنيه، واستدانت المبلغ مثله من بنك الأمة².

أكد بهجت أبو غربية في مذكراته أن بريطانيا لم تمنع تشكيل جيش الإنقاذ؛ لأنه سيعمل على امتصاص أكبر قسم ممكن من الامكانيات والمعونات العربية وحجبها عن عرب فلسطين، وامتصاص أكبر عدد ممكن من الشباب العربي المتحمس لنصرة الفلسطينيين، وهذا ما تم بالفعل³.

وحسب عارف العارف فقد اندلع القتال في بداية الأمر في سوق الشمّاعة بتاريخ 13 كانون الأول 1947م، حيث قُتلَ يهودي وجُرح ستة آخرون، وأُحرقَ اليهود سينما ركس العربية في شارع الاميرة ماري، في حين أشعل الفلسطينيون النيران في المخازن اليهودية في سوق الشمّاعة، فاحترق معظمها، واحترقت عشرون عمارة من العمارات الكائنة في الحي، ولعب البريطانيون دوراً تحريضياً، إذ بدأوا يحرضون اليهود في شارع مأمن الله، ويحرضون العرب في سوق الشمّاعة، وعمل الفلسطينيون في ذلك الوقت على عرقلة سير السيارات اليهودية،

¹ دروزة، محمد، فلسطين، ص80.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص94-95.

³ أبو غربية، بهجت، مذكرات، ص42.

وقطع الاتصال بين الأحياء اليهودية في القدس، وقطع الماء والكهرباء والهاتف عن الأحياء اليهودية¹.

أشار عارف العارف إلى الهجمات العشوائية التي شنها المناضلون الفلسطينيون ضد المواقع الصهيونية، ففي 15 كانون الأول 1947م نسف المناضلون العرب خط الأنابيب التي تجري فيها المياه من رأس العين حتى القدس؛ فانقطعت المياه عن الأحياء الغربية للمدينة والتي كان سكانها من اليهود، إلا أن الحكومة البريطانية تمكنت من إعمار الأنابيب المعطلة وعادت المياه إلى مجاريها²، وفي اليوم نفسه شن أهالي قرية سلوان في القدس هجوماً على قافلة يهودية مؤلفة من بضع سيارات تحمل البوتاس، فقتلوا سبعة من ركبها³.

وفي 22 كانون الأول 1947م هاجم أهالي الخليل سيارة من سيارات الجيش البريطاني كانت مسافرة إلى بئر السبع، فاستولى العرب على مدفعين وعلى مقادير كبيرة من العتاد وبعض الملابس العسكرية⁴، ثم اعترض الثوار سيارة يهودية كبيرة في طريقها من جبعات شاؤول إلى القدس في 25 كانون الأول، فقتلوا بقنبلة، وأطلقوا النار على ركبها، فقتل العديد منهم، وهو ما وثقه عارف العارف⁵.

وتابع عارف العارف ما حصل في 27 كانون الأول 1947م حيث هاجم العرب قافلة يهودية على طريق القدس-يافا، وقتلوا أربعة من أفرادها، وجرحوا خمسة، وهاجموا في الوقت والمكان نفسه سيارة يهودية كانت مسافرة إلى عرطوف، فقتلوا ثلاثة من رجالها، وجرحوا ثلاثة آخرين⁶، كما أحرق المناضلون العرب سيارة يهودية عند باب العمود في القدس في 29 كانون الأول، ثم ألغوا قنبلة على بنك باركلس مما أدى إلى مقتل يهودي واحد (موشه رامباخ) وجرح اثنين، وفي اليوم نفسه قتل العرب يهودياً في شارع شمويل هانفي، ويهودية من سكان المدينة

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص32.

² م، ن، ص71.

³ م، ن، ص72.

⁴ م، ن، ص72.

⁵ م، ن، ص76.

⁶ م، ن، ج1، ص76.

القديمة، وسد العرب باب مغارة الكتان (مغارة سليمان) خشية أن يتسلل اليهود إليها ليلاً ويزرعوا فيها الألغام وينسفوا حي السعدية الكائن فوقها¹.

خاض جيش الإنقاذ العديد من المعارك مع القوات اليهودية، أهمها "معركة جدّين" في 21 كانون الثاني 1948م حيث أمر قائد جيش الإنقاذ بمهاجمة إحدى المستعمرات الصهيونية في منطقة الجليل؛ بهدف تغطية عبور فوج اليرموك الثاني لنهر الأردن من جهة، والحصول على معلومات عن قدرات الصهاينة العسكرية وحصاننها ومناعتها من جهة ثانية، ووقع اختيار قائد الفوج الأول على مستعمرة "جدّين" الواقعة قرب ترشيحا، فشنوا هجوماً عليها، وقاتل الصهاينة ببسالة دفاعاً عن المستعمرة، إلا أنّ القوات العربية تمكنت من احتلال المراكز الامامية، فبدأ الصهاينة بإرسال النجديات الى جدّين، ولكن باءت محاولاتهم للدخول للمستعمرة بالفشل الذريع، ونجح المناضلون في تدمير عدد كبير من المصفحات اليهودية وتكبيدهم خسائر فادحة في الأرواح².

وفي ظهر يوم 23 كانون الثاني 1948م وصلت قوة بريطانية لنجدة المدافعين الصهاينة، فتراجعت قوات جيش الإنقاذ تجنباً للصدام مع القوات البريطانية، وخسرت قوات جيش الإنقاذ 18 شهيداً، أما الصهاينة فكانت خسائرهم خارج المستعمرة أكثر من داخلها، فقد دُمّر القسم الأكبر من النجديات الصهيونية³.

أخذت الاشتباكات تتكرر كل يوم بين اليهود والعرب في مدينة القدس، وذكر عارف العارف ومصطفى الدباغ ما حدث في 26 كانون الثاني 1948م حيث تمكن المناضلون من محاصرة الحي اليهودي في البلدة القديمة ودمروا ثلاثة منازل، وبدأوا يطلقون النيران على الحي والجنود البريطانيين الذي تولوا حراسته، وضيقوا الخناق على الأحياء اليهودية خارج السور، ليمنعوا وصول المواد التموينية إليها، فأشرف الصهاينة على الهلاك، فطلبت منهم الحكومة البريطانية إخلاء الحي والحي التجاري في الشماعة إلا أن رجال الهاغاناة رفضوا، ووجه الصهاينة نداءً

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص78.

² أبو غربية، بهجت، مذكرات، ص45.

³ م، ن، ص45-46.

إلى العرب بفك الحصار وإعلان القدس القديمة مدينة مفتوحة، إلا أن المناضلين اشتروا على الصهاينة تسليم أنفسهم دون قيد أو شرط¹.

وحسب عارف العارف فقد اشتد الحصار على الإحياء اليهودية إلى درجة تعطلت جميع المصالح، وأغلقت المحاكم أبوابها، ورفض القضاة الذهاب إلى دار العدل، وكذا قل الأطباء والمؤسسات الصحية، وارتفعت الأسعار إلى درجة لا تطاق، فبيعت أوقية اللحم بجنه فلسطيني، وصفحة البترول باثني عشر جنهياً، فقطع اليهود أشجار الحدائق والبساتين واستعملوها للإنارة والوقود².

وفي 17 شباط 1948م أشار عارف العارف إلى القتال العنيف الذي احتدم بين العرب واليهود عند مدخل الحي اليهودي في البلدة القديمة، فجرح عدد من الصهاينة واستشهد عربي وجرح آخر، وكانت القوات الصهيونية في هذه الاثناء تشن هجوماً على قرية صور باهر من المستعمرات الثلاث المحيطة بالقرية، واشتدت نيران العرب على البلدة القديمة، وتصدى مناضلو القرية للقوات الصهيونية وردّوهم على أعقابهم بعد نسف منزل في أطراف القرية³.

أكد عارف العارف أن جيش الإنقاذ حقق هدفه في اجتياز نهر الأردن ودخول فلسطين وخصوصاً جنوب بيسان بقيادة محمد الصفا، ثم جاء أمر فوزي القاوقجي (قائد جيش الإنقاذ) في شن هجوم على إحدى المستعمرات في المنطقة الوسطى؛ لاستطلاع قوة العدو، وعبور قوات أخرى مساندة لجيش الإنقاذ محملة بالأسلحة، ووقع اختيار قائد الفوج الأول على مستعمرة "الزراعة" في غور بيسان، وأعدّ ترتيباته للهجوم ليلة 17 شباط 1948م، وخصّص سرية مشاة مع فصيل إسناد، وفي المقابل أرسل سرية أخرى لشن هجوم على مستعمرتين مجاورتين، كتغطية للهجوم على مستعمرة الزراعة⁴.

بدأ الهجوم، ورأى عارف العارف أن الأمور اتجهت لصالح العرب نتيجة تساقط الامطار بشدة، فقطع المناضلون الاسلاك، وتراجع الصهاينة عن مراكزهم الامامية، وتقدم أربعة من سرية جيش الإنقاذ يحملون أربعة صناديق مليئة بالألغام باتجاه برج المراقبة، فتمكن واحد منهم من

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص96. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص290.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص96.

³ م، ن، ص112.

⁴ م، ن، ص105.

الوصول إلى البرج ووضع اللغم وإشعاله إلا أنه انطفأ بسبب المطر الغزير¹، ثم جددت السرية هجومها من ناحية التل المجاور بمجموعة من المشاة، ونجحت في تدمير عدد من بيوت المستعمرة والبرج الكشاف، لكن المشاة لم تتمكن من التقدم بعيداً حيث اعترضتهم منطقة مغمورة بمياه الأمطار، ومياه البرك التي أطلقها المدافعون عن المستعمرة².

على الرغم من ذلك غاص المشاة في الماء والطين واشتبكوا في قتال عنيف مع مواقع العدو، وفي نفس الوقت وصلت نجدات صهيونية وبريطانية لمساعدة صهاينة المستعمرة، فما كان أمام قائد الفوج إلا أن أمر جيشه بالانسحاب، بعد أن تركوا خلفهم وفق ما أشار عارف العارف 37 شهيداً وعدداً من الجرحى، أما الصهاينة فبلغ عدد قتلاهم 112 قتيلاً³.

هاجم المناضلون قافلة صهيونية في 1 آذار 1948م فقتلوا أربعة من رجالها، وجرحوا ثمانية، وأعطبوا إحدى السيارات، وفي اليوم الثالث من نفس الشهر دمروا سيارتين كبيرتين عند حوض الماء القريب من مقام الشيخ علي، فقتلوا 15 صهيونياً، ثم هاجموا قافلة صهيونية في اليوم التالي، وقتلوا أربعة من رجالها كما ذكر عارف العارف، وكادوا يقضون عليها لولا تدخل السلطات البريطانية⁴، كما هاجم العرب بنك باركلس واستولوا على مبلغ 18,000 جنيه من موظفي مصلحة البرق والبريد، وقتلوا رئيس الإسكان المستر دنهام Dunham كونه من أنصار اليهود⁵.

وذكر عارف العارف ما حدث في 8 آذار 1948م عندما هبط حوالي 500 مقاتل من جيش الإنقاذ على رأس العين وتمكنوا من احتلاله والسيطرة على المباني الواقعة فيه، وطردها جميع الموظفين اليهود العاملين في إدارة الموتورات واستبدلوهم بالموظفين العرب، لكنهم لم يتمكنوا من قطع المياه عن القدس خشية الحاق الضرر بالعرب القاطنين في الاحياء اليهودية الغربية⁶.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص105-106.

² م، ن، ص106.

³ م، ن، ص107.

⁴ م، ن، ص122.

⁵ م، ن، ص200.

⁶ م، ن، ص129.

وخلال يومي 12-13 آذار 1948م فجر العرب الألغام تحت السيارات الصهيونية، فقتلوا خمسة من ركابها، وفي 17 آذار -حسب عارف العارف- اشتبك المناضلون مع الصهاينة عند بئر الحلو في الطريق المؤدية الى باب الواد، ودمروا مصفحة صهيونية، وفي اليوم الثاني هاجموا قافلة صهيونية قادمة من عرطوف مؤلفة من تسع سيارات، وقتلوا 15 رجلاً، ودمروا مصفحة للحراسة، وغنموا كمية من الأسلحة، وفي 22 آذار كمن العرب لقافلة يهودية قادمة من تل أبيب وأشعلوا النيران في سيارتين للمؤن وقتلوا سائقها، ودمروا سيارة ثالثة وجرحوا السائق ومساعدته¹، ونتيجة شدة الهجمات الفلسطينية في باب الواد شعر اليهود بالخوف والقلق من وطأة الحصار وقلة المؤن، فاستجدوا بالسلطات البريطانية، فوضعت في عرطوف قوة بريطانية مكونة من 200 جندي لحماية القوافل الصهيونية، فتمكن الصهاينة منذ 23 آذار من تسيير قوافلهم تحت الحماية البريطانية².

أبرز عارف العارف قوة جيش الإنقاذ عندما أغارت سرية من قواته على مستعمرة زراعيم قرب زرعين مساء الرابع من نيسان ودمرت قسماً من بيوت المستعمرة، وحوض المياه الذي يسقي أراضي المستعمرات المجاورة، وواصل جيش الإنقاذ خطته في الاستيلاء على المستعمرات، فتطلعوا إلى الاستيلاء على مستعمرة مشمار هاعيميك في مرج ابن عامر، بهدف اختبار مناعة المستوطنات وحصانتها³.

جهز المناضلون قواتهم للهجوم والتي تألفت كما ذكر عارف العارف من ثلاث مصفحات وستة مدافع، واختاروا مساء يوم السبت 4 نيسان 1948م مستغلين انشغال اليهود بعيدهم، وأطلقوا النيران باتجاه المستعمرة، مما سبب الذعر بين السكان، ووصل المشاة إلى الأسلاك الشائكة وقطعوها، وقصفت المصفحاتُ الأبراجَ بالراميات الكثيفة، وقُذِفَت القلاغُ بالقنابل اليدوية، وكانت رماية المستعمرة ترد على ذلك كله بنيران متقطعة تدل على ما أصابها من ارتباك⁴.

ومرة أخرى تقف الظروف الجوية عائقاً أمام المناضلين، فقد هطلت الأمطار بغزارة مما زاد من صعوبة الرؤية، وأصدر فوزي القاوقجي أمراً بالانسحاب إلى التلال المحيطة بالمستعمرة

¹ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص494.

² م، ن، ج1، ص495.

³ م، ن، ص198.

⁴ م، ن، ص198.

والانتظار حتى الصباح، ووجه إنذاراً إلى سكان المستعمرة بضرورة قطع كل اتصال لهم بعصابات الهاغاناة، وإرسال وفد للتفاوض من أجل وضع المستعمرة تحت حماية جيش الإنقاذ وهو ما وثقة عارف العارف في كتابه¹.

وفي الطرف الآخر كانت معركة القسطل تشهد تحولات حاسمة، الأمر الذي فرض على فوزي القاوقجي إرسال قوة دعم غادرت منطقة مشمار هاعيميك إلى منطقة القسطل في 8 نيسان، فاستغل الصهاينة ذلك محاولين فك الحصار عن المستعمرة، فصدرت الأوامر العربية بقصف المستعمرة لإرغامها على الخضوع، وعلى إثر ذلك رأى عارف العارف أن قادة المستعمرة اضطروا إلى إرسال وفد برئاسة رئيس بلديتها يرافقه عقيد بريطاني، وحاولوا تهديد قائد جيش الإنقاذ المكلف بالهجوم على المستعمرة، ولكن هذه التهديدات لم يكن لها أي تأثير يُذكر².

حاول جيش الإنقاذ استغلال الوقت ريثما تعود القوات التي أرسلت إلى القسطل، فوافقت قيادة الجيش على نقل جنث القتلى والجرحى الصهاينة، وهنا حدثت كارثة حسب ما ذكر العارف إذ بدأ اليهود ينقلون الجنث وتعود سياراتهم محملة بجنود الهاغاناة، والعديد منها تعود مشحونة بالأسلحة والعتاد، وبذلك أتمّ اليهود استعدادهم قبل عودة قوة جيش الإنقاذ من القسطل³.

ويتحدث عارف العارف عما حدث عقب سقوط دير ياسين والقسطل في يد الصهاينة في أوائل نيسان 1948م، حيث قرر المناضلون من جيش الإنقاذ نفس الأنايبب التي توصل مياه رأس العين إلى الأحياء اليهودية الكائنة غربي مدينة القدس، ودمروها في 10 نيسان 1948م فتضررت الأحياء اليهودية ودوائر الحكومة وقوات الجيش البريطاني، فاضطرت الهيئات الصهيونية إلى توزيع الماء على السكان اليهود من الآبار والصهاريج التي تتجمع فيها مياه الأمطار⁴.

وذكر العارف ما حصل في صباح 10 نيسان حيث شن الصهاينة أقوى هجوم لهم، والذين كان عددهم لا يقل عن 6000 مقاتل، يقابلهم 500 مقاتل من جيش الإنقاذ فقط، فتراجعت القوات

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص198-199.

² م، ن، ن، ص199.

³ م، ن.

⁴ م، ن، ص182-183.

العربية أمام هجمات القوات الصهيونية، وتمركزت في قرية منسي العربية التي كانت قاعدة العمليات، وتوقفت المعركة مع حلول الظلام¹.

وفي ليلة 10 نيسان أعادت قوات جيش الإنقاذ تنظيم نفسها، وعدلت مواقعها حتى تستطيع القيام بهجوم مضاد، وفي تمام الساعة الخامسة من صباح 11 نيسان فتحت المدفعية العربية نيرانها على مستعمرة مشمار هاعيميك، وهجم المشاة من جيش الإنقاذ على مواقع القوات المعادية، فبدأ أفراد الهاغاناة بالتراجع، وتقدمت القوات العربية مباشرة إلى التلال المشرفة على المستعمرة، وعادت القوات الصهيونية ونظمت نفسها مرة أخرى، وشنت هجوماً مضاداً في ساعات الظهر، وأشار العارف إلى نجاح قوات جيش الإنقاذ في إفشال الهجوم².

رأى عارف العارف أن قوات جيش الإنقاذ أعادت تنظيم نفسها مرة أخرى، وشنت هجوماً عنيفاً استطاعت من خلاله استرداد المواقع التي كانت قد فقدها، وإحاق الهزيمة والخسائر بالقوات الصهيونية، واستمر القتال في هذه المعركة مدة سبعة أيام دون انقطاع، ثم خلالها تحرير التلال المحيطة بالمستعمرة (مشمار هاعيميك)، وإشاعة الذعر والفوضى في المستعمرات المجاورة، الأمر الذي انطوى عليه هجرة أعداد كبيرة من سكانها إلى مناطق أخرى³.

بدأ الجيش البريطاني بالانسحاب من مركز شرطة النبي يوشع في تاريخ 15 نيسان 1948م، فتصارع اليهود والعرب على احتلاله، وتمكنت قوات جيش الإنقاذ بقيادة الملازم شفيق عيسى من الدخول إلى المركز والاستقرار به ومنع الصهاينة من الدخول إليه، ومع هذا فقد عادت القوات الصهيونية لمهاجمة المركز لاحتلاله والسيطرة عليه، ودارت معركة بين الطرفين في 19 نيسان 1948م، كان النصر فيها حليفاً للمناضلين العرب وفقاً لما ذكره عارف العارف⁴.

فطن العرب والصهاينة في نهاية شهر نيسان إلى أهمية موقع باب الواد كونه مفتاح مدينة القدس، فتهياً الصهاينة لغزوه من السهل الساحلي لضمان مرور قوافلهم إلى القدس، وفي المقابل أشار العارف إلى قطع العرب الطريق عليهم، فبدأوا يتهافتون لشراء السلاح، وتجمع المقاتلون من قرى عمواس ويالو ودير أيوب، وبيت نوبا، وبيت محيسن، وساريس وغيرها، فكان عددهم

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص183.

² م، ن، ص198.

³ م، ن، ص198-199.

⁴ م، ن، ص193.

بالبداية 300 مناضل¹، وعملت القوات العربية على تخريب الطريق، وإتلاف الانابيب التي تمد الاحياء اليهودية في القدس بمياه الشرب، وتصدى العرب للقوافل الصهيونية التي تمر بباب الواد مرة واحدة في الأسبوع، فأوقعوا بها الخسائر، ومنعوا من المرور².

اعتبر عارف العارف معركة باب الواد واحدة من المعارك القليلة التي تكللت بالنجاح لصالح العرب، وذلك لأن خسائر اليهود كانت هائلة بلغت الآلاف بين القتلى والجرحى، بينما لم يخسر الجيش العربي سوى 20 جندياً³، فوصف ديفيد بن غوريون المعركة بقوله "خسرنا في معركة باب الواد وحدها أمام الجيش الأردني ضعفي قتلانا في الحرب كاملة"⁴.

وأشاد عارف العارف بما حدث في اليوم الثاني من أيار 1948م عندما قامت مدفعية جيش الإنقاذ بقصف أحياء القدس الغربية من مرتفعات النبي صموئيل وقرية بدو شمال القدس بقيادة إبراهيم أبو دية، إلا أن القوات البريطانية اعتقلت القائد إبراهيم أبو دية وسجنوه لعدة ساعات، وفي المقابل فتحت الطريق أمام النجدة اليهودية من الناحية الشمالية والغربية⁵.

واصل اليهود إصرارهم على احتلال مركز النبي يوشع حسب عارف العارف، فعادت قوة من البالماخ شن هجوم عليه في 13 أيار 1948م، وتمكن المناضلون من ردهم، وكررت البالماخ هجومها في الليلة التالية بعد أن عززت قواتها، فقررت قوات جيش الإنقاذ اخلاء المركز كونها لا تملك القوات الكافية للدفاع عنه، فانسحبت القوة العربية في صباح 15 أيار 1948م⁶.

وضعت القيادة العامة للقوات العربية في عمان خطة لدخول الجيش السوري من الحدود اللبنانية للاستيلاء على صدف وعزل مستوطنات الحولة عن طبريا والقيام بهجوم مشترك على حيفا مع الجيش اللبناني وجيش الإنقاذ، فوصلت هذه المعلومات إلى الصهاينة، فأصدر قائد لواء يفتاح ويغال ألون Yigal Alon أمراً في 13 أيار 1948م إلى قائد الكتيبة بالتقدم لاحتلال المالكية والتلال المحيطة بها لإغلاق الطريق أمام الجيشين السوري واللبناني، وقام قائد الكتيبة ليلة 15

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص342.

² م، ن، ص343.

³ م، ن، ج2، ص500.

⁴ بن غوريون، دافيد، يوميات، ص156.

⁵ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص200.

⁶ م، ن، ص198.

أيار باحتلال قدس والمعسكر البريطاني خارج المالكية، فقامت قوتين من الجيش السوري واللبناني بهجوم معاكس أجبر القوات الصهيونية على التراجع بعد أن خسرت عدداً كبيراً من رجالها، وبذلك تم استرداد المالكية والمعسكر وقدس، ثم عاودت القوات الصهيونية تجميع نفسها، وتحركت قوة إسرائيلية معززة إلى داخل الأراضي اللبنانية والتفوا على المالكية واستطاعوا احتلالها رغم المقاومة العنيفة للقوات اللبنانية، واحتلال قدس ونسف الجسور التي تؤدي إلى تلك المنطقة، ومن هنا أُلقيت على عاتق فوزي القاوقجي مهمة استرداد المالكية، وبدأت مدفعية جيش الإنقاذ بقصف الصهاينة في المالكية ودارت معارك عنيفة بين الجانبين اشترك فيها الطيران السوري، واستطاع العرب استعادة المالكية وقدس، وهو ما وثقه عارف العارف¹.

عندما أعلن البريطانيون عزمهم على الانسحاب من فلسطين في منتصف أيار 1948م تشكلت في بئر السبع حامية عسكرية للدفاع عن المدينة تألفت من 60 مجاهداً وعدد من المتطوعين العرب من أبناء المدينة، في حوزتهم 200 بندقية، وعداداً من الألغام، وبضع من القنابل اليدوية، بقيادة عبد الله أبو ستة، وبدأ المناضلون يعترضون قوافل السيارات الصهيونية، منها قافلة يهودية متجهة إلى مستعمرة "بيت إيشل" وقعت تحت الحصار، وهو ما ذكره عارف العارف².

ووفقاً لأكرم زعيتر فقد بدأت بوادر حل جيش الإنقاذ مع موعد دخول الجيوش العربية النظامية إلى الحرب في فلسطين، ابتداءً من 15 أيار 1948، فوضع فوزي القاوقجي خطة للانسحاب خلال ثلاثة أيام تبدأ من 17 أيار 1948م³.

لم تكن قوات جيش الإنقاذ المسؤولة الوحيدة عن الوقوف في وجه الأطماع الصهيونية في فلسطين، ويروي عارف العارف ما حصل على إثر صدور قرار التقسيم، حيث نظم عبد القادر الحسيني في 25 كانون الأول 1947م قوة من الشباب في قرية صوريف تقدر بـ 25 مجاهداً لمقاومة التقسيم والدفاع عن عروبة فلسطين، وحملت اسم "قوات الجهاد المقدس" وأُتبعَت للهيئة العربية العليا، ومقرها القدس⁴.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص302.

² م، ن، ص309.

³ زعيتر، أكرم، القضية، ص210.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص73.

عرض عارف العارف تشكيلات قيادة الجيش والتي تألفت من عبد القادر الحسيني رئيساً، وكامل عريقات نائباً للرئيس، وقاسم الريماوي أميناً للسر، إلى جانب مجموعة من المفتشين للشؤون العسكرية والإدارية، وعُيّن لكل قطاع قائداً يتلقى أوامره من القيادة الرئيسية، امثال حسن سلامة، وإبراهيم أبو دية¹.

ويورد عارف العارف الرتب التي حملها المجاهدون الفلسطينيون وهم المجندون المقاتلون من الفلسطينيين والمتطوعين العرب (8-10 مقاتلين)، وتمثل عملهم في نشر الثورة وقطع طرق المواصلات، والمجندون المرابطون (أكثر من 18 ألف مرابط)، أي المواطنون المقيمون في القرى للدفاع عن قراهم، وفصيل التدمير الذي تألف من المجندين المختصين بعمليات النسف والتدمير، واخيراً فصيل مطاردة الخونة لتصفية العملاء والسماسة وباعة الاراضي والقضاء على العناصر الانجليزية المعادية لعروبة فلسطين².

حاولت الهيئة العربية جاهدة تأمين السلاح لقوات الجهاد المقدس إلا أنها فشلت؛ ومن ذلك اخفاؤها في اتمام صفقة شراء 8000 بندقية وسبعة ملايين طلقة و200 مسدس، ويعزو عارف العارف ذلك إلى العراقيين التي وضعها اليهود من جهة، ونقص الاموال من جهة أخرى³.

أشار عارف العارف إلى محاولة الهيئة العربية حل مشكلة السلاح من خلال إنشاء مصنع لإصلاح السلاح في إحدى ضواحي القاهرة، إضافة إلى ثلاثة مصانع في القاهرة، الاول للقنابل، والثاني للأعمدة، والثالث لإصلاح السلاح، وأنشأت في دمشق مصنعاً لتعبئة الذخيرة، ومستودعات للذخيرة في بيروت ودمشق وصيدا والعريش والقاهرة⁴، وشكلت في كل مدينة وقرية فلسطينية لجنة محلية، ومن ثم لجنة فرعية لجمع الأموال والسلاح⁵.

ورأى عارف العارف أن الهيئة العربية تمكنت خلال عامي 1947-1948م من تأمين 5396 بندقية، و499 مدفعاً، و309 مسدساً، و60 قنبلة، و3867 لغماً، إضافة إلى العديد من التجهيزات

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص73-74.

² م، ن، ص74.

³ م، ن، ص54.

⁴ م، ن، ص54-55.

⁵ م، ن، ص44.

العسكرية من ملابس وأحذية وغيرها، إلا أن هذا العدد يعتبر قليلاً مقارنة بالإمكانات والتجهيزات العسكرية الصهيونية¹.

ذكر عارف العارف توزيعات قوات الجهاد المقدس في جميع مدن فلسطين، فقد تولى عبد القادر الحسيني قيادة منطقة القدس، وبيت لحم، ورام الله، في حين تولى حسن سلامة قيادة المنطقة الغربية الوسطى (الرملة، واللد، ويافا، والمجدل)، والمنطقة الجنوبية، والمنطقة الغربية والمنطقة الشمالية².

بدأت قوات جيش الجهاد المقدس بشن هجماتها فور تشكيلها، ووثق عارف العارف أول أعمالها في الأول من كانون الأول 1947م، عندما بدأ الصهاينة يتحرشون بأهالي قرية سلمة، حيث اعتدى سكان مستوطنة هاتكفا على مزارع عربي فرد شبان سلمة بقتل اثنين من الصهاينة في نفس اليوم والمكان، وعاودت القوات الصهيونية هجومها بمجرد مغادرة البريطانيين، فتصدى لهم الأهالي وكبدوهم خسائر فادحة، فأجبروا على التراجع، لكن المفاجأة كانت في شن الصهاينة هجوماً آخر شمالي القرية، تمكن مناضلو سلمة من صدّه وقاموا في الليلة نفسها بهجوم معاكس على مستوطنة هيتكفا وأشعلوا النار في بعض المنازل، ففر سكان المستوطنة تاركين 26 طفلاً وراءهم سلمهم المجاهدون للسلطات البريطانية، ووصلت قوات جديدة لنجدة هيتكفا، وفي المقابل وصل مناضلون من اللد والعباسية لنجدة سلمة، فطاردوا الصهاينة حتى مشارف تل أبيب وأحرقوا بعض منازل مستعمرة "شابيرو"، فتدخلت السلطات البريطانية وأجبرت المناضلين على التراجع بعد طلب من رئيس بلدية تل أبيب، وأحاطت القوات البريطانية بسلمة من كل جانب بدعوة الفصل بينها وبين المستعمرات المجاورة، فاستغل الصهاينة الظرف لتحصين مستعمراتهم، ولما انتهوا من التحصين انسحبت القوات البريطانية، وتمكن سكان سلمة من الصمود حتى أواسط نيسان 1948م، وظلوا يقاومون حتى نفذت منهم الذخيرة، ووصلهم خبر سقوط يافا في 28 نيسان 1948م فبدأوا بمغادرة القرية، ولم يجرؤ الصهاينة على دخولها إلا بعد أيام من هجرة أهلها³.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص56-57.

² م، ن، ص74.

³ م، ن، ص274-275.

وفي 8 كانون الاول 1947م قامت مجموعة من شباب القرى الواقعة بين مدينتي اللد وتل أبيب قوامها 100 مسلح بقيادة حسن سلامة باقتحام خطوط دفاع العدو عن مستعمرة هاتكفا البالغ عددهم 30 ألفاً، واضطر معظمهم للهروب إلى تل أبيب تحت ضغط الهجوم العربي الصاعق¹.

تبع معركة هاتكفا سلسلة من المعارك التي خاضها حسن سلامة بعد أن تجمع له قوة قوامها 1185 مقاتلاً²، سجلوا فيها نصراً حاسماً مثل معارك العباسية، ودير محيسن، وأبو شوشة، واللد والرملة، ورأس العين، وبيت حزبون، والقباب، ووادي الصرار، وهو ما ذكره عارف العارف ومصطفى الدباغ³.

وأشار عارف العارف إلى تمكن القوات الفلسطينية من احتلال مستعمرة هاتكفا اليهودية، ولم يستطع اليهود استعادتها إلا بعد تدخل القوات البريطانية، واستمرت قوات الجهاد في اعمالها حيث زودت سيارة نقل بريطانية عسكرية بمتفجرات تزن طناً ونصف وفجرتها في شارع هاسوليل داخل الاحياء اليهودية في القدس، وقد نجم عن الانفجار تدمير ثماني بنايات من بينها بناية جريدة بالسنتين بوست وجريدتي همشمار وهامشكيفا وقتل وجرح مئات اليهود، كما نسفت معمل السبيرتو اليهودي القريب من مستعمرة نيتز في يافا، ومعمل النجارة الكبير قرب ضاحية أبو كبير، ومعمل الجير والاسمنت في مجدل صادق، وسكة حديد حيفا، ودار شركة سوليل بونيه اليهودية⁴.

شكلت مدينتا اللد والرملة هدفاً مغرياً للصهاينة، ويعزو عارف العارف ومصطفى الدباغ ذلك إلى موقعيهما القريب من تل أبيب، ووجود محطة الهاتف الرئيسية في فلسطين هناك، ووجود مطارين فيهما أحدهما صغير والآخر كبير، وقرب معسكر صرفند منهما، وبالتالي علم سكان المدينتين بغاياتهم، فبدأوا باتخاذ التدابير الدفاعية اللازمة، فتشكل في مدينة اللد نحو 75 مقاتلاً من جيش الجهاد المقدس، و250 مقاتلاً من الحرس البلدي، و350 متطوعاً، و650 مقاتلاً من الاحتياط، و11 مصفحة، وخمسة مدافع، و36 رشاشاً، و150 بندقية، والقليل من الألغام والقنابل اليدوية، أما الرملة فتشكل فيها نحو 300 مقاتل من أبنائها، و50 من جيش الجهاد المقدس،

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص274.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص128. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص290.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص485.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص98.

مسلحون بـ400 بندقية، وأربعة رشاشات، ومدفع واحد، وانضم نحو 250 مقاتلاً متطوعاً من بدو شرقي الأردن، وانضمت سرية من قوات جيش الإنقاذ معها متطوعون من مصر الى مقاتلي اللد والرملة¹.

نشبت عدة مناوشات بين العرب والصهاينة في نهاية كانون الأول 1947م كان النصر فيها حليف العرب، وأشاد عارف العارف بقوة جيش الجهاد المقدس، حيث أسقط مناضلو اللد طائرة هدفت الى قصف مطار المدينة، واستولى المجاهدون على المطار ومحطة السكة الحديدية ومعسكر بيت نبالا، وخصصوا قوة دفاعية لحراسة المدينة والدفاع عنها².

وذكر العارف ما حدث في القدس في 2 كانون الثاني 1948م حيث حاصرت قوات الجهاد المقدس الحي اليهودي في البلدة القديمة في القدس، وكان باستطاعتهم الاستيلاء على الحي لولا تدخل السلطات البريطانية لصالح اليهود³.

وفي 3 كانون الثاني 1948م اصطدم ثمانية رجال من ابناء عشيرة الصبيح مع عشرين صهيونياً مسلحاً، وكان النصر حليف العرب، وعاد اليهود الى مستعمراتهم بعد مقتل سبعة يهود، وطلبوا النجدة من الهاغاناة، فيما طلب المناضلون الدعم من قرية الشجرة وكفر كنا والناصره فتجمع لهم تسعون مجاهداً، يحملون مدفعاً رشاشاً واحداً، وتمركزت القوات عند مدخل مستعمرة الشجرة وحولها على شكل هلال فسيطرت على السهل والوادي القريب منه، فبدأت العصابات الصهيونية المعركة بإطلاق النيران لمدة ساعتين، واتجه اليهود نحو المواقع العربية ففتح المناضلون عليهم النيران دفعة واحدة، الأمر الذي أدى حسب ما ذكر عارف العارف إلى سقوط 20 قتيلاً و20 جريحاً، فأخذوا يفرون إلى مستعمرتهم، واستمر المجاهدون في مطاردتهم الى أن وصلوا الى حدود المستعمرة لكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها لقلّة تسليحهم⁴.

وتابع العارف الحديث حول ما جرى في القدس، حيث هاجم جيش الجهاد المقدس في 10 كانون الثاني 1948م حي سنهدريا شمال القدس، إلا أن اليهود المرابطين في الحي تمكنوا من صدهم، وارتكبت قوات الجهاد خطأً فادحاً لفت انتباه اليهود، اذ بدأ المشاة الزاحفون في إطلاق النار قبل

¹ العارف، عارف، النكبة، ج3، ص600-601. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص371، ص442، ص465.

² العارف، عارف، النكبة، ج3، ص600.

³ م، ن، ص78.

⁴ م، ن، ج1، ص79.

اجتياز حامي الاغام، فتصاعدت هجمات اليهود، لولا تدخل أحد المناضلين في إتلاف الكشاف الكهربائي الذي استعمله اليهود في كشف مواقع الفلسطينيين، فنجوا المناضلون، مع إصابة أحدهم بجراح¹.

أطلق اليهود النار على عدة سيارات عربية في 14 كانون الثاني 1948م وخصوصاً على سيارة القنصل العراقي في طريقه إلى الخليل، فشن سكان الخليل هجوماً على مستعمرة كفار عصيون، فاستشهد من العرب أربعة عشر مقاتلاً، وجرح أربعة وعشرون²، وفي نفس اليوم شن العرب هجوماً على قافلة يهودية كبيرة كانت متجهة إلى القدس، وتمكن العرب من إيقاع اليهود في كمين قرب قرية بيت نبالا، فقتل 12 يهودياً وجرح 60 آخرون حسب إحصائيات عارف العارف، إلى جانب إحراق جميع سيارات القافلة³.

وفي 16 كانون الثاني 1948م قدمت قوة صهيونية من ناحية عرطوف في طريقها إلى كفار عصيون لنجدتها وتقوية حاميتها، وعندما اقتربوا شعر بهم سكان القرية، فتصدوا لهم وطاردهم حتى أرغموهم على الاعتصام بجبل ظهر الحجة، مما دفع المناضلين إلى تطويقه، وبدأوا باقتحام مواقع قوة العدو حتى أبادوها، واستشهد في هذه المعركة حسب ما ذكر العارف خمسة من المناضلين، وقُتل من اليهود خمسة وثلاثون⁴.

وفي 18 كانون الثاني 1948م جاءت قافلة صهيونية عن طريق "بيت نتيف" لنقل جثث القتلى فتصدى لها المقاتلون العرب واشتبكوا معها لمدة سيع ساعات، فارتدت القافلة على أعقابها، واستشهد ثلاثة من المناضلين العرب، وقتل 13 صهيونياً⁵ وفق إحصائيات عارف العارف.

أشار عارف العارف إلى قطع المناضلين مياه عين فارة عن الاحياء اليهودية في 18 كانون الثاني 1948م من خلال تدمير الانابيب التي توصل مياه هذه العين إلى تلك الاحياء، إلا أن الجيش البريطاني تمكن من إعادة إعمارها⁶.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص83.

² م، ن، ص83.

³ م، ن، ص84.

⁴ م، ن، ص84.

⁵ م، ن، ص84-85.

⁶ م، ن، ص88.

وثق عارف العارف خطة المجاهدين المقدسين لقطع طرق المواصلات بين الساحل والقدس، حيث بث عبد القادر الحسيني "قائد جيش الجهاد المقدس" العيون لجمع المعلومات عن أنشطة الصهاينة العسكرية وحركة قوافلهم، فتلقى نبأ إرسال الصهاينة قافلة كبيرة من السيارات محملة بقوات صهيونية وبريطانية ومواد التموين الى مدينة القدس في 19 كانون الثاني 1948م¹.

وتابع العارف حديثه حول عقد عبد القادر الحسيني اجتماعاً تألف من كامل عريقات وإبراهيم أبو دية وقادة قطاعات قرى القسطل وقالونيا وساريس، وتم وضع خطة لتدمير القافلة والقوات التي تتولى حراستها في 25 كانون الثاني 1948م، واجتمع إلى جانب قوات جيش الجهاد عدد من أهالي بيت سوريك والقرى المجاورة، ونجدة قدمت من مدينة جنين بقيادة فوزي جرار، وقضت الخطة بتوزيع القوات على جانبي الطريق، وزرع الألغام ليلاً في أماكن معينة منه، ووقع اختيار عبد القادر الحسيني على أن يكون مقر القيادة في قرية بيت عنان القريبة من بيت سوريك².

ورأى العارف أن عبد القادر الحسيني وقواته علموا في الوقت نفسه أن القافلة الصهيونية تجتاز ممر باب الواد باتجاه القدس، فانطلق المقاتلون الى بيت سوريك، وبدأ اليهود يطلقون النار على المجاهدين الموجودين في مستعمرة الدليب قرب أبو غوش، ومستعمرة الخمس³.

وصلت القافلة اليهودية ظهراً، فأصدر الحسيني أمراً بالهجوم عليها، فانقض المجاهدون على القافلة من الجهة الشمالية، بينما انقض إبراهيم أبو دية ورجاله من الناحية الجنوبية، وانطلقت مجموعة التدمير تفجر الألغام، ووقعت معركة بين الطرفين استمرت ساعة واحدة، وبدأ اليهود يتركون السيارات ويفرون باتجاه مستعمرة الخمس، وانتهت المعركة حسب عارف العارف بتدمير القافلة وقتل عدد غير قليل من الصهاينة والجنود الانجليز الذين تولوا حراسة القافلة⁴.

تعقب المجاهدون فلول العدو باتجاه مستوطنة الخمس، فتصدت لهم قوة كبيرة من البريطانيين، فتجنب الحسيني وقوع الصدام مع القوة البريطانية مكتفياً بالنصر الذي حققه، فأصدر أمراً بعودة المجاهدين الى قرية بيت سوريك، وخسر الجانب العربي في هذه المعركة وفق إحصائيات

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص88.

² م، ن، ص91.

³ م، ن، ص91.

⁴ م، ن، ص91.

عارف العارف سبعة شهداء، وغنم المجاهدون 12 بندقية، وأربعة رشاشات جديدة، إضافة إلى حمولة القافة¹.

وفي 22 شباط 1948م أمر عبد القادر الحسيني قواته بنسف شارع بن يهودا²، فتقدموا في أربع سيارات مليئة بالمتفجرات، استخدمت لنسف العمارات اليهودية، ودب الرعب في قلوب السكان، وقدرت الخسائر في الممتلكات بما لا يقل عن مليوني جنيه، وأشار بيان الحكومة البريطانية الذي وثقه عارف العارف إلى مقتل 49 يهودياً وجرح 132، بينما أشار اليهود إلى مقتل 74 وجرح 200، وزعم العرب مقتل 200 وجرح 1000³، وهدمت الكثير من العمارات جراء هذا الحادث مثل فندق الاتلانتيك الذي كان يتواجد فيه 274 امريكياً، وفندق أمروسكي، ودار الهستدروت، وبناية فلنشك، وبنك التسليف، وعمارات كثيرة كائنة في شارع يافا والملك جورج⁴، وهي معارك الطرق التي امتدحها كريستوفر سايكس في كتابه "مفارق الطرق إلى إسرائيل" حيث قال "بدأ العرب في أواخر شباط في وضع أفضل مما عليه اليهود، وكان العرب يهاجمون المستعمرتين اليهوديتين في القدس، إلا أن الهجوم الذي قام به عبد القادر الحسيني على مستعمرة كفار عصبون أدى إلى إبادة جميع القوة الصهيونية المعروفة "البالماخ"⁵.

اتهم اليهود السلطات البريطانية أن لهم يداً بالحادث، فأخذوا يطلقون النار عليهم، مما تسبب في قتل وجرح عدد كبير من جنودهم، فاشتعلت المعركة بينهم في شارع رحافيا وروميما ومياشورم، وأصدرت الهاغاناة بياناً اعتبرت فيه البريطانيين أعداء الشعب اليهودي، وحاول اليهود الاعتداء على قائد القوات البريطانية في فلسطين "الجنرال ماكميلان Macmillan" فنسفوا سيارته⁶، ونسفت منظمة الارغون نادي الضباط البريطانيين في شارع الملك جورج بالقدس نجم عنه قتل 12 بريطانيا⁷، فقامت القوات البريطانية بشن الحرب عليهم من خلال منع جميع السفن البريطانية من الاقتراب من حدود فلسطين، ومنعت التجار من استيراد البضائع من

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص91-92.

² دروزة، محمد، فلسطين، ص82. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص113. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص290.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص113. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص290.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص114.

⁵ م، ن، ص113-114.

⁶ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص114. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص291.

⁷ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص118.

الخارج، ورأى الشعب الفلسطيني أن هذه السياسة مديرة لإضرار العرب بالدرجة الأولى، فبدأوا يقتلون الانجليز أينما وجدوا، وعندئذ أعلنت الحكومة البريطانية الاحكام العرفية في تل أبيب والأحياء اليهودية في القدس، واستفاض عارف العارف في ذكر تفاصيل الحادث¹.

وأشار عارف العارف إلى تسلل حوالي 20 صهيونياً من مستعمرة عطاروت "جنوب مدينة رام الله" في صباح 1 آذار 1948م، وعبورهم السهل الكائن شمالي قرية رافات، حيث كمنوا لسيارة تقل ركاباً متجهين إلى رام الله، وهاجموها بالقنابل اليدوية، إلا أنهم لم يصيبوا أحداً من ركابها، ثم انسحبوا وعادوا إلى رام الله عن طريق وادي الدير "الفاصل بين بيتونيا ورام الله" خوفاً من تعرض سكان رافات العربية لهم، وعند تسللهم من سفح تل الماصيون قرب رام الله تصدى لهم أبناء رام الله والبيرة، ونشبت معركة بين الطرفين، تمكن العرب فيها من قتل خمسة من الصهاينة، وفر الباقيون باتجاه وادي الماصيون فطاردهم المناضلون²، وواصل العرب من مختلف المناطق "قرى الجيب، رافات، بيتونيا، جديرة" تقدمهم إلى الوادي، وتمكنوا من محاصرة الصهاينة الفارين وقتلوا ستة منهم، وأعلن البقية استسلامهم، وسلم المناضلون جثث القتلى إلى القوات البريطانية³.

وافتح محمد دروزة وعارف العارف ومصطفى الدباغ بما فعله المناضلون العرب بقيادة "أنطون داود" في 11 آذار 1948م، حيث نسفوا دار الوكالة اليهودية في شارع الملك جورج في القدس بالمتفجرات، فدمروا جناحها الشمالي تدميراً كاملاً، والذي يضم مكاتب بيت المال اليهودي (الكيرن هايسود)، ومكتب المجلس الملي اليهودي (وعاد لثومي)، والتهمت النيران معظم الملفات والسجلات، وقتل 36 يهودياً وجرح كثيرون⁴.

على أثر هذا الحادث ثارت تائرة اليهود على حد تعبير عارف العارف، وبدأوا يستعدون للانتقام، ووقف لهم العرب بالمرصاد، وأخذ الفريقان بجمع الأسلحة والعدة، فزود عبد القادر الحسيني كل حي من احياء المدينة بعشر بنادق جديدة، وخصص لكل قائد مسؤول عن حي ما مبلغاً من المال ينفقه في سبيل الدفاع عن حيّه، وفي 12 آذار 1948م بلغ الهياج عند الطرفين

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص118.

² م، ن، ص122.

³ م، ن، ص123.

⁴ دروزة، محمد، فلسطين، ص82. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص131. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص291.

اشده، الأمر الذي دفع بالحاكم العسكري الإنجليزي المسؤول عن الأمن في القدس "البريجادير جونز Brigadier Jones" بتوجيه إنذار بإطلاق النار على الفريقين في حال عدم التزامهما بالسكينة، فبدأ بتوجيه المدافع نحو العرب واليهود، وأقام المخافر على الحدود، لكن دون جدوى، لا بل ضيق كل من الفريقين الخناق على الآخر، فهاجم العرب اليهود في حيهم بالبلدة القديمة، ومنعواهم من الدخول والخروج إليه، واشتبك الفريقان في عدة مناطق مثل حي الشيخ جراح، وحي القطمون، وبيت صفافا، وكريات شمویل¹.

وأورد عارف العارف أن جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني اقتحم المستعمرات الثلاث "ميكور حاييم، وتل بيوت، ورامات راحيل"، ودارت بينهم معارك دامية كان أعنفها تلك التي دارت في ميكور حاييم بتاريخ 13 آذار 1948م، وتمكن المجاهدون من احتلال الجزء الأكبر من ميكور حاييم ودمروا منازل عديدة، وأخرجوا سكانها واستولوا على كمية من الأسلحة والذخيرة، حتى كادوا يحتلون المستعمرة بأكملها لولا تدخل السلطات البريطانية المتمركزة في معسكر العلمين وتهديدها المجاهدين بقصفهم بالمدفعية الثقيلة، فاضطر المجاهدون للانسحاب، بعد أن فرضوا على مستعمرة ميكور حاييم حصاراً لم تستطع التخلص منه الا بعد سقوط حي القطمون بأيدي الصهاينة في 1 أيار 1948م².

وذكر عارف العارف ما حدث في 18 آذار عندما حاول ستة من المناضلين العرب من القدس نسف الفندق اليهودي (عدن) الواقع غرب حي بن يهودا، ولكنهم فشلوا نتيجة تصدي رجال الجيش البريطاني لهم³.

في 24 آذار 1948م علم عبد القادر الحسيني بخروج قافلة صهيونية تحمل الجنود والمؤن من القدس الى مستعمرتي النبي يعقوب وعطاروت الواقعتين على الطريق القدس - رام الله، فربط على هذا الطريق زهاء 200 من المجاهدين نصفهم من شعفاط والنصف الآخر من القدس وحزما وعناتا والمزرعة الشرقية وترمسعيا، وفي تمام الساعة العاشرة وصلت القافلة قرب قرية شعفاط، فانقض عليها المجاهدون وقتلوا 14 يهودياً، وجرحوا عشرة، وحرقوا مصفحتين، وغنموا مقادير كبيرة من الأسلحة الخفيفة، وتابع المناضلون هجومهم على من بقي حياً من

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص132-133.

² م، ن، ص133.

³ م، ن، ص134.

اليهود، وصادف الاشتباك مرور الجنرال ماكميلان Macmillan "قاد القوات البريطانية في فلسطين" وغلوب باشا "رئيس أركان حرب الجيش الأردني" ومساعدته العقيد أحمد صدقي الجندي، حيث تدخل هؤلاء لوقف القتال، فأبقى المناضلون على حياة الستة الباقين من رجال القافلة، وسمحوا بإخلاء الجرحى، الذين تم نقلهم بإحدى سيارات الجيش الأردني إلى القدس، وقد جرح من العرب اثنان فقط¹.

ووصف عارف العارف ما حدث قبل انسحاب المجاهدين حيث أمر عبد القادر الحسيني بمهاجمة مستعمرة "نفي يعقوب" لمعرفة مدى حصانتها، والانتقام من حرسها الذين كانوا يتعرضون للسكان المدنيين من العرب الذين يفدون إلى القدس، وبالفعل توجهت قوة مكونة من 100 مسلح يتقدمهم قاسم الريماوي إلى مدرسة بيت حنينا الواقعة بالقرب من المستعمرة من جهة الغرب، وشنوا هجومهم في تمام الساعة الثامنة ليلاً، تمكنوا فيه من قتل العديد من الصهاينة وتدمير بعض استحكامات المستعمرة²، وفيما كانت معركة شغاف قائمة كان عدد آخر من المناضلين ينصبون كميناً لقافلة صهيونية مكونة من 13 سيارة محملة بالمؤن على طريق يافا - القدس، وتولوا مهمة تدميرها بالكامل³.

في 27 آذار 1948م علم جيش الجهاد المقدس بمرور قافلة يهودية إلى كفار عصيون محملة بالمؤن ومكونة من 250 رجلاً من الهاغاناة، فخطط المجاهدون للقضاء عليها، فأقاموا الحواجز، وزرعوا الألغام، وكان عددهم 200 مجاهد بقيادة كامل عريقات، وعندما أطلقت القافلة عند موقع الدهيشة "قرب بيت لحم وبرك سليمان" هاجمها بالنيران، فسقط حسب عارف العارف العديد من الصهاينة بين قتلى وجرحى، ونُسفت المصفحة الامامية والسيارة الأخيرة بالألغام، فتعطلت حركة القافلة كلها⁴.

وأشار عارف العارف إلى وصول نجدات للمجاهدين من بيت لحم وبيت جالا والسواخرة والتعامرة والعبيدين التي أمدت المجاهدين بـ 500 مقاتل، وفي المقابل قدم اليهود العديد من المؤن والذخائر للمقاتلين من خلال الطائرات اليهودية، ولكن لم يصل منها إلا القليل (لأنها

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص139-140.

² م، ن، ص140.

³ م، ن، ص140.

⁴ م، ن، ص141.

أخطأت الهدف) وسقط معظمها في يد العرب، وقدمت الوكالة اليهودية مساعدتها للمقاتلين بإمدادهم بعدد من الجند المزودين بالمدافع، فقَاتلهم المجاهدون العرب ببسالة، وأعطبوا مصفحتين، وأندروا الجند بعدم التقدم لأن الطرق ملغومة، فتوقف الجند¹.

وأنتاب العرب في ذلك الوقت شعور بالنصر، فاستنجد القادة الصهاينة بالحكومة البريطانية، فأجرت اتصالات مع قيادة الجهاد المقدس، لإيقاف القتال، فوافق المناضلون شريطة تسليم العتاد والأسلحة جميعها التي يمتلكها اليهود للعرب، وتم التسليم بواسطة المستر سموفيل Smoville "مساعد حاكم لواء القدس"، فرُفع الحصار بعد أن دام 36 ساعة².

أحصى عارف العارف غنائم العرب التي غنموها من معركة الدهيشة وهي ثلاث مصفحات، وثمانية باصات كبيرة، وثلاثون سيارة للشحن، و170 بندقية، وعدد من القنابل والمسدسات والمتفجرات والذخائر، وخسر الصهاينة 15 قتيلًا، و50 جريحًا، وقدم العرب 12 قتيلًا، وثلاثة جرحى³.

استهدف المجاهدون من جيش الجهاد المقدس (24 مقاتلاً مسلحون بالرشاشات والبنادق) قافلة صهيونية من تسع سيارات اخترقت حي الشيخ جراح في 13 نيسان 1948م، ووضعوا الغاماً تحت السيارات فدمروا اثنتين، وقتلوا 38 صهيونياً حسب إحصاءات عارف العارف ومصطفى الدباغ، فأسرعت القوات البريطانية لمساعدتهم وفتحت نيرانها صوب المجاهدين من ثلاث جهات، وما إن انتشر الخبر حتى هرع 200 مجاهد من مختلف أنحاء القدس، وشعر الصهاينة بقوة المجاهدين وصلابتهم، مما دفع اليهود إلى طلب هدنة عرضوا فيها الاستسلام وإلقاء السلاح، فوافق العرب⁴.

وثق عارف العارف ما حدث عقب اقتراب جلاء القوات البريطانية حيث استولى المجاهدون في 18 نيسان 1948م على مستشفى اوغستا فكتوريا في جبل المكبر، وعلى قرية العيسوية، فأمرت الهاغاناة بتحريك لواء هاربل، وإرسال قافلة مكونة من 350 سيارة الى القدس بقيادة ديفيد بن غوريون، إلا أنها وقعت في كمين عربي، أغلقت فيه الطريق بالسيارات المعطلة، وتصدى

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص142.

² م، ن، ص141.

³ م، ن، ص142.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص185. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص291.

الصهاينة للمجاهدين بضرارة مما حال دون وصولهم الى القافلة، التي تمكنت من متابعة طريقها¹.

قامت فصائل التدمير التابعة لجيش الجهاد المقدس بعدة عمليات نسف للأحياء اليهودية في القدس، ويروي عارف العارف ومصطفى الدباغ ما حدث في 23 نيسان 1948م عندما نسف المناضلون حي مونتفيوري الواقع وسط القدس من خلال رسم خطة لإدخال سيارة شاحنة ملغومة لتدمير الحي، فكان صلاح الحاج مير منسقا للعملية، وفوزي القطب قائداً لفرقة التدمير لإعداد السيارة الملغومة، وأوكل لبهجت أبو غربية مهمة التنفيذ المباشر².

وفي 6 أيار 1948م تعرض صهاينة كفار عصيون لقافلة عربية متجهة الى الخليل، فجاءت نجدة من الجيش الأردني وأمطرت كفار عصيون وما حولها من المستعمرات بالنيران، مما اضطر الصهاينة للتراجع، ولكنهم عادوا في اليوم التالي وتعرضوا لقافلة عسكرية أخرى قادمة من الخليل فتصدت لهم ست مدرعات أردنية وفصيلة مشاة تحمل ثلاثة مدافع هاون، وهاجمت هذه القوة دير الشعار وأحاطت مستعمرة كفار عصيون من الشمال والجنوب والشرق وفق ما أشار عارف العارف³.

وفي 13 أيار 1948م عاود المناضلون هجومهم على كفار عصيون والمستعمرات الثلاث المجاورة لها، فقام الصهاينة بإرسال النجديات إلى المستعمرات، ففتح المناضلون الثغرات في الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المحيطة بالمستعمرات، وتركز الهجوم الرئيسي على مستعمرة كفار عصيون، في حين طوقت المستعمرات الأخرى المحيطة بها⁴، وأخيراً سقطت المستعمرات الأربعة، ووقع 287 صهيونياً في الأسر، وقتل 200 صهيوني، أما خسائر الجيش الأردني فكانت 14 شهيداً، واستشهد عدد كبير من المناضلين العرب وفق إحصائية عارف العارف⁵.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص193.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص103. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص290.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص313.

⁴ م، ن، ص313.

⁵ م، ن، ص318.

رأى عارف العارف أن جيش الجهاد المقدس أبلى بلاءً حسناً أدى إلى استسلام اليهود ورفعهم الراية البيضاء، وإعلانهم عن عجزهم من إقامة دولة يهودية في فلسطين، وخسر الجيش خلال مرحلة كفاحه المسلح (1947-1948م) 8000 شهيد، و 1500 جريح¹.

توقف القتال إثر الهدنة بين الدول العربية وإسرائيل، وأصدرت السلطات الأردنية أمراً بحل قوات الجهاد المقدس في 18 كانون الأول 1948م، لكن القوات بقيت مرابطة على الحدود الى أن اصدرت الهيئة العربية العليا قراراً بحلها في 15 أيار 1949م، وانضمت قوات الجهاد المقدس إلى الجيوش العربية، قسم مع الجيش الاردني، وقسم مع الجيش العراقي، وقسم مع الجيش المصري، وقسم مع جيش الانقاذ².

وعندما أصدرت هيئة الأمم المتحدة قرار التقسيم أشاد عارف العارف بموقف الإمام حسن البنا عندما أعلن رفض الإخوان المسلمين لقرار التقسيم ودعا الشعب المصري إلى التظاهر انتصاراً لقضية فلسطين، وتطوع ما يقرب عشرة آلاف مصري للجهاد في فلسطين³.

وحمل الإخوان المسلمون لواء الجهاد الشعبي، وبذل الإخوان جهوداً شاقة في شراء الأسلحة من مالهم الخاص، ووضعوا الخطط العديدة لتوزيع متطوعيهم على معسكرات وجبهات القتال في فلسطين، إلا أن جامعة الدول العربية أصدرت قراراً منعت بموجبه دخول المتطوعين بصفاتهم الشخصية الى فلسطين، واقتصر ذلك على الجيوش العربية النظامية؛ ربما لأن دخول متطوعي الإخوان المسلمين سيعرقل المؤامرة البريطانية الصهيونية في تنفيذ وعد بلفور بإقامة الوطن اليهودي على أرض فلسطين⁴.

رأى عارف العارف أن الجامعة العربية اضطرت للقبول بتطوع الإخوان المسلمين، واشترطت أن يكون دخولهم تحت إشراف قيادة الجيش المصري، وأن تكون قيادة المتطوعين بيد ضباط نظاميين من الجيش المصري، واختار الإخوان الضابط أحمد عبد العزيز قائداً لمتطوعيهم⁵.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص75.

² المارديني، زهير، فلسطين، ص358.

³ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص398.

⁴ م، ن، ص398-399.

⁵ م، ن، ج1، ص326.

وأخذت حركة التطوع في الاتساع، وبلغت نسبة المتطوعين من الاخوان المسلمين حسب عارف العارف حوالي 95% من مجموع المتطوعين، وتمكن محمود لبيب "وكيل الاخوان المسلمين وقائد وحداتهم العسكرية" من إقامة معسكر لتدريب المتطوعين في "هاكستيب" تتولى الجامعة العربية إمداده وتنظيمه¹.

لاحظ عارف العارف أن التطوع داخل الاخوان المسلمين لم يقتصر على الرجال فقط، بل تعدى ذلك الى السيدات المسلمات استعداداً لإنقاذ فلسطين، فوجهت السيدة زينب الغزالي نداءً لجميع سيدات مصر تطلب منهن الاسراع في تسجيل اسمائهن في سجلات التطوع، فتطوع جزء منهن في جمع التبرعات من المصريين وإرسالها إلى فلسطين، وجزء تسلم تدريب المتطوعات على اعمال التمريض للمعاونة في علاج الجرحى في فلسطين، والجزء الاخر تولى تدريب المتطوعات على الاعمال العسكرية؛ لإمداد المقاتلين بالأسلحة والمؤن والاغذية².

أرسل الاخوان المسلمون عدداً من الحملات الاستطلاعية قبل دخولهم فلسطين، ففي بادئ الأمر دخل عبد المنعم النجار، ثم اليوزباشي كمال صدقي ليجوسا، ثم حسني المنياوي، الذي تولى قيادة المجاهدين الغزيين، والذي يعزو عارف العارف الفضل إليه في تخريب الأنابيب التي تسير فيها المياه من بيت حانون إلى المستعمرات اليهودية في الجنوب³.

في شهر شباط 1948م بدأت أولى أفواج مجاهدي الاخوان المسلمين في مصر بالدخول إلى فلسطين، ولم يستطع هذا الفوج التسلل إلى فلسطين؛ ويعود ذلك باعتقاد عارف العارف إلى العراقيل التي وضعتها الحكومة المصرية بتوصية من السفارة البريطانية في القاهرة، إلى أن تمكنوا من اجتياز الترة الى سيناء ومن هناك تسللوا الى فلسطين تحت ستار القيام برحلة علمية⁴.

وأشار عارف العارف إلى تتابع أفواج الاخوان المسلمين في الدخول الى فلسطين، ومن هنا بدأ القتال في صحراء النقب، فهاجموا المستعمرات اليهودية، إلا أن الحكومة المصرية ارسلت الى المركز العام للإخوان المسلمين تطلب سحب قواتهم من النقب، ولكن طلبهم قوبل بالرفض، فما

¹ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص389-390.

² م، ن، ص390.

³ م، ن، ص389-390.

⁴ م، ن، ص389.

كان من الحكومة الا أن قطعت الامدادات والتموين وراقبت الحدود بشدة؛ ليضطر المجاهدون الى العودة لمصر¹.

وفي 25 نيسان 1948م انطلقت الكتيبة الثانية من الاخوان المسلمين في مصر بقيادة محمد فرغلي باتجاه فلسطين، وعسكرت في معسكر البريج (جنوب فلسطين)، وانضم لها كامل الشريف، وحسن عبد الغني، وحسن دروح، ونجيب جويفل، ومحمد سليم².

وتوافدت الكتيبة الثالثة الى فلسطين عن طريق سوريا بقيادة محمد عبده، وتكونت الكتيبة وفق ما ذكر عارف العارف من ثلاثة فصائل، قاد الفصيل الاول علي صديق، والفصيل الثاني مالك نار، اما الفصيل الثالث فقادته يحيى عبد الحليم ووصلت الكتيبة إلى معسكر قطنة في سوريا، واستقبلها مصطفى السباعي وعمر بهاء الدين الاميري، وسعيد رمضان "سكرتير المؤتمر الاسلامي في كراتشي"³.

وجرى التدريب داخل المعسكر شهراً كاملاً، ثم تحركت الكتيبة إلى جنوب فلسطين في رحلة طويلة، والتي تتبع خط سيرها عارف العارف، فبدأت من دمشق إلى عمان ثم إلى البحر الميت ووادي عربة والعقبة، ثم اتجهت إلى الكونتيليا ثم إلى العوجا ومنها الى رفح وخان يونس فدير البلح وصولاً إلى غزة⁴.

وعندما وصلت الكتيبة شنت هجوماً عنيفاً بالنيران على 18 سيارة مصفحة اعترضت الكتيبة وارادت القضاء عليها، فانسحب اليهود إلى مستعمراتهم، تاركين وراءهم وفق إحصاءات عارف العارف 12 قتيلاً مقابل جريح واحد من الاخوان⁵.

اشتركت القوات المصرية مع كتائب الاخوان المسلمين في الدخول إلى فلسطين والتي أدرجها عارف العارف تحت مسمى "الكتائب المشتركة"، ودخلت الكتيبة الاولى في 7 آذار 1948م بقيادة أحمد عبد العزيز "ضابط من ضباط فيلق الفرسان"، وقضت الكتيبة فترة قصيرة في منطقة غزة ثم توجهت الى بئر السبع، ونشط المجاهدون في مهاجمة مراكز اليهود في غزة والنقب،

¹ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص408.

² م، ن، ص409.

³ م، ن، ص409-410.

⁴ م، ن، ص411.

⁵ م، ن.

ومهاجمة قوافل اليهود ومستعمراتهم، وأولى المستعمرات التي تم اقتحامها مستعمرة "كفار ديروم"، وأشار عارف العارف الى الكتيبة الثانية التي دخلت فلسطين بقيادة عبد الجواد طباله، والتي تولت مهمة الدفاع عن غزة¹.

أشار عارف العارف إلى المجاهدين الذين اشتركوا في مساعدة الجيوش العربية سواء من جيش الانقاذ أو جيش الجهاد المقدس أو قوات الاخوان المسلمين، منهم متطوعون من شرق الأردن، ومتطوعون من الحجاز واليمن والسودان، والمغرب العربي، ومجموعة من مسلمي البوسنة والهرسك، ومتطوعون من الاتراك وألبانيا، وأرسلت الهيئة العربية العليا في مصر ستة من الألمان الذين تطوعوا للقتال في صفوف العرب، وأوكلت لهم مهمة تدريب المناضلين على طرق استعمال الألغام².

اعتبر عارف العارف معركة كفار ديروم (دير البلح) أول معركة خاضها الاخوان المسلمون بقيادة يوسف طلعت، وبعد إصابته تولى قيادتها كامل الشريف، الذي رأى أن الاخوان يعانون من نقص شديد في الأسلحة والمعدات، إضافة الى استهتارهم بالتحصينات اليهودية، وجهلهم بالمستعمرات وطرق تحصينها، فكانت هذه المعركة نقطة التحول التي غيرت خطتهم وصرفتهم عن معاودة الهجوم على المستعمرات دون أن يملكوا المعدات اللازمة³.

ووثق عارف العارف الهجوم الأول على مستعمرة كفار ديروم في تمام الساعة الثانية من صباح يوم 14 نيسان 1948م، وتمكنوا من اجتياز حقول الألغام، وعوائق الاسلاك الشائكة، دون أن ينتبه أحد من حراس المستعمرة، ثم بدأت المعركة داخل الخنادق وعلى أبواب الأبراج، وابدى الاخوان ضروباً من البطولة والتضحية ما لا يمكن حصره وتعداده⁴، ولكن سرعان ما استطاع اليهود سد ثغرات المستعمرة التي أحدثها المجاهدون، وحاصروهم، وتخلصوا منهم، وهكذا فشلت المحاولة الأولى للإخوان، واستشهد منهم عبد الرحيم عبد الحي، ومحمد عبد الخالق يوسف، ومحمد سلطان، وعمر عبد الرؤوف⁵.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص411.

² م، ن، ص409-411.

³ م، ن، ص400.

⁴ م، ن، ص402.

⁵ م، ن، ص400-402.

وذكر العارف أن جماعة الإخوان المسلمين عاودت هجومها على المستعمرة السابقة "كفار ديروم"، فقام اليوزباشي عبد المنعم عبد الرؤوف بعملية مسح شامل للمستعمرة، فيما قام لبيب الترجمان ومعروف الحضري بعملية الاستكشاف، ونفذ الهجوم في 10 أيار 1948م، وهاجم الإخوان المستعمرة من الجنوب والشمال والشرق في وقت واحد، مستغلين الوادي الواقع في جنوبها كستار للوصول لها، وانتصر الإخوان بقيادة الشيخ محمد فرغلي، واستولوا على 12 مصفحة يهودية مليئة بالذخائر (360 بندقية، ثلاثة أطنان ونصف من الطلقات)¹.

يمكن القول أن جميع المحاولات العربية الفلسطينية للتصدي للمشروع الصهيوني في فلسطين باءت بالفشل، ربما يعود ذلك إلى ضعف القيادة العربية، وكثرة الخيانات داخل الصفوف الفلسطينية، إضافة إلى افتقاد العنصر المادي الذي يعتبر المحرك الأساسي لشراء المواد الحربية، وعدم فرض التجنيد الاجباري كما فعل اليهود، والاعتماد على المتطوعين الذين كان ينقصهم السلاح والتدريب.

ويُلقى محمد دروزة اللوم على العرب حيث قال " لم يرسل العرب حين الزحف ما كان في إمكانهم أن يرسلوه من عدد و عدد، ولم يتخذوا كذلك ما كان في إمكانهم أن يتخذوه من إجراءات وتدابير وتشريعات متصلة بالموقف وداعمة له"، ويرى دروزة أن إمكانيات العرب كانت أعظم بكثير من التي قدموها وخاصة العراق وسوريا ومصر².

على الرغم من ذلك فقد أظهر الشعب العربي الفلسطيني الكثير من الشجاعة والتضحية، وشهد لهم المؤرخون والكتّاب العرب، فقال محمد دروزة " أن هذا الكفاح لم يكن كله عفو الأحداث، وأن فكرته انبثقت في الفلسطينيين منذ وقت مبكر كعملٍ منظم لا بد منه، إذ ساروا في تنفيذ عزماتهم شوطاً واستطاعوا تدبير بعض المال و جهزوا بعض الفدائيين، وسيروهم ليبدووا حركة الكفاح المنظم"³.

وقال كامل الشريف في كتابه "الإخوان المسلمون في حرب فلسطين"، "لم يعرف شعب كافح في سبيل حريته مثل ما كافح الشعب الفلسطيني، ولم يشهد التاريخ نوعاً من أنواع التنكيل والإرهاب

¹ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص402.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص148.

³ م، ن، ص150.

أشد وأقصى مما صبته بريطانيا على هذا الشعب الباسل لتصرفه عن حقوقه وأهدافه، وإن الثورات المتتالية التي شهدتها فلسطين منذ ابتليت بالاستعمار البريطاني لتعطي صورة صادقة لنفسية هذا الشعب ومدى إيمانه بحقوقه وتمسكه بها¹، في حين ذكر عدنان أبو عامر ما وثقته بعض التقارير الصحفية التي أظهرت بسالة الثوار قائلة "أن عرب فلسطين بهروا أنظار العالم أجمع بما قاموا به من أعمال عسكرية تدل على بالغ البطولة في القتال"².

وقال صالح أبو يصير في كتابه "جهاد شعب فلسطين"، "لقد قدم الفلسطينيون كثيراً من التضحيات في معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية، وهم اليوم لا يكادون ينصفون لدى الشعب العربي، الذي يتحمل وزر النكبة والذي عليه أن يحسن دراسة تلك الصفحات الخالدة، وأن يدرك أن تضحيات العرب الفلسطينيين ونكباتهم فتحت للأمة العربية مجال العمل والثورة وإصلاح دولها"³.

وهو ما يوافق ما أورده حاييم وايزمان في مذكراته حيث قال "إن مقاومة الفلسطينيين العنيفة ومواقف المفتي أمين الحسيني والثورات التي أشعلها هي التي أخرت تنفيذ البرنامج اليهودي في فلسطين إلى عام 1948م، في حين كان مقرراً له أن يحقق في عام 1934م على الأكثر"⁴.

¹ الشريف، كامل، الاخوان، ص75.

² أبو عامر، عدنان، تطور، [./https://adnanabuamer.com](https://adnanabuamer.com).

³ أبو يصير، صالح، جهاد، ص196.

⁴ وايزمان، حاييم، مذكرات، ص68.

الفصل الرابع

رؤية المؤرخين الفلسطينيين لسياسة

الحركة الصهيونية تجاه الحلول

السياسية للقضية الفلسطينية

الفصل الرابع

رؤية المؤرخين الفلسطينيين لسياسة الحركة الصهيونية

تجاه الحلول السياسية للقضية الفلسطينية

عقدت بريطانيا المعاهدات والوعود مع الأطراف كافة، كونها حكمت فلسطين عسكرياً في تشرين الأول 1917م، وسجل عيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر البيان الذي أصدره الجنرال إدموند اللنبي (Edmond Allenby) (1861-1936م) في الرابع والعشرين من الشهر نفسه أعلن فيه "أن على جميع سكان البلاد التي كانت سابقاً تحت حكم الأتراك، التي يحتلها الآن الجنود بقيادتي، أن يمتنعوا عن كل عمل من شأنه إقلاق الراحة العمومية، أو مساعدة أعداء حكومة جلالتهم البريطانية أو أعداء حلفائهم"، وتولى الجنرال جلبرت كلايتون (Gilbert Clayton) (1875-1929م) الإدارة العسكرية في فلسطين بعد إخضاع المدن الفلسطينية (بئر السبع، يافا، غزة، القدس، نابلس، حيفا، عكا) تحت سيطرتها¹.

واجه المؤرخون والمفكرون الفلسطينيون إشكالية محيرة في تعاملهم مع التطورات الجديدة المتمثلة بالاحتلال البريطاني لفلسطين، ويعكس ذلك ما كتبه خليل السكاكيني في مذكراته "فالبعض يقول إن فلسطين ستصير إنجليزية لأن الإنجليز هم الفاتحون، والبعض يقول إنها ستلحق بمصر، والبعض يقول إنها ستصبح حرة، والبعض يتأسفون على العهد العثماني، ويتخوفون من العهد الجديد؛ لأنهم ألفوا القديم، ولم يألفوا الجديد، والبعض من المسلمين من الطراز القديم يتأسفون على تقلص ظل العثمانيين عن هذه البلاد، لأنهم يعتقدون أن ذهابهم من هذه البلاد ضربة على الإسلام، وأن دخول الإنجليز يعزز النصرانية، ويعلي شأن الصليب، كما أن هناك فريقاً من المسيحيين من ينتظر مجيء الإنجليز لتعز النصرانية"².

وتحدث محمد دروزة في مذكراته بشكل أوسع عن موقف المسيحيين من بريطانيا، فرأى أن البروتستانت والأرثوذكس والكاثوليك رحبوا بالاحتلال البريطاني لفلسطين، ربما لأنهم حصلوا على الكثير من الوظائف والمناصب العالية في الدولة، بينما طالب عدد من النصارى الذين لم

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص23-24. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص47-50. زعيتر، أكرم، القضية، ص43.

² السكاكيني، خليل، يوميات، ص90.

يتبوؤوا أية مناصب حكومية باستقلالية فلسطين وعروبته¹، وعدّ قاضي القضاة البريطاني أنطوان برترام (Antoine Bertram) (1869-1937م) الأرثوذكس هم سكان البلاد، ووثق عيسى السفري قوله "إن شعب هذه البلاد الأرثوذكسي هو في الواقع ضحية تطور تاريخي، وهذا يناقض مركزهم الممتاز لكونهم سكان البلاد"².

على الرغم من اختلاف الآراء والمشاعر حول الاحتلال البريطاني لفلسطين إلا أن محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أكدوا على ترحيب أفراد الشعب العربي الفلسطيني بالبريطانيين عند دخول النبي وجماعته إلى القدس، والدليل على ذلك ما كتبه خليل السكاكيني في مذكراته فقال "لو كنت في القدس يوم دخلها الإنجليز، لكنت ذهبت إلى إحدى القرى المجاورة لأسبوع أو أسبوعين، تفادياً من أن أرى المشاهد الباردة التي يقوم بها الصعاليك المنافقون الذين يتلونون بكل الألوان ولا يزلون كل يوم في شأن، بالأمس كانوا يجاملون الحكومة العثمانية ويسبحون بحمدها وشكرها، واليوم يصفقون للحكومة البريطانية"³.

ويعتقد عيسى السفري وأكرم زعيتر أن ذلك يعود إلى تصريحات النبي القائلة بأن الهدف من توغل الإنجليز في الشرق، هو تحرير الشعوب المضطهدة من قبل الأتراك، وتأسيس مؤسسات إدارية وحكومات وطنية تابعة من إرادة الشعوب، خاصة أن الخطاب السياسي البريطاني في تلك الفترة لم يتطرق للحديث عن المشروع الصهيوني في صورة مباشرة، ولا عن وعد بلفور⁴.

ورأى عيسى السفري أن الفلسطينيين أدركوا سوء نية الإنجليز بعد الخطاب الذي ألقاه النبي في القدس واختتمه بقوله "انتهت اليوم حلقة الحروب الصليبية"، الأمر الذي دفع مفتي القدس الحاج أمين الحسيني إلى مغادرتها، خاصة أن العلم الفلسطيني لم يكن من بين الأعلام المرفوعة، ولا يوجد في الموكب غير ضابط عربي واحد، على الرغم من ادعاء الإنجليز بأن الفلسطينيين حلفاء بريطاني⁵.

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص303.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص174.

³ السكاكيني، خليل، يوميات، ص124.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص23. زعيتر، أكرم، القضية، ص43.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص23.

واستشعر الفلسطينيون خطورة البريطانيين على بلادهم بعد الرسالة التي بعثها وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور (Arthur James Balfour) (1848-1930م) إلى اللورد ليونيل والتر دي روتشيلد (Lionel Walter de Rothschild) (1868-1937م) في 2 تشرين الثاني 1917م، التي أدرجها محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر تحت مسمى "وعد بلفور"، كتب فيها "يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إقامة مقام قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر، وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح"¹.

ورأى عيسى السفري وأكرم زعيتر أن الأمر ازداد سوءاً بعد موافقة الحكومة البريطانية على دخول لجنة صهيونية إلى فلسطين في 14 نيسان 1918م برئاسة حاييم وايزمان، وإسرائيل سبيف سكرتيراً، وعضوية كل من جوزيف كوين (Joseph Cowen)، والدكتور دافيد إيدر (Aider David)، وليون سيمون (Leon Simon) ممثلاً عن بريطانيا، وأنجيلو ليفي بيانشيني (Angelo Levi Bianchini) ممثلاً عن إيطاليا، والبروفيسور سيلفين ليفي (Sylvain Levy) ممثلاً عن فرنسا، ولم يكن هناك ممثلون من أمريكا أو روسيا، وأجرت اللجنة مسوحات أولية ساعدت في إعادة اليهود إلى فلسطين والذين كانت الحكومة العثمانية قد أرسلتهم إلى المنفى عام 1914م².

عارض عرب فلسطين فكرة إقامة وطن قومي في فلسطين، والتي عبر عنها الفلسطينيون بالاحتجاجات من خلال عقد المؤتمرات وإنشاء الأحزاب والجمعيات، والمظاهرات والثورات التي شملت مختلف المدن الفلسطينية³.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص28. العارف، عارف، تاريخ، ص140. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص10، والوعود، (ص32-33). الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص255. زعيتر، أكرم، القضية، ص49.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص23. زعيتر، أكرم، القضية، ص53.

³ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص327، والقضية، ج1، ص35، وفلسطين، (ص12 - 13). العارف، عارف، تاريخ، ص141. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص26. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص254. زعيتر، أكرم، القضية، ص72، ووثائق، ص23.

أمام ازدياد الصراع الصهيوني الفلسطيني رأّت جميع الاطراف "بريطانية، دولية، صهيونية، فلسطينية، عربية" نفسها مجبرة على وضع حلول سلمية؛ لحل القضية الفلسطينية كل من منطلقه ومفاهيمه.

أثيرت مسألة القضية الفلسطينية لأول مرة داخل أروقة مؤتمر الصلح في 18 كانون الثاني 1919م، والذي شاركت فيه وفود من 27 دولة قُسمت إلى 52 لجنة، وعقدت 1646 جلسة لإعداد التقارير، وفيما يخص فلسطين عرض الجانب الأمريكي وودرو ويلسون (Woodrow Wilson) إرسال لجنة أمريكية برئاسة هنري كنج (H. King) وتشارلز كرين (CH. Kreen) لتقصي الحقائق حول حقيقة الصراع الفلسطيني الصهيوني، وقدمت اللجنة تقريرها بعد أن طافت المدن الفلسطينية لمدة أسبوع، وأوجز محمد دروزة وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر توصياتها القائلة بوجوب ضم فلسطين إلى سوريا لتكون قسماً منها، ووضع الأماكن المقدسة في فلسطين تحت إدارة لجنة دولية دينية تشرف عليها الدولة المنتدبة وعصبة الأمم المتحدة، ويمثل اليهود فيها عضواً واحداً¹.

رأت الحركة الصهيونية أن هذه التوصيات تصب في مصلحة العرب، مما دفعها إلى رفضها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى فرنسا وبريطانيا، وحتى الرئيس الأمريكي ويلسون الذي كان من أشد المتحمسين لإرسال اللجنة قابل هو الآخر التقرير بعدم الاكتراث، ويعزو محمد دروزة وعارف العارف التحول في الموقف الأمريكي إلى الضغوط الصهيونية التي تعرض لها ويلسون (Wilson)، إلى جانب تدخل المخابرات الأمريكية إلى جانب الصهيونية فيما يخص القضية الفلسطينية²، وظل التقرير طي الكتمان لأكثر من ثلاث سنوات حتى اذن الرئيس الأمريكي ويلسون بالكشف عنه، إلا أن مؤتمر الصلح لم يعره أي اهتمام يذكر ويعود ذلك حسب وجهة نظر عيسى السفري إلى تعارض التقرير مع المصالح الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا في فلسطين، وإن الحكومة الأمريكية عادت وبنّت سياستها على أساس تغلب مصالحها الاستعمارية على مبادئ رئيسها ويلسون³.

¹ دروزة، محمد، فلسطين، ص14. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص34-35. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص255. زعيتر، أكرم، القضية، ص54-55.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص36، وفلسطين، ص14. العارف، عارف، تاريخ، ص141.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص24-25.

وفي هذه الأثناء رأى أكرم زعيتر أن هربرت صموئيل دخل في علاقات تعاون مع قادة الحركة الصهيونية، واقترح إرسال لجنة خاصة إلى الحكومة البريطانية لإدراجها في جدول أعمالها في حال انعقاد مؤتمر الصلح، فقدموا مذكرتهم في الثالث من شباط 1919م وتضمنت الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، والاعتراف بوعده بلفور، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وإقامة مجلس تمثيلي لليهود في فلسطين¹.

وترأس هربرت صموئيل لجنة استشارية بريطانية - صهيونية في آذار 1920م، ونشرت توصياتها فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية، كان أبرزها وفق ما ذكر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن البنك البريطاني الفلسطيني (اليهودي) يجب أن ينقل مقره من لندن إلى فلسطين، وإصدار عملة متداولة في فلسطين ترتبط بالجنيه المصري وتحمل اسم فلسطين وتستخدم فيها ألفاظاً عبرية².

وفي نيسان 1920م قررت الدول المجتمعة في مؤتمر سان ريمو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، واستبدلت الحكم العسكري بإدارة مدنية في بداية تموز من السنة نفسها برئاسة هربرت صموئيل وهو ما ذكره محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر³، وأضاف دروزة أن المندوب السامي أنشأ منذ وطئت فلسطين قدماه "الجهاز الاستعماري الصهيوني"، وهو عبارة عن جهاز مستعمرة إنجليزية حتى يتسلم اليهود مقاليد الحكم في فلسطين، وقد أقيم على رأس كل دائرة من دوائر هذا الجهاز موظف يهودي أو مسيحي إنجليزي، وعلى رأس كل مقاطعة حاكم إنجليزي، وقد عُيِّن كثير من المسيحيين خاصة البروتستانت في هذا الجهاز، وأشرف على أمر مدارس العرب ومعارفهم، على عكس اليهود الذين استقلوا بمدارسهم ومعارفهم⁴.

ولاحظ محمد دروزة وجود مؤامرة خطيرة بين الحكومة البريطانية والصهيونية فقال "وبصرف النظر عما إذا كان الإنجليز رأوا في سعة آمال اليهود خيلاً غير قابل التحقيق أم لا، فإن إيجاد

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص56.

² م، ن، ص68..

³ دروزة، محمد، القضية، ص31. العارف، عارف، تاريخ، ص140. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص44. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص244. زعيتر، أكرم، القضية، ص57.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص31-32.

كيان يهودي سياسي حتى في قسم من فلسطين، وهو ما تبناه منذ البدء على الأقل كان متسقاً مع السياسة التي ترسموها بالنسبة للعرب¹.

وفي ذات السياق انتقد خليل السكاكيني الحكومة البريطانية كونها المسؤولة عن تسهيل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فقال ساخراً "أما أنت يا إنجلترا القديسة قد عبثت بحقوق الأمم، ولم تحافظي على الشروط التي كُلفت بتنفيذها"².

وقد وافقت الحكومة البريطانية على رغبات زعماء الصهيونية، والتي كشف الستار عنها عيسى السفري، فقال حايم وايزمان "إن بريطانيا احتضنت الحركة الصهيونية وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها"، وقال زيكويل (Ziquel) "يجب على العرب أن يقوضوا خيامهم ويعودوا إلى الصحراء التي منها جاؤوا"، وقال نورمان بنتوينش "لا تحتاح فلسطين المستقبل إلى أن تقتصر حدودها التاريخية، فللدولة اليهودية أن تمتد إلى جميع الإقليم المحصور في الولايات المتحدة من البحر الأبيض المتوسط إلى الفرات ومن لبنان إلى النيل، فإن هذا الإقليم هو المعطى للشعب المختار"، وقال عميئيل (Amiel) "إن فلسطين لا يمكن أن يسكنها شعبان واليهود لا يقبلون أن يشاركهم أحد في ملكيتها، الحكومة البريطانية إذا كانت قد ذكرت في صك الانتداب أمر المحافظة على حقوق العرب الدينية والمدنية فقد كان ذلك مجاملة منها"³، وهو ما أيده الدكتور أيدر "ليس من الممكن أن يكون في فلسطين سوى وطن قومي واحد وهو الوطن القومي اليهودي، ومن المستحيل أن تكون ثمة مساواة في الشراكة بين العرب واليهود، بل ينبغي أن تكون هناك سيادة يهودية حالما يزداد عدد هذا العنصر ازدياداً كافياً"⁴.

يرى محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن السلطات البريطانية في فلسطين بادرت فور انتدابها إلى حل القضية الفلسطينية من خلال تشكيل مجالس استشارية وتشريعية، وفقاً للمادة الثانية من صك الانتداب التي نصت على "ترقية مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين"⁵، ومن هذا

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص25.

² السكاكيني، خليل، يوميات، ص276.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص64-66.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص73. زعيتر، أكرم، القضية، ص70.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص32، وفلسطين، ص17. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص47. زعيتر، أكرم، القضية، ص60.

المنطلق أعلن المندوب السامي هربرت صموئيل في بيان القاه في تموز عام 1920م عن نيته تشكيل مجلس استشاري برئاسته¹.

ويتابع محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر القول إن المجلس الاستشاري الأول دخل حيز التنفيذ في تشرين الاول عام 1920م²، وتألف من أحد عشر عضواً حكومياً بما فيهم المندوب السامي، وعشرة أعضاء غير حكوميين برئاسة المندوب السامي، منهم اربعة مسلمين، وثلاثة مسيحين، وثلاثة يهود³.

ساهم محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر في الكشف عن التحيز البريطاني لليهود الذي ظهر في اعمال المجلس الاستشاري، حيث أوكل هربرت صموئيل إلى نورمان بنتويش "أحد غلاة الصهيونية" مهمة إعداد الأنظمة والقوانين⁴.

وزاد عيسى السفري أن الرأي العربي الفلسطيني غير ممثل في أكثرية هذا المجلس؛ كون أكثر اعضاء المجلس من الحكومة، إضافة إلى اليهود، اللذين تم منحهم نصيباً أكبر من نسبتهم العددية⁵، ويدعم هذا القول الإحصائيات السكانية التي وضعها صبري جريس*، فعدد السكان العام كان في تلك الفترة 752,048 نسمة، منهم 589,177 مسلماً (78.3%)، و71,464 مسيحياً (9.6%)، و83,790 صهيونياً (11.1%)، وغيرهم من طوائف السكان المختلفة 7616 (1.0%)⁶.

وخارج نطاق مؤرخينا قدمت سحر الهندي في كتابها "التأسيس البريطاني للوطن القومي" تحيزاً آخر من الحكومة البريطانية لليهود، حيث بعث ادوين مونتاغيو (Edwin Montague) وزير الخارجية البريطانية للهند خلال عامي (1917-1922م) رسالة إلى اللورد جورج كرزون (Curzon George) وزير الخارجية البريطانية خلال عامي (1919-1924م)، محتجاً على

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص32، وفلسطين، ص17. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص47. زعيتر، أكرم، القضية، ص67.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص32. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص47. زعيتر، أكرم، القضية، ص67.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص47.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص33. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص47. زعيتر، أكرم، القضية، ص68.

⁵ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص47.

* للاطلاع على عدد السكان لمختلف الديانات (1919-1947م)، انظر ملحق (5)، ص299.

⁶ جريس، صبري، تاريخ، ج241.

التمثيل العددي الغير متناسب في المجلس، وقال "أود أن استرعي انتباهكم إلى أن هذا المجلس الذي يجعل من المسلمين أقلية، إنما يمثل انتهاكاً فظيماً، وفاضحاً للمبادئ التي فهمت أن حكومة جلالة الملك التزمتها، وهي أن حكومة فلسطين يجب أن تؤلف من الاعراق المتعددة التي تعيش في ذلك المكان بالتناسب مع اعدادهم"¹.

إزاء ذلك وجدت الحركة الوطنية الفلسطينية نفسها مجبرة على معارضة المجلس؛ فهو يسعى إلى جعل اليهود أغلبية في فلسطين، ونادت صحيفة فلسطين بوجود استقالة الأعضاء العرب؛ "كون الحكومة البريطانية تتخذ من وجودهم حجة على اعترافهم بما يجري"².

لم يسفر المجلس الاستشاري عن أي شيء يذكر، بل على العكس تصاعدت حدة الاشتباكات بين العرب واليهود، الأمر الذي دفع بالحكومة البريطانية على حد قول محمد دروزة، وعيسى السفري، وأكرم زعيتر إلى إصدار الكتاب الأبيض في الأول من تموز عام 1922م على يد وزير المستعمرات ونستون تشرشل (Winston Churchill)، والذي أكد أن الحكومة البريطانية لا ترمي إلى جعل فلسطين يهودية، بل إن الشعب اليهودي سيكون موجوداً في فلسطين كحق من حقوقه، وأنها لا تفكر بإفناء الشعب العربي أو لغتهم أو ثقافتهم أو جعلهم في مرتبة ثانوية، وأكدت أنها مستعدة لإعطاء الحكم الذاتي للشعب الفلسطيني، وأعلنت عن رغبتها في تأسيس مجلس تشريعي في الحال³.

وبناءً على توصيات الكتاب الأبيض أسس المندوب السامي مجلساً تشريعياً في 10 آب 1922م⁴، وتألّف من المندوب السامي رئيساً، وعشرة أعضاء موظفين، واثنى عشر عضواً غير موظفين، ثمانية منهم مسلمون، وعضوان مسيحيان، وعضوان يهود⁵، واعتبر عيسى السفري وأكرم زعيتر هذه التوزيعات حسب المادة السابعة عشرة من دستور فلسطين الصادر عن الحكومة البريطانية في 10 آب 1922م⁶.

¹ الهندي، سحر، التأسيس، ص33.

² صحيفة فلسطين، 1920/10/11م.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص39. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص55-57. زعيتر، أكرم، القضية، ص73.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص43. العارف، عارف، تاريخ، ص145. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص57. زعيتر، أكرم، القضية، ص74.

⁵ العارف، عارف، تاريخ، ص145. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص58. زعيتر، أكرم، القضية، ص74.

⁶ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص57. زعيتر، أكرم، القضية، ص74.

يرى عيسى السفري وأكرم زعيتر أن الحكومة البريطانية حددت صلاحيات المجلس بما يتناسب مع ترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين، فلا يحق للمجلس التشريعي أن ينظر في أية نقطة تخالف سياسة الحكومة الأساسية في تمهيد السبل لإنشاء الوطن القومي اليهودي، كما يحق للمندوب السامي تطبيق تصريح بلفور؛ كون قرارات المجلس مرتبطة بإرادة المندوب السامي¹، وأضاف السفري أن المجلس نص على وجوب نشر جميع القوانين والنماذج والاعلانات الرسمية التي تعلنها الحكومة البريطانية باللغات العبرية والإنجليزية والعربية، كما يجوز استخدامها في المناقشات والمباحثات التي تدور في المجلس التشريعي، وفي الدوائر الحكومية ومحاكمها، ويحق لجميع سكان فلسطين التمتع بالحرية الدينية والشخصية مع مراعاة الآداب العامة والنظام العام، وكل أمر يصدره المندوب السامي، ويحق للشعب الفلسطيني رفع مذكرة إلى المندوب السامي بواسطة عضو في المجلس التشريعي في حال عدم التزام الحكومة في تنفيذ شروط الانتداب².

قاطع الفلسطينيون المجلس التشريعي وانتخاباته على حد وصف عارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر، عملاً بقرار المؤتمر الفلسطيني الخامس الذي عُقد في نابلس في 22 آب 1922م، حيث ربطت اللجنة التنفيذية العربية بين المجلس من جهة، وبين وعد بلفور وصك الانتداب من جهة أخرى³.

واعتبر محمد دروزة أن قرار رفض الفلسطينيين للمجلس نابع من الوفد العربي القادم من لندن الذي سبق أن أرسله المؤتمر الفلسطيني الرابع من أجل الدعاية للقضية الفلسطينية عام 1922م، وكان برئاسة موسى الحسيني، ومعه الحاج توفيق حماد، وأمين التميمي، ومعين الماضي، وإبراهيم شماس، وشبلي الجمل، وذكر دروزة "أن الوفد العربي عاد وهو مقتنع بما سمع من أنصار العرب في مجلس اللوردات والنواب والصحافة من أن العرب إذا اصروا واستمروا على نضالهم ورفضهم لانتخابات المجلس التشريعي، انفتح أمامهم أمل جديد؛ لأن الحكومة البريطانية لا بد وأن تتراجع عن موقفها فتجرح إلى إرضاء العرب"⁴.

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، 57. زعيتر، أكرم، القضية، ص74.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص59.

³ العارف، عارف، تاريخ، ص145. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص78. زعيتر، أكرم، القضية، ص74.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج1، ص585.

ناقض ويندهام ديدز (Wyndham Deeds) "السكرتير المدني لحكومة فلسطين" ما ذكره محمد دروزة، حيث قال "يبدو أن أعضاء الوفد قد عادوا من لندن موالين جداً لبريطانيا، فقد كانوا باستثناء توفيق حماد معتدلين ومعقولين، وما كانوا ليوافقوا على مقررات المؤتمر الخامس لو لم تدفعهم إلى ذلك التنظيمات المحلية"¹.

لم يتحدث مؤرخونا عن موقف الصهيونية من المجلس التشريعي، ولكن يمكن الجزم بموافقة الصهاينة عليه؛ لأنه حقق لهم آمالهم في تنفيذ وعد بلفور، إضافة إلى أن عدد اليهود والبريطانيين داخل المجلس أكثر من النصف، على عكس العرب الذين لا يمثلون نصف المقاعد، وبالتالي فإن أي قضية تُعرض على المجلس ستصب في مصلحة اليهود.

أدرك هربرت صموئيل فشل تأسيس المجلس التشريعي، ويرى محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعير أن ذلك لم يقنع الحكومة البريطانية بطي صفحة المجالس الاستشارية، فجددت طروحاتها بإعادة إحياء المجلس الاستشاري في 29 أيار عام 1923م²، مؤلفاً من 22 عضواً برئاسة المندوب السامي، 12 عضواً منتخبون، ثمانية منهم عرب، وعضوان مسيحيان، وعضوان يهود، إضافة إلى عشرة أعضاء تعينهم الحكومة البريطانية، ستة منهم بريطانيون، وأربعة يهود³.

أشار محمد دروزة وعيسى السفري إلى تمكن الحكومة البريطانية من كسب موافقة الوجهاء العرب للمشاركة في المجلس أمثال عارف الدجاني، وإسماعيل الحسيني عن القدس، وراغب النشاشيبي، وعبد الفتاح السعدي، وأمينة عبد الهادي، ومحمود أبو خضراء، وسليمان طوقان عن نابلس، والشيخ فريح أبو مدين عن بئر السبع، وسليمان ناصيف عن حيفا، وأنطوان جلاذ⁴.

ولكن لا يفهم مما سبق الموافقة التامة على المجلس -حسب قول محمد دروزة وعيسى السفري-، حيث أدرك الفلسطينيون أن بريطانيا تهدف من طرح المؤسسات خدمة المشروع الصهيوني، فهو في نظر الجمعية الإسلامية المسيحية أداة من أدوات تطبيق سياسية الانتداب والوطن القومي

¹ الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ، ص 168.

² دروزة، محمد، القضية، ج 1، ص 45. السفري، عيسى، فلسطين، ج 1، ص 79. زعير، أكرم، القضية، ص 75.

³ دروزة، محمد، القضية، ج 1، ص 45.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج 1، ص 45. السفري، عيسى، فلسطين، ج 1، ص 79.

اليهودي؛ مما دفع سبعة من الاعضاء العرب إلى تقديم استقالتهم، فقامت السلطات البريطانية بإنهاء أعمال المجلس في شباط عام 1923م¹.

سعت بريطانيا بعد فشل فكرة المجالس إلى وضع حد لحالة الهياج والتذمر من قبل العرب، ورأت أن ذلك يمكن تحقيقه على حد قول عارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر من خلال تأسيس وكالة عربية عام 1923م تكون على نسق الوكالة اليهودية².

ولإضفاء الشرعية على الوكالة العربية يذكر أكرم زعيتر الكتاب الذي أرسله الدون ديفونشير (Devonshire) "وزير المستعمرات في ذلك الحين" إلى المندوب السامي في الرابع من تشرين الأول عام 1923م، جاء فيه "أن حكومة جلالة الملك تشجع إقامة وكالة عربية يكون لها نفس الوضع الممنوح للوكالة اليهودية، وسيتم الاعتراف بها كهيئة عامة تقدم النصح للإدارة وتتعاون معها في الأمور الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامور التي قد تؤثر على مصالح السكان غير اليهود، وتساعد في تنمية البلاد على أن تكون تحت مراقبة الادارة، وسيتم استشارتها في الامور المتعلقة بالأشغال العامة"³.

رأى عيسى السفري وأكرم زعيتر أن الحكومة البريطانية عرضت مشروع الوكالة العربية على مجموعة من الشخصيات الفلسطينية، على رأسهم موسى كاظم الحسيني، والحاج أمين الحسيني، وخليل السكاكيني، وراغب النشاشيبي، وأكد المندوب السامي هربرت صموئيل حرص الحكومة على المساواة بين مصالح العرب واليهود في فلسطين، مؤكداً الالتزام التام بتنفيذ وعد بلفور وصك الانتداب⁴.

تتبع الفلسطينيون الى أن الوكالة العربية لا تفي برغبات الفلسطينيين، وأن الحكومة البريطانية لا ترغب بتأسيس وكالة على غرار الوكالة اليهودية، مما دفع الفلسطينيين إلى رفضها، وهو ما أيده عارف العارف، وعيسى السفري، وأكرم زعيتر⁵.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص45. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص79.

² العارف، عارف، تاريخ، 146. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص79. زعيتر، أكرم، القضية، ص75.

³ زعيتر، أكرم، القضية، ص76.

⁴ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص79. زعيتر، أكرم، القضية، ص75.

⁵ العارف، عارف، تاريخ، 146. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص80. زعيتر، أكرم، القضية، ص76.

ورداً على الحلول البريطانية السابقة رأى عيسى السفري أن زئيفي جابوتنسكي (Ze'evi Jabotinsky) اقترح حلاً للقضية الفلسطينية والقائم على فكرة "الدولة ثنائية القومية في فلسطين"؛ لعيش الفلسطينيين واليهود داخل دولة واحدة، وتبنتها العديد من الجماعات والمنظمات الصهيونية، مثل جماعة بريت شالوم "عهد السلام"، وقد أسسها خمسون رجلاً من كبار رجال اليهود في فلسطين والمشتغلين بشؤون التعليم والاستعمار عام 1926م إلا أنها لم تستطع تجسيد طروحاتها السياسية على أرض الواقع فتم حلها في عام 1933م، ولكن أفكارها بقيت حية وجسدتها منظمة ايحود (الاتحاد) في 11 آب 1942م¹.

في عام 1929م وضع دافيد بن غوريون فكرة متضاربة كلياً مع مشروع "الدولة ثنائية القومية"، فوضع خطة لتسوية القضية الفلسطينية أطلق عليها "مبادئ أساسية للنظام الحكومي في فلسطين"، ونصت على تقسيم فلسطين إلى مناطق متعددة على نظام البلديات التي تتمتع بحكم ذاتي ومحلي، على أن تكون القدس مقراً للحكومة وللهيئة التشريعية، ثم تطورت الفكرة إلى تجزئة فلسطين إلى كانتونات تتمتع باستقلال ذاتي بعضها عربي والأخر يهودي، وسرعان ما دعا بن غوريون إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين تتمتعان بقدر من السيادة، على أن يكون هناك مجلس حاكم بين العرب واليهود والبريطانيين، يمثل حكومة فلسطين، إلى جانب هيئة تشريعية نيابية (مجلس الاتحاد الفيدرالي)، وتتألف من مجلسين مجلس الشعب وينتخب أعضاؤه من العرب واليهود بأعداد متساوية، ومجلس المواطنين وينتخب له أعضاء الكانتونات، مع التقيد بالنسبة العددية بين العرب واليهود، إلا أن المشروع لم يجد له مؤيدا من الجانبين العربي والصهيوني، مع العلم أن المؤرخين الفلسطينيين لم يتطرقوا للحديث عنه².

علمت الحكومة البريطانية أن الشعب الفلسطيني رافض تماماً للسياسة البريطانية، وهو ما يشكل عائقاً في تنفيذ سياستها، لأجل ذلك سعت الحكومة إلى الحصول على اعتراف الشعب الفلسطيني بسياساتها فلجأت إلى شتى الوسائل المختلفة للتحايل على الفلسطينيين، ووضعت سلسلة أخرى من المشاريع، وعرض محمد دروزة الحلول التي قدمها جون فيلبي (John Philippi) عام 1929م لحل القضية الفلسطينية والتي تمثلت بأن تدار فلسطين بواسطة جمهورية دستورية، ويقوم بالتشريع مجلس نيابي منتخب بإحدى طرق الانتخابات يمثل فيه العرب واليهود بنسبة عدد

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص19.

² عدوان، أكرم، المشاريع، مجلة الجامعة الإسلامية، مج12، ع2، ص273.

الساكين منهم مع عدم دخول الغائبين في التصويت، ويشرف المندوب السامي البريطاني على أعمال التشريع والتنفيذ وله حق الاعتراض على كل قرار يناقض تعهد بريطانيا في انتدابها على فلسطين، ويحق له أن ينصب مراقبين يعاونونه في تنفيذ مهمته، وتبقى له مسؤولية الامن العام إلى حين تصبح الحكومة صالحة لتحمل المسؤولية، وبقاء الوكالة اليهودية مرجعاً استشارياً في المصالح المتعلقة باليهود، وإعادة النظر في شكل الإدارة مرة كل خمس سنوات¹.

ثم أجرى جون فيلبي (John Philippi) بعضاً من التعديلات (الصيغة النهائية) وهي كما عرضها دروزة تتمثل بأن تدار فلسطين من الآن على أساس جمهوري دستوري ديمقراطي، وتكون السلطة التشريعية كلها في مجلس تمثيلي ينتخبه اشخاص ذو تابعة فلسطينية يقيمون في فلسطين ويؤلف هذا المجلس من عرب مسلمين ومسيحيين ويهود، وتكون السلطة التنفيذية في مجلس وزراء فلسطيني مؤلف من عرب مسلمين ومسيحيين ويهود ويكون مسؤولاً امام المجلس التمثيلي وينص على توظيف العرب واليهود في الوظائف العليا والثانوية مع اعتبار كفاءاتهم ونسبتهم، وبقاء المندوب السامي مسؤولاً عن الامن العام في البلاد الى حين تغدو حكومة فلسطين قادرة على القيام بهذا العبء²، ويحق للحكومة الفلسطينية تأليف قوات بوليسية لأغراض الإدارة المحلية مؤلفة من عرب ويهود حسب نسبتهم، ويكون للمندوب السامي نيابة عن عصبة الأمم حق الرد (الفيتو) على أي قانون أو قرار يصدر من المجلس التنفيذي أو مجلس الوزراء ولا يكون متفقاً مع الالتزامات الدولية الموكلة رعايتها للحكومة البريطانية، أو يكون مجحفاً بحقوق الأقليات والأجانب أو منافياً لمصلحة البلاد وأمنها، على أن يكون لحكومة فلسطين حق رفع الأمر إلى عصبة الأمم للفصل فيه، وتظل الوكالة اليهودية معترفاً بها هيئة عامة لها حق المشورة والمعونة لمصالح اليهود، كما يحق للطوائف الإسلامية والمسيحية تأليف وكالة مماثلة، وتأخذ الحكومة الفلسطينية على عاتقها جميع المسؤولية من جهة الديون والمعاهدات الدولية المعقودة باسمها³.

وعرض محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر حلول **الكتاب الأبيض** الذي أوصت لجنة شو Shaw بإصداره في أوائل نيسان 1930م، وأعلنت الحكومة البريطانية

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص64-65.

² م، ن، ص65.

³ م، ن، ص(65-66).

من خلاله عن الخطة السياسية التي تتوي اتباعها في فلسطين، فرأت أن الحكومة ستستمر في إدارة شؤون البلاد بمقتضى صك الانتداب الذي وافقت عليه عصبة الأمم، فهو التزام دولي لا يمكن الرجوع عنه على الإطلاق، ويقع على عاتق حكومة الانتداب المساعدة في إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، شرط عدم الإضرار بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف غير اليهودية، وعدم الإضرار بالحقوق السياسية التي يتمتع بها اليهود في مختلف بلدان العالم، ومعاملة مختلف طوائف السكان معاملة عادلة، وإعداد القوة اللازمة للمحافظة على الأمن المدني في البلاد¹.

رأى محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن اقتراحات الكتاب الأبيض سببت هياج اليهود في مختلف أنحاء العالم، حيث جندوا صحافتهم ودعايتهم الواسعة لإلغائه، وجرّوا إلى جانبهم قسماً من الزعماء البريطانيين، وصرح حاييم وايزمان أن هذا الكتاب قلب السياسة التي كانت الحكومة البريطانية قد اتبعتها حتى ذلك الوقت عن الوطن القومي اليهودي، مما دفعه إلى تقديم استقالته من رئاسة المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية².

وإرضاءً لليهود دعت الحكومة البريطانية أعضاء الوكالة اليهودية إلى عقد مؤتمر لبحث الأمر في تشرين الثاني، ونتج عنه حسب ما أشار عيسى السفري وأكرم زعيتر إرسال كتاب من رئيس الوزراء البريطاني إلى وايزمان في 13 شباط 1931م، واحتوى على موافقة بريطانيا على استقرار اليهود في فلسطين وتسهيل تسلّم إليها، من دون الإضرار بمركز الطوائف الأخرى في فلسطين، فوافق اليهود على الكتاب، بينما أزال ثقة العرب بالحكومة المنتدبة فسموه "الكتاب الأسود"³.

رأى محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن الحلول البريطانية أخذت تتجدد في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين على يد المندوب السامي البريطاني ارثر واكهورب، حيث دعا في 21 كانون الأول 1935م ممثلين من الأحزاب العربية والحركة الصهيونية وعرض عليهم مشروعه بإقامة **مجلس تشريعي** في فلسطين، وحضر هذا اللقاء من الجانب العربي راغب

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص282. العارف، عارف، تاريخ، ص(152-153). السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص147. زعيتر، أكرم، القضية، ص90-91، وبواكير، ج1، ص204.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص74. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص151. زعيتر، أكرم، القضية، ص93.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص151. زعيتر، أكرم، القضية، ص93.

النشاشيبي ويعقوب فراج ممثلاً عن حزب الدفاع، وجمال الحسيني والفرد روك ممثلاً عن الحزب العربي، وعبد اللطيف صلاح واسحق البديري عن حزب الاصلاح، ولم يذهب أي ممثل عن حزب الاستقلال أو الحزب الشيوعي الفلسطيني، ومثل الجانب اليهودي حايم وايزمان ودافيد بن غوريون وموسى شتروك واسحق بن زفي¹.

وتألف المجلس التشريعي الثاني من 28 عضواً، موزعين بين معين ومنتخب على النحو الآتي -حسب عيسى السفري-²:

جدول (3): أعضاء المجلس التشريعي الثاني

أعضاء	بالتعيين	بالانتخاب	المجموع الكلي
موظفون حكوميون (انجليز)	5	-	5
مسلمون	3	8	11
مسيحيون	2	1	3
يهود	4	3	7
تجار	2	-	2
المجموع	16	12	28

يمكن القول إن هذا التوزيع تم على أساس عدد أفراد الطوائف، استناداً إلى الإحصائيات السكانية التي وضعها صبري جريس عام 1935م، فعدد المسلمون 836,688 نسمة (64.0%)، والمسيحيون 105,236 نسمة (8.0%)، واليهود 355,157 نسمة (27.2%)³، وقدمت صحيفة فلسطين اعتراضاً على تخصيص مقعدين للتجار، ورأت أن بريطانيا هدفت من ذلك إلى الحفاظ على المصالح التجارية البريطانية⁴.

وتمحورت مهمات وواجبات المجلس حسب ما ذكرها محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر في مناقشة جميع القوانين التي تعرضها الحكومة البريطانية، وتعديلها قبل رفعها إلى

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص96. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص225. زعيتر، أكرم، القضية، ص100.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص225.

³ جريس، صبري، تاريخ، ج2، ص241.

⁴ صحيفة فلسطين، 1923/10/22م.

المندوب السامي للموافقة عليها أو رفضها، ودراسة الميزانية السنوية، ومناقشة أية مسألة تتعلق بالمصلحة العامة، باستثناء الأمور المالية¹.

واشترط آرثر واكهورب أن لا يجري أي تعديل على هذا التوزيع مدة خمس سنوات وهي المدة المحددة للمجلس، ومدة كل دورة ثلاثة أشهر، وفي حال رفض إحدى الطوائف الاشتراك في الانتخابات يقوم المندوب السامي بتعيين أعضاء بدلاً منهم إما موظفين بريطانيين، أو من الأشخاص الذين يرى صلاحيتهم لذلك، كما نص على تعيين رئيس المجلس من خارج فلسطين، ويتمتع المندوب السامي بحق النقد (الفيتو)، وحق إصدار القوانين في حالة عدم انعقاد المجلس، وإصدار القوانين المالية، مع الاحتفاظ بحق إيقاف أي قرار يتعارض مع صك الانتداب، وتغيير الرسوم الجمركية، وحل المجلس، وهو ما وثقه عيسى السفري².

تناول عيسى السفري مواقف الأحزاب الفلسطينية من المجلس التشريعي، فيقول أصدر حزب الدفاع في 29 آذار 1936م بياناً أعلن فيه القبول بمشروع المجلس التشريعي كتجربة؛ لاعتقاد هيئة الحزب بأن ذلك قد يساعد على السير بالأمة نحو الحكم الذاتي، في المقابل أفصح الحزب العربي في 14 نيسان 1936م عن معارضته للمجلس؛ كونه لا يتفق مع مطالب البلاد في الاستقلال التام والوحدة العربية، بينما رحب حزب الإصلاح بالمشروع دون قيد أو شرط على أساس مبدأ "خذ وطالب"، ولم يقدم حزب الاستقلال وحزب الكتلة الوطنية والحزب الشيوعي الفلسطيني رأيهم بالمشروع³، في حين اتسم موقف الصهيونية بالرفض للمجلس التشريعي خلال المؤتمر الصهيوني التاسع عشر المنعقد في لوزان في سويسرا عام 1935م، وكذلك الأمر بالنسبة للحكومة البريطانية، إلا أن المستر توماس (Thomas) واصل دفاعه عن المشروع بحجة أنه يفي بالوعد المقطوع للشعب اليهودي "بإنشاء الوطن القومي"⁴.

وانتقد القادة والمؤرخون الفلسطينيون سياسة آرثر واكهورب، فقال محمد دروزة "أن واكهورب سلك سياسة بهلوانية وخبيثة في سبيل التموه والتخدير، واستغل الظروف ونجح فيها إلى حد غير يسير، فازداد الموقف ميوعاً بسببها"، ويضيف دروزة "ومع الأسف الشديد أن بعض

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص96. السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص225. زعيتر، أكرم، القضية، ص100.

² السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص225.

³ م، ن، ص231.

⁴ م، ن، ص234.

العاملين في الحركة الوطنية ومنهم أعضاء بارزون في اللجنة التنفيذية استسلموا لسياسته"¹، وهو ما أيده عوني عبد الهادي حيث قال "كانت مهمة آرثر واكهوب تنحصر في تمهيد الحركة الوطنية العربية، وخلق جو من التعاون العربي اليهودي"².

وكتب محمد دروزة ما قاله أحمد الشقيري "انتزعت سياسة واكهوب إلى دوائر الحكومة زبدة البلاد، وربطت العائلات الكبرى بالسلطة البريطانية، والواقع أن هذه الإجراءات في مجموعها قد ساعدت المندوب السامي على تهدئة الحركة الوطنية العربية، وتمهيد النضال القومي"³، وقال موسى العلمي "أراد واكهوب خلق تفاهم عربي يهودي من خلال مجلس مشترك، تقوده الحكومة البريطانية"⁴.

نتيجة الفشل الذريع الذي مُنيت به بريطانيا بعد محاولاتها إرضاء اليهود وتحقيق أطماعهم الصهيونية من جهة، وإيقاف هياج العرب من جهة أخرى، اضطرت إلى إعادة النظر في مشروعها الاستعماري الاستيطاني في فلسطين، ويرى محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن الحكومة البريطانية أعلنت على لسان وزير مستعمراتها أورمسي غور (Ormsby Gore) في 29 تموز عام 1936م تشكيل لجنة تحقيق ملكية "لجنة بيل"، بهدف الحصول على تقرير موضوعي يساعدها على إنصاف جميع قطاعات سكان فلسطين، مشددة على ضرورة الالتزام بنصوص الانتداب⁵.

وفي 29 تموز 1936م أعلن أورمسي غور (Ormsby Gore) أعضاء اللجنة وتألفت حسب ما أشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر من اللورد بيل (Bill) رئيساً، والسير هوراس رامبولد (Horace Rambold) نائباً للرئيس، والمستر مارتن (Martin) سكرتيراً، ومجموعة من الأعضاء هم لوري هاموند (Laurie Hammond)، وموريس كارتر (Maurice

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص91.

² م، ن.

³ م، ن، (ص91-92).

⁴ عبد الهادي، مهدي، المسألة، ص36.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص149، وفلسطين، ص44. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص120، وتاريخ، ص159. السفري، ج2، ص152. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص262. زعيتر، أكرم، القضية، ص104، ويوميات، ص237.

(Carter)، وهارولد موريس (Harold Morris)، وريجيناالد كوبلاندا (Reginald Copeland)¹.

وفي 7 آب 1936م عُينت اللجنة حيث أصدر الملك جورج السادس ما سمي بالبراءة الملكية، وأشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى مهام اللجنة والتي تمثلت في التحقيق في اسباب الاضطرابات التي وقعت في أواسط شهر نيسان عام 1936م، ومعرفة كيفية تنفيذ صك الانتداب بالنسبة إلى التزامات الدولة المنتدبة اتجاه العرب واليهود²، ووصلت اللجنة إلى فلسطين في 11 كانون الأول عام 1936م، وباشرت في إجراء تحقيقها، من خلال زيارة العديد من المدن الفلسطينية، مثل يافا، تل أبيب، بيت لحم، الخليل، بئر السبع، غزة، عكا، حيفا، طبريا، والحولة³.

عبرت اللجنة الملكية عن مشروعها من خلال عقد الاجتماعات، فيذكر محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أنها عقدت 46 اجتماعاً في مدينة القدس، منها ثلاثون اجتماعاً علنياً، استمعت خلالها إلى ستين شاهداً، وأربعون اجتماعاً سرياً، استمعت خلالها إلى 53 شاهداً⁴.

أشار محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن اللجنة العربية العليا عقدت اجتماعاً في 21 كانون الأول 1936م؛ لبحث موقفها من اللجنة الملكية، وتأرجح موقفهم بين مؤيد ومعارض، ورأى الحاج أمين الحسيني ضرورة مقاطعة اللجنة، بينما رأى راغب النشاشيبي بضرورة المتول أمامها⁵.

وخلصت اللجنة العربية العليا إلى ضرورة إيفاد وفد لاستطلاع رأي القادة العرب والحصول على مشورتهم، وتشكل الوفد من عوني عبد الهادي والشيخ كامل القصاب ومعين الماضي ومحمد دروزة، وعاد الوفد إلى القدس في الخامس من كانون الثاني 1936م بعد أن زار عمان والرياض وبغداد ودمشق، حاملاً نصيحة الأمير عبد الله والملك غازي والملك عبد الله والحكومة

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص149. السفري، ج2، ص152. زعيتر، أكرم، القضية، ص104، ويوميات، ص237.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص149. السفري، ج2، ص152. زعيتر، أكرم، القضية، ص104.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص151. السفري، ج2، ص153. زعيتر، أكرم، القضية، ص104.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص151. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص161. زعيتر، أكرم، القضية، ص110.

⁵ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص93، والقضية، ج1، ص149. السفري، عيسى، فلسطين، ج2، ص162. زعيتر،

أكرم، القضية، ص110

الوطنية في دمشق بأن "المصلحة تقضي بضرورة الاتصال باللجنة الملكية والإدلاء إليها بمطالبكم العادلة، فذلك أضمن لحقوقكم" وهو ما أيده محمد دروزة¹.

عملت اللجنة العليا بنصيحة الزعماء العرب، وأرسلت في 11 كانون الثاني عام 1937م مذكرة إلى اللجنة الملكية أجملت فيها مطالب الشعب الفلسطيني وهي كما عرضها محمد دروزة تتمثل بالعدول عن فكرة الوطن القومي اليهودي، وإنشاء حكومة وطنية مستقلة، وإنهاء الانتداب، وإيقاف التسلسل اليهودي الى فلسطين، ومنع انتقال الاراضي لليهود، وحل القضية الفلسطينية وفق الأسس التي حلت بها قضايا العراق ولبنان وسوريا بإنهاء عهد الانتداب، وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين يتم بموجبها إقامة حكومة وطنية مستقلة عادلة ذات حكم دستوري².

وذكر محمد دروزة وأكرم زعيتر أسماء قادة الحركة الوطنية الفلسطينية الذين حضروا للشهادة أمام اللجنة الملكية في 22 كانون الثاني 1937م، وهم عوني عبد الهادي، ومحمد دروزة، وجمال الحسيني، وعبد اللطيف صلاح، ويعقوب فراج، وأيدوا جميعهم ما جاء في مذكرة اللجنة العربية العليا³.

ولخص محمد دروزة وأكرم زعيتر شهادة عوني عبد الهادي أمام لجنة بيل، وجاء فيها أن اسباب الاضطرابات جميعها التي قام بها الفلسطينيون تعود الى حرمان العرب من حقوقهم الاساسية، وعدم إيفاء الحكومة البريطانية بالعهد التي قطعتها في مراسلات الشريف حسين - مكماهون، وكذلك الامر في العهد البريطانية الفرنسية عام 1918م، والاخلال بالمبادئ التي قطعها الرئيس وودرو ويلسون (Woodrow Wilson)، واقترح عوني عبد الهادي الحلول ذاتها التي قدمتها اللجنة العليا؛ لمنع تكرار الاضطرابات⁴.

ومن الجانب اليهودي حضر حايبم وايزمان للشهادة أمام اللجنة وفق ما ذكره محمد دروزة وأكرم زعيتر، وأعرب عن رضى الصهاينة عن مشروع اللجنة الملكية؛ فهي الطريق الوحيد لحل مشكلات اليهود في العالم قائلاً "أنه يشعر وهو يقف أمام اللجنة بالنيابة عن اليهود المشتتين

¹ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص27، والقضية، ج1، ص155.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص155-156.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص155. زعيتر، أكرم، القضية، ص110.

⁴ دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص364، والقضية، ج1، ص155. زعيتر، أكرم، يوميات، ص262.

في العالم بفداحة العبء الملقى على عاتقه أمام التاريخ وأمام مستقبل اليهود، فاليهود يواجهون مشكلة أطلق عليها اسم المأساة نتيجة عدم وجود وطن قومي خاص بهم¹.

وأورد أكرم زعيتر شهادة زئيف جابوتنسكي "رئيس حزب الاصلاح" أمام اللجنة، حيث طالب أن تكون شرق الاردن وفلسطين تحت حكم اليهود².

بعد أن استمعت اللجنة الملكية إلى شهادات العرب واليهود، غادرت فلسطين متوجهة إلى عمان، فاجتمعت بالأمر عبد الله، ومن ثم توجهت إلى بريطانيا في 24 كانون الثاني 1937م، وعقدت عدداً من الجلسات السرية، استمعت خلالها إلى العديد من الشهود البريطانيين ممن تولوا مناصب عليا في فلسطين³.

عادت اللجنة واستمعت إلى شهادة الحاج أمين الحسيني، والتي وثقها محمد دروزة وأكرم زعيتر في مؤلفاتهم "إن القضية العربية في فلسطين هي قضية قومية استقلالية لا تختلف في جوهرها عن قضايا العرب في سائر البلاد العربية، وأن السبب الأول للاضطرابات هو حرمان عرب فلسطين من التمتع بحقوقهم الطبيعية والسياسية"، مطالباً بوقف إنشاء الوطن القومي اليهودي، وإيقاف الهجرة، وعمليات انتقال الاراضي الى اليهود⁴.

وفي 7 تموز عام 1937م نشرت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الملكية، وأوضحت أن الاسباب الاساسية للاضطرابات بين العرب واليهود على حد وصف محمد دروزة وأكرم زعيتر هو رغبة العرب في الحصول على الاستقلال القومي، وتخوفهم من فكرة إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، وأشارت الى أن وعد بلفور وصك الانتداب والاضطهادات التي تعرض لها اليهود في أوروبا الوسطى والغربية كانوا اسباباً ثانوية لوقوع الاضطرابات خلال الاعوام (1920-1936م)، وأكدت عدم قدرتها على الاستجابة لمطالب العرب واليهود في الحصول على الحكم الذاتي الفلسطيني، وفي ذات الوقت إنشاء الوطن القومي اليهودي⁵.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص151. زعيتر، أكرم، يوميات، ص255.

² زعيتر، أكرم، القضية، ص110، ويوميات، ص279.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص152. زعيتر، أكرم، القضية، ص110-111.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص155. زعيتر، أكرم، يوميات، ص257.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص158. زعيتر، أكرم، القضية، ص111.

ومن خلال بحث اللجنة الملكية عن حل دائم للمسألة الفلسطينية لخص محمد دروزة وأكرم زعيتر الحلول التي انتهت إليها اللجنة في تقريرها والقائمة على رفض فكرة إنهاء الانتداب البريطاني في فلسطين، واستحالة إقامة دولة ثنائية القومية؛ لأن اندماج العرب واليهود أمر مستحيل، ورأت أن إقامة حكم ذاتي في فلسطين يضمن العدالة لكل من العرب واليهود أمر غير ممكن، ورفض التقرير سياسة القمع البريطانية في محاولة إيجاد حل عملي يرضي الطرفين¹.

ولكن في نهاية المطاف رأى محمد دروزة وأكرم زعيتر أن اللجنة الملكية آمنت أن الحل الوحيد لقضية فلسطين يكمن في إقرار مبدأ التقسيم بين العرب واليهود، بحجة توطيد السلام لعدم قدرة أي من العرب واليهود على حكم فلسطين، قائلة "أنه لم يكن بمقدور أي من الشعبين العربي واليهودي أن يتولى حكم فلسطين كلها بإنصاف، فإننا لا نرى سبباً يمنع كل شعب منهما من حكم قسم منها إذا كان ذلك قابلاً للتطبيق"².

لم تنتظر اللجنة الملكية وصول لجنة فنية لتعيين الحدود بين الدول، فأقرتها بنفسها*، وحسب محمد دروزة ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر فقد أعطت للدولة اليهودية جميع ألوية حيفا والجليل وصفد وعكا، وجميع السهل الساحلي من اسدود الى الشمال بما فيه سهل شارون (السهل الساحلي)، ومرج بن عامر، وأعطت الدولة العربية أمانة شرق الاردن ومناطق غزة وبئر السبع وصحراء النقب والجليل ونابلس والقسم الشرقي من مناطق طولكرم وجنين وبيسان ويافا، على أن توضع مدن طبريا وصفد وحيفا وعكا تحت ادارة الدولة المنتدبة، شرط أن يتم إنشاء ممر يصل بين البحيرة بمدينة يافا ماراً باللد والرملة، وأن لا يسري على هذا القسم وعد بلفور بتحقيق وطن قومي لليهود³.

بررت اللجنة إدخال أراضي الجليل في إطار الدولة اليهودية؛ ويعتقد محمد دروزة أن ذلك مرتبط بقداسة مدينتي صفد وطبريا بالنسبة لليهود، وأن معظم أراضي اليهود ومستعمراتهم تقع في السهل الساحلي⁴.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص158، وفلسطين، ص45. زعيتر، أكرم، القضية، ص115.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص158، وفلسطين، ص45. زعيتر، أكرم، القضية، ص111.

* للاطلاع على خارطة تقسيم فلسطين عام 1937م، انظر ملحق (6)، ص301.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص158-159. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص262. زعيتر، أكرم، القضية، ص116.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص159.

رأى أكرم زعيتر أن اللجنة قررت إنهاء أجل الانتداب البريطاني على فلسطين واستبداله بنظام المعاهدات مع العرب واليهود، وأوضحت اللجنة أن المعاهدة اليهودية يجب أن تشمل نصاً يضمن حرية نقل البضائع بين الدولة العربية وحيفا، وفي المقابل يجب أن تشمل المعاهدة العربية نصاً يضمن حرية نقل البضائع في السكة الحديدية ما بين الدولة اليهودية والحدود المصرية، وأن تترك منطقة خاصة من خليج العقبة تحت إدارة الدولة المنتدبة¹.

ولإقناع العرب واليهود بقبول خطة التقسيم قامت اللجنة الملكية بعرض الفوائد التي تعود على العرب واليهود جراء تطبيق قرار التقسيم، فبنظرها أن العرب سينالون استقلالهم القومي، من خلال التعاون مع عرب البلاد المجاورة لتحقيق الوحدة العربية، وأن هذا القرار يمنع وضع الأماكن المقدسة تحت سيطرة اليهود، إضافة إلى الإعانة المالية التي سيحصل عليها العرب من الدولة اليهودية ومن الحكومة البريطانية ما مقداره 2 مليون جنيه، وفي المقابل رأت أن قرار التقسيم يضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي، وتحويله إلى دولة يهودية، وبالتالي إيفاد العدد الذي تراه الدولة اليهودية بإمكانها استيعابه وهو ما ذكره محمد دروزة وأكرم زعيتر².

إلا أن الحكومة البريطانية فشلت في إقناع العرب بقبول قرار التقسيم، ورأى محمد دروزة وأكرم زعيتر أن اللجنة العربية العليا أصدرت بياناً إلى الشعب العربي في 8 تموز 1937م جاء فيه "واللجنة العربية العليا ترحو من الشعب العربي الكريم المؤمن بحقه الثابت على مطالبه أن لا يؤخذ بالإغراء وبزخرف القول وأن يظل محافظاً على عهده وميثاقه الوطني، وأن يحتفظ برباطة جأشه ورزاقته واثقاً كل الثقة من الفوز في حقه وغاياته"، وتعالى نداءات اللجنة العربية العليا إلى ملوك العرب بمساعدة الفلسطينيين لإنقاذ البلاد من شرور الاستعمار والتمزيق³.

وبالفعل لبت سائر الاقطار العربية نداء اللجنة العربية العليا، فذكر محمد دروزة وأكرم زعيتر البرقية التي أرسلها رئيس وزراء العراق "حكمت سليمان" إلى اللجنة العربية العليا معلناً استعداد العراق لمناصرة القضية الفلسطينية، وخرجت المظاهرات في جميع أنحاء العراق مستنكرة لقرار التقسيم ومدددة بكل من يرضى به⁴، وفي مصر استنكر رئيس حزب الاحرار محمد محمود باشا مشروع التقسيم، واستفاض الكتاب والصحفيون المصريون في مهاجمة التقسيم،

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص116.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص159. زعيتر، أكرم، القضية، ص114-115.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص159، وفلسطين، ص46. زعيتر، أكرم، القضية، ص114-115.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص165. زعيتر، أكرم، القضية، ص119، ويوميات، ص301.

وكذلك الامر في لبنان حيث نشطت الصحافة اللبنانية في كتابة مقالات شديدة اللهجة استتكاراً لقرار التقسيم، وفي ذات السياق استنكر رئيس الوزراء السوري جميل مردم قرار التقسيم وطالب بوجوب استقلال فلسطين وسيادتها، وفي السعودية استنكر الملك عبد العزيز آل سعود مشروع التقسيم، وافتى علماء نجد بتحريم إقامة ولاية لليهود في فلسطين¹، وفي الاردن واليمن والمغرب العربي وردت ردود مماثلة².

وتأكيداً لرفض مقترحات "لجنة بيل"، أشار محمد دروزة وأكرم زعيتر إلى الاجتماع الذي عقده العرب في بلودان (سوريا) في 10 أيلول 1937م، والذي نص على أن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، والعمل على مقاومة تقسيم فلسطين ومنع إنشاء دولة يهودية فيها، والإصرار على إلغاء وعد بلفور والانتداب البريطاني، وأن استمرار الصداقة بين الشعب الفلسطيني والشعب البريطاني متوقف على تحقيق المطالب السابقة³.

ساهم المؤرخون الفلسطينيون وقادة الحركة الوطنية الفلسطينية في الكشف عن حقيقة قرار التقسيم، فهو برأي أكرم زعيتر يؤدي إلى قيام دولة يهودية، حيث يعطي حصة لليهود أكثر سكانها من العرب، ففي الدولة اليهودية المقترحة يعيش 325 ألف عربي، و300 ألف يهودي⁴، ورأي عوني عبد الهادي "أن تنفيذ المقترحات التي جاءت بها اللجنة الملكية تهدد الاقطار العربية والديار الاسلامية"⁵.

وعرض أكرم زعيتر رأي جورج انطونيوس حيث قال "أن المشروع خطط على نحو يسمح لبريطانيا بالاحتفاظ بمركزها الاستراتيجي والاقتصادي، ويمكن الصهاينة من أن يصبحوا مطلقي السيادة في غرب فلسطين وشمالها، وأن يحقق الفريقان هذا كله على حساب العرب"⁶، ويقول موسى العلمي "يهدف المشروع إلى الجمع بين تحقيق عهود بريطانيا المتضاربة في مراسلات حسين - مكماهون 1915م للعرب وفي وعد بلفور 1917م لليهود"⁷.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص165. زعيتر، أكرم، القضية، ص119، ويوميات، ص301.

² زعيتر، أكرم، يوميات، ص302.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص183. فلسطين، ص46. زعيتر، أكرم، القضية، ص120، ويوميات، ص315.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص118.

⁵ م، ن.

⁶ زعيتر، أكرم، يوميات، ص274.

⁷ عبد الهادي، مهدي، المسألة، ص45.

وعبرت صحيفة المقطم عن رأيها في عددها الصادر في 10 تموز 1937م "أن مشروع التقسيم لم يرتجل وإنما حملته اللجنة من لندن حينما جاءت، ويؤيد ذلك أن البروفيسور كوبلاند (Copeland) أحد أعضائها انشغل طوال إقامة اللجنة في فلسطين بدراسة المشروع وجمع المعلومات عنه، ولم يحجم عن مفاتحة بعض الذين اتصل بهم من العرب واستشارتهم بشأنه وفيما يكون لهم من الوقع في نفوسهم"¹.

أما موقف الحركة الصهيونية من قرار التقسيم، فقد رأى محمد دروزة وأكرم زعيتر أنه اختلف بين محبذ راضٍ إلى طامع في المزيد غير راضٍ، وإلى متوجس خائف على مصير الدولة اليهودية، إلا أن المؤتمر الصهيوني المنعقد في زيوريخ صرح بأن المشروع غير مقبول؛ كونه يخول اللجنة التنفيذية الصهيونية مفاوضة الحكومة البريطانية للتحقق من الشروط التي تعرضها حكومة جالته لإنشاء الدولة اليهودية².

وأشار محمد دروزة إلى إعلان حاييم وايزمان اقتناعه بفكرة التقسيم في اجتماع سري عقد في مستوطنة نهلال مع كوبلاند (Copeland)، وأعرب عن ذلك بقوله "اليوم وضعنا أسس الدولة اليهودية"³.

ووثقت خيرية قاسمية الرسالة التي أرسلها محمد دروزة إلى عوني عبد الهادي قال فيها "أن اليهود طاروا فرحاً باقتراحات اللجنة الملكية التي حققت لهم اطماعهم وآمالهم، دون علمهم بالمصاعب والمخاطر التي تنتظرهم في فلسطين"⁴.

وعرض أكرم زعيتر آراء بعض القادة الصهاينة الراضين لقرارات اللجنة وفي مقدمتهم مناحيم يوششكين وفلاديمير جابوتنسكي؛ كون القدس خرجت من نطاق السيطرة اليهودية وقالوا "لا دولة يهودية بدون صهيون"، ووضعوا خطة جديدة وعرضوها على الحكومة البريطانية وأعلنوا أن الحركة الصهيونية لن تتنازل عن القدس كعاصمة للدولة اليهودية، وينبغي الفصل بين الأماكن

¹ عبد الهادي، مهدي، المسألة، ص 45.

² دروزة، محمد، القضية، ج 1، ص 168. زعيتر، أكرم، القضية، ص 120.

³ دروزة، محمد، القضية، ج 1، ص 169.

⁴ قاسمية، خيرية، اوراق، ص 87.

المقدسة شرق المدينة وبين الجزء الغربي فصلاً مبدئياً إقليمياً، ويجب أن يكون هناك إشراف بريطاني على شرقي المدينة وليس إشرافاً عربياً¹.

كما ذم يوسف فايتس قرار التقسيم فقال "بيننا وبين أنفسنا يجب أن يكون واضحاً لدينا أنه لا يوجد مكان في البلاد (فلسطين) للشعبيين معاً، فمع وجود العرب لن نتمكن من تحقيق هدفنا، فالحل الوحيد هو أن تصبح فلسطين أرض إسرائيل بدون عرب"².

أدرك محمد دروزة وأكرم زعيتر سعي الحكومة البريطانية إلى الحصول على تأييد عصبة الأمم لمشروع تقسيم فلسطين، وفي 16 أيلول 1937م وافق مجلس عصبة الأمم أن تقوم الحكومة البريطانية بدراسة مشروع التقسيم، وتقرر التدابير التي يتطلبها الموقف، مع استمرار العمل بصك الانتداب، وبالتالي منحت عصبة الأمم إلى الحكومة البريطانية تقسيم فلسطين بالشكل الذي تراه مناسباً³.

أعلن وزير المستعمرات البريطاني اورمسي غور في 9 شباط 1938م أن مشروع اللجنة الملكية يمثل أفضل الحلول لمأساة فلسطين، فأرسل في 28 شباط لجنة فنية "لجنة وودهيد" لوضع مشروع محدد، وتألّفت حسب محمد دروزة وأكرم زعيتر من السير جون وودهيد (John Woodhead) (رئيساً) وعرفت باسمه، والسيد اليسون راسل (Alison Russell) (عضواً)، والمستر ووتر فيلد (Waterfield) (عضواً)، والمستر توماس ريد (Thomas Reed) (عضواً)، والمستر لوك (Look) (سكرتيراً)⁴، ووصلت اللجنة (وودهيد) إلى فلسطين في 27 نيسان 1938م، وأعربت عن استعدادها لسماع من يريد أن يدلي بشهادته، فعقدت 55 جلسة، اثنتان علنيتان، وبقية الجلسات سرية⁵.

طمع اليهود بالاستيلاء على مناطق واسعة في فلسطين من خلال اللجنة، وذكر محمد دروزة أن حاييم وايزمان طالب بتوسيع مساحة الدولة اليهودية، بحيث تشمل صحراء النقب وسهول بيسان

¹ زعيتر، أكرم، يوميات، ص279.

² الهور، منير، والموسى، طارق، مشاريع، ص12.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص172. زعيتر، أكرم، القضية، ص121.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص228. زعيتر، أكرم، القضية، ص131.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص228. زعيتر، أكرم، القضية، ص131.

والاحياء اليهودية في مدينة القدس، وطالب اليهود اجمع بضم فلسطين وشرق الاردن تحت ملكهم¹.

أشار محمد دروزة وأكرم زعيتر إلى مقاطعة العرب للجنة الفنية، حيث اعتزلوا تقديم شهاداتهم أمامها، بناءً على طلب اللجنة العربية العليا في منتصف آذار 1938م؛ كونها لجنة تهدف إلى تقسيم فلسطين، في حين رأى حزب الدفاع أن الحل الوحيد هو إنشاء دولة واحدة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا، مع احتفاظ اليهود فيها بنسبتهم الحاضرة وتمتعهم بحقوقهم الدستورية كاملة².

ورأى الأمير عبدالله أن فلسطين بدأت تعاني من خطر الاستيلاء عليها مما دفعه إلى عرض مشروع على لجنة وودهيد الفنية في أوائل شهر حزيران 1938م لحل قضية فلسطين، وعرض أكرم زعيتر محتوياته التي نصت على ضرورة تشكيل مملكة عربية موحدة في فلسطين وشرق الاردن برئاسة ملكية عربية قادرة على القيام بمهامها، وتعطي هذه المملكة ادارة مختارة لليهود في المناطق اليهودية التي تتعين خرائطها بواسطة لجنة تتألف من رجال بريطانيين وعرب ويهود، ويتمتع اليهود بكامل ما تتمتع به أية إدارة مختارة، ويمثل اليهود في برلمان الدولة العربية بنسبة عددهم، ولكن لا يحق لليهود شراء أية ارض ولا إدخال مهاجرين خارج المناطق اليهودية، ولا يحق للفلسطينيين الاعتراض على البقاء البريطاني في فلسطين لمدة عشر سنوات³.

أكد محمد دروزة أن الأحزاب الفلسطينية واللجنة العربية العليا عارضت المشروع، وطالبوا الامير عبد الله بالعدول عنه، كما رفضت الحكومة البريطانية مشروع الأمير عبد الله، وقال وزير المستعمرات البريطاني "أن المشروع لا يقوم أساساً على التفاهم والاتفاق بين العرب واليهود"⁴.

ظلت اللجنة في فلسطين وبعض مناطق شرق الأردن حوالي ثلاثة أشهر، ثم عادت إلى لندن في 3 آب 1938م، وواصلت سماع شهود آخرين، ورأى محمد دروزة وأكرم زعيتر أن اللجنة

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص228.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص228. زعيتر، أكرم، القضية، ص131.

³ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص229.

⁴ م، ن.

الفنية (وودهيد) نشرت تقريرها في 15 آب 1938م، ودرست مشروع اللجنة الملكية (بيل)، وأسمته المشروع (أ)، ورأت أن مشروع تخطيط الدولتين فيه لا يراعي توزيع السكان والاعتبارات العسكرية والاقتصادية، فعدلته واطلقت عليه مشروع (ب) حيث استثنت المنطقة الواقعة في أقصى جنوب الدولة اليهودية، وإدخالها في الدولة العربية، وإدخال الجليل في المنطقة الانتدابية، على أن تدخل حيفا ومينائها في الدولة اليهودية¹، إلا أن هذا المشروع لم يحظ إلا بموافقة عضو واحد من اللجنة، وذلك لوجود عدد كبير من العرب يمتلكون مساحات واسعة في الدولة اليهودية وبالتالي سيخضع هذا لمقاومة العرب، ثم عدلت التعديل (ب) في مشروع (ج)، جاء فيه أن الدولة العربية تشمل معظم الأماكن الداخلية في فلسطين، فضلاً عن الساحل ما بين يافا وغزة، وشملت الدولة اليهودية على الساحل من شمال يافا إلى جنوبي حيفا ومينائها وميناء تل أبيب، والمنطقة الانتدابية وشملت شمال فلسطين (الجليل وجبل الكرمل وحيفا) والتفت حتى حدود مصر، إضافة إلى القدس².*

أمام ضربات الثورة الفلسطينية الكبرى المستمرة، أعلنت بريطانيا عدولها عن قرار التقسيم، فأذاعت في 9 تشرين ثاني 1938م بياناً سياسياً وثقه محمد دروزة وأكرم زعيتر، وأعلنت فيه "إن بريطانيا بعد إعادة النظر والإمعان في تقرير لجنة التقسيم قد ظهر لها أن صعاباً سياسية وإدارية ومالية عظيمة، ينطوي عليها اقتراح إنشاء دولة عربية، وأخرى يهودية حتى أصبح واضحاً وجلياً، أن هذا الحل لن يكون حلاً عملياً، إن بريطانيا تسعى لخلق تفاهم بين العرب واليهود في سبيل إقامة السلام في فلسطين، وهي في سبيل ذلك سوف توجه فوراً دعوة إلى الدول العربية وإلى الوكالات اليهودية وإلى عرب فلسطين، لعقد اجتماع في لندن حول السياسة الخاصة بفلسطين بما فيها الهجرة اليهودية، وأن بريطانيا لتحفظ بالنسبة لتمثيل عرب فلسطين بحق رفض الزعماء الذين تعددهم مسؤولين عن حملة الاغتيال والعنف، وإذا لم تتجح تلك المباحثات فسوف تعلن بريطانيا السياسة التي يجب اتباعها"³.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص228. زعيتر، أكرم، القضية، ص132-134.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص228. زعيتر، أكرم، القضية، ص132-134.

* للاطلاع على خارطة مشروع وودهيد عام 1938م، انظر ملحق (7)، ص302.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص229. زعيتر، أكرم، القضية، ص137، ويوميات، ص510.

يُرجع محمد دروزة تخلي الحكومة البريطانية عن قرار التقسيم إلى أسباب كثيرة، في مقدمتها "نظرية المصالح"، وأن فلسطين بلاد صغيرة لا تصلح للتقسيم، إضافة إلى اقتناع بريطانيا أن إنشاء دولتين في البلاد الواحد حل غير عملي¹.

وبعد أن أعلنت الحكومة البريطانية عدولها عن التقسيم أشار محمد دروزة إلى أن فخري النشاشيبي "زعيم حزب الدفاع المعارض لقيادة المفتي" وجّه رسالة إلى المندوب السامي في 15 تشرين الثاني أعلن فيها "أن العرب راضون عن إلغاء مشروع التقسيم، وأن المفتي لم يعد يمثل الرأي العام العربي في فلسطين"، وبدأ بدعم علني من السلطات بتنظيم "فرق سلام"؛ لمحاربة الثوار المتعاطفين مع المفتي، ودارت مناقشات كثيرة بين الطرفين².

وفيما كانت لجنة وودهيد تقوم بعملها في فلسطين، استقال وزير المستعمرات البريطاني أورمبسي غور، فعين مكانه في منتصف أيار من العام نفسه مالcolm ماكdonald (Malcolm MacDonald) وقد قال وزير المستعمرات مالcolm ماكdonald في خطابه الذي قدم فيه تقرير لجنة وودهيد إلى مجلس العموم في 24 تشرين الأول 1938م حسب ما ذكر محمد دروزة أكرم زعيتر "لقد عاش العرب في فلسطين منذ قرون عديدة، ولم يؤخذ رأيهم عندما صدر وعد بلفور ولا عندما وضعت صيغة الانتداب، وقد كانوا خلال السنوات العشرين التي تلت الحرب العالمية الأولى يراقبون هذا الاجتياح السلمي الذي يقوم به شعب غريب ويرفعون أصواتهم بالاحتجاج الصاخب بين حين وآخر، فقد شاهدوا تسرب أراضيهم من أيديهم وانتشار المستعمرات اليهودية انتشارا مطرد الازدياد في صميم البلاد فأخذت تساورهم المخاوف، ولو كنت عربيا لتولاني الذعر أيضا"³.

رحب الصهاينة بفكرة عدول الحكومة البريطانية عن قرار التقسيم حسب قول محمد دروزة وأكرم زعيتر، ونادوا بوجوب حضور المؤتمر الذي دعت له في لندن "مؤتمر لندن"، وأعلنت الحركة الصهيونية عن رغبتها في إشراك الولايات المتحدة الأمريكية في المؤتمر بصورة فعالة، بينما اعتبرت وجود العرب غير مرغوب فيه⁴.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص229-230.

² م، ن، ص237-238.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص230، وفلسطين، ص64. زعيتر، أكرم، القضية، ص137.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص236، وفلسطين، ص65. زعيتر، أكرم، القضية، ص139، ويوميات، ص520.

وأكد محمد دروزة ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن الحكومة البريطانية لم تستجب إلى الحركة الصهيونية بإزاحة العرب من حضور مؤتمر لندن، فوجهت الحكومة في مطلع شهر تشرين الثاني 1938م الدعوة إلى حكومات كل من العراق ومصر واليمن والسعودية وشرقي الأردن لحضور المؤتمر، إلا أنها عزلت حكومتي سوريا ولبنان؛ حفاظاً على تحالفهما مع فرنسا، أما فلسطين فأوكلت إلى اللجنة العربية العليا حضور مؤتمر لندن¹.

والجدول الآتي يعرض الوفود وأعضائها التي شاركت في مؤتمر لندن وفقاً لما وثقه محمد دروزة²:

جدول (4): الوفود المشاركة في مؤتمر لندن 1939م

الوفد	الأعضاء
الوفد الفلسطيني	جمال الحسيني (رئيساً)، أحمد حلمي عبد الباقي، وعوني عبد الهادي، وحسين الخالدي، ومحمد دروزة، والفرد روك، وعبد اللطيف صلاح، ويعقوب الغصين، وفؤاد سابا.
الوفد المصري	الامير عبد المنعم (رئيساً)، عبد الرحمن عزام، علي ماهر باشا، وحسن نشأت.
الوفد العراقي	نوري السعيد (رئيساً)، وتوفيق السويدي، وعبد القادر الكيلاني.
الوفد السعودي	الامير فيصل (رئيساً)، الامير خالد، والشيخ حافظ وهبة، وفؤاد حمزة، والشيخ ابراهيم السليمان.
الوفد اليمني	الامير سيف الاسلام الحسين (رئيساً)، والقاضي علي العمري، والقاضي محمد عبد الله الشامي.
وفد شرق الاردن	توفيق أبو الهدى (رئيساً)، وفؤاد الخطيب، وعبد الله النمر.
الوفد البريطاني	مالكولم ماكدونالد (رئيساً)، وهاليفاكس "وزير الدولة لشؤون ماوراء البحار"، والمستر بتلر "وكيل الوزارة الخارجية في البرلمان البريطاني".
الوفد الصهيوني	حاييم وايزمان، دافيد بن غوريون، وموسى شرتوك.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص241، وفلسطين، ص65. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص408. زعيتر، أكرم، القضية، ص139.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص241، وفلسطين، ص66.

أشار محمد دروزة وأكرم زعيتر إلى رفض الممثلين الفلسطينيين الجلوس مع الوفد الصهيوني على مائدة واحدة، فاضطرت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمرات (عربي-انجليزي)، (يهودي-انجليزي)، وافتتحت جلسات المؤتمر في أواخر كانون الثاني 1939م في قصر سانت جيمس، برئاسة نيفيل تشامبرلين Neville Chamberlain "رئيس الوزراء البريطاني"¹.

وتقدم الوفد البريطاني بمقترحات محددة كما ذكرها محمد دروزة وأكرم زعيتر، مفادها إنهاء الانتداب في فلسطين وإعلانها دولة مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن مصالحها الاقتصادية والعسكرية، وذلك بعد مرور فترة انتقالية مدتها عشر سنوات، وتنظيم دستور فلسطين، وتحديد أعماله، والتأكيد على سلامة الأماكن المقدسة، وحماية الطوائف المختلفة².

مال العرب في بداية الأمر إلى قبول المقترحات البريطانية، إلا أنهم سرعان ما عدلوا عن قرارهم، وطالبوا حسب ما ذكره محمد دروزة وأكرم زعيتر بإلغاء الانتداب خلال مدة قصيرة، وقيام دولة فلسطينية مستقلة لها إدارة جميع شؤونها³، وفي المقابل أثارت المقترحات البريطانية مخاوف اليهود من إعلان استقلال فلسطين، فقاموا بحملة ارهابية أثناء انعقاد المؤتمر، وألقوا على المجتمعات العربية قنابل أدت إلى استشهاد أربعين عربياً، وجرح 45 آخرين⁴.

قبل إنهاء أعمال مؤتمر لندن أعلنت بريطانيا أنها ستنفذ ما تراه مناسباً حتى لو لم يقبله الطرفين، وبعد فشل المؤتمر في 17 آذار 1939م ذكر محمد دروزة الاتصالات التي جرت بين الحكومة البريطانية ورئيس الوزراء المصري "محمد محمود باشا"؛ لإقناع رجالات فلسطين بقبول التعديلات على المقترحات البريطانية في تقرير إنشاء دولة فلسطينية مستقلة عندما تنجح التجربة التي ترمي إلى إيجاد تعاون كامل بين العرب واليهود⁵.

فشلت الحكومة المصرية بإقناع رجالات فلسطين بقبول التعديلات، فبادرت بريطانيا على حد قول محمد دروزة ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر إلى إصدار الكتاب الابيض في 17 أيار

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص241. زعيتر، أكرم، القضية، ص141.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص242. زعيتر، أكرم، القضية، ص142.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص242. زعيتر، أكرم، القضية، ص142.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص142.

⁵ دروزة، محمد، فلسطين، ص65-66.

1939م، وبعد عدة ايام عرضت الحكومة البريطانية الكتاب الجديد على مجلس العموم البريطاني، فصوت له 268 عضواً¹.

وضح محمد دروزة وأكرم زعيتر بنود الكتاب الأبيض القائلة أن تحويل فلسطين كلها إلى دولة يهودية ليس من ضمن سياستها، وطالب بقيام دولة فلسطينية خلال عشر سنوات، يعطى أهل فلسطين خلال فترة الانتقال نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم، وإذا رأت حكومة بريطانيا أنه لا مناص من إرجاء الإعلان عن قيام الدولة، فإنها ستدعو ممثلي أهالي فلسطين ومجلس عصبة الأمم والدول العربية إلى التعاون معها في وضع خطط للمستقبل، وإن الدولة الفلسطينية المستقلة يجب أن تكون دولة يساهم العرب واليهود في حكومتها على وجه يضمن صيانة المصالح الأساسية للطرفين².

وعرض محمد دروزة ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر آراء اللجنة العربية العليا حول الكتاب، ففريق يرى بقبوله أمثال جمال الحسيني، وعوني عبد الهادي، وأحمد حلمي، وحسين الخالدي، وفريق يرى بوجوب رفضه وعلى رأسهم الحاج أمين الحسيني، وأحمد الشقيري، وسرعان ما انضم لهم المؤيدون من الفريق الأول، وفي 29 أيار 1939م اصدرت اللجنة قرارها النهائي برفض الكتاب، كما انكره قادة الثورة الفلسطينية الكبرى³، وأضاف أكرم زعيتر الاجتماع الذي عقده حزب الدفاع في اليوم نفسه في فندق الملك داود في القدس، والذي حضره 1400 شخص اعلنوا تأييدهم للكتاب الأبيض وللسياسة البريطانية في حل القضية الفلسطينية، وهو ما أيده الأمير عبد الله حيث قال "اقبلوا ما في الكتاب الأبيض خوفاً من اليوم الأسود"⁴.

كان صدور الكتاب الأبيض 1939م مؤشراً على استفاد الصهيونية للدور البريطاني في خدمة أهدافها في فلسطين⁵، وقال مناحيم بيغن "كان هذا آخر كتاب أبيض وضع لهدم آمال الشعب اليهودي فيما يتعلق بفلسطين"⁶، لذلك ثار اليهود ضد الحكومة البريطانية، ورأى محمد دروزة

¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص244، وفلسطين، ص68. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص408. زعيتر، أكرم، القضية، ص143، ويومييات، ص594.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص244. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص408. زعيتر، أكرم، القضية، ص143.

³ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص246. زعيتر، أكرم، القضية، ص147.

⁴ زعيتر، أكرم، يومييات، ص593-594.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص244. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص408. زعيتر، أكرم، القضية، ص143.

⁶ خلة، كامل، فلسطين، ص477.

وعيسى السفري وأكرم زعيتز أن المنظمات الصهيونية (الهاغاناة وشيتيرن والارغون) قامت بسلسلة أعمال عنف ضد سلطات الانتداب منها قطع خطوط الإذاعة، وإحراق الدوائر الرسمية للهجرة، ونهب الحكومة في تل أبيب¹.

وزاد غضب اليهود بعد المشروع الذي اقترحه الكولونيل نيوكمب في شهر تموز 1940م، بحضور جفري، وارسكين، والذي طالب حسب ما ذكر محمد دروزة بتأسيس دولة فلسطينية مستقلة، وأن لكل فلسطيني حق سياسي ومدني في الدولة بدون تفريق بسبب الجنس أو الدين، وحدد مدة وجود بريطانيا بعشر سنوات، ويسمح خلالها للعرب واليهود بمزاولة الوظائف حتى انتهاء المدة، وتسيطر البلديات في المدن والقرى العربية واليهودية على التعليم والأمور الشخصية والمدنية والإدارة المحلية على أن لا يمس ذلك بالسياسة العامة للدولة، وتضمن الحكومة البريطانية مصالح الطوائف المختلفة في فلسطين بعد تأسيس الدولة، وحاز المشروع على معارضة ونستون تشرشل، بينما وافقت الحكومة العراقية عليه برئاسة رشيد عالي الكيلاني، وعلاوة على ذلك أعلنت العراق وضع جميع قواتها المسلحة تحت أمره السلطات البريطانية².

حاول الزعماء العرب استغلال حالة الفوضى التي قامت بين اليهود وبريطانيا لإعلان مطالب الشعب الفلسطيني، فاقترح نوري السعيد مشروعاً عام 1942م لوحدة العرب وحل المسألة الفلسطينية وسمي "الكتاب الأزرق" تحت عنوان "خطة الهلال الخصيب"، وعرض محمد دروزة مطالبه القائلة بأن تصدر الولايات الأمريكية والحكومة البريطانية بيانات حول مستقبل الأراضي الفلسطينية، وأن تقلل الدولتان من تأييدهما لليهود، فبريطانيا لا تزال تؤيد سياسة إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين، ويجب إعادة توحيد سوريا ولبنان وفلسطين والأردن في دولة واحدة "بلاد الشام"، وأن تترك إلى الشعب مهمة تحديد شكل الحكومة (ملكي أو جمهوري، اتحادي أو فيدرالي)، وتأسيس جامعة عربية تضم مبدئياً سوريا والعراق، ويكون لها مجلس دائم مسؤول عن شؤون الأقليات، والأمور المالية والدفاعية والخارجية والمواصلات، وقدم الكتاب اقتراحاً على عصبة الأمم بأن تصدر بياناً ترفض فيه فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين³.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص15، وفلسطين، ص71. السفري، عيسى، الوعود، ص48. زعيتز، أكرم، القضية، ص148.

² دروزة، محمد، القضية، ج1، ص226.

³ م، ن، ج2، ص66-69.

لم يخفَ على محمد دروزة أن نوري السعيد اعترف في كتابه بإخلاقه اللامتناهي لبريطانيا عندما صرح بأنه لا يسمح بنشر أخبار بريطانيا المؤيدة للصهيونية؛ حتى لا يثير المشاعر العربية المعادية للحكومتين البريطانية والصهيونية، وطالب أيضاً بالتمسك في السياسة البريطانية الواردة في الكتاب الأبيض الصادر عام 1939م، وأكد على ضرورة إعطاء اليهود شبه استقلال داخلي في فلسطين، بشرط أن تكون القدس مفتوحة لجميع الأديان بغرض العبادة، وقد تجاهل نوري السعيد أساس القضية الفلسطينية المتمثل في السماح للصهاينة بالتسلل إلى فلسطين ومنحهم التسهيلات اللازمة من حكومة الانتداب على حساب سكان البلاد الأصليين، ولم تلقَ اقتراحات نوري السعيد آذاناً صاغية من جميع الأطراف، ولم يكن مشروعه أول المشاريع العربية ولا آخرها لحل القضية الفلسطينية بطريقة لا ترضي الرأي العام العربي¹.

إلا أن الحركة الصهيونية استمرت في إحساسها بانتهاء الدور البريطاني في خدمتها، فركزت جهودها لكسب الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانبها عوضاً عن الحكومة البريطانية، ويعزي أكرم زعيتر أسباب انحياز أمريكا لليهود إلى الرغبة في تبادل المصالح المتمثلة في تحطيم ألمانيا النازية، وضمان احتكار البترول من قبل أمريكا، إضافة إلى أن الفكر البروتستانتي رأى أن الحركة الصهيونية حركة تستحق التأييد².

اعتبر أكرم زعيتر **مؤتمر بلتيمور** في نيويورك في 11 أيار 1942م بحضور 600 زعيم صهيوني ومندوبين من 18 دولة البداية العلنية لتحرك الولايات الأمريكية باتجاه الحركة الصهيونية، فقد طالب بتنفيذ ما ورد في تصريح بلفور وصك الانتداب (إنشاء الوطن القومي اليهودي)، ودعا إلى إلغاء سياسة الكتاب الأبيض سنة 1939م، حيث اعتبره عملية تقلص لحقوق اليهود في فلسطين، ودعا إلى استيطان فلسطين تحت سيطرة الوكالة اليهودية، وبالتالي اعترفت الوكالة اليهودية بمقررات بلتيمور، بينما عارضه حزب هاشومير هاتسعير الذي نادى بإقامة دولة للشعبين الفلسطيني واليهودي داخل فلسطين، وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها تبنت الحركة الصهيونية مشروع بلتيمور كخطة مركزية في التحضير من أجل إقامة الدولة اليهودية في فلسطين³.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص69.

² زعيتر، أكرم، القضية، ص153.

³ م، ن، ص154.

أدرك محمد دروزة وعيسى السفري وأكرم زعيتر أن التحرك الأمريكي أخذ بالنتامي اتجاه الحركة الصهيونية، حتى وصل إلى قمة انجازاته بتولي الرئيس ترومان مقاليد الحكم للولايات الامريكية عام 1945م، الذي اقترح إرسال لجنة بريطانية - أمريكية في 29 كانون الثاني 1946م ودعيت باسم "لجنة انجلو - أمريكية"، برئاسة اللورد موريسون (Morrison)، واستجابت لمتطلبات الحركة الصهيونية بإلغاء الكتاب الابيض 1939م تمهيداً لاستيلاء اليهود على فلسطين¹.

أشاد محمد دروزة وأكرم زعيتر بدور الحركة الفلسطينية حيث طالب حزب الكتلة الوطنية وعصبة التحرر الوطني بمقاطعة اللجنة لأنها ستلغي الكتاب الأبيض 1939م وستدفع بتقل الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الحركة الصهيونية، لكن ظهر رأي مخالف للجنة العربية العليا، حيث قررت الاستجابة لنصيحة بعض الدول العربية في التقدم بشهادتها إلى اللجنة².

ذكر محمد دروزة أن جمال الحسيني للشهادة أمام اللجنة حاملاً مذكرة اللجنة العربية العليا القائلة بعدم الاعتراف بلجنة التحقيق، وأن القضية الفلسطينية قضية حق وعدل مبنية على حق الشعب العربي في البقاء في بلاده، ورأى أن أسباب تذر العرب من السياسية البريطانية في فلسطين تعود إلى انكار استقلالهم، وطالب بإلغاء الانتداب، وإنشاء دولة فلسطينية مستقلة، ووقف المحاولات لإنشاء الوطن القومي اليهودي³.

اعترف عيسى السفري بإدلاء شهادته أمام اللجنة، من خلال تقديمه مذكرة تاريخية بعنوان "الوعود الثلاثة في تاريخ فلسطين" جاء فيه "لست أريد أن أزعجكم بعرض قضية الوطن القومي اليهودي في فلسطين العربية، إذ هي اعتداء صارخ على أصحابها من الجهات التاريخية والحقوقية والإنسانية، ففي تقارير اللجان السابقة، وما سمعتمونه من الشهادات حول هذا الموضوع ما يغني عن ذلك، ولكني أريد أن أعرض عليكم موجزاً تاريخياً لتجربة الوطن القومي اليهودي في أدوارها الثلاثة، وما أدت إليه التجربة الخطرة من نتائج سيئة، فلعل ذلك يلقي ضوءاً على ما كلفتم به من القيام بتحقيق شريف عادل"⁴.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص51، وفلسطين، ص77. السفري، عيسى، الوعود، ص7. زعيتر، أكرم، القضية، 163.

² دروزة، محمد، القضية، ج2، ص52. زعيتر، أكرم، القضية، ص163.

³ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص52.

⁴ السفري، عيسى، الوعود، ص9.

كما ذكر محمد دروزة تقدم عوني عبد الهادي للشهادة أمام اللجنة، والذي وجه حديثه إلى الحركة الصهيونية قائلاً "لا تغتروا بمساعدة الامريكان والإنجليز، فكل مساعدة حد، وهم لا يقبلون إبادة عرب فلسطين، ولا يضحون بم صالحهم في البلاد العربية الإسلامية لأجل خاطرهم"¹.

وتابع دروزة تقدم سامي طه "رئيس جمعية العمال العربية" للشهادة أمام اللجنة قائلاً "لقد نشأت حركتنا النقابية في جو سياسي يهدف الى مقاومة الاستعمار والصهيونية، وأن الحركة الصهيونية هي حركة رأسمالية رجعية؛ لذلك نحن نناضل ضدها"².

واستمعت اللجنة إلى شهادات اليهود والتي دارت حول روابطهم الدينية والتاريخية والسياسية في فلسطين، والمطالبة بإنشاء دولة يهودية في فلسطين حالياً وسريعاً، وذكر محمد دروزة شهادة مخالفة حملها الدكتور ماغنس الذي طالب بدولة مشتركة بين العرب واليهود على اساس متساو³.

وفي 20 نيسان 1946م نشرت لجنة الانجلو - أمريكية تقريرها الذي نص وفق ما أشار محمد دروزة وأكرم زعيتر على استمرار العمل على تسهيل إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، والإبقاء على الانتداب البريطاني حتى يكون ممكناً قيام دولة، فاستقبل الصهاينة والعرب التقرير بالغضب الشديد، وأصدر زعماء العرب تصريحات عام 1946م وفي مقدمتهم الملك عبد الله والملك عبد العزيز وعبد الرحمن عزام ومحمد علي جناح اعلنوا فيها الجهاد المسلح للدفاع عن القضية الفلسطينية⁴.

وأثناء زيارة اللجنة أنجلو - أمريكية لعمان، قدم الامير عبد الله، مشروعاً عربياً آخر في آذار 1946م، وتضمن حسب ما أشار أكرم زعيتر إلى تقسيم فلسطين بين شرقي الاردن ولبنان ومصر، حيث تكون منطقتا نابلس والقدس من نصيب شرق الاردن، ومنطقة الجليل للبنان، ومنطقتا غزة وبئر السبع لمصر، أما فلسطين بدون هذه المناطق فتترك لليهود، وللحكومة البريطانية الحق في الاحتفاظ بحاميتين عسكريتين في القدس وحيفا⁵، وكلف الأمير عبدالله رئيس

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص48.

² م، ن.

³ م، ن، ص48.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص46. زعيتر، أكرم، القضية، ص163.

⁵ زعيتر، أكرم، القضية، ص156-157.

أركان الجيش الاردني جون غلوب حمله إلى القاهرة وعرضه على اللورد موين "وزير الدولة البريطانية في الشرق الاوسط"، إلا أنه لم يتمكن من الاطلاع عليه؛ بسبب اغتياله من قبل عناصر صهيونية في القاهرة؛ بحجة أنه كان ضد إقامة دولة يهودية في فلسطين¹.

ورأى أكرم زعيتر أن عملية الاغتيال هذه أغضبت السلطات البريطانية مما دفعها إلى مطاردة القتلة، فتمكنت من القبض على أحدهم ويدعى إياهو بيت زوري وأعدمته، بينما فر القاتل الثاني ويدعى إياهو بن حكيم، فيما استنكر دافيد بن غوريون وحاييم وايزمان ما قامت به منظمتا إيتسل وليحي، واجتمع بن غوريون مع المنظمين وفرض عليهما هدنة إجبارية لمدة ستة أشهر ريثما تنتهي الحرب وتجف دماء اللورد موين (Moen)².

وخلال زيارة اللجنة الانجلو أمريكية أثرت مرة أخرى فكرة الدولة ثنائية القومية عام 1946م من قبل حزب العمال وهاشومير هاتسيعير الذين اندمجا وكونا اتحاد الكيبوتس القومي ونادت بأن "تحقيق اغلبيه يهودية في فلسطين شرط وليس غاية"، إلا أن هذا المشروع تلاشى مبكراً، لما ينطوي عليه من ظلم كبير للعرب كونهم الأغلبية الساحقة آنذاك، ولم يشكل اليهود ما نسبته 11% من مجموع السكان³.

وبدأ العرب في تكثيف اجتماعاتهم لإحباط المخططات الصهيونية والأطماع البريطانية والأمريكية، فانشأ الملك فاروق مؤتمراً في أنشاص (مصر) في 28 أيار 1946م ضم الملوك والرؤساء العرب للبحث في المسألة الفلسطينية، حضره الملك عبدالله (الاردن)، والأمير عبدالله (العراق)، والأمير سيف الاسلام عبدالله (اليمن)، وشكري القوتلي (سوريا)، وبشارة الخوري (لبنان)، وعرض أكرم زعيتر قراراتهم القائلة بضرورة رفض تقرير لجنة الانجلو أمريكية، والتمسك باستقلال فلسطين وصيانة عروبته، وفي حال استمرار الغزو الصهيوني لفلسطين تدعم البلاد العربية عرب فلسطين بكل الوسائل الممكنة، فالصهيونية خطر داهم ليس لفلسطين وحدها بل لجميع البلاد العربية والإسلامية، واعتبار أي سياسة تتخذها أية دولة أجنبية تعارض استقلال وعروبة فلسطين عملاً عدوانياً موجهاً ضد الدول العربية بشكل عام وفلسطين بشكل خاص⁴.

¹ السفري، عيسى، الوعود، ص34.

² زعيتر، أكرم، القضية، ص157.

³ المعلواني، عبد الله، الدولة، ص61.

⁴ زعيتر، أكرم، القضية، ص179.

ثم اجتمع مجلس الجامعة العربية في بلودان (سوريا) في 8 حزيران عام 1946م؛ للتباحث في تقرير اللجنة الانجلو - أمريكية، اشترك في المؤتمر حمدي الباجه جي (العراق) وسعد الله الجابري وفارس الخوري ولطفي الحفار وجميل مردم بك (سوريا) وصائب سلام وحبيب أبو شهلا (لبنان) وجمال الحسيني، وعرض محمد دروزة وعارف العارف وأكرم زعيتر مطالبهم المتمثلة بتشكيل هيئة فلسطينية عليا واعتبارها ممثلة للشعب الفلسطيني، وتتولى مهمة مقاطعة اليهود اقتصادياً وتجارياً، وتنشيط الفلسطينيين وتدريبهم وتنظيمهم وتسليحهم وإعدادهم للكفاح، وتخصص الدول العربية مبلغ مليون جنيه فلسطيني سنوياً لتستطيع القيام بمهمتها، وإلغاء الامتيازات النفطية التي تتمتع بها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في البلاد العربية¹.

وافق مجلس الجامعة على فكرة تأسيس هيئة عربية عليا فتم انشائها في 11 حزيران 1946م وتألفت من جمال الحسيني، وأحمد حلمي عبد الباقي، وحسين فخري الخالدي، وإميل الغوري، والشيخ حسن أبو السعود، واسحق درويش، ومحمد دروزة، ورفيق التميمي، ومعين الماضي، وتولى رئاستها الحاج محمد أمين الحسيني الذي بوفاته انتهى نشاط الهيئة (4 تموز 1974م)².

وفي أعقاب رفض الزعماء العرب لمشروع اللجنة انجلو - أمريكية قدم اللورد موريسون حلاً جديداً للقضية الفلسطينية في 31 تموز 1946م عُرف باسم "مشروع موريسون"، واقترح تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق، وهي كما وزعها محمد دروزة وأكرم زعيتر تتمثل بمنطقة يهودية تشمل معظم الأراضي التي حل فيها اليهود حتى الآن (أي حين تقسيم المشروع)، ومقاطعة كبيرة بين المستعمرات وحولها، ومنطقة القدس وتشمل مدينة القدس وبيت لحم والأراضي القريبة منها، ومنطقة النقب وتشمل المثلث الصحراوي غير المسكون في جنوب فلسطين والواقع وراء المناطق المزروعة، وتشمل المنطقة العربية ما تبقى من فلسطين³، وأن تقوم في المنطقتين العربية واليهودية حكومة محلية ومجلس تشريعي، ويكون لهما استقلال ذاتي واسع، ويحق لكل منهما تحديد عدد الأشخاص الذين يودون الإقامة الدائمة في أراضيها، ويتوجب على المجلس تضمين الشرائع الدستورية لضمان الحقوق المدنية والمساواة لكل إنسان أمام القانون، وضمان حرية التجارة والتنقل بين المناطق، وتشكل حكومة مختلطة للمنطقتين تتولى شؤون الدفاع

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص55. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص44. زعيتر، أكرم، القضية، ص181.

² دروزة، محمد، القضية، ج2، ص58. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص44.

³ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص63. زعيتر، أكرم، القضية، ص185.

والجمارك والعلاقات الخارجية وتكون هذه الحكومة المختلطة مسئولة عن منطقة النقب بشكل مؤقت، أما منطقة القدس وتوابعها فتكون خاضعة للمندوب السامي البريطاني.¹

رأى محمد دروزة وأكرم زعيتر أن الجهات العربية رفضت مشروع موريسون؛ لقيامه على مبدأ التقسيم، وتعارضه مع الكتاب الأبيض 1939م، ورفضته الحركة الصهيونية؛ كون المساحة المقتطعة لهم صغيرة وضيقة، ولم يحتوي المشروع على ضمان لقيام الدولة اليهودية.²

وقرر مشروع موريسون عقد مؤتمر مشترك يحضره وفود الدول العربية ووفد فلسطين ووفد الوكالة العربية في 10 أيلول 1946م في لندن، وتمسكت الحكومة البريطانية في الحلول نفسها، فرفضه العرب وقدموا مشروعاً عربياً يوصي حسب ما ذكره محمد دروزة وأكرم زعيتر بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وإعلان استقلالها وصيانة عروبتها، ووضع العراقل أمام إنشاء وطن يهودي في فلسطين، وإنشاء حكومة ديمقراطية فلسطينية تحكم بمقتضى دستور تضعه جمعية تأسيسية، وضمان احترام الأماكن المقدسة في فلسطين.³

وفي المقابل قدم الجانب اليهودي مشروعاً صهيونياً بديلاً يدعو إلى إقامة دولة مستقلة على 65% من مساحة فلسطين تشمل وفق ما ذكر محمد دروزة الجليل وصحراء النقب والسهول والمناطق الغربية والساحلية، وإعطاء المناطق الجبلية الشرقية للعرب، ومنح الأماكن المقدسة الصبغة الدولية، وتمنح الحركة الصهيونية لبريطانيا قواعد عسكرية جوية وبرية وبحرية.⁴

رفضت الحكومة البريطانية كلا المشروعين (العربي، واليهودي)، واقترحت تأجيل مؤتمر لندن إلى كانون الأول 1946م، وانعقد في 27 كانون الثاني 1947م، وعقدت اجتماعات عديدة بين الوفد البريطاني والوفد العربي، وبينما كانت المفاوضات جارية تقدم الوفد البريطاني بوثيقة في 7 شباط 1947م تضمن مقترحات جديدة ضمن ما عُرف "بمشروع بيفن"، ويقوم على وضع فلسطين تحت الوصاية البريطانية لمدة خمسة أعوام لإعدادها للاستقلال في دولة موحدة ذات حكومة مركزية، ويزاول السكان خلال المدة المذكورة نوعاً من الحكم الذاتي في مناطق تحدد حسب أكثرية العرب أو اليهود فيها. أما بالنسبة إلى الأقليات في هذه المناطق المحددة فيضمن

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص64. زعيتر، أكرم، القضية، ص185.

² دروزة، محمد، القضية، ج2، ص64. زعيتر، أكرم، القضية، ص185.

³ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص66. زعيتر، أكرم، القضية، ص186.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص66.

المندوب السامي البريطاني لها حرية العبادة واتباع محاكم منفصلة للأحوال الشخصية، وإقامة معاهد تعليمية خاصة واستعمال اللغة القومية والتمثيل في المجالس المحلية التشريعية والحصول على حصة مناسبة في الوظائف العامة، ووثق هذه المطالب محمد دروزة وأكرم زعيتير في مؤلفاتهم¹.

عارض الجانب العربي المشروع كونه يقوم على إقرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، ورفضته الوكالة اليهودية؛ لأنه لم يصرح بإقامة دولة يهودية في فلسطين، وعرّض "موشي شرتوك" حلاً آخر على الوكالة يضمن إعلان دولة يهودية في منطقة كافية من فلسطين؛ لأن المناطق المخصصة لليهود حسب مخطط الحكم الذاتي الإقليمي غير كافية للتوسع المستقبلي².

ولتنفيذ مساعيها رأى عيسى السفري وأكرم زعيتير أن الحركة الصهيونية عملت على تشديد هجماتها على الحكومة البريطانية، حيث نسفت الهاغاناة فندق الملك داود في 22 تموز 1946م، والذي كان يضم مكاتب إدارة الانتداب البريطاني، وأدى الانفجار إلى مقتل 91 شخصاً، بينهم 41 عربياً، و28 بريطانياً، و17 يهودياً وخمسة من جنسيات أخرى، بينهم أميركيون، كما هاجمت إتسل معسكراً للجيش وبعض مباني الاستخبارات البريطانية، وردّت القوات البريطانية بالإغارة على عدد من المستوطنات اليهودية، واعتقلت عدداً من المطلوبين، وصادرت كميات كبيرة من السلاح، وداهمت مقر الوكالة اليهودية وصادرت العديد من الوثائق والأوراق³، وطالب الجنرال البريطاني باركر القوات البريطانية بمقاطعة كل المطاعم والفنادق والمحلات اليهودية، إضافة إلى تحضيره هجوماً كبيراً على تل أبيب والمستوطنات اليهودية، إلا أن الحركة الصهيونية هاجمته بقوة، فاضطرت السلطات البريطانية إلى نقل الجنرال باركر خارج فلسطين⁴.

وأضاف أكرم زعيتير أن القوات الصهيونية قتلت عشرات رجال الشرطة والجنود البريطانيين بالعبوات الناسفة المفخخة، وفجرت العديد من الحافلات والسيارات المصفحة، وشنّت هجوماً

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص73. زعيتير، أكرم، القضية، ص190.

² دروزة، محمد، مذكرات، ج2، ص338. زعيتير، أكرم، القضية، ص193.

³ السفري، عيسى، الوعود، ص51-52. زعيتير، أكرم، القضية، ص188.

⁴ زعيتير، أكرم، القضية، ص188-189.

على نادي الضباط، وأرسلت 21 رسالة مفخخة إلى كبار السياسيين البريطانيين منهم أتلي وبيفن¹.

بعد أن أنهكت بريطانيا اقتصادياً وسياسياً ذكر محمد دروزة وعارف العارف وأكرم زعيتر أن المستر بيفن أعلن إحالة القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة في 18 شباط 1947م².

عُرضت القضية الفلسطينية أمام الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في الأول من نيسان 1947م، وطالبت الحكومة البريطانية بعقد دورة استثنائية لمناقشة مشكلة فلسطين، وأشار ممثلو الوكالة اليهودية إلى أن حل القضية الفلسطينية لا يكون إلا بقيام دولة يهودية، واقترحت الهيئة العربية العليا إعلان استقلال فلسطين ووقف إنشاء الدولة اليهودية³.

رأى محمد دروزة وعارف العارف ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن هيئة الأمم المتحدة قررت في 15 أيار 1947م تأليف لجنة خاصة لفلسطين حملت اسم لجنة تقصي الحقائق **الاونسكوب** (UNSCOP) تضم ممثلين عن استراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا والهند وإيران وهولندا والسويد وأورغواي وبيرو ويوغسلافيا، لإعداد تقرير حول القضية الفلسطينية، وتقديم اقتراحات لحل قضية فلسطين في موعد أقصاه 1 أيلول 1947م⁴.

أشار عارف العارف وأكرم زعيتر أن اللجنة عقدت خلال الفترة (25 أيار 1947م-31 آب 1947م) اجتماعاً عاماً و36 اجتماعاً خاصاً في القدس وبيروت وجنيف، واستمعت لشهادات العرب واليهود، واطلعت على الوثائق التي قدمها كل منهما، وتوصلت إلى أن الفلسطينيين يشكلون الاغلبية الساحقة من السكان فعددهم يصل الى 1,237,374 مقارنة باليهود 608,255، وأن العرب يملكون ما يزيد عن 86% من أراضي فلسطين⁵.

وضعت اللجنة تقريرها في 31 آب 1947م ورفعته إلى هيئة الأمم، وتضمن تقرير اللجنة الخاصة بفلسطين كما ذكرها عارف العارف وأكرم زعيتر إنهاء الانتداب على فلسطين، ومنحها

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص193.

² دروزة، محمد، القضية، ج2، ص113. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص7. زعيتر، أكرم، القضية، ص191.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص7. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص412. زعيتر، أكرم، القضية، ص191.

⁴ دروزة، محمد، فلسطين، 78. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص7-8. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص412.

زعيتر، أكرم، القضية، ص192.

⁵ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص9.

الاستقلال مع اشتراط فترة انتقالية قبل الاستقلال التام، مع بقاء الصبغة الدينية للاماكن المقدسة، وردع العنف، والحفاظ على الحريات وحقوق الانسان، ولا يوجد ارتباط بين حل القضية الفلسطينية وقضية اليهود¹.

وطرح أعضاء اللجنة مشروعين بخصوص مستقبل القضية الفلسطينية وهما مشروع الأكثرية، ومشروع الاقلية، فاقترح مشروع الاكثرية (كندا، تشيكوسلوفاكيا، غواتيمالا، هولندا، السويد، بيرو، أوراغواي) تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ترتبطان فيما بينهما باتحاد اقتصادي، ورأى عارف العارف وأكرم زعيتر أن الدولة العربية تألفت من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من أسدود في الجنوب وحتى الحدود المصرية، وتدخل ضمن ذلك منطقة الخليل وجبال القدس، وغور الاردن، فيكون للدولة العربية حوالي 42,88% من المساحة الكلية لفلسطين، في حين تضم الدولة اليهودية الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الاكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع بما فيها النقب، فيكون لها ما يقرب 56,74% من المساحة الكلية لفلسطين².

في حين رأى عارف العارف وأكرم زعيتر أن مشروع الأقلية (الهند، إيران، يوغسلافيا) طالب بإقامة حكومتين مستقلتين استقلالاً ذاتياً، وتتألف منهما دولة اتحادية مستقلة عاصمتها القدس، ويتم انتخاب مجلس تأسيسي لوضع الدستور، وتتناول سلطة الحكومة الاتحادية قضايا الدفاع الوطني والشؤون الخارجية والمصالح الاقتصادية المشتركة، ويتم انتخاب رئيس الدولة من قبل مجلس الاتحاد³.

بحثت الجمعية العامة بصفتها لجنة خاصة كلا المشروعين في 2 أيلول 1947م، وعقدت 43 اجتماعاً خلال (25 ايلول-25 تشرين الثاني 1947م)، واستمعت مرة أخرى لشهادات ممثلي الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية، وأقرت بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، ومنح فلسطين الاستقلال التام، ويتوجب على هيئة الأمم المتحدة وضع ترتيبات دولية من أجل معالجة مشكلة الاوروبيين المشردين من يهود وغيرهم⁴.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص9. زعيتر، أكرم، القضية، ص194.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص12. زعيتر، أكرم، القضية، ص195.

* للاطلاع على خارطة تقسيم فلسطين 1947م، انظر ملحق (8)، ص303.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص10-11. زعيتر، أكرم، القضية، ص196.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص13.

يؤكد عارف العارف أنه بعد طرح اللجنة للمشروعين (الأقلية، والأكثرية) أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية في 11 تشرين الأول 1947م دعمها لمشروع الاكثرية بالتقسيم، ومارست الضغط بكل ثقلها على دول عديدة لتبني المشروع، وتحديداً على الفلبين وهايتي وليبيريا وسيام، وهددتهم بعدم تقديم المساعدات الاقتصادية، واتخذ الاتحاد السوفيتي موقفاً مماثلاً بعد يومين، وهكذا تبنت معظم الدول الاستعمارية مشروع الأكثرية، بما في ذلك الحركة الصهيونية¹.

شكلت الجمعية العامة بعد ذلك لجنتين فرعيتين، أوكلت الى أحديهما تقديم تقرير عن مشروع الاكثرية (التقسيم)، وإلى الثانية تقديم تقرير عن مشروع الاقلية (الدولة الموحدة المستقلة)²، وقدمت اللجنة الثانية (مشروع الاقلية) تقريراً دعا إلى رفض مشروع التقسيم؛ ويعتقد عارف العارف أن ذلك يعود إلى أن الجمعية العامة لا تتمتع بالسلطة القانونية التي تخولها تقسيم فلسطين، وأن التقسيم اقتراح غير عملي ومن الاستحالة أن يؤدي الى قيام دولتين لهما القدرة على الاستمرار بشكل معقول، وقدم المشروع توصياته بالتعاون الدولي من أجل حل مشكلة اللاجئين، وإنشاء دولة فلسطينية مستقلة³.

وعرض عارف العارف المشروع الذي قدمه كميل شمعون "رئيس الوفد اللبناني لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة" في 29 تشرين الثاني 1947م وهو مشروعاً باسم الدول العربية يقضي بإقامة دولة فيدرالية مستقلة في فلسطين، وإقامة حكومة فلسطينية مستقلة على أسس فيدرالية وحكومة مركزية للمقاطعات العربية واليهودية، وانتخاب جمعية تأسيسية على أسس ديمقراطية لوضع دستور للبلاد، إلا أن هذا المشروع لقي معارضة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي⁴.

وفي 29 تشرين الثاني 1947م أصدرت هيئة الامم المتحدة قرارها القائل بتقسيم فلسطين، وإقامة دولتين أحدهما عربية والاخرى يهودية، وأصدرته بأغلبية 33 صوتاً (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الجمهوريات السوفيتية المتحدة، بولونيا، أوكرانيا، تشكوسلوفيكيا، السويد، النرويج، كندا، الدنمارك، استراليا، ايسلندا، جنوب افريقيا، بوليفيا، دومينكا، البرازيل،

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص29.

² دروزة، محمد، القضية، ج2، ص115. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص25. زعيتر، أكرم، القضية، ص208.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص25.

⁴ م، ن، ص33.

اوراغواي، الاكوادور، نيكاراغوا، فنزويلا، بيرو، كوستاريكا، غواتيمالا، الشيلي، بنما، هولندا، نيوزيلندا، السويد، فرنسا، البلجيك، لوكسمبروغ، الدنمارك، هايتي، ليبيريا، الفلبين، براغواي)، ومعارضة 13 صوتاً (سوريا، العراق، مصر، اليمن، لبنان، السعودية، باكستان، الهند، ايران، تركيا، أفغانستان، اليونان، كوبا)، وامتناع 10 عن التصويت (إنجلترا، يوغسلافيا، المكسيك، السلفادور، الصين، الحبشة، الأرجنتين، هندوراس، الشيلي)، وتغيب مندوب واحد (سيام)، وهذا ما وثقه عارف العارف في كتابه¹.

وتناول عارف العارف وأكرم زعيتر بنود قرار التقسيم القائله بإنهاء الانتداب في وقت لا يتأخر عن اليوم الاول من شهر آب 1948م، وتأسيس دولتين مستقلتين في فلسطين (عربية ويهودية)، ويؤسس في القدس إدارة دولية خاصة، وأن تتألف الدولتان العربية واليهودية والادارة الدولية في القدس في مدة لا تتأخر عن اليوم الاول من تشرين الاول عام 1948م².

وتابع عارف العارف وأكرم زعيتر أن الدولة العربية تمثل 11,500 كم مربع (43%)، وتشمل الجليل الغربي (عكا والناصره)، والسامرة (نابلس، جنين، طولكرم)، وقطاع القدس (عدا مدينة القدس الدولية)، وقطاع بيت لحم (عدا مدينة بيت لحم)، وقطاع الخليل (عدا الجزء المحاذي منه للبحر الميت)، ومدينة يافا، ومعظم قطاع اللد والرملة، والسهل الساحلي في جنوب فلسطين (غزة، المجدل، خان يونس)، والجزء الغربي الشمالي من قطاع بئر السبع (منطقة العوجا-حفير)³.

وتمثل الدولة اليهودية 14,100 كم مربع (56%) وتضم الجليل الشرقي (صفا، طبريا، بيسان)، وحيفا وقراها، وتل أبيب والمستعمرات اليهودية الواقعة في السهل الساحلي، وقطاع يافا (باستثناء مدينة يافا)، والجزء المحاذي للبحر الميت من قطاع الخليل، وجزءا كبيرا من القرى الشرقية في القطاع الغربي، أي قطاع بئر السبع حتى العقبة باستثناء منطقة العوجا-حفير⁴.

ودون محمد دروزة وعارف العارف حدود القدس الدولية وفق ما حددها قرار التقسيم، فمن الشرق أبو ديس، ومن الغرب عين كارم، ومن الشمال شعفاط، ومن الجنوب بيت لحم، إضافة

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص24.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص25. زعيتر، أكرم، القضية، ص207.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص25. زعيتر، أكرم، القضية، ص195.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص25. زعيتر، أكرم، القضية، ص195.

إلى وضع دستور مفصل لمدينة القدس الدولية من قبل مجلس الوصاية، وطالب قرار التقسيم جميع الدول بالتنازل عن حقها في الامتيازات والحصانات الأجنبية التي كانت تتمتع بها من قبل¹.

وأشار عارف العارف إلى أن عدد سكان فلسطين كان عند صدور قرار التقسيم مليوناً وستمائة وخمسة وثمانين ألفاً، منهم مليون ومئة وعشرون ألف عربي والباقيون يهود، واشترط قرار التقسيم أن يعيش تحت حكم الدولة اليهودية ما يقرب 407 ألف عربي، ويعيش 10 آلاف يهودي في الدولة العربية، وبالنسبة لتوزيع الأراضي يكون للدولة العربية عند تنفيذ القرار ما يقرب 11,589,870 دونم، أي ما نسبته 42,88%، أما الدولة اليهودية يكون لها 15,261,649 دونم، أي ما نسبته 56,47%، وتحصل منطقة القدس الدولية على 175,504 دونم، أي ما نسبته 0,65%².

حمل القادة والزعماء العرب مسؤولية قرار التقسيم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فقال الزعيم السوري فارس الخوري "ممثل سوريا في مجلس الامن آنذاك"، "إن هيئة الامم المتحدة أقرت مشروع التقسيم بأغلبية صوتين اثنين، وأن المعركة بلغت أشدها في اليوم الذي سبق قرار التقسيم، وإن معظم الدول كانت تؤيد العرب في وجهة نظرهم، لولا تدخل الولايات المتحدة، إذ راحت تؤثر على مندوبي الدول واحداً فواحداً، حتى أنني اذكر أن مندوب الفلبين بعد أن وعد بتأييدنا اضطر للهروب حتى لا ينقض وعده استجابة للضغط الأمريكي، وأن مندوب هايتي بكى أمامي لأن مصالح بلاده مع أمريكا أقدم من مصالح العرب، ولهذا اضطر أن ينقض وعده"³.

ولاحظ عارف العارف وأكرم زعيتر أن قرار التقسيم كان له أسوأ الوقع عند العرب وأحسنه عند اليهود، وقررت الهيئة العربية العليا رفض قرار التقسيم، ودعت الأمة إلى إضراب عام، فأضربت البلاد مدة ثلاثة أيام (2-4 كانون الاول 1947م)، ورافق الاضراب العديد من المظاهرات في فلسطين وجميع الدول العربية (مصر، الشام، العراق، لبنان، عمان، عدن، البحرين، المغرب الأقصى) استنكاراً لقرار التقسيم⁴.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص137. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص25.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص26.

³ م، ن، ص29.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص29-30. زعيتر، أكرم، القضية، ص208.

وفي 8 كانون الأول 1947م اجتمع مجلس الجامعة العربية في القاهرة، وحضر الاجتماع رؤساء الحكومات العربية (لبنان، سوريا، العراق، مصر، الأردن، السعودية، اليمن)، و مندوب عن الهيئة العربية العليا، والامين العام للجامعة العربية، وقرر المؤتمر أن قرار التقسيم باطل، وأصروا على إحباطه، والحيلولة دون قيام دولة يهودية، والسعي الى استقلال فلسطين¹، وأضاف عارف العارف أن الاجتماع استمر حتى مساء 17 كانون الأول 1947م وتوصل إلى عدم السماح للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالحصول على أي امتياز جديد، وعدم تأييد مصالحهما في أي هيئة دولية، ومقاطعتهما مقاطعة أبدية، وإلغاء ما لهما من امتيازات في البلاد العربية، ورفع الشكوى إلى مجلس الأمن والأمم المتحدة².

بينما رأى بهجت أبو غربية في مذكراته أن الحكومات العربية التي كانت خاضعة للانتداب البريطاني لم تكن صادقة في رفضها لقرار التقسيم، فرفضها نابغ من عدم قدرتها على مواجهة الرأي العام الشعبي العربي الراض فعلا لقرار التقسيم، ودلل على أن معظم الحكومات العربية كانت موافقة على التقسيم بصورة غير رسمية³.

وكشف عارف العارف حقيقة مواقف زعماء البلاد العربية من قرار التقسيم من خلال عرضه التقرير الذي وضعه تشارلز كلايتون "الوسيط البريطاني بين الدول العربية والحكومة البريطانية" حاملاً عنوان "محادثات مع زعماء البلاد العربية بشأن تقسيم فلسطين"، وأشار الى أن رئيسي وزارتي سوريا ولبنان اجمعوا على الحيلولة دون إتمامه⁴.

بينما رأى العارف أن رئيس وزراء شرق الأردن "توفيق باشا أبو الهدى" رحب بالمشروع وقدم اقتراحات من شأنها المساعدة في تقسيم فلسطين من دون اعتراض الدول العربية واحتفاظهم بالمراكز في فلسطين وشرق الأردن، فعند إتمام جلاء القوات البريطانية عن فلسطين تنسحب معها القوات الأردنية المعسكرة في فلسطين، ثم يقدم الضباط العاملون في جيش شرق الأردن استقالتهم شريطة بقائهم في البلاد، عندها ستثور ثائرة الشعب الفلسطيني وسيتدفق المتطوعون من مختلف أنحاء البلاد العربية، وعندئذ تعلن القوات الأردنية زحفها الى فلسطين بحجة

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص33. زعيتر، أكرم، القضية، ص198.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص27.

³ أبو غربية، بهجت، مذكرات، ص66.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص65-66.

تخليصها من الصهيونيين، وعندما تحتل القوات الأردنية بلدة من بلدان فلسطين يتم ضمها الى المملكة الأردنية مع الاخذ بعين الاعتبار مهاجمة المدن والقرى الواقعة في القسم العربي والبعد عن مهاجمة القرى اليهودية، ووافق عليها الملك عبدالله¹.

ووثق عارف العارف ما فعله الفلسطينيون في سبيل الدفاع عن فلسطين وصيانتها، فقاموا بتشكيل جمعية تدعى "جمعية انقاذ فلسطين" في 7 كانون الأول 1947م برئاسة حسين فوزي إبراهيم باشا، وتمثل عملها في بث الدعوة لنصرة فلسطين بالاستعانة بجميع وسائل النشر والدعاية، وجمع المال والتبرعات بالطرق المشروعة²، وكان أهم عمل قامت به تأليف كتاب "كارثة فلسطين" لمحمود فهمي درويش وتناول احداث فلسطين والمعارك بين الطرفين³.

وبعد إقرار التقسيم ذكر عارف العارف أن الحركة الصهيونية دعت إلى ضرورة تشكيل لجنة خماسية من الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة لتشرف على عمليات تسليم مسؤوليات الحكم من بريطانيا وتسلمها الى قادة الدولتين (العربية، واليهودية)، وألفت اللجنة في 19 كانون الثاني 1948م من ممثلين عن تشكوسلوفكيا، وبوليفيا، وبنما، والفلبين، والدنمارك، واختير المستر رالف بانث سكرتيراً، وباشروا أعمالهم في مقر هيئة الأمم المتحدة، وعينت الوكالة اليهودية "موشه شرتوك" ممثلاً لها، في حين رفضت الهيئة العربية العليا الاشتراك في اللجنة وأعربت عن رفضها القاطع لقرار التقسيم⁴.

وفي 6 شباط 1948م رفعت اللجنة الخماسية تقريرها إلى المستر تريجفي لي (Tregvili) "السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة" وجاء فيه كما أورده عارف العارف "أن العرب يعملون على تغيير قرار هيئة الأمم بالعنف والقوة، ولا بد من ارسال قوة دولية مسلحة الى فلسطين إذا ما اريد تنفيذ قرار التقسيم، وإذا لم يتم ارسال قوة دولية لتتولى الاشراف على الامن بعد 15 أيار 1948م فإن سفك الدماء والفوضى ستعم فلسطين كلها وليس القدس وحدها"⁵.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص66-67.

² م، ن، ص49.

³ م، ن، ص50.

⁴ م، ن، ص126.

⁵ م، ن، ص126.

في 24 شباط 1948م بحث مجلس الأمن في التقرير، وتم رفضه من قبل الحكومة البريطانية، وأعلنت أنها لن تساهم في أي مشروع لا يكون مقبولاً من اليهود والعرب معاً، ورفضت تأليف القوة المحلية المسلحة (المليشيا)، ورفضت تخطيط الحدود بين الدولتين، ورفضت تسليم سلطاتها في فلسطين إلى اللجنة الخماسية إلا في 15 أيار 1948م، وهو ما ذكره محمد دروزة وعارف العارف¹.

وفي 19 آذار 1948م سحبت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والصين تأييدها لمشروع التقسيم وأصبحت تميل إلى فرض مشروع الوصاية على فلسطين، إلا أن روسيا ظلت على رأيها بضرورة إقرار التقسيم، ويفسر عارف العارف وأكرم زعيتر التحول في الرأي لدى أمريكا خشية من تعرض المصالح الأمريكية في الشرق للخطر إذا ما ثار العرب، وبالتالي تدمير العرب أنابيب البترول وتخريب منشآت الزيت، فهب اليهود حيث نفى وايزمان ذلك قائلاً "أن قوة الدول العربية خرافة لا صحة لها، وإذا كان تنفيذ قرار التقسيم يثير المصاعب فإن العدول عنه سيثير مصاعب أخطر شأنًا وابعداً أثراً، وإذا رضخت هيئة الأمم لتهديد العرب فإن كرامتها ستتضاءل وهيبتها ستسقط إلى الحضيض وعند ذلك يطول امد الصراع في فلسطين"، فراح تريجفي لي Tregvili يحرض أعضاء هيئة الأمم ومجلس الأمن على تنفيذ قرار التقسيم، فعادت أمريكا إلى قرارها السابق واحتضنت قرار التقسيم².

رأى مجلس الأمن أن حالات القتل بين العرب واليهود أخذت بالتزايد بعد إقرار التقسيم فزاد عدد القتلى من الطرفين عن 2635 (935 يهود، و1700 عرب) حسب إحصاءات محمد دروزة وعارف العارف، وأما الجرحى من الفريقين فبلغ 3552 جريح، فاقترح مجلس الأمن عقد هدنة ودعا كلاً من الوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا لإرسال ممثلين لبحث شؤون الهدنة بينهما، ودعا الطرفين إلى التوقف حالاً عن القتال، ودعا الدول الأعضاء إلى عقد جلسة خاصة للجمعية العمومية لبحث مسألة الحكم في فلسطين، إلا أن نصائح مجلس الأمن كانت صرخة في واد، فقد اصر العرب على إلغاء قرار التقسيم بالقوة، وأصر اليهود على تنفيذ التقسيم بالقوة³.

¹ دروزة، محمد، فلسطين، ص84. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص127.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص136-137. زعيتر، أكرم، القضية، ص212.

³ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص137. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص151.

وفي 27 نيسان 1948م استكمل مجلس الأمن جهوده بإنشاء لجنة سميت "لجنة الهدنة" في فلسطين من قناصل الدول الثلاث (القدس، أمريكا، فرنسا) لوقف القتال، وقال محمد دروزة وعارف العارف وأكرم زعيتر أن ممثلي العرب واليهود في ليك سكسس وافقوا على قرار وقف إطلاق النار، إلا أن اللجنة اكتشفت في 30 نيسان أن القتال لم يقف في جميع المدن الفلسطينية¹.

وفي 30 نيسان 1948م عقد مؤتمر في عمان لبحث قضية فلسطين، وحضره كل من الملك عبد الله، والأمير عبد الله (الوصي على عرش العراق)، وعبد الرحمن عزام (الأمين العام للجامعة العربية)، وقرروا ضرورة دخول الجيوش العربية لإنفاذها مع تزويدها بكافة الوسائل العسكرية والمالية²، ثم اتبع بمؤتمر عسكري في دمشق، وهدف المؤتمر حسب ما أشار عارف العارف إلى عزل الحولة وطبريا والمستعمرات اليهودية عن الساحل، وقطع مواصلاتها مع المراكز اليهودية في الغرب³.

وفي 7 أيار 1948م أشار عارف العارف إلى الاجتماع الذي عقّد في أريحا، وحضره المندوب السامي السير آلن كينغهام (Alan Cunningham)، وعبد الرحمن عزام، وصفوت باشا، ومحمود البكري، وتقي الدين المصلح، ومثل الجانب العربي أحمد حلمي باشا والشيخ كمال إسماعيل وأنور الخطيب، وتوصلوا إلى ضرورة إعلان هدنة بوقف إطلاق النار في مدينة القدس كلها، فوافق اليهود شريطة فتح طريق القدس - تل أبيب لهم، والوصول إلى حارة اليهود، وينسحب المقاتلون غير الفلسطينيين من البلاد، ووافق العرب شريطة أن تظل طريق القدس - تل أبيب مغلقة، وأن يرجع الطرفان (العرب واليهود) إلى المناطق التي كانا يحتلانها عند صدور قرار التقسيم، وتعهدوا بتزويد الأحياء اليهودية بالمؤن والماء⁴.

وبعد مفاوضات دامت ثلاث ساعات، ذكر عارف العارف أن المندوب السامي والأمين العام اتفقوا على تزويد سكان القدس بالحاجيات الضرورية، والسماح باستعمال طريق القدس - تل أبيب لنقل المؤن دون السماح بنقل السكان، ويسمح لليهود الراغبين في زيارة البلدة القديمة لدوافع دينية بدخولها من باب النبي داود ومن ثم إلى حائط البراق، ويبدأ وقف إطلاق النار من

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص137-138، وفلسطين، ص86. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص280. زعيتر، أكرم، القضية، ص217.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص283.

³ م، ن، ص288.

⁴ م، ن، ص298.

الطرفين ابتداءً من صباح 8 أيار 1948م، وبالفعل توقف لفترة قصيرة جداً، ثم عاد صوت الرصاص يرتفع في سماء مدينة القدس في 13 أيار 1948م¹.

جددت لجنة الهدنة مساعيها في 12 أيار 1948م بناءً على طلب تلقته من مجلس الأمن في ليك سكسس، واشترط وقف القتال بين الطرفين اعتباراً من الساعة التاسعة من 15 أيار 1948م، فوافق العرب، بينما نكص اليهود العهد، وبدأوا يحتلون العمارات والبنائيات التي تركها الانجليز فور انسحابهم وقالوا "لقد أعطانا الانجليز مفاتيح هذه العمارات فلماذا لا نتقدم لإشغالها"، وهو ما وثقه عارف العارف².

وقبل الانسحاب البريطاني ودخول الجيوش العربية أصدرت هيئة الأمم في 14 أيار 1948م في دورتها الاستثنائية الثانية قراراً بتعيين الكونت فولك برنادوت (Falk Bernadotte) وسيطاً دولياً بين اليهود والعرب، وتمثلت مهمته حسب ما أشار عارف العارف وأكرم زعيتر في ضمان سلامة السكان، وصيانة الأماكن المقدسة، والسعي لإحلال السلم والأمن بين العرب واليهود، والتعاون مع لجنة الهدنة التي عينها مجلس الأمن في 23 نيسان 1948م، والتعاون مع جميع المنظمات الدولية مثل منظمة الصحة وغيرها لتأمين مصالح السكان، وتساءل الناس عن رأيه من قرار التقسيم فنشر بياناً جاء فيه "أنه لو كنت مقيداً بقرار التقسيم الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة في 29 تشرين الثاني 1947م لما كان ثمة حاجة لانتدابي كوسيط، وأن فشل تنفيذ ذلك القرار واصطدام العرب واليهود هما اللذان جعلتا هيئة الأمم تبحث عن حل جديد لمستقبل الحكم في فلسطين"³.

وتابع عارف العارف الحديث في أن الكونت برنادوت بذل جهوداً جمة في سبيل التوفيق بين رغائب العرب واليهود، إلا أنه لم يتمكن من اقناعهما، فاعتبره العرب الة بيد اليهود، ومؤيداً للوطن القومي اليهودي، واتهمه اليهود أنه الة بيد واشنطن ولندن وحمل اليهود لافتات كتب عليها "عد يا برنادوت الى بلادك، فجهودك سدى ونحن هنا"، وأتاه غولدمان "نائب رئيس الوكالة اليهودية" وقال "أن لا شيء يرضي اليهود سوى الاعتراف بقيام دولتهم إسرائيل"⁴.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص299.

² م، ن، ص311.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص321-322. زعيتر، أكرم، القضية، ص217.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص322-323.

على الرغم من أن القضية الفلسطينية شغلت اهتمام كافة أقطاب العالم، وتصدرت أحداثها وتطوراتها تصريحات وخطب المسؤولين البريطانيين واليهود والعرب، إلا أن ذلك كله لم يجد نفعاً، إذ جاء الاهتمام العربي على مستوى مؤتمرات ولجان تكفلت بعقدتها جامعة الدول العربية، وانحصرت الحلول البريطانية في تصريحات وأقوال لم تمس أرض الواقع بالحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني، واستغلت الحركة الصهيونية ذلك جيداً بهدف تحقيق أهدافها في الاستيلاء على أرض فلسطين وتشنيت سكانها، وهكذا ظلت حقوق الشعب الفلسطيني ضائعة وتائهة في مهب الريح وسط هذا الكم الهائل من المؤتمرات.

الفصل الخامس

رؤية المؤرخين الفلسطينيين إلى المنظمات
العسكرية الصهيونية وعمليات تهجير
الفلسطينيين ما بين صدور قرار
التقسيم وإعلان "إسرائيل"

الفصل الخامس

رؤية المؤرخين الفلسطينيين إلى المنظمات العسكرية الصهيونية وعمليات تهجير الفلسطينيين ما بين صدور قرار التقسيم وإعلان "إسرائيل"

شهدت فلسطين نهاية الأربعينيات تنفيذ المخطط الصهيوني - البريطاني في إقامة وطن قومي يهودي فوق الأرض الفلسطينية، وكانت السنوات التي سبقت قيام دولة إسرائيل (15 أيار 1948م) سنوات تأهب واستعداد وتدريب وتعبئة لليهود، بينما كانت سنوات ضياع للعرب، بسبب جهلهم بمخططات اليهود، وضعف الوعي الوطني الذي كانت تصفيته إحدى مهمات الاستعمار الصهيوني.

وعلى الرغم من قبول الوكالة اليهودية علناً لقرار التقسيم، إلا أنها لم تكن لديها النية لقبول الحدود كما نص عليها القرار، ورأى المؤرخون الفلسطينيون أن المنظمات العسكرية الصهيونية باشرت بشن حرب ضد الفلسطينيين؛ لتهجيرهم وإقامة الدولة اليهودية على أكبر مساحة ممكنة من فلسطين¹.

تتهبت الحركة الصهيونية مبكراً إلى ضرورة بناء المنظمات العسكرية الصهيونية للتمكن من بناء الدولة اليهودية، وبدأ زعماء اليهود بشحن الهمم لمضاعفة الجيش اليهودي فقال موشي ديان "إن جيش إسرائيل يستطيع أن يسحق جيوش الدول العربية مجتمعة في معركة أو معركتين، ولكن علينا أن نزيد من قوة جيشنا ونضاعف من عدده ونأتي له بالمعدات والأسلحة من جميع أنحاء العالم استعداداً لحرب ضروس سنشنها قريباً، فلا تتعجلوا واصبروا قليلاً حتى نكون في وضع يمكننا من القضاء على جيوش العرب فلا تقوم لهم بعدها قائمة"²، وأشار عيسى السفري إلى أن دافيد بن غوريون شدد على ضرورة بناء القوة اليهودية لأنها العامل الذي سوف يحدد مصير اليهود³.

¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص10. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص69. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج1، ص5.

زعينر، أكرم، القضية، ص148.

² جرار، حسني، نكبة، ص16.

³ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص64.

وأورد عيسى السفري وأكرم زعيتر دعوة كل من ثيودور هرتزل وحايم وايزمان إلى اللجوء إلى العنف والإرهاب لتحقيق حلم اليهود في إقامة الوطن القومي في فلسطين¹، وقال الضابط البريطاني كلود كوندز Claude Condes "إن طرد العرب وتهجيرهم من مناطق الاستيطان سيتم بعد استخدامهم في المراحل الأولى للمشروع، وأن اللجوء إلى العنف والقوة في هذا الطرد سيكون ضرورياً"²، في حين أذاع المندوب السامي السير آلن غوردن كاننغهام Gordon Cunningham بلاغاً رسمياً أُنذر فيه الفريقيين بالابتعاد عن أعمال العنف والتدمير والقتل³.

اكتفى المؤرخون الفلسطينيون بالإشارة إلى المنظمات العسكرية الصهيونية بشكل مقتضب جداً، فذكر محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري وأكرم زعيتر منظمة الهاغاناة (الدفاع) التي تأسست خلال مؤتمر حزب اتحاد العمل، والمؤتمر التأسيسي للهستدروت عام 1920م، وتألقت من البالماخ (القوة الضاربة المؤسسة على شاكلة ألوية مستقلة متكاملة)، ومن مجموعة ألوية ميدانية، وتنظيمات حراسة وحماية المستوطنات⁴.

وأشاد أكرم زعيتر بقوة الهاغاناة اعتماداً على عدد عناصرها البالغ نحو سبعين ألفاً، وذكر أن لها قوة آلية متحركة هائلة كانت تمتلكها يوم إعلان قرار التقسيم، فامتلكت 17,502 بندقية، و3662 مسدساً، 932 رشاشاً، 754 مدفع هاون، 53,751 قنبلة يدوية، و16 قاذفة مضادة للدروع، وعقدت الهاغاناة اتفاقاً مع مصانع تشيكوسلوفاكيا لشراء مقادير كبيرة من السلاح والعتاد الحربي، بلغت قيمتها 12,280,000 دولار، وزاد من قوة الهاغاناة فرضها التجنيد الإجباري في 30 تشرين الثاني 1947م من سن 17-25 سنة⁵.

وفي صيف 1947م انتهت الهاغاناة من بلورة الخطة دالت التي تعود خطوطها إلى عام 1942م، ووضعت موضع التطبيق في آذار عام 1948م، وتقضي بالاستيلاء على النقاط الأساسية في البلاد وعلى الطرق قبل رحيل البريطانيين، وبالتالي السيطرة على أكبر مساحة

¹ السفري، عيسى، فلسطين، ج1، ص65. زعيتر، أكرم، القضية، ص50.

² الهور، منير، والموسى، طارق، مشاريع، ص12.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص69.

⁴ دروزة، محمد، القضية، ج2، (ص10، وص17)، وفلسطين، ص26. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص138. السفري، عيسى، الوعود، ص50. زعيتر، أكرم، القضية، ص148.

⁵ زعيتر، أكرم، القضية، ص155.

ممكنة من الأراضي الفلسطينية، وتهجير أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، وهوما خلت كتابات المؤرخين من الحديث عنه¹.

وذكر محمد دروزة وعارف العارف وأكرم زعيتر **منظمة إيتسل (إرغون)** التي تأسست في فلسطين عام 1931م من انشقاق أعضاء الهاغاناة وجماعة مسلحة من بيتار (حركة شبابية صهيونية تأسست عام 1923 على يد فلاديمير جابوتسكي)، وبلغ عدد عناصر إيتسل عام 1946م حوالي ثلاث الآف، وارتفع إلى خمسة الآف عام 1948م²، إلا أنهم لم يملكوا سوى ثلاثة مدافع برن، و39 بندقية رشاشة، وثمانين مسدساً، وعدد قليل من المواد المتفجرة³.

أشار مصطفى الدباغ وعيسى السفري وأكرم زعيتر إلى انشقاق أعضاء منظمة إيتسل عن صفوف منظمة الارغون في أعقاب موت جابوتسكي، وبالتالي تأسيس **منظمة ليحي (شتيرن)** وتعني "المقاتلون من أجل حرية إسرائيل" عام 1940م على يد أبراهام شتيرن (Abraham Stern)، ولم يتعدّ عددهم حتى عام 1948م بضع مئات من المسلحين بطريقة حديثة وقوية⁴.

وأشار محمد دروزة إلى ما حدث في أواخر الحرب العالمية الثانية 1945م عندما سمح ونستون تشرشل (Winston Churchill) بتشكيل **الفيلق اليهودي** البالغ عدده 5358 جندياً⁵، وأقامت الحكومة البريطانية الفرق اليهودية الضاربة وأطلق عليها الفرق الطائرة، ووحدات الليل الخاصة، ووحدات الحراسة (النوتريم)، وسرايا الميدان (فوس)⁶، كما فرضت السلطات البريطانية أنظمة الطوارئ (الدفاع) عام 1945م والتي تقضي على أي عربي يحمل سلاحاً بالإعدام أو السجن المؤبد⁷.

وأضاف أكرم زعيتر أن الوكالة اليهودية عملت على تسليح قواتها بمختلف أنواع الأسلحة، من خلال إقامة المصانع لإنتاج الأسلحة الخفيفة والذخائر، ونشط مبعوثو الوكالة اليهودية في أوروبا

¹ جرار، حسني، نكبة، ص95.

² دروزة، محمد، القضية، ج2، ص15. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص138. زعيتر، أكرم، القضية، ص148.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص152.

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص278. السفري، عيسى، الوعود، ص48. زعيتر، أكرم، القضية، ص148.

⁵ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص11.

⁶ زعيتر، أكرم، القضية، ص155.

⁷ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص119.

والولايات المتحدة الأمريكية في شراء الأسلحة والذخائر من مخلفات الحرب العالمية الثانية¹، وأعدت الحركة الصهيونية عدداً كبيراً من المعسكرات للتدريب العقديّ والإعداد الفكري والجسدي في ألمانيا والنمسا وإيطاليا ودول أوروبا الشرقية، ويمكث اليهودي عدة أشهر في التدريب وعند الانتهاء يصبح من "الحالوتسيم" أي الطلائع الذين يقام الوطن القومي على أيديهم².

بعد صدور قرار التقسيم 1947م أصبح دور بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية يتركز في تقديم المساعدة العسكرية (السلح والعتاد) لليهود لضمان قيام الدولة اليهودية في فلسطين، وفي 15 كانون الأول 1947م سلم البريطانيون مهمات البوليس في تل أبيب وبتاح تكفا لليهود، وفي يافا للعرب، وفي شهر كانون الثاني 1948م باع الجيش البريطاني لليهود في فلسطين عشرين طائرة وسرحت حكومة الانتداب قوة حدود شرقي الأردن وعددها 3200 جندي معظمهم من العرب وجردهم من السلح³، وأعلنت الولايات المتحدة في 5 كانون الأول 1947م حظر شحن الأسلحة إلى فلسطين والدول العربية⁴، وفي 3 كانون الثاني 1948م شحن للهاغاناة من نيوجرسي في الولايات الأمريكية 65 ألف رطل من مادة (ت.ن.ت) شديدة الانفجار، وفي شهر شباط 1948م سمحت الولايات الأمريكية للهاغاناة بافتتاح مكتب باسم "الأرض والعمل" لتجنيد المتطوعين من العسكريين المحترفين، وهو ما وثقه محمد دروزة⁵.

وبينما كان عرب فلسطين غير مستعدين للحرب نتيجة شح الموارد العسكرية، شنت الهاغاناة والأرغون وليحي (شتيرن) ضربات هجومية ضد المدنيين العرب في المدن الفلسطينية (حيفا، القدس، يافا، صفد، عكا، طبريا، بيسان، طولكرم، غزة، الرملة، بئر السبع)*، ونفذت سلسلة من الغارات الليلية، وعمليات التفجير العشوائية، وتدمير المنازل، والمجازر الهادفة إلى ترويع العرب وإجبارهم على الرحيل.

¹ زعيتر، أكرم، القضية، ص148.

² م، ن، ص79.

³ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص129.

⁴ م، ن، ص128.

⁵ م، ن، ص129.

* للاطلاع على جداول القرى الفلسطينية المحتلة وعدد الفلسطينيين المطردين (1947-1948م)، انظر مجموعة الملاحق (9-18)، ص304-320.

وقد عرفت الحركة الصهيونية أسماء المدن والقرى الفلسطينية عن طريق "صندوق استكشاف فلسطين" وهو جمعية بريطانية تأسست عام 1865 في لندن، وقام بعملية مسح جغرافي لفلسطين بين عامي (1871—1877م)، وجمع أسماء المواقع القديمة والخرائب والقرى، وأعدَّ قوائم للأسماء تحتوي على أكثر من عشرة آلاف اسم نقلت بحروف إنجليزية، ثم طبع الصندوق خارطة لفلسطين الغربية على أربعة أشكال، فوضع على الأولى الأسماء العربية الحديثة، وعلى الثانية أسماء العهد القديم (التناخ)، وعلى الثالثة أسماء العهد الجديد (الأناجيل)، وعلى الرابعة أسماء مصادر المياه وتوزيعها، كما حدد أعداداً كبيرة من الأماكن المذكورة في التوراة لم تكن مواقعها معروفة سابقاً (622 اسماً توراتياً في غرب الأردن كان قد تحدد منها 262 اسماً قبل عام 1870)، ولم يتطرق المؤرخون الفلسطينيون إلى الحديث عنه¹.

واستعرض المؤرخون هجمات العصابات الصهيونية في الفترة ما بين 29 تشرين الأول 1947م حتى 15 أيار 1948م.

أشار مصطفى الدباغ إلى ما حدث قبل صدور قرار التقسيم، حيث دخلت الهاغاناة قرية **الفجة** العربية الواقعة قضاء يافا، التي يحيط بها من الشمال اللد، ومن الشرق الرملة، ومن الغرب قرية ملبس، وتبلغ مساحة أراضيها 4919 دونم، ويبلغ عدد سكانها حوالي 1392 نسمة، وبتاريخ 20 أيار 1947م ألفت قوة من الهاغاناة القنابل عليها من جميع النواحي، فاستشهد ثلاثة من العرب، فرد الفلسطينيون بقتل قائد المجموعة التي هاجمت القرية، وتلا ذلك اشتباك عنيف بين الفلسطينيين واليهود في منطقة حيفا بتاريخ 10 آب 1947م أودى بمقتل أربعة يهود، مما دفع اليهود إلى النزول فوراً إلى شوارع تل أبيب ومهاجمة المتنزهين العرب، مما أدى إلى قتل اثنين من العرب، ثم هاجمت الهاغاناة في 15 آب 1947م منزلاً لعائلة عربية داخل بيارة أبو لبن قرب يافا وقتلت جميع من في المنزل من أم وأطفالها الستة².

ذكر عارف العارف ومصطفى الدباغ حملات التطهير التي قامت بها المنظمات العسكرية الصهيونية في **حيفا** بعد صدور قرار التقسيم، حيث هاجمت الهاغاناة الأحياء العربية والشوارع الرئيسية مساء 8 كانون الأول 1947م لمدة أربعة أيام على التوالي، وتسبب ذلك باستشهاد 29 عربياً، ثم ألفت مجموعة من منظمة إيسل قنبلة على عمال فلسطين في مصفاة النفط في حيفا،

¹ المسيري، عبد الوهاب، موسوعة، ج2، ص67.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص337.

فقتل ستة أشخاص وجرح 42 شخصاً، فشن العرب هجوماً معاكساً على العمال اليهود بالسكاكين والعصي، فقتلوا 41 يهودياً¹.

وفي 12 كانون الأول 1947م أغارت عصابة الأرغون على قرية الطيرة في قضاء حيفا، وأدى ذلك إلى استشهاد 13 عربياً، وجرح عشرة، بينهم أطفال وشيوخ، ودمروا منزلاً واحداً، إضافة إلى تعرض العديد من المنازل إلى أضرارٍ بالغة²، وعدّ مصطفى الدباغ قرية الطيرة من أهم قرى حيفا؛ حيث شهدت القرية نمواً اقتصادياً وسكانياً متسارعاً، فكان عدد سكانها عام 1931م 3,191 نسمة، ثم ارتفع عددهم إلى 5,270 نسمة (5240 مسلماً، و30 مسيحياً) عام 1945م، وإلى 6,113 نسمة عام 1948م يقطنون في 624 منزلاً، وملكوا 45,272 دونماً من الأراضي المزروعة بالزيتون والخضراوات والحبوب والأشجار المثمرة والفاكهة، وكان في أراضي الطيرة خمس خرب مثل خربة الدير، التي تضم بقايا دير سان بروكادوس، وبعض الكهوف التي كانت آهلة سابقاً، ونفقاً من الحجارة المعقودة، وكان إلى الجنوب من القرية موقع أثري مكشوف يعود تاريخه إلى العصر الحجري، وفيها مدرستان (واحدة للبنين، وأخرى للبنات)، إضافة إلى تأسيس شركة باصات الطيرة عام 1938م، وكان فيها ثماني شاحنات، وفي أواسط الأربعينيات أسس مجموعة من سكان القرية "شركة تكسيات المستقبل"³.

وخلال الأسابيع اللاحقة تعرضت القرية مرة أخرى لهجماتٍ عديدة، استمر الهجوم الأول لمدة ساعة ونصف، إلا أنه لم يسفر عن وقوع ضحايا، ثم أعقبه هجوم آخر لعدة ساعات، أدى إلى خروج العديد من العائلات من منازلهم والاختباء في منطقة عراء عند باب النهر، ونقل جيش الإنقاذ بعض العائلات إلى الأردن، وأقاموا زوارق في البحر لنقل الناس إلى السواحل اللبنانية، فأخذت الزوارق عدداً قليلاً، بينما غادر أغلب الناس بسيارات جيش الإنقاذ، واحتل اليهود التلال المحيطة بالقرية، ومنها الكبايير التابعة لها، ثم فجرت الهاغاناة الطيرة مرة أخرى من خلال وضع بنزين وديناميت تحت بوابات منازل القرية، فدمروا منزلاً من طابقين، وقتلوا 17 شخصاً من عائلة حجير، وحسب مصطفى الدباغ باعت محاولات اليهود بالاستيلاء على القرية حتى جلاء القوات البريطانية بالفشل الذريع⁴.

¹ العارف، عارف، نكبة، ج1، ص24. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص650.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص590.

³ م، ن، ص590-594.

⁴ م، ن، ص594.

اعتبر مصطفى الدباغ بلدة العباسية الواقعة شرق يافا محط أنظار اليهود؛ كونها أكبر القرى الفلسطينية، وتعتبر مركز تسوق للقرى المجاورة، وعلى أراضيها وأراضي القرى المجاورة لها (قرى كفر عانة ودير طريف وجنداس) تم بناء مدينة يهود مونسون، ويحيط بها من الجنوب مطار اللد الكبير وخط السكة الحديدية، وفيها ثاني أكبر مدرسة زراعية في فلسطين بعد كلية خضوري، واشتهرت بصناعة الحصر، وفي 13 كانون الأول 1947م ارتكبت إتسل "مجزرة العباسية" من خلال زرع عبوات ناسفة قرب عدد من منازل القرية، وإطلاق النار على سكان القرية، فبلغ ضحايا المجزرة سبعة شهداء، وأصيب 12 آخرون، وطردوا سكانها البالغ عددهم 5650 نسمة، يقطنون في 772 مسكناً، وصارت أراضيها البالغة 20,540 دونم الغنية بالحمضيات (4099 دونم)، وأشجار الزيتون (450 دونم)، وأقاموا على أنقاضها مستعمرة "يهود"، وفي شمالها مستعمرة "بيت شمئيل"¹.

تطلع اليهود إلى الاستيلاء على قرية سلوان المجاورة لسور القدس من الجهة الجنوبية، كونها غنية بالعيون مثل عين سلوان، وعين أم الدرج، وعين اللوزة، وتبلغ مساحة أراضيها 5,421 دونماً، بينما بلغ عدد سكانها 3,840 نسمة عام 1945م، وأشار عارف العارف ومصطفى الدباغ إلى الهجوم الذي شنته الأرغون على القرية في 17 كانون الأول 1947م، ونسفوا منازلها، وقصفوها بالقنابل والمتفجرات، فقتل من العرب 205 وجرح ثمانون شخصاً، وحاز الصهاينة على 436 دونم من أراضي القرية².

أكد مصطفى الدباغ أن المنظمات العسكرية الصهيونية لجأت إلى إلقاء الرعب في قلوب أهالي صفد، لذلك شنت الهاغاناة في 18 كانون الأول 1947م هجوماً على قرية الخصاص الواقعة شرق مدينة صفد وشمال سهل الحولة، حيث دخلت سيارتان مملوءتان بالجنود إلى القرية، وأطلقوا النار والقنابل على السكان، ونسفوا المنازل، وذهب ضحية ذلك 13 عربياً، منهم أربعة أطفال، واستولوا على 2,738 دونماً من أراضي القرية من أصل 4795 دونماً، وهجرت سكانها البالغ عددهم 545 نسمة، يسكنون في 103 منازل، وأقيمت على أراضي القرية مستعمرة نحاليم "هجرشريم الآن"³.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص331.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص72. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص151.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص146.

ويتابع مصطفى الدباغ الحديث حول احتلال الهاغاناة قرية دير أيوب الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الرملة، وتتميز بموقع استراتيجي هام؛ كونها تشرف على الطريق العام بين القدس ويافا، وتبلغ مساحتها 26 دونماً، بينما بلغت مساحة أراضيها 6028 دونماً، ومعظمها مزروعة بالزيتون واللوز والعنب والتين والرمان، معتمدة على مياه الأمطار، وبلغ عدد سكانها عام 1922م نحو 215 نسمة، وارتفع إلى 221 نسمة عام 1931م، وفي عام 1945م وصل عددهم إلى 330 نسمة، وفي كانون الأول 1947م شنت الهاغاناة هجوماً عليها، وخرج السكان من ديارهم، وأقيمت مستعمرة "شعار هاجاي" على أراضي القرية¹.

تابعت المنظمات العسكرية الصهيونية هجومها على قرية بيت صفافا الواقعة إلى الجنوب الغربي من القدس وشمال بيت لحم في 25 كانون الأول 1947م، ويذكر عارف العارف ما أظهره الصهاينة من وحشية، حيث هاجم القرية حوالي 150 مسلحاً صهيونياً وأهلها نياماً، وأتوها من الناحيتين من الشمال من ميكور حايم ورباط البريطانيين فيها، ومن الشرق من رامات راحيل، فتصدى لهم أهالي القرية، وعلى إثر ذلك حدث اشتباك دموي بين الفلسطينيين واليهود، أدى إلى نسف ثلاثة منازل في الطرف الشمالي من القرية، وضرب اليهود دور المجاهدين الفلسطينيين بالمدافع، مثل دار عبد الله العمري الذي كان يترأس حركة النضال في القرية، وأرغم اليهود أهالي القرية على الرحيل عن أراضيهم، بينما بقي المناضلون مرابطين في القرية².

ويتحدث عارف العارف ومصطفى الدباغ عن احتلال العصابات الصهيونية قرية لفتا غرب القدس، وقد شهدت القرية نمواً عمرانياً فأصبحت مساحتها 324 دونماً، وأما مساحة أراضيها 8743 دونماً، وقد استثمرت أراضيها للزراعة مثل الحبوب والأشجار المثمرة كالزيتون والعنب، معتمدة على مياه الأمطار، وفي 28 كانون الأول 1947م هاجمت الهاغاناة أحد مقاهي القرية، وقتلوا ستة أشخاص من رواد المقهى، ونسفوا معظم المنازل العربية في شرق القرية، وطردها سكانها البالغ عددهم 2958 نسمة، كانوا يقيمون في 410 منزلاً، وتعتبر أول قرية تم إخلاؤها بشكل كامل، وأقاموا على أنقاضها مستعمرة "مي نفتوح"، وفي اليوم ذاته نسف اليهود منزل الحاج محمود اللفتاوي في روميما³.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص517.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص75.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص76. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص102.

وذكر عارف العارف ما حدث في 29 كانون الاول 1947م حيث قامت منظمة الأريغون بإلقاء برميلين من الديناميت في الشارع الواصل إلى باب العمود فقتل 14 عربياً، وجرح 27¹، وتابع العرب أثر السيارة التي تحمل الفاعلين، فأخذ الجنود البريطانيون المرابطين في العمارة الألمانية المقابلة لباب العمود بإطلاق النيران عليهم مما تسبب في مقتل آخرين².

ومن أجل إشاعة الذعر والخوف بين العرب لتهجيرهم من قراهم وإخلاء فلسطين، نفذت الهاغاناة كما يقول مصطفى الدباغ مجزرة في قريتي حواسة وبلد الشيخ (تل غنان) في قضاء حيفا في 31 كانون الاول 1947م فهاجموا حواسة من جميع جهاتها، مما أدى إلى جلاء العرب عنها، أما بلد الشيخ فاكتفوا بالحي الشرقي ووقع ضحيتها ستون عربياً، وأجلى سكان القريتين، ونزح عدد كبير منهم³.

وفي 2 كانون الثاني 1948م أشار عارف العارف إلى نفس المنظمات الصهيونية عمارة الوقف القريبة من بوابة مندلبوم (عبارة عن نقطة تفتيش سابقة بين الجانب الإسرائيلي والجانب الأردني في القدس، وكانت تقع إلى الشمال الغربي من المدينة القديمة)، ودمروا جانباً منها بواسطة 200 رجل من الهاغاناة⁴.

وذكر عارف العارف ومصطفى الدباغ ما جرى في حيفا في الرابع من كانون الثاني 1948 حيث أخلت الهاغاناة حي النسناس العربي من السكان بعد ما دحرج المستوطنون اليهود برميلاً من المتفجرات من مستوطنة هدار هكرمل أدى إلى قتل الكثير من العرب، وبالتالي هاجر سكان الحي جميعهم (8000 عربي)⁵.

جرت بين اليهود وسكان يافا مناوشات صغيرة، كان أولها وفقاً لما ذكره عارف العارف ومصطفى الدباغ اشتباكاً حدث في سكنة تل الريش جنوب شرق يافا في 4 كانون الثاني 1948م، وكان بها مئة عائلة، وتمتلك العديد من سيارات البرتقال وأنواع من الحمضيات والفواكه، وفيها ثلاث مدارس ابتدائية وهي مدرسة الشيخ حسين، والشاعر إسماعيل طوباسي،

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص77.

² م، ن، ص77-78.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص580.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص78.

⁵ العارف، عارف، ج1، ص214. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص678.

والشيخ العالم¹، كما فجرت منظمة ليحي سيارة مفخخة في مبنى سرايا يافا (دار الحكومة في العهد العثماني)، وراح ضحيته ثلاثون شهيداً، و89 جريحاً².

ونسفت الهاغاناة فندق سميراميس في حي القطمون في القدس بالمتفجرات كما يقول عارف العارف ومصطفى الدباغ في الخامس من كانون الثاني 1948م، وقُتل جراء ذلك 22 رجلاً وامرأة، وجرح حوالي عشرون عربياً، واستطاعوا بذلك دب الرعب والخوف في قلوب سكان الحي، لذلك أخلى الكثير منهم منازلهم ورحلوا عن أراضيهم³، وزاد استياء العرب عند تلقيهم نبأ نسف السرايا القديمة وعمارة بنك باركلس، ونسف البنك العربي ودار البلدية القديمة وبعض المخازن والحوانيت الأمر الذي أدى إلى استشهاد 27 عربياً، وجرح مئة آخرين⁴.

أشار عارف العارف إلى المتفجرات التي ألقتها خمسة من الإرهابيين الصهاينة على الجموع المحتشدة عند باب الخليل في القدس في 7 كانون الثاني 1948م، أدت إلى استشهاد 19 عربياً، وجرح 36 آخرين، ونسف رجال الهاغاناة في اليوم نفسه مطحنة في بيت صفافا⁵.

وفي 16 كانون الثاني 1948م ذكر عارف العارف تتكر الصهاينة بزي بريطاني ودخولهم مخزناً في شارع صلاح الدين في حيفا، بحجة تفتيشه ووضعوا به قنبلة موقوتة، أسفر انفجارها عن استشهاد 31 عربياً وجرح ستين آخرين⁶.

وهاجمت الهاغاناة في 18 كانون الثاني 1948م قرية "منصورة الخيط" الواقعة شرق صفد، ويُرجع مصطفى الدباغ تسميتها إلى الشيخ منصور المدفون في طرفها الشمالي، والخيط نسبة إلى غور الخيط الذي تقع فيه، وبلغ عدد سكانها عام 1922م ما يقرب 437 نسمة، ثم انخفض عددهم إلى 367 نسمة عام 1931م، وإلى 200 نسمة عام 1945م، فيما بلغت مساحتها عام 1945م نحو 17 دونماً، ومساحة أراضيها 6735 دونماً، واعتمد اقتصادها على الزراعة وتربية المواشي، واحتوت على 61 منزلاً، وأشار عارف العارف ومصطفى الدباغ إلى فشل الهاغاناة

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص80. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص277.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص81.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص80. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص93.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص81.

⁵ م، ن، ص81.

⁶ م، ن، ص85.

في احتلال القرية، ثم عاودت مهاجمتها في 7 شباط وتمكنت من احتلالها، وإجلاء أهلها البالغ عددهم حتى عام 1948م نحو 232 نسمة، وأقاموا كيبوتز "كفار هانسي" على بعد كيلو متر واحد إلى الغرب من موقعها¹.

وأغارت ثلاث طائرات يهودية (بتسع قنابل) في 19 كانون الثاني 1948م على محطة السكة الحديدية في غزة وفق ما ذكر عارف العارف، فقتل جراء ذلك تسعة من العرب، وجرح أربعة آخرون، إضافة إلى احتراق صهريج البترول، وهدم بئر المازوت².

وفي 20 كانون الثاني 1948م أشار عارف العارف إلى الهجوم الذي شنته العصابات الصهيونية على قرية كفر كنا شرق مدينة الناصرة، التي تعتمد مياهها على عدة عيون مثل عين الحية، وعين البيضة، وعين الكيشنة، وعين خربة أم جبيل، وبلغت مساحتها عام 1945م نحو 61 دونماً، وفي العام نفسه بلغت مساحة أراضيها 19455 دونماً، وبها 266 بيتاً بنيت من الحجارة والاسمنت، وبلغ عدد سكانها عام 1912م ما يقرب 1160 نسمة، وارتفع العدد إلى 1370 نسمة عام 1931م، وإلى 1930 نسمة عام 1945م، واعتمدت على الزراعة خاصة الحبوب والخضراوات، والزيتون (1100 دونم مزروعة بالزيتون)، وتربية المواشي، وقاوم أهالي القرية ضربات الهاغاناة ببسالة، مما أدى إلى حدوث معركة بين الطرفين، كان النصر فيها حليف المناضلين الفلسطينيين، وقام اليهود بهجوم مماثل على معسكر المناضلين العرب في عين ماهل، وتمكن المناضلون من صد اليهود رغم أن عدد اليهود كان ستين شخصاً، والمناضلون 15 شخصاً³.

وفي 22 كانون الثاني 1948م قتلت الهاغاناة 15 عربياً من قرية يازور الواقعة شرق يافا، وطردت أهلها البالغ عددهم 4,030 نسمة، ويعتقد مصطفى الدباغ أنها قد تكون "قرية بيت الزور" وهي قرية قديمة ورد ذكرها في النقوش المصرية التي تم تخريبها انتقاماً من الهكسوس، وتتميز القرية بوجود العديد من مقامات الأولياء، وتبلغ مساحة أراضيها 11,807 دونم غرس منها ثلاثون دونماً بأشجار الزيتون و6,700 دونماً بالحمضيات، وتعتمد على مياه الأمطار والآبار التي بلغ مجموعها في عام 1947 نحو 140 بئراً، وفيها ثروة حيوانية من الأبقار

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص171.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص89.

³ م، ن، ص85.

والدواجن، وبعد أسبوع (28 كانون الثاني) دحرج الصهاينة براميل متفجرة من أعالي حي الهادر المرتفع في حيفا مما أدى إلى استشهاد عشرين عربياً، وجرح خمسين آخرين¹.

وامتدت جرائم المنظمات الصهيونية إلى القرى المجاورة لمدينة يافا، فاحتلت الهاغاناة وإتسل قرية المر التي تعرف باسم المحمودية، وتقع إلى الشمال الشرقي من يافا، وإلى الجنوب من قرية المويلح، وكان الخط الحديدي الذي يصل رأس العين بمستوطنة بتاح تكفا يمر من طرفها، وكانت على مقربة للمنابع الرئيسية لنهر العوجا، وتبلغ مساحة صغيرة من الأراضي تبلغ 51 دونماً، وتكثر فيها زراعة الحمضيات، والزيتون في بعض أجزائها، وأما عدد سكانها فكان 75 نسمة عام 1922م، وارتفع إلى 101 نسمة عام 1931م، وإلى 170 نسمة عام 1945م، يقطنون في 25 مسكناً، وأشار مصطفى الدباغ إلى أنها أول قرية تم احتلالها في الأول من شباط 1948م؛ ويعود ذلك إلى وقوعها وسط مستوطنات صهيونية، وأقام اليهود حول المحمودية بعض المستوطنات مثل "جفعات هاشلوشا"².

وفي مساء الأول من شباط 1948م قامت كتيبة من لواء جولاني بمهاجمة قرية الفراضية الواقعة غربي صفد، وطردت أهلها البالغ عددهم 777 نسمة، وأقاموا مكانها مستعمرة "بارود"، وأشاد مصطفى الدباغ بالازدهار الاقتصادي الذي حققته القرية، فقد بلغت مساحة أراضيها قبل عام 1948م حوالي 19,747 دونماً، واشتهرت القرية بمزرعتها التي كانت تسمى محطة التجارب البستانية والفلاحية وتبلغ مساحتها 300 دونماً، بهدف إجراء تجارب على زراعة التفاحيات وتحسين البذار وخدمة مزارعي وادي صفد وعكا وإرشادهم إلى أفضل وسائل لتربية الدواجن والنحل، وأنجز هذا المشروع عدداً من الاعمال، قيل أنه أوجد 26 نوعاً من الزيتون، وعشرة أنواع من التين، و37 نوعاً من الكرمة، وأربعة أنواع من المشمش، و11 نوعاً من الكمثرى، و16 نوعاً من التفاح، و19 نوعاً من الكرز، وخمسة أنواع من اللوز، وأسس قسماً لتربية الدواجن، وأنشأ منحلة ومشتلاً يستتبت نحو عشرين ألف غرسة توزع على الفلاحين³.

وفي اليوم نفسه ذكر عارف العارف ومصطفى الدباغ الهجوم الذي شنه اليهود على قرية لوبيه في الطرف الغربي من طبريا، وعلى الطريق الواصلة بين الناصرة وطبريا، وتحيط بها قرى

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص303.

² م، ن، ص339.

³ م، ن، ج6، ص180.

الشجرة، وكفر سبت، والمنارة، وحطين، وبعض القلاع اليهودية، وتبلغ مساحة القرية 200 دونماً، ومساحة أراضيها 39,629 دونماً، وتحتل أشجار الزيتون 1520 دونماً من تلك المساحة، وتشتهر القرية بزراعة القمح، وبلغ عدد سكانها 1712 نسمة عام 1922م، وارتفع إلى 1850 نسمة عام 1931م، وإلى 2350 نسمة عام 1945م، ولكن أهالي القرية قاوموهم، ونتج عن ذلك استشهاد ستة من العرب، وجرح أربعة آخرين، ومن اليهود قتل 17 رجلاً، وبقيت لوبيه في حوزة العرب إلى أن سقطت الناصرة (16 تموز 1948م)، وأقاموا على أراضيها مستعمرة "لافي"¹.

وفي الثالث من شباط 1948م هجرت العصابات الصهيونية سكان قرية الحرم البالغ عددهم حتى عام 1948م ما يقرب 603 نسمة يقيمون في 83 بيتاً، وحسب وصف مصطفى الدباغ تقع القرية إلى الشمال الشرقي من مدينة يافا، وتعرف باسم "سيدنا علي" نسبة إلى مقام أبي الحسن بن علي بن عليل من سلالة عمر بن الخطاب (ت 474هـ)، وبلغت مساحة أراضيها 8065 دونماً، مزروعة بالحمضيات والفواكة، إلى جانب احتراف حرفة صيد الأسماك، وكان عدد سكانها 341 نسمة عام 1904م، وانخفض العدد إلى 172 نسمة عام 1922م، ثم عاد وارتفع إلى 333 نسمة عام 1931م، وإلى 520 نسمة عام 1945م، وأقاموا على أنقاضها مستعمرة "رشف" التي تعد حالياً ضاحية لمدينة هرتسليا².

وفي 13 شباط 1948م أجبرت الهاغاناة أهالي **حي الطالبية** على إخلاء منازلهم وهو من الأحياء الراقية في القدس، ويُرجع عارف العارف ذلك لأنه يشرف على وسط المدينة، ويعيش فيه مواطنون أكاديميون ومهنيون ومهاجرون أغنياء من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا، وكبار المسؤولين في الحكومات الأجنبية والدبلوماسيون، ويوجد فيه العديد من المؤسسات مثل مسرح القدس، ومتحف الفن الإسلامي، وتعدّ منازل ذات طابع معماري خاص، وتمتاز بعناصر معمارية انتقائية، بما في ذلك زخارف عصر النهضة والمغاربة والعربية والزخارف الخزفية الأرمينية³.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص87. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص224.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص349.

³ العارف، عارف، النكبة، ج5، ص1083.

يرى عارف العارف أن المنظمات الصهيونية شرعت إلى إسكان اليهود مكان العرب في منازلهم، وكانت **تلة الشيخ بدر** (جنوب قرية لفتا) أول منطقة أُسكن اليهود فيها، وطرّدوا سكانها البالغ عددهم 2958 نسمة في 13 شباط 1948م، وأسّسوا فيها بنايات حكومية مهمة لدولة إسرائيل مثل الكنيسة ووزارة الخارجية، وكلية العلوم الطبيعية والرياضيات التابعة للجامعة العبرية¹.

ونفذت الهاغاناة "مجزرة سعسع" حيث هاجمت مجموعة من البالماخ في 15 شباط 1948م قرية **سعسع** الواقعة شمال صفد، في منتصف الطريق بين قريتي كفر برعم وطيطبا، ونسفت عشرين منزلاً، إلى جانب قتل ستين عربياً، وتعود أهمية القرية حسب مصطفى الدباغ كونها مليئة بالآثار التي تؤكد عمرانها منذ القديم، وتستمد القرية مياهها من الينابيع المجاورة وتهطل عليها الأمطار بكميات كافية، وبلغت مساحة أراضيها 14796 دونماً، وكانت الغابات الحرجية (البلوط، الصنوبر، البطم، الخروب، الزعرور) تشغل مساحة كبيرة من أراضي القرية، ولكن سكان القرية قطعوا جزءاً من هذه الغابات وأحلوا مكانها الأشجار المثمرة (الزيتون، العنب، التفاح، الاجاص)، وفي المقابل شهدت القرية نمواً عمرانياً خلال الانتداب البريطاني فامتدت في مساحة تزيد عن خمسين دونماً، ونما عدد سكانها من 643 نسمة عام 1922م إلى 1130 نسمة عام 1945م، وأقامت سلطات الانتداب في شمالها أبراجاً للمراقبة وأسلاكاً شائكة لقطع صلة السكان بالعرب خارج فلسطين (لبنان وسوريا)، وأقاموا على أنقاضها مستعمرة "ساسا"².

ودمرت المنظمات الصهيونية القرى المحيطة بمدينة حيفا، وطرّدوا أهلها، فهاجمت الهاغاناة في 15 شباط 1948م قرية **قيسارية** (جنوب حيفا)، وأجلوا أهلها البالغ عددهم 1114 نسمة، وذكر مصطفى الدباغ أن قيسارية كانت أولى القرى التي تمت فيها عملية منظمة لطرّد السكان العرب، وأقام الصهاينة على أنقاضها مستعمرة "أور عكيفا"، كما ضموا بعض أراضيها إلى مستعمرة "سدوت يام" المجاورة للبلدة والمقامة في عام 1940 على أراضي خربة أبو طنطورة إلى الجنوب من قيسارية، وفي الوقت نفسه شنت الهاغاناة هجوماً على **خربة البرج** القريبة من قرية قيسارية وتمكنت من احتلالها، وصادرت أراضيها البالغة 5291 دونماً، وطرّدت سكانها بالكامل³.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص76.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص202-203.

³ م، ن، ج7، ص617.

وذكر عارف العارف ما حدث في 24 شباط 1948م حيث قامت الهاغاناة بقصف حي المصرة في القسم الشمالي من القدس بقنابل الهاون (عشرين قنبلة)، فقتل من العرب سبعة وجرح أربعون، وبدأ سكان الحي يهجرونه، ثم اندفع المناضلون يبعون اقتحام الحي نفسه ولكن القوات الانجليزية المرابطة في مخفر الشرطة بين حي المصرة ومياشورم حالت دون ذلك فاضطر المجاهدون إلى العودة عن هجومهم، فارتفعت عزائم الصهاينة، فعاد إلى حي مياشورم من هجره، ثم قامت القوات الصهيونية بقصف حي المصرة طوال ليلة 27 نيسان، الأمر الذي زاد في رحيل سكانه عنه¹.

وسيطرت الهاغاناة على مبنى النوتردام في القدس، فأصبح اليهود مشرفين تماماً على الحي والأحياء المجاورة، وأشار عارف العارف إلى دهاء اليهود لاحتلال الحي، حيث وضعوا مكبرات الصوت التي طالبت السكان بالانسحاب إلى البلدة القديمة مدعين أنهم احتلوا القطمون والبقعة والشيخ جراح ومعظم الأحياء العربية خارج السور، وفي اليوم التالي شن الصهاينة هجوماً كبيراً على الحي ونسفوا العديد من المنازل، وتمكنوا من احتلاله².

عرض عارف العارف الاعتداءات الصهيونية التي جرت في حي وادي الجوز العربي الواقع عند مدخل القدس، التي انطلقت من الصهاينة الموجودين في مستشفى هداسا والجامعة العبرية، إلا أنهم فشلوا في احتلال الحي نتيجة صمود أهالي الحي وتحصينه، إلا أنهم نجحوا في دفع سكانه إلى مغادرته، فلم يبق فيه سوى عدد ضئيل من أصل سكانه البالغ عددهم 2,500 نسمة³.

ترأى للقوات الصهيونية أن الحي أصبح سهل المنال بعد أن نزع عنه سكانه، فقاموا في ساعة مبكرة من صباح 26 شباط 1948م بشن هجوم كبير عليه انطلاقاً من مستشفى هداسا والجامعة العبرية، وتمكنت القوات المهاجمة البالغ عددها 150 مسلحاً من احتلال المنطقة المعروفة بتل العيفي، ونسفت منزلين عربيين، الأمر الذي أدى إلى استشهاد ثلاثة أطفال من العرب، ثم تابع الصهاينة تقدمهم داخل الحي فتصدى لهم شبان الحي والمناضلون العرب (سبعون مناضلاً)، وكبدوا المهاجمين خسائر أجبرتهم على التوقف، وطاردهم العرب حتى أجلوهم عن كامل الحي بعد أن سقط منهم 12 يهودياً و18 جريحاً، وسارع المجاهدون العرب إلى إصلاح ما تهدم من

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص144-145.

² م، ن، ص147.

³ م، ن، ص116.

تحصينات الحي وزادوا من متانتها، الأمر الذي ساعدهم على التصدي للهجوم الكبير الذي شنه الصهاينة في منتصف شهر آذار، وبقي الحي عربياً بعد أن أيقن الصهاينة باستحالة احتلاله، وهدأت الحال فيه كما يقول عارف العارف¹.

وفي 27 شباط 1948م احتلت الهاغاناة قرية وادي عارة الواقعة جنوب مدينة حيفا، وشمالى شرقي الخضيرة، وطردت أهلها البالغ عددهم 230 نسمة، يقطنون في 28 مسكناً، واستولت على مساحة 919 دونماً (9,38%) من أراضي القرية البالغة 9795 دونماً، والغنية بالمحصولات الزراعية والمواشي، وأقاموا على أنقاضها كيبوتز "برقاي"، ويعزو مصطفى الدباغ أهمية القرية كونها منفذاً هاماً إلى مرج ابن عامر².

وفي الأول من آذار 1948م أدركت القوات الصهيونية أهمية قرية قيرة وقامون في الجنوب الشرقي من حيفا، كونها حسب مصطفى الدباغ تحتوي على ينابيع كثيرة، ففي شمالها عين قارة، وفي شمالها الشرقي عين البضة وعين قامون وعيون الحوام وعين المغير، وفي شرقها عين فطومة، وفي جنوبها عين السنت، وفي جنوبها الشرقي عين المحشورة وعين أم مشعل، وفي جنوبها الغربي عين الهفية وعيون الرشراشة، ويمر بها وادي فريير بشرقها، ووادي الهفية بجنوبها، وبلغت مساحة الأراضي في العام نفسه 14 ألف دونم، ولم يأت عام 1945م حتى كان الصهاينة قد استملكوا أراضيها كلها، وقام اقتصادها على الزراعة (الحبوب، والخضراوات) وتربية المواشي، واحتوت قيرة وقامون على 86 نسمة من العرب عام 1931م، وفي عام 1945م كان فيها مستعمرة "يقنعان"، ودمرت منازلها البالغة 21 بيتاً والمبنيّة من الحجارة والاسمنت والطين³، كما مدت الهاغاناة سيطرتها على خربة المنارة في حيفا، وشردت أهلها بالكامل (لم يسجل مصطفى الدباغ أعداد القرية المهجرين)، وأقامت على أراضي القرية مستعمرة "عوفر"، وبُني على جزء آخر من أراضي القرية مدرسة لتستفيد من خدماتها مستعمرة "كبيرم مهراي"⁴.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص116-117.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص638.

³ م، ن، ص583.

⁴ م، ن، ص672.

وفي ذات الوقت احتلت العصابات الصهيونية حسب مصطفى الدباغ قرية دالية الروحاء جنوب شرق حيفا، المقامة في جبل الكرمل، ويمر وادي الفوار ووادي الخزنة ووادي السلمة بجنوب القرية مباشرة، ومن ينابيع القرية عيون السلاف وعيون الخزنة وعين أم الرفوف، واحتوت القرية على 46 بيتاً عام 1931م، بنيت من الاسمنت والحجارة والطين، وفي عام 1945م كانت مساحة القرية 24 دونماً، ومساحة أراضيها 10,008 دونماً استولى اليهود على أكثرها ولم يتركوا لسكانها سوى 394 دونماً، ويبلغ عدد سكانها 135 نسمة عام 1922م وارتفع العدد إلى 163 نسمة عام 1931م، وإلى 325 نسمة عام 1948م، واعتمد اقتصادها على الزراعة (الحبوب، الأشجار المثمرة) وتربية المواشي وقامت بهدم القرية، وتثريد سكانها¹.

وذكر عارف العارف ما حدث في رام الله في مساء الأول من آذار 1948م، حيث تسلل حوالي عشرون صهيونياً من مستعمرة عطاروت جنوب رام الله وكنوا لسيارة نقل ركاب متجهة نحو رام الله عند نقطة قريبة من الطريق التي تربط رام الله بباب الواد، وعند وصولها قذفها الصهاينة بالقنابل اليدوية، ولكنهم لم يصيبوا احداً بأذى².

أدركت العصابات الصهيونية أهمية احتلال القرى العربية الواقعة على الطريق الساحلي "عملية التنظيف الساحلي"؛ كونها تصل بين المستوطنات الصهيونية الواقعة في يافا وحيفا، وأشار مصطفى الدباغ إلى شن الهاغاناة هجوماً على القرى الساحلية المحيطة بطولكرم، فشنت في الأول من آذار 1948م هجوماً على قرية وادي قباني، وطردت أهلها البالغ عددهم 371 نسمة، وأقاموا على أراضيها البالغة 9812 دونماً وأراضي القرى المحيطة بها عدة مستوطنات وهم "مشار هشارون" و"كفار حاييم" و"كيبوتس هعوغن" و"بيت هليفي" و"كفار مونش"، وفي الوقت نفسه احتلت بلدة الجلمة في طولكرم جنوبي شرقي حيفا، وطردت أهلها البالغ عددهم 81 نسمة³، وهو ما حدث في خربة المجدل التي أقاموا على بقعتها مستعمرة "سده يتسحاق"⁴، وفي منتصف آذار احتلت الهاغاناة قرية وادي الحوارث البالغة مساحتها 30 ألف دونم، وشردت أهلها البالغ عددهم 2552 نسمة، وأقامت على أراضيها عدة مستعمرات وهي "مخمورت" و"كفار

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص652.

² العارف، عارف، نكبة، ج1، ص122.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص341.

⁴ م، ن، 403.

فيتكن" و"كيبوتس معفروت" و"كفار هروئي" العام و"غيئولي تيمان"¹، كما طردت أهالي قرية رمل زيتا البالغ عددهم 162 نسمة².

مدت المنظمات العسكرية الصهيونية سيطرتها على طبريا، فشنت الهاغاناة هجوماً على قرية المنارة في الثاني من آذار 1948م وهي على حد وصف مصطفى الدباغ تقع جنوب طبريا، وشرق جبال الجليل، ويقع جنوبها وادي البساس، ومن شرقيها وشمالها يحدها وادي القصب، ووادي الدلبة، ووادي الوسيح، ووادي الجردون، وفي شمالها الشرقي بحيرة طبريا، وينابيعها عين القصب، وطردت سكانها البالغ عددهم 568 نسمة، يقطنون 33 بيتاً، وصارت أراضيها البالغة 6797 دونماً، الغنية بالحبوب، والبطيخ، والتبغ، وأسس اليهود عليها موشافاً يدعى "منواه"، وعلاوة على ذلك أذاع الصهاينة أن القرية لغمت بالقنابل؛ حتى لا يعود سكان القرية إليها³، وشنت الهاغاناة هجومها على قرية العبيدية جنوب طبريا في 3 آذار 1948م ودمرت القرية بالكامل، وهاجر أهلها البالغ عددهم 1009 نسمة إلى الناصرة⁴.

واستمرت البالماخ في أعمالها الإجرامية، فشنت في 14 آذار 1948م هجوماً على قرية الحسينية الواقعة شمال شرق صفد، وهي كما قال مصطفى الدباغ تشرف على نهر الحولة الممتد إلى الشمال الشرقي منها، وتحيط فيها أرض زراعية خصبة تنتج أصنافاً من الفواكه والزيتون والبصل والذرة وتتوافر المياه السطحية ومياه الينابيع والآبار أهمها عين عدس وبئر الحسينية، وبلغ عدد سكانها 170 نسمة عام 1945م، وكانوا يمارسون الزراعة وتربية المواشي خاصة الجواميس (إنتاج الإلبان واللحوم، والحراثة)، فنسفت 12 منزلاً، وقُتل 15 عربياً، وجرح عشرون، وتدخلت الشرطة البريطانية ومنعت التجول وأجلوا السكان عن منازلهم وأراضيهم، ثم عاودت البالماخ الهجوم على القرية مرة أخرى بعد ثلاثة أيام من الهجوم الأول، راح ضحيته ثلاثون فلسطينياً، واستطاعوا ملاحقة الهاربين فقتلوا ما يزيد عن ستين شخصاً، واقاموا عليها مستعمرة "حولاتا"⁵.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص342.

² م، ن، ص330.

³ م، ن، ج6، ص372.

⁴ م، ن، ص387.

⁵ م، ن، ص167.

احتلت القوات الصهيونية قرية الجماسين بقسميها الشرقي والغربي قضاء يافا في 17 آذار 1948م، ودمروها وجعلوا أرضهما البالغة 1651 دونماً جزءاً من مدينة تل أبيب، وبلغ مجموع سكانهما المطرودين حسب إحصاءات مصطفى الدباغ 2100 نسمة¹.

شنت العصابات الصهيونية هجوماً كبيراً ضد ثكنة أبو كبير في يافا بتاريخ 20 آذار 1948م، فدمروا معظم المنازل، وبلغت خسائر اليهود 36 قتيلاً، وبعد يومين حاول الصهاينة اقتحام يافا وقصفها، إلا أن المجاهدين تمكنوا من منعهم²، ثم شنت القوات الصهيونية هجوماً على قرية أم خالد قضاء طولكرم، ويُرجع مصطفى الدباغ تسميتها إلى امرأة سالحة عاشت ودفنت فيها، وتم إخلاء القرية بشكل كامل في اليوم نفسه (1130 نسمة)، وبعد سنوات امتدت مدينة نتانيا الصهيونية عمرانياً فوق أرض أم خالد البالغة مساحتها 2,894 دونم³، وفي نهاية آذار احتلت الهاغاناة والارغون قرية بيارة حنون قضاء طولكرم⁴.

قامت الحركة الصهيونية بطرد سكان قرية الشيخ مؤنس قضاء يافا في 30 آذار 1948م، على الرغم من عيش العرب واليهود مع بعضهم بسلام داخل القرية، وبدأت الخلافات بين العرب واليهود بعد أن أقدم مسلحون من قرية مجاورة على عملية سطو مسلح على مقهى في القرية، وقتل زواره من الطرفين، واستغلت العصابات الصهيونية هذه الحادثة وأعلنت الحرب على القرية وحاصرتها اقتصادياً، إضافة إلى تحريض اليهود ضد سكانها، وبثت الشائعات في القرية بشأن وجود نوايا لديها لمهاجمة القرية، سعياً لتشجيع العرب على الهرب والرحيل⁵، وقد قالت هذه الشائعات بأن هناك محاربين أجانب تسللوا إلى القرية وأن أسلحة كثيرة قد تم تهريبها إلى داخلها، بل تحدثت الأنباء أيضاً عن ضباط ألمان مسلحين فيها، مما دفع سكانها إلى هجرتها، والذين بلغ عددهم 2239 نسمة، وبعد هجرتهم سارعت أعضاء ليحي إلى الاستيلاء على الأبنية المركزية، فأقاموا فيها قاعدتهم الرئيسية وأطلقوا عليها اسم "رمات يائير"، بعد ذلك توسعت جامعة تل أبيب على أراضي القرية، وبلغ مساحة القرية حوالي 11456 دونم، وهدمت ما تبقى

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص341.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص229. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص280.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص310.

⁴ م، ن، ص111.

⁵ العارف، عارف، نكبة، ج1، ص147. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص344.

من بيوت فيها، وأنشئت مكان مقبرتها سكنات طلاب الجامعة، وهو ما ذكره عارف العارف ومصطفى الدباغ¹.

رأى مصطفى الدباغ أن قرية جريش في قضاء يافا تأثرت بالحوادث التي جرت في قرية الشيخ مؤنس، فنزح عنها 220 نسمة، وتركت 400 دونماً من أراضيها المليئة بالحمضيات والموز²، وهو ما حدث في قرية عرب السوالمة شمالي شرقي يافا، حيث هاجر سكانها البالغ عددهم 928 نسمة، وبلغت مساحة أراضيها نحو 5942 دونماً³، كما هاجر سكان قرية عرب أبو كشك شمالي يافا، وبلغ عددهم 2204 نسمة، وهي على حد وصف مصطفى الدباغ قبيلة بدوية تمتلك أراضي كبيرة في سهل شارون من هرتسليا حتى بتاح تكفا بلغت 17,121 دونماً⁴.

وشهد الأول من نيسان عمليات تهجير واسعة شملت مختلف المدن والقرى الفلسطينية، فاحتلت العصابات الصهيونية قرية أم كلحة قضاء الرملة كونها كما وصفها مصطفى الدباغ تقع على الطريق العام الذي يصل غزة بطريق الرملة - القدس، كما يقع بالقرب منها محطة سكة حديد وادي الصرار التي تصل أم كلحة بخط سكة الحديد الممتد بين الرملة والقدس، وكانت بعض الطرق الترابية تصل القرية بالقرى المجاورة لها، وبلغت مساحة أراضيها المصادرة 1,405 دونماً، واشتهرت أراضيها بزراعة المحاصيل الحقلية والخضر والأشجار المثمرة كالحمضيات والزيتون، معتمدة على الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية، إلى جانب اعتمادها على بعض الآبار، ويوجد في القرية وأراضيها بعض الآثار التي تضم أسساً ومدافن محفورة في الصخر ومغاور وصهاريج، وأقيمت على أنقاضها مستعمرة "يسودوت"، ودمروا بيوتها، وطردها سكانها البالغ عددهم ستين نسمة⁵، وفي اليوم نفسه شهدت خربة بيت فار قضاء الرملة هجوماً صهيونياً عليها، نتج عنه تشريد 348 من سكانها، وأقيمت على أراضيها مستوطنة "بيت يئير" التي أصبح اسمها "تل شاحر" لاحقاً⁶.

¹ العارف، عارف، نكبة، ج1، ص147. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص344.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص342.

³ م، ن، ص340.

⁴ م، ن، ص345.

⁵ م، ن، ص581.

⁶ م، ن، ص579.

كما احتلت العصابات الصهيونية قرية إجليل قضاء يافا بشقيها القبلي والشمالي، وأجلت سكانهما البالغ عددهما 765 نسمة، وصادرت أراضيها البالغة 15,207 دونماً، ويعود تسميتهما حسب مصطفى الدباغ إلى ضريح الشيخ "صالح عبد الجليل" المقام في القرية¹.

تطلعت الهاغاناة إلى احتلال قرية يرذا قضاء صفد؛ كونها حسب مصطفى الدباغ غنية بالموارد المائية التي أتاحت زراعة الأرز والبرسيم والذرة والخضراوات، فطردت أهلها البالغ عددهم 23 نسمة، وصادرت أراضيها البالغة 1367 دونماً، وأقيمت عليها مستوطننا "أبليت هشاحر" و"مشمار هيردين"²، كما أجلت أهالي قرية العريفية شمالي شرقي صفد، والمطلة على بحيرة الحولة³.

احتلت العصابات الصهيونية قرية بيت ثول قضاء القدس، والتي حظيت بمكانة أساسية في مخططات الصهاينة، لأنها على حد وصف مصطفى الدباغ تطل على البحر الأبيض المتوسط، وتحتوي على العديد من المواقع الأثرية والتاريخية والدينية والآبار والأعمدة وعيون الماء والخرب مثل خربة مسمار وهي خربة تحتوي على أشجار أثرية وفسيفساء، وخربة جرابة التي تحتوي على صهريج ضخم، وخربة زبود التي تحتوي على أعمدة وأبنية أثرية، وغيرها من الخرب، وبلغت مساحة أراضيها نحو 4629 دونماً، بينما بلغ عدد سكانها عام 1922م ما يقرب 233 نسمة، ثم ارتفع عددهم عام 1932م إلى 282 نسمة، وبلغ عددهم عام 1948م حين طردوا 302 نسمة⁴، وفي القسم الغربي من مدينة القدس كان يجري احتلال قرية بيت نقوبا، مما أدى إلى تهجير أهلها البالغ عددهم 278 نسمة، وأقيمت على أراضيها مستعمرة "بيت نكوف"⁵.

وتمكنت عصابة الارغون من اقتحام المعسكر البريطاني المجاور لمستعمرة "باردس حنا" وقتل حارسه، وتمكنت من نهب مقادير كبيرة من الأسلحة والعتاد منها عدد من المدافع الرشاشة، وبنادق الغاز الخانقة، والقنابل من نوع فيات، وسرت بعد ذلك شائعات تقول أن اليهود كانوا على اتفاق مع الحكومة البريطانية ليحصلوا على الأسلحة ولتمويه الفلسطينيين⁶، وفي مساء

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص346.

² م، ن، ج6، ص170.

³ م، ن، ص236.

⁴ م، ن، ج8، ص119.

⁵ م، ن، ص111.

⁶ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص152-153.

الخامس من نيسان 1948م أشار عارف العارف إلى نسف القوات البريطانية واليهودية ملجأ الرجاء للإيتام في يافا، وكان حسن سلامة اتخذهُ مقراً لقواته، واستشهد جراء الحادث ستة اشخاص تولوا حراسة الملجأ¹.

وشهدت مدينة طولكرم هجماتٍ عديدةٍ على قراها، وأشار مصطفى الدباغ إلى احتلال الهاغاناة قرية فرديسيا، وهجرت أهلها البالغ عددهم 23 نسمة ويعود سبب هذا الانخفاض إلى انتقال العديد من سكانها إلى مدينة الطيرة المجاورة عام 1265م، وأقامت على أراضيها البالغة 19 دونماً مستعمرة "شاعر أفرام"²، ثم مدت الهاغاناة سيطرتها على قرية تبصر (خربة عزون) لأن الطرق الفرعية للقرية تصلها بالقرى العربية والمستعمرات اليهودية المجاورة، وطردوا سكانها، وأزلوا معالمها لتتوسع على أراضيها مستعمرة "رعانة"³، وجراء هذه الحوادث شعر سكان خربة بيت ليد بالخوف مما دفع بعض سكانها إلى هجرتها، بينما أُجبر البعض على الرحيل بالقوة، وبلغ مجمل المهاجرين منها نحو 534 نسمة، وبلغت مساحتها 5336 كم²، وأقاموا عليها مستعمرتين هما "تورديا" و"غنوت هدار"⁴.

تصاعدت شراسة المنظمات العسكرية الصهيونية في القدس، وعرض عارف العارف العمليات العسكرية التي حدثت في المدينة، وهي براك، ونحشون، وهرثيل، ومكابي، ويبوسي، وشفيفون، وكلشون (المدراة)*، وهدفت العمليات لفتح الطريق بين القدس ويافا، وسيأتي الحديث عنها كل في مكانه المناسب في الفصل.

رأى عارف العارف ومصطفى الدباغ أن الحركة الصهيونية بدأت في تنفيذ خطة نحشون في 2 نيسان 1948م، وخصصوا لها نحو خمسة آلاف جندي من قوات الهاغاناة والبالماخ والأرغون وشتيرن، فاتجه قسم من قواتهم إلى منطقة دير محيسن، وقسم آخر إلى ممر باب الواد؛ للاستيلاء على القسطل، إلا أن قوات الجهاد المسلح تصدت لهم بقيادة حسن سلامة وأحبطت هجومهم، فأرسل اليهود نجدات عسكرية لإنقاذ الصهاينة، إلا أنها لم تستطع الوصول، فاضطرت

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص154.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص362.

³ م، ن، ص392.

⁴ م، ن، ص289.

* للاطلاع على خارطة العمليات الصهيونية 1947-1948م، انظر ملحق (19)، ص321.

القوات الصهيونية إلى خوض معركة جديدة مع العرب استمرت حتى منتصف الليل وانتهت بفوز المناضلين الفلسطينيين¹، واشتبك القسم الثاني المتجه إلى باب الواد مع المجاهدين في معركة عنيفة لمدة ساعتين ونصف، وتمكن الصهاينة من اقتحام ممر باب الواد ومهاجمة القرى العربية في تلك المنطقة، حتى وصلوا إلى مشارف قرية القسطل وهاجموها في منتصف الليل، فتصدى لهم أهالي القرية الذين لا يزيد عددهم عن خمسين مقاتلاً، ودافع المناضلون عن قريتهم ببسالة حتى نفذت ذخيرتهم، فتمكن اليهود من احتلالها، وسيطروا بذلك على طريق القدس - تل أبيب².

رأى مصطفى الدباغ أن قرية القسطل تعتبر موقعاً استراتيجياً مهماً، كونها تتحكم بطريق القدس - يافا، كما ارتبطت طريق القرية بطرق القرى الأخرى المجاورة لها مثل بيت نقوبا، وبيت سوريك، وعين كارم، وقالونيا، وسطاف، وخربة العمور، وصوبا، ويُرجع الدباغ تسميتها إلى كلمة "كاستل" الإفرنجية أي الحصن، لأن موقع القرية تميز بحصانته من الناحية الدفاعية³.

عدّ عارف العارف القسطل أول قرية احتلها اليهود عام 1948م، وقد سقطت بعدها قرى صيدون ودير محيسن وخذلة في قضاء الرملة وشردت سكانهم البالغ عددهم 2000 نسمة⁴، فهزت هذه الحادثة الشعب العربي، وأخذت قوات الجهاد المقدس تحشد قواتها من مختلف القطاعات في منطقة القدس، وتقدمت هذه القوات بقيادة كامل عريقات عبر بيت صافا إلى أن وصلت إلى عين كارم، فانضم شبابها إلى المناضلين بقيادة خليل منون، كما انضم إليهم عدد من شباب القرى المجاورة، وتابعوا المسير باتجاه القسطل، وشن اليهود الهجوم عليها في الرابع من نيسان 1948م، فشن العرب هجومهم، إلا أن القوات الصهيونية تمكنت من التصدي لهم، واضطر اليهود إلى إجلاء عدد من مراكزهم المحصنة أمام ضغط الهجمات العربية، مما مكن العرب من الإحاطة بالقسطل ومحاصرة اليهود، ومبادلة النيران بين بعضهم البعض⁵.

أشاد عارف العارف بقوة النضال الفلسطيني، فقد استمرت النجدة العربية بالوصول إلى جبهة القسطل طوال الخامس من نيسان، فوصل عبد الله العمري على رأس قوة من أبناء قرية بيت

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص156.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص156. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص121-123.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص124.

⁴ م، ن، ج4، ص575.

⁵ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص157.

صفافا والقرى المجاورة، ووصل الشيخ هارون بن جازي مع قوة عشيرة الحويطات، وتطوع عدد من الشباب الأردنيين، فاشتد ساعد المناضلين، وأجروا توزيعاتهم للمقاتلين على المواقع المختلفة، فاتجه الحاج محمود درويش وصبحي أبو جبارة الى الجهة الشمالية التي تعتبر مواقع اليهود الخلفية¹.

شن العرب هجومهم العام ودار قتال عنيف بين العرب واليهود، فتمكن المجاهدون العرب بعد مقاومة عنيفة من دفع اليهود إلى داخل القرية، بينما كان العرب على بعد 200م من وسطها، واستمر اليهود في إطلاق النيران، إلا أن المجاهدين رفضوا الهجوم عليهم توفيراً للذخيرة، وذكر عارف العارف أن القوات الصهيونية تمكنت في صباح 6 نيسان من إصابة القائد كامل عريقات، فاضطربت صفوف المجاهدين، في حين اشتدت غزارة نيران الأعداء، وأخذت ذخيرة المجاهدين في هذه الاثناء تقل شيئاً فشيئاً²، الأمر الذي دفع عبد القادر الحسيني إلى إرسال مذكرة إلى الجامعة العربية قال فيها "إني أحملكم المسؤولية بعد أن تركتم جنودي في أوج انتصاراتهم دون عون أو سلاح"³.*

أكد عارف العارف أن إبراهيم أبو دية تولى مهمة بث روح الحماس في صفوف المجاهدين وحثهم على متابعة القتال، وقادهم في هجوم جديد على القرية بمساعدة عبد الحليم الجيلاني، وفي هذه الاثناء وصلت نجدة أرسلها بهجت أبو غربية من القدس، فاشتد ساعد العرب، وثبتوا في مواقعهم المحيطة بالقرية (الشرقية، الشمالية، الجنوبية)⁴.

وفي المقابل أشار عارف العارف إلى وصول النجادات إلى اليهود الذين وسعوا نطاق عملياتهم لتشمل القرى المجاورة، لتمويه العرب وإشغالهم عن القسطل، إلا أن المجاهدين ثبتوا في مواقعهم، وتمكن إبراهيم أبو دية من اختراق إحدى مواقع العدو، ونسف بعض البيوت، وفي الطرف الآخر وصل عبد القادر الحسيني في صباح السابع من نيسان من دمشق إلى القسطل، فتولى أمور القتال فيها وأعاد تنظيم قوات المجاهدين المرابطة هناك، فوضع على الجهة الغربية

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص163.

² م، ن، ص165.

³ م، ن، ص160.

* للاطلاع على المذكرة، انظر ملحق (20)، ص322.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص163.

مجموعة من المقاتلين بقيادة حافظ بركات، وعلى الجهة الغربية وضع مقاتلي البدو بقيادة الشيخ هارون بن جازي، وعلى الجهة الجنوبية وضع فصيلتين بقيادة إبراهيم أبو دية، وأوكل مهمة القيادة الى عبد القادر الحسيني وعبد الله العمري وعلي الموسوس، وساندتهم مجموعة صغيرة من قوات الجهاد المقدس بقيادة صبحي أبو جبارة، ومجموعة أخرى من متطوعي القدس ورام الله بقيادة الشيخ المزرعاوي في قالونيا¹.

وحسب عارف العارف بدأ العرب هجومهم على القسطل في تمام الساعة الحادية عشرة من يوم 7 نيسان 1948م، وتمكنت القوات العربية المرابطة على الجهة الغربية والجهة الجنوبية من اكتساح مواقع العدو، وبدأ النصر يلوح لصالح العرب، إلا أن تقدم مرابطي الجهة الشرقية كان صعباً لنفاذ ذخيرة المناضلين، كما أصيب إبراهيم أبو دية و16 مجاهداً، فما كان من المجاهدين إلا أن تراجعوا أمام شدة نيران العدو².

اندفع عبد القادر الحسيني لإنقاذ الموقف مع عدد من رفاقه، ووثق عارف العارف قول الحسيني "إن احتلال اليهود للقسطل أكبر عار يلحق بنا، فعلينا أن نمحو هذا العار باستعادة القسطل مهما كلف الأمر، إنني ذاهب إلى القسطل لأموت هناك، قبل أن أرى ثمرة التقصير ونتائج التواطؤ، سنقاتل بدمائنا ولحومنا وسنسترجعها من اليهود مهما كلف الثمن"³.

وبالفعل تمكن عبد القادر من اقتحام القسطل تحت وابل من نيران العدو، واستمر الاشتباك بين الفريقين طوال الليل دون اتضاح الموقف، وأذاعت القيادة في 8 نيسان أن عبد القادر ورفاقه مطوقون في القرية، فأسرعت النجديات من القدس والقرى المجاورة باتجاه القسطل، وكان بينها فريق من حراس الحرم الشريف بقيادة عبد المجيد المدني، وفريق من شباب القدس بقيادة بهجت أبو غربية ومحمد عادل النجار، ومجموعة من جيش الإنقاذ بقيادة جمال رشيد العراقي، ومجموعة من الخليل بقيادة عبد الحميد الشلف، وفئة قليلة من رجال قرية الوادية بقيادة رشيد عريقات الذي تولى مهمة تنظيم صفوف المجاهدين، وطلب تركيز نيران الأسلحة المتبقية على

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص164-165.

² م، ن، ص165.

³ م، ن، ص164.

القرية لاحتلالها، ولم يكن مع المجاهدين في ذلك الوقت إلا مدفع هاون، وعدد من رشاشات برن ولويس¹.

وتابع عارف العارف سير المعركة ورأى أن المجاهدين تمكنوا من دخول القرية وتحريرها في الساعة الحادية عشرة صباح يوم 8 نيسان، وغادر اليهود قرية القسطل، وعثر على عبد القادر الحسيني شهيداً في أحد بيوت القسطل، فكان لذلك الخبر أثر سيء في نفوس العرب، فقد أخذت النجديات تغادر القسطل، ولم يبقَ بها سوى رشيد عريقات وعبد الحليم الجيلاني وقواتهم، فأخذوا يطلبون العون من القرى المجاورة، ولكن الاستجابة كانت محدودة، فغادر من بقي في القسطل مواقعهم، فعاد اليهود واحتلوا مرة ثانية في 9 نيسان 1948م وتمسكوا بها².

استغل اليهود حالة الخوف والهلع التي أصابت المناضلين الفلسطينيين بعد وفاة عبد القادر الحسيني، فشنوا هجومهم على القرى المجاورة، لاسيما الواقعة على طريق باب الواد - القدس، وخطط اليهود لاحتلال قرية دير ياسين غرب القدس³، وتبلغ مساحتها كما وصفها مصطفى الدباغ 12 دونماً، بينما تبلغ مساحة أراضيها 2857 دونماً، وتنتج أراضيها الزراعية الحبوب، والفواكه، والخضراوات، والزيتون، وتعتمد الزراعة على مياه الامطار التي تهطل بكميات كافية تبلغ في متوسطها 550 مم في السنة، وبلغ عدد سكانها نحو 254 نسمة عام 1922م، وارتفع عددهم إلى 439 نسمة عام 1931م، وإلى 708 نسمة عام 1948م، وكانوا يقيمون في 91 بيتاً⁴.

بدأ الهجوم في الساعة الرابعة من صباح يوم الجمعة 9 نيسان 1948م، وتحركت وحدات الارغون والهاغاناة والبالماخ بقيادة "يهوشاع غولد شنيد Yehoshua Gold Schneid"، و"ي. رعان Y. Ranan"⁵ لاكتساح دير ياسين من الشرق إلى الجنوب، ثم تبعهم جماعة شتيرن بسيارتين مصحفتين وضع عليهما مكبر الصوت يقول "أيها العرب أنكم مهاجمون بقوى أكبر منكم، إن المخرج الغربي لدير ياسين الذي يؤدي إلى عين كارم مفتوح أمامكم فاهربوا منه

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص163-164.

² م، ن، ص168.

³ دروزة، محمد، فلسطين، ص91. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص169. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص131. زعيتر، أكرم، القضية، ص214.

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص131.

⁵ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص169.

سريعاً وأنقذوا أرواحكم"¹، وصدق بعض العرب هذا النداء وعند خروجهم من بيوتهم تصيدهم رصاص الصهاينة، وأما الذين بقوا في بيوتهم ومعظمهم من النساء والأطفال والشيوخ تعرضوا لوحشية العصابات الصهيونية، فأخذوا يلقون المتفجرات (ت.ن.ت) على البيوت مما أدى إلى تدمير العديد من المنازل على من فيها وفقاً لما ذكره عارف العارف².

إلا أن لابيدوت Lapidot "قائد مجموعة الارغون" لاحظ بظاً التقدم الصهيوني، فأرسل إلى رعان يطلب منه شحنة كبيرة من المتفجرات، فتسلمها محاربو الأرغون وشتيرن وأخذوا يقتلون كل من يتحرك، وكل الموجودين داخل أي منزل، وتحديداً أي شخص بقي حياً في دير ياسين، واستمر إطلاق الرصاص حتى ظهر 10 نيسان 1948م وتم احتلال القرية بكاملها³.

جاءت وحدة من الهاغاناة بقيادة "ينشورين شيف Incheon Chef" وحفرت قبراً جماعياً دفنت فيه 250 جثة عربية، وذكر عارف العارف تعليق شيف Chef على الحادثة بقوله " كان ذلك النهار يوم ربيع جميل وكانت أشجار اللوز قد اكتمل تفتح أزهارها، ولكن كانت تأتي من كل ناحية من القرية رائحة الموت الكريهة ورائحة الدمار التي انتشرت في الشوارع ورائحة الجثث المتفسخة التي كنا ندفنها جماعياً في القبر"⁴.

انتشر خبر مذبحة دير ياسين في مختلف أنحاء العالم، مما دفع قادة الهاغاناة للتوصل من الجريمة وعلى رأسهم دافيد بن غوريون والوكالة اليهودية، إلا أن بيغن كان له رأي مخالف فقد اعتبرها فخراً للصهاينة فقال في كتابه الثورة "في 9-10 نيسان 1948م قام رجال شتيرن باحتلال دير ياسين، وأما تتصل الهاغاناة وقائدها من عملية دير ياسين فهو أمرٌ غير مقبول، وأما بخصوص اعتذار بن غوريون إلى الملك عبد الله فإنه كان من الأفضل لبن غوريون إلا يرتدي هذا الثوب من الرياء"⁵.

رأى عارف العارف أن مذبحة دير ياسين كان لها نتائج كبيرة غير متوقعة بالنسبة لليهود، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع شديد لا حدود له مما دفعهم إلى الفرار للنجاة

¹ دروزة، محمد، فلسطين، ص89. العارف، عارف، النكبة، ج1، ص171.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص171.

³ م، ن، ص172-173.

⁴ م، ن، ص172.

⁵ م، ن، ص176.

بأرواحهم، وسرعان ما تحول هذا الهرب الجماعي إلى اندفاع هائج لا يمكن كعبه أو السيطرة عليه، فمن أصل 800 ألف عربي كانوا يعيشون على أرض فلسطين لم يتبق منهم سوى 165 ألف فقط¹، كما ساعدت أسطورة دير ياسين على غزو طبريا وحيفا، فقد هاجر أهالي قرية الغبية فوقاً وقرية الغبية التحتا في قضاء حيفا²، كما شرد أهالي قرية عرب الفقراء في حيفا البالغ عددهم 360 نسمة، وهي قرية مبنية على تلة رملية من السهل الساحلي، وابتلعت مستوطنة الخضيرة أراضي القرية، كما شنت الهاغاناة هجوماً عنيفاً على قرية عرب النفيعات جنوبي غربي حيفا، وشردت أهلها وعددهم 951 نسمة، وصادرت أراضي القرية البالغة 1300 دونم، وأقامت عليها مستعمرتي "مخمورت" و"جفعات أولجا"³.

وأضاف مصطفى الدباغ ما حدث في 12 نيسان 1948م حيث احتلت الهاغاناة قرية أبو زريق (نسبة إلى طائر أبو زريق) الواقعة جنوب شرق حيفا، ويمر بشمالها الشرقي نهر المقطع، ويمر وادي القصي بجنوبها، وللقرية بناييع كثيرة مثل عين الجربة في حافة مرج بن عامر إلى الشمال من القرية، وعيون البراك في شمالها الشرقي، وعيون البقر وعين الجنب في شرقها، ويوجد فيها بئر أبو زريق للشرب، وبلغت مساحة أراضيها عام 1945م 6493 دونماً، واعتمد اقتصادها على الزراعة (الحبوب، الزيتون، البرتقال، الأشجار المثمرة)، وتربية المواشي، وبلغ عدد السكان 406 نسمة عام 1938م وارتفع عددهم إلى 550 نسمة عام 1945م⁴.

وتابع مصطفى الدباغ ما حدث في اليوم نفسه حيث هاجمت البالماخ قرية الكفارين في حيفا فوجدتها فارغة من سكانها البالغ عددهم 1067 نسمة، ونسفت ثلاثين بيتاً، وصادرت أراضيها البالغة 10,900 دونم⁵، وفي نفس اليوم شنت هجوماً على قرية المنسي جنوبي شرقي حيفا، وشردت أهلها البالغ عددهم 1392 نسمة، وصادرت أراضيها البالغة 12300 دونم⁶، وشردت أهالي قرية النغنية في حيفا البالغ عددهم 1311 نسمة، وصادرت أراضيها البالغة 11,607 دونماً⁷.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص176-177.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص677.

³ م، ن، ص673.

⁴ م، ن، ص584.

⁵ م، ن، ص650.

⁶ م، ن، ص588.

⁷ م، ن.

ورأى عارف العارف أن سقوط دير ياسين أدى إلى سقوط قرية قالونيا في الشمال الغربي من القدس، على الرغم من أن القرية استطاعت رد كل هجوم قامت به الهاغاناة في السابق¹، والقرية كما وصفها مصطفى الدباغ تقع على طريق القدس - يافا، وتصلها طريق ممهدة بقرى بيت إكسا وبيت سوريك وبدو ودير ياسين وعين كارم، ويجري وادي قالونيا في طرفها الشرقي متجهاً إلى الجنوب ويسمى وادي عين كارم، ومن ثم إلى غربي عين كارم ويسمى وادي الصرار، وامتدت القرية على مساحة 78 دونماً، وتبلغ مساحة أراضيها 4844 دونماً، وكانت تزرع بالحبوب والخضراوات والأشجار المثمرة (الزيتون، العنب)، معتمدة على مياه الأمطار والعيون المنتشرة في القرية، وبلغ عدد سكانها نحو 549 نسمة عام 1922م، وارتفع إلى 633 نسمة عام 1931م، وإلى 1056 نسمة عام 1948م، وتأسست في عامي 1930-1933م مستعمرتان على التوالي "موتسا"، و"موتسا عيليت"، وفي 12 نيسان 1948م دمرت العصابات الصهيونية القرية وبيوتها، وطردها سكانها منها، وأقاموا على أنقاضها مستعمرة "مفسرت بروشاليم"²، وأيضاً أخلت العرب قرية بيت إكسا، مما أدى إلى بقاء طريق القدس مفتوحاً، كونهما يطلان على الطريق الرئيسي للقدس³.

احتلت الهاغاناة في اليوم التالي (13 نيسان) قرية ناصر الدين، الواقعة جنوب غرب طبريا⁴، ويعود سبب تسميتها حسب مصطفى الدباغ إلى ولي له مقام شمالي القرية وهو من شهداء الحروب الصليبية، وتحتوي القرية على عدة بناييع منها عين التينة في شرقها، وعيون الديار، وعين الكلب في جنوبها، وكان في القرية 35 بيتاً عام 1931م وفي عام 1945م بلغت مساحة أراضيها نحو 6797 دونماً ملك اليهود منها 1410 دونماً، واعتمد اقتصادهم على الزراعة وتربية المواشي، وبلغ عدد السكان 109 نسمة عام 1922م، وارتفع إلى 179 نسمة عام 1931م ثم انخفض إلى 90 عام 1945م⁵، وعرض عارف العارف ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر شراسة منظمي ليحي وإتسل عندما أرسلتا قوة إلى قرية ناصر الدين يرتدي أفرادها الألبسة العربية، فاستقبلهم أهالي القرية بالترحاب لاعتقادهم بأنهم أفراد النجدة العربية المنتظرة القادمة

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص205.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص109.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص177. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص104.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص204. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص108. زعيتر، أكرم، القضية، ص214

⁵ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص406.

إلى طبريا، فتصاعدت نيران العصابات الصهيونية وارتكبوا مذبحه عرفت باسم "مذبحة قرية ناصر الدين" ولم ينجُ منها إلا أربعون عربياً تمكنوا من الفرار إلى القرى المجاورة، ودمر الصهاينة جميع مساكن القرية¹.

وأذاعت الهاغاناة أخبار المدن والقرى، فدب الرعب في سكان المناطق المجاورة، وهو ما حدث في قرية بيار عدس في يافا، حيث غادرها أهلها البالغ عددهم حسب إحصائيات مصطفى الدباغ 348 نسمة، وأقيمت مستعمرتان على أراضي القرية هما "عدنيم" و"إيليشماع"².

اشتعلت النيران في حي الشيخ جراح وهو على حد قول عارف العارف حي عربي من أحياء القدس ويتميز بموقعه الاستراتيجي الهام الذي يهيمن على كل التحركات من الساحل إلى الداخل، فقد كانت الحركة الصهيونية تعتمد على الطريق المار بالشيخ جراح لنقل الإمدادات ووسائل القتال إلى يهود القدس وإلى المستعمرات اليهودية الواقعة شمال القدس على طريق رام الله وهي عطاروت والنبي يعقوب، إضافة إلى أهمية الطريق للاتصال بمستشفى هداسا والجامعة العبرية، كذلك ليضمن اليهود سيطرتهم على طريق القدس - نابلس³.

أشار عارف العارف إلى أن القوات الصهيونية بدأت بتنظيم قيادتها، فتولى يعقوب دوري رئاسة أركان الهاغاناة، وتولى بيغال يادين (Pigalle Yadin) رئاسة العمليات، بينما تسلم يوسف تانبكين (Youssef Tanbkin) قيادة لواء هاريل (الذي كلف بعمليات القدس) وتألّف من ثلاث كتائب 1500 جندي، وقدمت السلطات البريطانية معونتها للإسراع في احتلال الحي، فأنشأت موقعاً يسيطر على الشيخ جراح لمساعدة القوافل اليهودية للمرور عبر الطريق دون أن يكون هناك من يعترضها⁴.

وفي يوم الثلاثاء 13 نيسان 1948م نشبت في الحي معركة كبيرة، حيث اخترقت قافلة صهيونية مؤلفة من تسع سيارات كبيرة منها اثنتان مصفحتان حي الشيخ جراح بحراسة قوات الهاغاناة للوصول إلى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا على جبل المكبر، إلا أن المجاهدين الفلسطينيين

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص204-205. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص407. زعيتير، أكرم، القضية، ص214.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص347.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص184.

⁴ م، ن، ص187.

تصدوا لها فدمروا سيارتين وقتلوا 38 من اليهود، وكالعادة هبت القوات البريطانية للوقوف إلى جانب اليهود، فوجهت نيرانها واسلحتها ضد المجاهدين الفلسطينيين من جميع الجهات، وعندما علم أهالي القدس هبوا جميعاً لمواجهة الخطر البريطاني الصهيوني، فاستسلم اليهود، إلا أن المعركة عادت وتجددت إثر قتل الصهاينة للمندوب العربي الذي كُف بإبلاغ اليهود بشروط التسليم، وبالتالي خسر اليهود حسب إحصاءات عارف العارف نحو 120 شخصاً، وخسر البريطانيون ستة جنود بين جريح وقتيل، في حين خسر العرب 12 مجاهداً¹.

وفي مساء 14 نيسان 1948م تسللت قوة من البالماخ إلى مدينة صفد من جبل كنعان، وتولت مهمة الاستيلاء على الحي اليهودي في المدينة²، ومن جهة أخرى حاولت فصيلة من لواء جولاني الاستيلاء على النبي يوشع، إلا أن القوات العربية حالت دون نجاحهم، وبعد عدة أيام جددت البالماخ هجومها على الموقع نفسه، وأحبط الهجوم بعد سقوط 28 صهيونياً³، إلا أنها استطاعت احتلال قرية نطاف بالقدس وشردت 46 من أهلها وفق إحصاءات عارف العارف ومصطفى الدباغ⁴.

ومدت الهاغاناة سيطرتها على خربة السركس الواقعة جنوب حيفا، ويُرجع مصطفى الدباغ تسميتها إلى الشركس الذين فرّوا من قيصر روسيا إلى ولايات الإمبراطورية العثمانية، وطردت أهلها البالغ عددهم 751 نسمة، وأُنشئت على أراضي القرية مستعمرتان هما "غان شموئيل" و"تلّمي اليعيزر"⁵، وشردت 290 شخصاً من أهالي خربة الكساير في حيفا، وأصبحت أراضيها جزءاً من مدينة شفا عمرو، وأعاد عارف العارف ومصطفى الدباغ أهمية الخربة كونها تقوم على إحدى التلال التي تفصل سهل حيفا عن مرج ابن عامر، كما تشرف على جبل الكرمل من الغرب، وكانت ترتبط بالطريق العام الذي يؤدي إلى حيفا من الجهة الشمالية الغربية عبر طريق فرعية⁶، وفي الطرف الشرقي من حيفا حصلت معركة دامية في قرية الهوشة انتهت بانسحاب

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص187.

² م، ن، ص300.

³ م، ن، ج5، ص1083.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج5، ص1084. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، ص109.

⁵ العارف، عارف، النكبة، ج7، ص668.

⁶ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص223. الدباغ، مصطفى، ج7، ص575.

الفلسطينيين وهروبهم من القرية وبلغ عددهم 464 نسمة، ودمرت معظم منازل القرية وبقي عشرون منزلاً فقط، وأقيمت على أراضيها مستعمرة "يوشا"¹.

في 15 نيسان 1948م عرض مصطفى الدباغ قرى طولكرم التي احتلتها الهاغاناة مثل غابة كفر صور وطردت أهلها البالغ عددهم 858 نسمة، وأقامت على مساحة القرية البالغة 19,666 كم² مستعمرتين هما "بيت يهوشع" و"تل يتسحاق"²، كما شردت أهالي خربة المنشية وعددهم 302 نسمة، وصادرت أراضيها البالغة 16770 دونماً، وأقامت عليها ثلاث مستعمرات وهي "أليخين" و "حيرف لينات" و"أحيطوف"³، وشنت الهاغاناة هجوماً عنيفاً على خربة زلفة نتج عنه رحيل 244 من سكانها⁴.

وفي 16 نيسان 1948م احتلت القوات الصهيونية قرية ساريس غربي القدس ويحيط بها عدد من الخرائب مثل خربة الزعتر وخربة زنقلة، وتحيط بها أحراج تزيد من جمالها وتمنحها هواءً نقياً، وكانوا يستخدمون الابار لجمع مياه الامطار للاستخدام البشري، وبلغت أراضي القرية 10699 دونماً، واشتهرت بجودة تربتها واعتدال مناخها مما ساهم في نشاط الزراعة فيها، واحتلت زراعة الزيتون مساحة 415 دونماً من المجل الكلي، فيما بلغ عدد سكانها 313 نسمة عام 1922م وارتفع إلى 470 نسمة عام 1931م وإلى 560 نسمة عام 1945م، ورأى مصطفى الدباغ أن الهاغاناة أجبرت أهالي القرية على الرحيل، وأقاموا في نفس العام مستعمرة "شوريش"⁵، وفي نفس الوقت كانت قرية وعرة السريس شرقي حيفا تشهد هجوماً عنيفاً عليها، مما اضطر سكانها إلى الفرار وبلغ عددهم 220 نسمة، ودمرت جميع منازلها، وأنشئت على أراضيها مستعمرة "كريات آتا"، ومدينة شفا عمرو⁶.

وفي مجرى هذه الأحداث رأى عارف العارف أن طبريا كانت تستعد عسكرياً للصراع العربي اليهودي، فأرسلت لهم اللجنة العسكرية 25 بندقية في مطلع كانون الأول 1947م ثم تبعها في الشهر نفسه 36 بندقية أخرى، فتشكل جيش بلغ عدده في الأول من نيسان 1948م حوالي 50

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص223. الدباغ، مصطفى، ج7، ص574.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، ص373.

³ م، ن، ص327.

⁴ م، ن، ص186.

⁵ م، ن، ج8، ص123.

⁶ م، ن، ج7، ص575.

مسلحاً، وأخذ عددهم بالتزايد حتى بلغوا مئة مقاتل، وفي 10 نيسان 1948م تألّفت لجنة قومية وعينت كامل الطبري قائداً للمناضلين¹.

ونشب القتال بين العرب والصهاينة في منتصف آذار لمدة ثلاثة أيام، ثم تهادن الطرفان شهراً، واستغل الصهاينة هذه الفترة للاستعداد العسكري، فتكون لديهم ألف مقاتل مسلحين بالأسلحة الحديثة، مما دفع حامية طبريا إلى الاستنجاد بمناضلي الناصرة، فأرسلت لهم مجموعة يقودها محمد العورتاني "ضابط الجيش الأردني"، ومجموعة أخرى بقيادة نيب الفاهوم، وتبعتهما قوة ثالثة بقيادة المناضل أبو الرب بجيش قوامه 45 مناضلاً، وهوما وثقه عارف العارف².

وتابع عارف العارف أحداث المعركة حيث بدأ الصهاينة بشن هجمات خفيفة على المناضلين في 15 نيسان 1948م، وتمكن المناضلون من صدها ببسالة، وردوهم على أعقابهم، وفي الليل قام اليهود بشن هجوم بجيش قوامه 400 مقاتل يقابلهم 200 عربي، واستمر القتال إلى اليوم التالي، وتدخلت السلطات البريطانية ومنعوا التجول في طبريا، وفرضوا هدنة لمدة ثلاثة أيام، وأمروا رجال الهاغاناة بمغادرة مراكزهم القريبة من المواقع العربية، إلا أن حاكم المنطقة البريطاني "إيفانس Evans" ألغى الأمر³.

وذكر عارف العارف ما حدث في اليوم الثالث للهدنة حيث شنت الهاغاناة هجوماً على الأحياء العربية، واشتد القتال بين الطرفين، وانتهى النصر لصالح اليهود واحتلوا فندق كروسمان الكبير، وسيطروا على جزء كبير من الأحياء العربية، وقتلوا عدداً من العرب، إلا أن مقاومة المناضلين العرب لم تتوقف، فأستؤنف القتال صباح 19 نيسان، ولكن لم يدم الصراع طويلاً فقد تمكن الصهاينة من دخول طبريا والاستيلاء عليها، فبدأ سكان المدينة بالرحيل، وأما من تبقى من المناضلين فقد انسحبوا إلى قضاء طبريا مثل قرى لوبية وحطين والمغار⁴.

ورأى مصطفى الدباغ أن العصابات الصهيونية شرعت فوراً إلى احتلال قرى طبريا لتطهيرها بالكامل، فأخلت بشكل جزئي قرية السمرا، فهاجر نحو 336 نسمة، واستولت على أراضيها

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص202.

² م، ن، ص203.

³ م، ن.

⁴ م، ن، ص205.

البالغة 12,563 دونم¹، بينما أُخليت قرية الوعرة السوداء بالكامل وكان عددهم 2169 نسمة، وأقيمت على أراضيها البالغة 7036 دونماً مستوطنة "أربيل"²، وهو ما حدث في قرية وادي الحمام حيث استولت على أراضيها البالغة 18,611 دونماً، ونزح نحو 1483 نسمة من أهالي قرية غوير أبو شوشة، وصادرت أراضيها البالغة 12,098 دونماً، وهاجر من قرية المجدل ما يقرب 418 نسمة³، ومن قرية كفر سبت هاجر 557 نسمة، وأقامت على مساحتها البالغة 9,850 دونم مستعمرتان هما "إيلانيا" و "شارونا"⁴، إلا أن مصطفى الدباغ أشار إلى أن أكبر نسبة من المهاجرين في طبريا كانت من قرية سمخ و عددهم 4014 نسمة، وأقيمت على أراضيها البالغة 18,611 دونماً عدة مستوطنات وهي "معغان" و "تل كتسير" و "مسادا" و "شاعار هغولان"⁵.

عدّ مصطفى الدباغ يوم 20 نيسان 1948م من أكثر الأيام الذي حصل فيه اعتداءات على القرى الفلسطينية، فقد شنت العصابات الصهيونية العديد من الهجمات على قرى قضاء الرملة، فهجرت أهالي قرية وادي حنين البالغ عددهم 1879 نسمة⁶، وفر سكان أهالي قرية صرفند الخراب خوفاً من هجوم صهيوني عليها وبلغ عددهم 1206 نسمة، وبنى اليهود على أراضي القرية مستعمرتان هما "نيس تسيونا" و"ياد اليعيزر"⁷، وشردت أهالي قرية المخيزن و عددهم 232 نسمة، وأنشئت على أراضيها أربع مستوطنات "حفيتس حبيم" و"رفاديم" و"ياد بنيامين" و"بيت حلكيا"⁸، كما هاجر أهالي قرية المنصورة و عددهم 104 نسمة⁹.

وعرض مصطفى الدباغ ما حدث في اليوم نفسه من اعتداءات على قريتين في طولكرم، فقد احتلت الهاغاناة قرية مسكة، ودمرتها بشكل كامل، إضافة إلى تهجير سكانها البالغ عددهم

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص379.

² م، ن، ص372.

³ م، ن، ص369-370.

⁴ م، ن، ص407.

⁵ م، ن، ص374.

⁶ م، ن، ج4، ص499.

⁷ م، ن، ص498.

⁸ م، ن، ص582.

⁹ م، ن، ص581.

1021 نسمة، كما أقامت على أراضيها البالغة 8076 دونماً مستعمرتين هما "سدي فاربورغ" و"مشميرت"¹، وسيطرت على قرية بركة رمضان (بصة الفالق) البالغ مساحتها 5554 دونم².

وأشار مصطفى الدباغ إلى التطهير العرقي الذي شهدته قرى صفد، حيث احتلت الهاغاناة قرية العلمانية البالغة مساحتها 1,169 دونماً، وشردت أهلها البالغ عددهم 302 نسمة³، واستولت على قرية عرب الزبيد البالغة 951 دونم⁴، وفي 22 نيسان احتلت القوات الصهيونية قريتي كراد الغمامة وكراد البقارة، ويُرجع مصطفى الدباغ تسميتهما إلى وقوعهما على البقعة التي كانت مسرحاً لرعاة الأغنام والأبقار من الأكراد والبدو في العصور الوسطى، وهجرت سكانهم البالغ عددهم 824 نسمة، وصادرت أراضيها البالغة 6,237 دونماً⁵.

بدأت القوات الصهيونية تستعد لتطبيق خطة ميسبارايم (المقص) في 22 نيسان 1948م للاستيلاء على حيفا بأكملها، ولخص عارف العارف فكرتها القائمة على تمزيق الحي العربي إلى ثلاثة أقسام كمقدمة لاحتلاله، أولاً تقوم سرية من اللواء كارميلي (الهاغاناة) باقتحام وادي رشمية الواقع شمالي شرق المدينة، وإقامة رأس جسر على جانبه الآخر، وثانياً تهبط قوة كبيرة من هدار هاكرمل تتجه مباشرة نحو الحي العربي القريب من الميناء، وثالثاً تنطلق قوة ثالثة من الحي التجاري الملاصق للميناء فتلتقي مع القوة الثانية السابق ذكرها لتضغطا معاً على الحي العربي من الطرفين، وقيل أن هذه القوة تواجدت سابقاً في المدينة على أساس أنهم عمال زراعيون وأخفوا أسلحتهم لاستخدامها عند تنفيذ الخطة⁶.

وفي 22 نيسان 1948م اندفعت سرية من اللواء كارميلي بشكل مفاجئ، وعبرت جسر وادي رشمية، وتمكنت من الوصول إلى بيت النجادة بعد معركة شديدة، وأخذت تطلق النار على المناضلين العرب الذين هاجموهم بالنيران الحامية أدت إلى مقتل أعداد كبيرة من الصهاينة، وفي صباح اليوم التالي التقت السرية بالقوة الثالثة، مما أدى إلى تقسيم الحي العربي إلى ثلاثة

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، 385.

² م، ن، ج1، ص35.

³ م، ن، ج6، ص166.

⁴ م، ن، ص164.

⁵ م، ن، ص168.

⁶ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص216-220.

اقسام، ونسفت قوة كارميلي كل منزل يوجد به مقاومة عربية، ومنعت وصول النجيدات العربية¹.

واقترح الحاكم العسكري البريطاني "ستوكويل Stockwell" وضع هدنة بين الطرفين، ولخص عارف العارف شروط اليهود التي تحتوي على عشرة بنود وتتلخص بتسليم العرب كامل أسلحتهم وعتادهم لليهود خلال ثلاث ساعات، وإزالة جميع الحواجز بين الطرق، وتسليم إدارة المدينة للقوات الصهيونية، وفرض منع التجول، وتفتيش المنازل للبحث عن السلاح غير المسلم، ولكن العرب رفضوا هذه الشروط، فما كان من قوات الهاغاناة إلا أن اذاعت صافرات الإنذار تخللها صوت عربي يقول "أنقذوا أرواحكم أيها المؤمنون، فاليهود يستخدمون الغازات السامة والأسلحة الذرية، أستحلفكم بالله أن تتجوا بأرواحكم"، وفي أثناء الهجوم اخذت المصفحات الصهيونية تجوب الشوارع قائلة "إن ميناء حيفا سيبقى مفتوحاً للعرب لمدة محددة، وعليكم مغادرة المدينة بحراً للنجاة بأرواحكم، اذهبوا سالمين إلى مصر ولبنان، وإلا ستقتلون"، فقرر أهالي المدينة إخلاءها، وغادر منها سبعون ألفاً إلى البلدان المجاورة².

وثق عارف العارف ما حدث فور سيطرة الصهاينة على حيفا حيث حولوا مساجدها إلى اسطبلات، ونزعوا شواهد القبور الرخامية لاستخدامها في عمليات البناء، وألقوا بجثث الشهداء العرب على الأرصفة؛ لدب الرعب في نفوس العرب الباقين في حيفا والمدن العربية الأخرى³.

على إثر سقوط حيفا، أمرت الهاغاناة بضرب القرى المجاورة للمدينة؛ بهدف تطهير المدينة تطهيراً عرقياً كاملاً، وتوالت الهجمات على القرى المجاورة لحيفا وفقاً لما ذكره مصطفى الدباغ، فكانت خربة الدامون أولى القرى المحتلة بعد سقوط حيفا، فتم إجلاء جميع أهالي القرية البالغ عددهم 394 نسمة، واستولت على أراضيها البالغة 4500 دونماً⁴، وشهدت قرية أم الزينات هجوماً قاسياً أعقبه تشريد نحو 1705 من سكانها، وأقام الصهاينة على أنقاض القرية مستعمرة "ألياكيم" أو "موشاف الياكيم"⁵، بينما لم تشهد قرية أم الشوف صراعاً، فقد غادرها

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص219.

² م، ن، ص220.

³ م، ن، ص222.

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص663.

⁵ م، ن، ص659.

سكانها (557 نسمة) قبل مجيء قوات إيتسل¹، وهجرت الهاغاناة معظم سكان قرية بريكة (336 نسمة)، وبقي فيها مئة شخص بين كبار السن ونساء وأطفال²، وهدمت القوات الصهيونية قرية برة قيسارية وطهرتها تطهيراً عرقياً كاملاً، وأقامت على أراضيها مستعمرة أور عكيفا³.

أشار مصطفى الدباغ إلى أن منظمة إيتسل استمرت في تنفيذ جرائمها في قرى حيفا، فاحتلت قرية خبيزة وأجلت أهلها البالغ عددهم 336 نسمة، على الرغم من الوعود التي قطعها سكان مستوطنة "جلعاد" المجاورة للقرية بحمايتهم وإبقائهم في بيوتهم إلا أنهم لم يتدخلوا في معركة تهجير القرية، واستولت على أراضيها البالغة 2400 دونم⁴، واحتلت الهاغاناة خربة قمبازة، وشردت أهالي قرية السنديانة البالغ عددهم 1450 نسمة، وأنشئت مستعمرة "أفيئيل" على أراضي القرية⁵.

واعتبر مصطفى الدباغ احتلال قرية صبارين في حيفا أبرز مظهر على شراسة العصابات الصهيونية، حيث دخلت الهاغاناة القرية من الجهة الجنوبية، فهرب أهالي القرية وكان عددهم 1972 نسمة، بينما لم يتمكن كبار السن والمرضى من الهرب، فقام اليهود بجمعهم في مكان يوضع به الشعير وأحرقوه، كما أقاموا سجنًا وسجنوا به مئة شخص من النساء والأطفال لعدة أيام، ثم هجروهم لقرية أم الشوف ومن أم الشوف إلى أم الفحم لضمان عدم عودتهم للقرية، ووقع في القرية ثمانون شهيدًا، وسلبت أراضيها البالغة 21500 دونم، وأقامت على أراضيها مستعمرة "إميقام"⁶، واحتلت الهاغاناة قرية عرب ظهرة الضميري في حيفا، وشردت أهلها البالغ عددهم 719 نسمة⁷.

وثق عارف العارف ما جرى في 24 نيسان 1948م حيث غادر الجيش البريطاني معسكر تل لتفنسكي القائم على تل استراتيجي والمسيطر على رامات، وبني براق، وملبس، وتل أبيب، وأرادت تسليمه للعرب قبل أن يحتله اليهود، وما كاد البريطانيون يغادرونه حتى دخله

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص648.

² م، ن، ص612.

³ م، ن، ص617.

⁴ م، ن، ص649.

⁵ م، ن، ص645.

⁶ م، ن، ص651.

⁷ م، ن، ص644.

المناضلون من أبناء قرية سلمة والقرى المجاورة لها، ورفعوا العلم العربي على برجها، وفي صباح 25 نيسان أنهال اليهود عليهم بالرشاشات والمدافع من جميع النواحي، فاستولى اليهود على المعسكر، وقتل من العرب خمسون شخصاً، والكثير من الجرحى، وبالتالي سيطر اليهود على الطرق المؤدية إلى سلمة وساكية والخيرية والعباسية وبيت دجن¹، وفي مساء اليوم نفسه حاصرت الهاغاناة قرية بلد الشيخ مرة أخرى، وهددت سكان القرية بتسليم أسلحتهم، فسلم السكان 22 بندقية، وطلبوا عقد هدنة، فوافقت الهاغاناة بشرط تسليم باقي الأسلحة، وعند الساعة الخامسة صباحاً من اليوم التالي فتحت النيران ومدافع الهاون على القرية، وأخلت القوات البريطانية القرية، ووضعت يدها على أراضيها البالغة 9849 دونماً، وفرّ قسم من السكان المذعورين لمدينة عكا البالغ عددهم 4779 نسمة².

وفي 24 نيسان 1948م هاجموا حي المنشية واحتلوا محطة السكة الحديدية ومركز الشرطة، وفي 25-27 نيسان جدد الصهاينة هجماتهم، إلا أن المناضلين ردوها على أعقابها، فعادت العصابات الصهيونية هجومها على تل الريش في 28 نيسان، وهجوماً آخراً على المنشية، ودارت معركة طاحنة في تل الريش، تمكن المناضلون من صد هجومهم، فارتدوا تاركين وراءهم 25 قتيلاً وبعض العربات³، وأما في المنشية فقد ذكر مصطفى الدباغ أن الصهاينة تمكنوا من احتلال الحي مما دفع السكان إلى مغادرته⁴.

علم سكان قرية بيت دجن بسقوط حي المنشية على حد قول مصطفى الدباغ، فأخلوا قريتهم قبل دخول الارغون، وبلغ عددهم 4454 نسمة يقطنون في 992 منزلاً، وأقاموا على أنقاضها عدة مستوطنات وهي "بيت داجون"، و"مشار هشفعا"، و"حيميد"، و"غزون"⁵.

ذكر مصطفى الدباغ أن الهاغاناة هاجمت قرية قنير في 25 نيسان 1948م الواقعة جنوبي حيفا، فهدمت القرية وشردت أهلها البالغ عددهم 870 نسمة، وابتلعت أراضيها البالغة 11331 دونماً معظمها مزروعة بالزيتون، وأنشئت مستعمرة رغافيم على أراضي القرية⁶، كما شنت هجوماً

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص193-194.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص580-581.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص226.

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص281.

⁵ م، ن، ج4، ص315.

⁶ م، ن، ج7، ص644.

آخر في نفس الوقت على قرية **ياجور** شرقي حيفا، وشردت أهلها البالغ عددهم 708 نسمة، ودمرت جميع منازلها، وصادرت أراضيها البالغة 2720 دونماً، وأقامت مستعمرتي "ياغور" و"نيشر"¹.

أعرب عارف العارف ومصطفى الدباغ عن نية العصابات الصهيونية عزل مدينة يافا عن القرى المجاورة بهدف الاستيلاء عليها، وفي هذا السياق نفذت الهاغاناة عملية **حميتس** واحتلت العديد من قرى شرقي يافا في 25 نيسان 1948م²، فسقطت قرية **الخيرية** في قبضة لواء الكسندروني "كتيبة السبت" بزعامه شومترز، وهُجر سكانها البالغ عددهم 1647 نسمة إلى مخيمات الضفة الغربية والأردن والشتات، وبقي في القرية بضعة بيوت ومدرسة والقليل من المنازل المحاطة بنباتات برية وشجيرات، وانشئت على أنقاضها عدة مستعمرات مثل مستعمرة "كفار أزار"، و"رمات بنكاس"، و"رمات إفعال"، و"رمات غان"، وجامعة بار ايلان³، ثم شردت الهاغاناة أهالي قرية **ساقية** البالغ عددهم 1276 نسمة، وصادرت أراضيها البالغ عددها 5850 دونم⁴، وسقطت قرية **عانة** بيد الهاغاناة والارغون، وهجرت سكانها وعددهم 3248 نسمة، واستولت على أراضيها البالغة 17,553 دونم، وهدمت المدرستان الموجودتان في القرية⁵، كما شردت أهالي قرية سلمة البالغ عددهم 7807 نسمة، وابتعلت أراضيها البالغة 6782 دونم، وظلت في القرية عدة منازل ومدرستان وأربعة مقامات ومقبرة، وامتدت قرية تل أبيب على أراضيها⁶.

آمنت القيادة الصهيونية بوجوب وضع خطة كاملة محضرة جيداً للاستيلاء على القدس، كونها على حد قول عارف العارف تحتوي على أكبر حامية عسكرية، فوضعت **خطة يبوسي** (نسبة إلى اسم القدس قديماً بالكنعانية)، وهدفت الخطة إلى فك الحصار المفروض على القدس الجديدة والحي اليهودي في القدس القديمة، والإستيلاء على المناطق الأربع المسيطرة على المدينة

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص582.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص226.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص325.

⁴ م، ن، ص327.

⁵ م، ن، ص328.

⁶ م، ن، ص323.

وجوارها وهي النبي صموئيل، والشيخ جراح، وحي القطمون، ومستشفى أوغستا فيكتوريا على جبل المكبر¹.

أورد عارف العارف خطة الهجوم التي نصت على التحرك على ثلاثة محاور الأولى باتجاه النبي صموئيل لفتح الطريق إلى النبي يعقوب، والثاني باتجاه حي الشيخ جراح للوصول إلى جبل المكبر، والثالث باتجاه حي القطمون لتأمين الاتصال بميكور حاييم والمستعمرات الصهيونية حول القدس².

بدأ تنفيذ الهجوم في 27 نيسان 1948م على بيت إكسا وشعفاط تمهيداً لاحتلال النبي صموئيل، وفي اليوم التالي هاجموا حي الشيخ جراح، بينما كانت القوة المخصصة لاحتلال القطمون تستعد لتنفيذ مهمتها، وتمكنت القوات الصهيونية من احتلاله بعد قتال دام ثلاثة أيام، وقُتل حسب إحصاءات عارف العارف 150 شخصاً من رجال المقاومة، وطرد سكان الحي³.

وفي 29 نيسان شنت البالماخ هجوماً على حي القطمون غرب القدس، وأعاد عارف العارف أهمية الحي كونه مرتفعاً ومسيطرًا على أحياء القدس العربية واليهودية وهي البقعا التحتا، والبقعا الفوقا، ورحافيا، وميكور حاييم، وتل بيوت، مما اكسب الحي قيمة عسكرية عرفها الصهاينة فسعوا إلى احتلاله، في حين أهمل سكان الحي تحصينه وكان المجاهدون قلّة غير مزودين بالأسلحة لوضع السلطات البريطانية رقابة على إدخال السلاح للفلسطينيين، وفي المقابل تغاضوا عن تسليح اليهود⁴.

ولاحظ عارف العارف أن العصابات الصهيونية مهدت إلى احتلال الحي بالاستيلاء على معظم المباني والمرتفعات المشرفة على الحي، وخصوصاً مبنى "زلبرشتاين" المؤلف من أربعة طوابق، وايضاً سيطروا على جميع وسائل النقل، فأصبح الوصول يقتصر فقط على حي الثوري، ومنه إلى باب الخليل، فكان اليهود يطلقون النار على كل سيارة من حي منتقوري ويقابلهم العرب بالمثل من جبل صهيون⁵.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص145.

² م، ن، ص281.

³ م، ن.

⁴ م، ن، ص290.

⁵ م، ن، ص290-291.

إزاء ذلك رأى عارف العارف أن سكان الحي بدأوا يشعرون بالقلق على مصير حياتهم مما دفع معظمهم إلى الهجرة، واستغل اليهود الوضع وهاجموا الحي بشراسة بعد أن قطعوا الكهرباء والهاتف عنه، ونسفوا ثلاثة منازل عربية، ولكن المجاهدين استبسلوا في الدفاع عنه، وأجبروا المعتدين على الارتداد¹.

فشلت المحاولات الصهيونية كافة لاحتلال الحي وبذلك تم فك الحصار عن الأحياء اليهودية لاسيما حي ميكور حاييم، ومع اقتراب موعد جلاء القوات البريطانية عن فلسطين، أولت الحركة الصهيونية منطقة القدس كل اهتمامها، فبدأت بتعزيز قواتها منها اللواء هارئيل الذي تحرك باتجاه القدس في أواخر نيسان 1948م في قافلة قوامها 350 عربية على رأسها دافيد بن غوريون، إلا أن القافلة وقعت في كمين أعده المجاهدون العرب وتكبدت خسائر فادحة وهو ما ذكره عارف العارف².

واصلت قوات البالماخ تقدمها مستعينة بسبع مصفحات حتى وصلت إلى مركز قيادة الحي العربية عند فندق جدع واتصلت بمستعمرة ميكور حاييم، وبذلك سيطرت على حي القطمون بأكمله، ولم يبق في الحي سوى بعض عائلات فقيرة، وحاول إبراهيم أبو دية شن هجوم معاكس على القطمون واسترداده بمساندة 300 مجاهد، ولكن القوات البريطانية حالت دون وصوله³.

وبعد أن احتل اليهود حي القطمون فرض الإنجليز على الطرفين هدنة محلية استغلها اليهود متحصنين في المواقع التي احتلوها، وقبيل إنهاء الانتداب انطلقوا من هذه المواقع واحتلوا أحياء البقعا فوقا والبقعا تحتا وأجزاء من حي الثوري، إضافة إلى أعمال النهب والسلب، وعزل القدس عن بيت لحم والخليل جنوباً، واتصلت المستعمرات اليهودية جنوبي القدس بتجمع اليهود الرئيس غربي القدس⁴.

وأشاد بهجت أبو غربية في مذكراته بما قدمه أهالي حي القطمون فقال "لقد كانت خسارتنا بسقوط القطمون وبقية أحياء القدس الجنوبية كبيرة جداً، كما أن خسارتنا في الأرواح من رجال سرية الأبطال، سرية إبراهيم أبو دية كانت كبيرة جداً، فقد استشهد معظم رجال هذه السرية، ولم

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص294.

² م، ن، ص290.

³ م، ن، ص292.

⁴ م، ن.

يبقى على قيد الحياة سوى 15 رجلاً من أصل 130 رجلاً، لقد دافعوا عن أرضهم دفاع الأبطال، ولم يسمحوا للعدو أن يمر إلا على جثثهم، أما العدو فقد كانت خسائره أكبر فُدرت بالمئات، وقُدّر عدد المهاجمين بثلاثة آلاف¹.

بدأ الصهاينة يضعون خططهم لاحتلال جبل الرادار الواقع على طريق القدس - تل أبيب، بجوار مستوطنة "معاليه ميشاه"، وفي 29 نيسان 1948م شن الصهاينة هجوماً واسعاً على الجبل، وتمكنت من احتلاله، إضافة إلى احتلال قريتي بيت أكسا وبيت سوريك، إلى مشارف قرية بدو وكادت تسيطر على مقام النبي صمويل على حد تعبير عارف العارف، وهنا هب المناضلون من بدو القرى المجاورة للتصدي بعنف للقوة المهاجمة، واستمرت المعركة طوال الليل، واشترك في المعركة فوج اليرموك الثالث التابع لجيش الإنقاذ بقيادة عبد الحميد الراوي، وشن الراوي هجوماً معاكساً على المواقع التي احتلها الصهاينة فأجبرهم على التراجع بعد أن تكبدوا 185 قتيلاً، واستولى فوج اليرموك على كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر، واسترد العرب سيطرتهم على الطريق الرئيس ومنعوا التحركات الصهيونية عليها، وفي الأول من أيار 1948م عاود الصهاينة الكرة بمرافقة الطيران لكن الهجوم أخفق مجدداً².

وتابع عارف العارف الحديث عن ما جرى في ليلة 29 نيسان، حيث تحركت قوة كبيرة من البالماخ باتجاه دير سمعان الذي يقوم على مرتفع استراتيجي، وكان المناضلون الفلسطينيون مرابطين فيه، إلا أن القوات اليهودية تمكنت من دخول بناية الدير وتحصنوا فيها، فما كان من المناضلين إلا أن حاصروهم، وسقط من اليهود عدد كبير من القتلى والجرحى، فقرر قائدهم الانسحاب من الدير³.

وفي تلك الأثناء وردت أنباء من حي ميكور حايم المحاصر بأن أعداداً كبيرة من الأهالي العرب بدأت تغادر الحي عن طريق السفوح الأخرى، الأمر الذي أدى إلى رفع معنويات القوات الصهيونية، وفي ظهر 30 نيسان عدل اليهود عن قرارهم بالانسحاب من دير سمعان، وبدأت

¹ أبو غربية، بهجت، مذكرات، ص 60.

² العارف، عارف، نكبة، ج 1، ص 281.

³ م، ن، ص 293-294..

تصل إلى المنطقة قوات اللواء هارئيل، وتابع المناضلون هجماتهم على الدير، وزاد ضغطهم على اليهود¹.

ذكر مصطفى الدباغ القرى التي احتلتها العصابات الصهيونية في 30 نيسان 1948م مثل قرية كبارة جنوبي حيفا، وشردت أهلها البالغ عددهم 139 نسمة، ودمرت جميع منازل القرية (117 بيتاً)، واستولت على 3,487 دونماً من أراضي القرية البالغة 9,831 دونم، وأقيمت على أراضيها ثلاث مستعمرات "معين تسفي" و"معان ميخائيل" و"بيت حنانيا"²، كما احتلت الهاغاناة خربة سعسع في حيفا، وشردت أهلها البالغ عددهم 151 نسمة، ومحت جميع أثارها، ودُمجت ضمن أراضي شفا عمرو المجاورة لها³.

وعرض مصطفى الدباغ مجرى الأحداث التي حصلت في قضاء صفد في نهاية نيسان وحتى بداية شهر أيار، حيث احتلت القوات الصهيونية قرية طليل (تليل) وشردت أهلها البالغ عددهم 394 نسمة، وبلغت مساحتها 5,324 دونم⁴، وطردت أهالي قرية الدردارة وعددهم 116 نسمة، واستولت على أراضيها البالغة 4,532 دونم، وأقامت عليها مستعمرة "هغوفريم"⁵، وطهروا قرية الشونة من سكانها وعددهم 197 نسمة، وبلغت مساحتها 3,660 دونماً⁶، وهاجر أهالي قرية جاحولا وعددهم 487 نسمة، وبلغت رقعتها 3,869 دونم⁷، ودمرت الهاغاناة قرية الويزية بالكامل البالغة مساحتها 3,826 دونم فهاجر 116 من سكانها⁸، وطهرت قرية طيطبا من سكانها وعددهم 615 نسمة، وكانت مساحتها نحو 8,453 دونم⁹، وأقامت على أنقاض قرية السنبرية عدة مستوطنات منها "معين باروخ"، و"دفنة"، و"يوفال"، وهجرت سكانها البالغ عددهم 151 نسمة¹⁰، وطردت سكان قرية الدرباشية وعددهم 360 نسمة، وصادرت مساحتها البالغة

¹ العارف، عارف، النكية، ج1، ص294.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص613.

³ م، ن، ص575.

⁴ م، ن، ج6، ص167.

⁵ م، ن، ص171.

⁶ م، ن، ص180.

⁷ م، ن، ص162.

⁸ م، ن، ص159.

⁹ م، ن، ص207.

¹⁰ م، ن، ص144.

12,487 دونم¹، بينما نزح سكان قرية **خيّام الوليد** خوفاً من عدوان صهيوني عليها وعددهم 325 نسمة²، وهو ما حدث في قرية مغر الخيط وعددهم 658 نسمة³، كذلك فر أهالي قريتي المداحل، والحمراء، ولم يورد مصطفى الدباغ تفاصيل عن السكان المطرودين منهما⁴.

وفي الأول من أيار 1948م أورد مصطفى الدباغ الهجمات التي شنتها الهاغاناة على العديد من القرى الفلسطينية، فاحتلت قرية **الغابسية** في الشمال الشرقي من عكا، وأخلت سكانها البالغ عددهم 1438 نسمة⁵، وقامت المنظمات الصهيونية بهدم قرية **البطيّيات** (نسبة إلى شجر البطم) الواقعة في الجنوب الشرقي من حيفا، وشردت أهلها البالغ عددهم 128 نسمة، واستولت على أراضيها البالغة 113 دونماً المزروعة بالزيتون، وأقامت على أراضي القرية مستعمرة "إيفن يتسحاق"⁶، وسقطت **خرية المنصورة** في حيفا بيد وحدات الهاغاناة وهي تقع على قمة تل مستدير إلى الشمال من جبل المكبر، وتشرف على مرج بن عامر من الجهتين الشمالية والشرقية، وشردت أهلها 223 نسمة، ودُمرت جميع منازلها، ولم يبق لها أي أثر، وأدمجت أراضي القرية مع أراضي قرية دالية الكرمل⁷.

تنفيذاً لخطة دالت شنت قوات الهاغاناة هجوماً قوياً على **بيسان** صباح الأول من أيار 1948م، وكانت حامية الدفاع عن بيسان حسب قول عارف العارف تتألف من 75 أردنياً وحوالي مئة فلسطيني بقيادة توفيق التهموني، ولم يكن بين أيديهم من السلاح سوى البنادق العادية وقلة من الذخيرة، وعندما بدأت القوة اليهودية تقصف المدينة تصدى لها المناضلون بنجاح، فكررت العصابات الصهيونية هجومها مرة أخرى وبكثافة أكثر، واستمرت المعركة لمدة ثلاث ساعات متواصلة، فنفذت ذخيرة المجاهدين، مما مكن الصهاينة من دخول المدينة، وسقطت بيسان بأيديهم، وأحكموا سيطرتهم عليها، وأبلغ قائد الهجوم سكان المدينة أن بإمكانهم البقاء في منازلهم شريطة عدم إبداء أي من أنواع المقاومة، فتمسك السكان بأراضيهم ولم يغادروها إلا بعد شهر

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص166.

² م، ن، ص161.

³ م، ن، ص193.

⁴ م، ن، ص236.

⁵ م، ن، ص353.

⁶ م، ن، ص648.

⁷ م، ن، ص660.

واحد بناءً على طلب الحركة الصهيونية للسكان بالمغادرة خلال فترة قصيرة، وحينما أصر السكان على البقاء نقلتهم السلطات الصهيونية بالقوة في عربات إلى الحدود السورية¹.

نظمت قوات الهاغاناه والأرغون سلسلة من الغارات في بداية أيار التي هدفت إلى طرد جميع السكان الفلسطينيين من المنطقة الساحلية الممتدة بين تل أبيب ومستعمرة زخرون يعقوب جنوبي حيفا، واتبعت أسلوب شن حرب على قرية أو قرينتين الأمر الذي يتسبب في ذعر وخوف القرى المجاورة ما يضطرهم إلى الفرار، فنجحت في احتلال قرية العباسية قضاء يافا، وشردت أهلها البالغ عددهم 6554 نسمة²، مما دفع سكان خربة الشونة في حيفا إلى مغادرة القرية بأنفسهم، وبلغ عددهم 1429 نسمة³، كما هدمت المنظمات الصهيونية قرية الريحانية (نسبة إلى نبات الريحان) في حيفا، وشردت أهلها البالغ عددهم 278 نسمة وفق إحصاءات مصطفى الدباغ⁴.

ورأى مصطفى الدباغ أن شراسة العصابات الصهيونية تصاعدت مرة أخرى على قرى طبريا في الأول من أيار حيث شنت هجوماً على قرية ياقوق البالغة مساحتها 8521 دونم، وأقاموا مستوطنة "حقوق"، وشردت سكانها وعددهم 244 نسمة⁵، ودمرت البالماخ قرية الطابغة البالغة مساحتها 2728 دونم، وطردت أهلها البالغ عددهم 383 نسمة⁶، وهدمت قرية عرب السمكية ومساحتها 10,526 دونم، وشردت أهلها البالغ عددهم 441 نسمة⁷، وطهرت قرية الشجرة من سكانها وعددهم 893 نسمة، وأقامت على أراضيها البالغة 3754 دونم مستوطنة "ايلانيا"⁸، وخلال الأسابيع اللاحقة احتلت الهاغاناة قرية المنصورة وشردت أهلها البالغ عددهم 2482 نسمة، وأقامت على أنقاضها مستعمرة "حازون"⁹.

في شهر أيار 1948م وصلت قوة من العصابات الصهيونية إلى قرية بيت داراس وبدأت بقصف القرية من الخارج تمهيداً لمهاجمتها، ثم تحركت القوة فاحتلت مدرسة القرية فيما كانت

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص312.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص331.

³ م، ن، ج7، ص615.

⁴ م، ن، ص653.

⁵ م، ن، ج6، ص389.

⁶ م، ن، ص361.

⁷ م، ن، ص358.

⁸ م، ن، ص426.

⁹ م، ن، ص417.

قذائف الهاون تقصف شرقي القرية، ولكنّ الموجة الأولى من الهجوم انسحبت لاستبسال المدافعين عن القرية، بعد تكبيدها بعض الخسائر، وصلت نجدات من القرى المجاورة إلى بيت داراس وحاولوا مطاردة المعتدين الهاربين، فجاءت ثلاث مصفحات منعت العرب من مطاردة الفارين، وهو ما وثقه عارف العارف مصطفى الدباغ¹.

وبعد ثلاثة أسابيع هاجم الصهاينة القرية من جهاتها الأربعة مرة أخرى في 11 أيار 1948م وقصفتها، وحينها شعر المناضلون بحرج الموقف فقرروا الصمود وإخلاء القرية من النساء والشيوخ والأطفال، وتحرك هؤلاء عبر جنوب القرية وما أن بلغوا مشارفها حتى تصدى لهم الصهاينة بالرصاص، ليضيفوا مذبحه جديدة إلى قائمتهم، وقامت القوات الصهيونية بإحراق بيادر القرية وبعض منازلها ونسفوا البعض الآخر، ورغم ذلك فقد استبسل المدافعون بالدفاع عن القرية حتى نجحوا في رد المعتدين وإخراجهم من بيت داراس، ومع ذلك أثرت المذبحة على معنويات العرب ونفذت ذخيرتهم، مما دفع أهالي القرية إلى مغادرة القرية (3190 نسمة) مع بقاء القليل منهم كما يقول عارف العارف ومصطفى الدباغ².

وما كاد العرب يستفيقون من صدمة سقوط المدن الرئيسية وقراها حتى نظمت القوات الصهيونية نفسها لتوجيه ضرباتها إلى المواقع الحصينة الأخرى مثل صفد، التي كانت تسيطر على محاور الطرق الواصلة بين الساحل والجليل الشمالي والشرقي، ونظمت القيادة العسكرية عملية واسعة لاحتلال المدينة عرفت باسم "يفتاح" في شهر أيار 1948م³.

وتولى بيغال ألون Pigalle Allon قائد البالماخ" قيادتها وساندته قوة من الهاغاناة، ونجحت في الاستيلاء على مركز الشرطة في روشينا، والسيطرة على قريتي بيريا وعين الزيتون، وبهذا أصبح باستطاعت القوات الصهيونية عزل صفد عن بقية المدن العربية، وفتح ممر إلى الحي اليهودي في صفد، وفي اليوم الثالث من أيار 1948م وصلت كتيبة أخرى من البالماخ، إلى جانب استمرار الامدادات والنجدات العسكرية، فبلغ مجموعها حتى السادس من أيار نحو 172 سيارة عسكرية محملة بالقوات والعتاد، وفي الطرف الاخر أخذت ذخائر المجاهدين بالتناقص، ولم تغلح أية جهود في سبيل توفير الجيش والعتاد، ولكن في ذلك الوقت كانت مدافع المجاهدين

¹ العارف، عارف، النكبة، ج3، ص535. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج1، ص209-210.

² العارف، عارف، النكبة، ج3، ص535. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج1، ص210.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص300.

تقصف مواقع مختلفة للصهاينة مما أثار حماس المجاهدين، وأشار عارف العارف إلى انضمام عدد من العراقيين لهم، تمكنوا من تدمير قسم كبير من قوات البالماخ في الحي اليهودي¹.

وفي السادس من أيار 1948م هاجمت العصابات الصهيونية مدينة صفد، إلا أنها لم تحرز سوى تقدم قليل جداً، وتكررت العملية في 8 أيار 1948م وفشلت مرة أخرى نتيجة شدة المقاومة العربية، إلا أنها تمكنت من احتلال العديد من قرأها مثل قرية الجاعونة وطردت سكانها البالغ عددهم 1334 نسمة، وقرية عكبرة 302 نسمة²، وتشجع المناضلون لقصف موقع العدو خلال يومي 9-10 أيار وبدأت الأمور تتجه لصالح العرب، مما دعا بيغال ألون Pigalle Allon إلى تولي القيادة الصهيونية بنفسه التي بلغت تقريباً خمسة آلاف مقاتل، وفي نفس اليوم (10 أيار) هاجمت القوات الصهيونية مرة ثانية كل مكان في المدينة، مما أدى إلى سقوط عمارة البوليس في اليوم التالي، وسقطت معظم المواقع المهمة في صفد، الأمر الذي دفع العرب إلى إخلاء مركز الشرطة في 12 أيار 1948م، واستشهد من العرب مئة شهيد، في حين بلغت ضحايا اليهود حسب عارف العارف أكثر من 850 قتيلاً³.

وفي هذا الوقت أشار مصطفى الدباغ إلى تمكن القوات الصهيونية من احتلال العديد من قرى صفد، فسيطرت على قرية هونين وشردت أهلها البالغ عددهم 1879 نسمة، واستولت على مساحتها البالغة 14,224 دونم، وأقامت عليها مستوطنة " مرغليوت"⁴، وطردت سكان قرية البطيحة و عددهم 754 نسمة، واستولت على أراضيها البالغة 16,690 دونماً، وأنشئت مستوطنة " ألمغور"⁵، كما وضعت يدها على أراضي قرية جب يوسف (عرب الصياد) البالغة 11,325 دونماً، وأقامت عليها مستوطنة " عميعاد"، وشردت أهلها البالغ عددهم 197 نسمة⁶، كما طردت أهالي قرية عرب الشمالنة و عددهم 754 نسمة⁷، وفر سكان قرية القديرية و عددهم 452 نسمة، التي بلغت مساحة أراضيها نحو 12486 دونماً، أقاموا عليها مستوطنة "كاحل"⁸، وهرب أهالي

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص302.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص182، ص189.

³ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص309.

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص229.

⁵ م، ن، ص217.

⁶ م، ن، ص177.

⁷ م، ن، ص175.

⁸ م، ن، ص179.

خربة كرازة خوفاً من اعتداء صهيوني عليهم¹، واستولت الهاغاناة على أراضي قرية الزنغرية البالغة مساحتها 27,918 دونماً، وأقاموا عليها مستعمرة "إيفيليت"، ومزرعة "كاري ديشي"².

وفي 9 أيار 1948م اتخذت القوات الصهيونية قراراً بطرد سكان قرية الطنطورة وهي على حد وصف مصطفى الدباغ تقع على ساحل البحر المتوسط، ولها طريق فرعية تربطها بحيفا، وفيها محطة للسكة الحديدية، وفيها ميناء شمال القرية، وبها مدرستان واحدة للبنين والأخرى للبنات، وبلغ عدد سكانها عام 1922م نحو 750 نسمة وارتفع عددهم الى 953 نسمة عام 1931م، والى 1490 نسمة عام 1945م، وبلغت مساحتها 119م عام 1945م، تملك الصهاينة منها 14.12%، واعتمدت اقتصادياً على صيد السمك والزراعة، ففي عام 1945 كان ما مجموعه 26 دونماً مخصصة للحمضيات والموز و6593 للحبوب و287 للزيتون، وفي ليل 22-23 أيار 1948م نفذ القرار إذ هاجمت الكتيبة الثالثة والثلاثون من "لواء الكسندروني" التابع للهاغاناة القرية، وبعد معركة قصيرة سقطت القرية، وهجر 1200 من سكانها إلى قرية الفريديس المجاورة، والبعض إلى المثلث³.

في 10 أيار 1948م استولت الكتيبة الأولى التابعة للبلماخ التي يقودها إيغال آلون Pigall Allon في عملية يفتاح، على قرية آبل القمح (شمال صفد) وهجرت سكانها ولم يكن هناك قتال في القرية، ولكن بعد سقوط صفد في يد اليهود، وقيام زعماء من اليهود بحملة عرفت باسم "حملة همس" لتحذير رؤساء القرى العربية (مخاتير) من التعزيزات اليهودية الضخمة التي وصلت إلى الجليل، فر سكان آبل القمح وفق ما ذكر مصطفى الدباغ⁴، ثم واصلت تقدمها في نفس اليوم على قرية الظاهرية التحتا وشردت سكانها البالغ عددهم 406 نسمة، وبلغت مساحتها 16,304 دونم⁵، وطردت سكان قرية دلاته وعددهم 418 نسمة، وصادرت أراضيها البالغة 9,047 دونم، وأقامت عليها مستوطنة "دلتون"⁶، وهاجر سكان قرية ميرون وعددهم 336 نسمة⁷.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص154.

² م، ن، ص173.

³ م، ن، ج7، ص605-610.

⁴ م، ن، ج6، ص141.

⁵ م، ن، ص183.

⁶ م، ن، ص208.

⁷ م، ن، ص185.

ونتيجة سقوط القرى المجاورة لاحظ مصطفى الدباغ أن سكان القرى في قضاء صفد بدؤوا يهجرون قراهم، ففر أهالي قرية الزوق التحتاني وعددهم 1218 نسمة، ومساحتها 11,634 دونم، أقاموا عليها مستوطنة "بيت هيل" ¹، وهاجر أهالي قرية قديتا وعددهم 278 نسمة ²، وأهالي قرية الخالصة 2134 نسمة، وبلغت مساحة أراضيها نحو 11280 دونم ³، وأقامت على أراضي قرية البويزية البالغة 14,620 دونم مستوطنة "ماهانيم"، وهاجر أهلها 592 نسمة ⁴، وفر أهالي قرية السموعي وعددهم 360 نسمة، وابتعلت أراضيها البالغة 15135 دونم، وأقامت عليها مستوطنة "كفار شمالي" ⁵.

ووثق مصطفى الدباغ ما حدث في 11 أيار 1948م، حيث شنت قوات صهيونية تابعة للواء غولاني غارات على قرية الأشرفية الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة بيسان وشردت أهلها البالغ عددهم 267 نسمة، وصادرت أراضي القرية البالغ عددها 6711 دونم، وأقامت عليها مستعمرتي "رشافيم" و"شلوحوت" ⁶، كما هدمت قرية فرونة جنوبي بيسان، وشردت أهلها البالغ عددهم 383 نسمة ⁷.

ثم تبعها غارات لقرى مجاورة لبيسان ضمن الحملة العسكرية جدعون التي نفذها لواء غولاني بين التواريخ 10 إلى 15 أيار عام 1948م، فاحتلت إتسل قرية تل الشوك (12 أيار)، وهاجر أهلها البالغ عددهم 139 نسمة، وبلغت مساحة أراضيها 33 دونماً معظمها مزروعة بالحبوب، ومسحت جميع أثار القرية، وشردت أهالي قرية قومية (510 نسمة) ⁸.

وتابع مصطفى الدباغ ذكر القرى التي دمرتها الهاغاناة، منها قرية الحميدية شمال بيسان (تعود تسميتها إلى السلطان عبد الحميد الثاني)، وشردت أهلها وعددهم 255 نسمة ⁹، ثم احتلت قرية

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص150.

² م، ن، ص196.

³ م، ن، ص151.

⁴ م، ن، ص159.

⁵ م، ن، ص184.

⁶ م، ن، ص505.

⁷ م، ن، ص504.

⁸ م، ن، ص506.

⁹ م، ن، ص507.

زبعة في الشمال الشرقي من بيسان ويمر بها الخط الحديدي الحجازي، وطريق بيسان - سمخ،
وشرّد أهلها وعددهم 197 نسمة¹.

وفي الشمال الشرقي من بيسان هدمت الهاغاناة قرية الساخنة، وشردت أهلها البالغ عددهم 615
نسمة، ومساحة أراضيها 6400 دونم، مزروعة بالأشجار المثمرة، وأقيم على أنقاضها كيبوتس
تل عمال (نير دافيد)²، وشردت 940 فلسطينياً من أهالي قرية سيرين (شمال بيسان)، وصادرت
أراضيها 28445 دونم³، وهجرت أهالي قرية الفاتور في جنوب بيسان وعددهم 128 نسمة،
وتبلغ أراضيها 729 دونماً، دونمين منها مزروعة بالزيتون فقط، وتحيط بالقرية أراضي
الحمراء وطوباس⁴.

وفي 12 أيار 1948م شردت الهاغاناة والأرغون مجموعة من قرى قضاء طبريا، فشردت
أهالي قرية معذر وعددهم 557 نسمة⁵، وأهالي قرية حدثا وعددهم 603 نسمة⁶، وأهالي قرية
عولم وعددهم 835 نسمة⁷، وأهالي قرية النقيب وعددهم 371 نسمة⁸.

نفذت المنظمات العسكرية الصهيونية عملية براك في 12 أيار 1948م في قضاء غزة وقضاء
بئر السبع، لإيجاد ممر إقليمي يربط بين المستوطنات الصهيونية في الشمال والجنوب، فتمكنت
من احتلال مجموعة من القرى الواقعة شمال غزة مثل قرية بيت داراس، كوكبا، حليقات،
سمسم، نجد، البطاني الشرقي، البطاني الغربي، برقة، برير، فهاجر أهالي القرى البالغ عددهم
12782 نسمة⁹، ونسفت بالماخ الجسور الواقعة غربي بئر السبع وشمالها، واحتلت قرية واحدة
من قضاء بئر السبع وطردت أهلها البالغ عددهم 46 نسمة وهي قرية العمارة غربي المدينة،
وبُنيت مستعمرة أوريم على أراضيها¹⁰.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص507.

² م، ن، ص502.

³ م، ن، ص511.

⁴ م، ن، ص502.

⁵ م، ن، ص414.

⁶ م، ن، ص415.

⁷ م، ن، ص416.

⁸ م، ن، ص380.

⁹ م، ن، ج1، ص205، ص208، ص248، ص251.

¹⁰ م، ن، ص251.

وأضاف مصطفى الدباغ ما حدث في 13 أيار 1948م حيث طهرت العصابات الصهيونية العديد من قرى الرملة تطهيراً عرقياً كاملاً، فطردت أهالي قرية بشيت البالغ عددهم 1879 نسمة¹، كما شردت أهالي قرية بيت نبالا البالغ عددهم 2680 نسمة²، وتعرض أهالي قرية شحمة لأقسى أنواع العذاب مما دفع أهالي القرية إلى مغادرتها و عددهم 325 نسمة³، وكذلك أهالي قرية النعاني وبلغ عددهم 1705 نسمة، وفي 14 أيار احتلت القوات الصهيونية قرية أبو شوشة الواقعة الى الجنوب الشرقي من الرملة⁴.

وفي نفس اليوم رأى مصطفى الدباغ أن العصابات الصهيونية شنت هجوماً آخر على قرية أبو شوشة الواقعة قضاء طبريا⁵، وشردت أهالي قرية القباب جنوبي شرقي الرملة وبلغ عددهم 2297 نسمة⁶.

رأى عارف العارف أن تنظيم الدفاع عن مدينة يافا كان أمراً صعباً بسبب موقعها حيث تحيط بها من الشمال مدينة تل أبيب (أكبر تجمع سكاني لليهود)، ومن الجنوب مدينة بيت يام وأجروبانك وحولون، ومن الشرق مستعمرة بيار الألمانية، ومن الغرب البحر المتوسط، إلى جانب فقدان المدينة للسلاح والمقاتلين المدربين تدريباً صحيحاً⁷.

أمام كل هذا اندفعت مدينة يافا للبحث عن السلاح في كل مكان، وبدأ الأمر بجهود فردية، وتشكل فيما بعد لجنة قومية بإمر من الهيئة العربية العليا للإشراف على شؤون المقاتلين وتسليحهم، ثم أرسلت اللجنة العسكرية 100 بندقية إلى يافا⁸.

وفي شهر أيار 1948م زادت الأمور سوءاً في يافا، وكثر عدد الشهداء والجرحى وأخذت المقاومة تنهار فشرع سكانها بالخوف والقلق، وبدؤوا يغادرونها إلى غزة عن طريق البحر، وكانت اللجنة القومية قبل ذلك تمنع أي شخص من مغادرة المدينة إلا للمعالجة الطبية⁹.

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص603.

² م، ن، ، ص536.

³ م، ن، ص600.

⁴ م، ن، ص573.

⁵ م، ن، ج6، ص369.

⁶ م، ن، ص508.

⁷ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص226.

⁸ م، ن، ص228.

⁹ م، ن، ص227.

ولدفع سكان يافا على مغادرة منازلهم وقراهم أشار عارف العارف إلى الأسلوب الذي تبنته المنظمات الصهيونية في التحذير من انتشار الأوبئة، حيث اذاع راديو الهاغاناة أن الجدري انتشر في المدينة نتيجة قدوم السوريين والعراقيين، ووجد بين شهداء وجرحي العرب عدد لا بأس به مصابون بأمراض معدية، كما أذاعت المحطة العبرية الحرة تحذيراً للعرب من مرضي الكوليرا والتيفوس وانتشارهما بكثرة في المدن العربية، فغادرها العديد من السكان¹.

بقيت السلطات البريطانية في يافا حتى الأيام الأخيرة من الانتداب خلافاً لما فعلوا في حيفا وصفد وطبريا وبيسان التي غادروها مبكراً، مما ساعد على تأخر اقتحام الصهاينة لها، وفي 13 أيار 1948م اقترح حاكم اللواء الإنجليزي جعل يافا منطقة مفتوحة، فوافقت جميع الأطراف، وتفاوضت الحركة الصهيونية مع العرب في تل أبيب على أن يتم ذلك بدون وساطة الانجليز، ف وقعت الاتفاقية في تل أبيب، وكالعادة تم خرقها، فما كاد الانجليز ينسحبون من المدينة حتى اقتحموها في اليوم التالي (14 أيار) ورفعوا الاعلام الصهيونية على مبانيها، وسقطت يافا في أيديهم، وهو ما وثقه عارف العارف².

بدأت القوات الصهيونية بتنفيذ خطتهم "بن عامي" لاحتلال عكا، فعملت على تطويقها، وقطع الطريق المتجهة منها إلى الشمال، واحتلوا تل الفخار (تل نابليون) الواقع شرق عكا، ولم يكن محصناً دفاعياً سوى بسبعة مجاهدين³، وهاجمت العصابات الصهيونية مدينة عكا في أواخر نيسان 1948م وتم قصفها بالمدافع، وتمكنوا من احتلال المقبرة الإسلامية الواقعة في الجنوب الشرقي للمدينة، وهكذا بدأ سكان عكا بالرحيل عن المدينة عبر الطرق البرية والبحرية ولم يبق سوى سبعة الاف شخص من ضمنهم لاجئو حيفا⁴.

عمل الصهاينة على زيادة ضغطهم على المدينة لدفع سكانها إلى الرحيل، فلوثوا مياه نبع الكابري بجراثيم التيفوئيد، مما دفع اللجنة القومية إلى محاولة تأمين العلاج والطعام والمياه، وبدأت عمليات البحث عن السلاح ولكن دون جدوى، فقرر سكان المدينة الدفاع عنها بإمكانياتهم⁵.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص230.

² م، ن، ص234.

³ م، ن، ص350.

⁴ م، ن، ج2، ص417.

⁵ م، ن، ص417.

وفي ساعة مبكرة من صباح 15 أيار 1948م أشار عارف العارف إلى الهجوم الذي شنه مناضلو عكا على الصهاينة المسربين إلى بعض أماكن المدينة مثل محطة السكة الحديدية (جنوب شرق عكا)، وأحد المباني الرسمية في شرقها، إلا أن المدافع والنيران الصهيونية أجبرتهم على الانسحاب بعد قتل ستين يهودياً، وسقط منهم عدد من الشهداء¹.

وشملت عملية بن عامي احتلال قرية البصة في 14 أيار 1948م التابعة لقضاء عكا وأشار مصطفى الدباغ إلى إن القوات الصهيونية نزلت عند هذه القرية الساحلية بالقوارب، الأمر الذي دفع سكان القرية إلى الفرار وكان عددهم 3422 نسمة، واغتصبت أراضيها البالغة 614 دونم مزروعة بالحمضيات والموز، و10437 دونماً مزروعة بالحبوب، و4699 دونماً للبساتين، أقاموا عليها مستعمرة بيتست².

وفي اليوم نفسه شن لواء كرملي التابع للهاغاناة هجوماً على قرية الزيب الواقعة شمال عكا، وشردت أهلها البالغ عددهم 2216 نسمة، ورأى مصطفى الدباغ أن القوات الصهيونية لم تستطع السيطرة على أي شبر من أراضي القرية (12607 دونم)³.

ثم احتلت العصابات اليهودية قرية السامرية الواقعة شمال عكا، وقاموا بقصفها بالمدافع، وهاجموها من ناحيتي الشمال الغربي والجنوب، مع الإبقاء على الجانب الشرقي مفتوحاً؛ لدفع العرب على مغادرة القرية والهروب، وهذا ما حدث بالفعل فغادرها 882 فلسطينياً، وبعد أيام تم تدمير جميع بيوتها على يد الوحدة الهندسية التابعة للهاغاناة البالغ عددها حوالي 200 منزلاً، وقدر مصطفى الدباغ مساحة أراضيها بـ 8542 دونماً، منها 607 دونم مشاع، و28 دونماً كانت مسطح القسم المبني من القرية والباقي للزراعة⁴.

تابعت الهاغاناة سيرها حتى وصلت إلى قرية المنشية في الشمال الشرقي من عكا، وشردت أهلها البالغ عددهم 940 نسمة، وكانت مساحة القرية 27 دونماً، وبلغت أراضيها 12,884

¹ العارف، عارف، النكبة، ج2، ص416.

² الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص337.

³ م، ن، ص344.

⁴ م، ن، ص361.

دونماً، زرعت 253 دونم منها بالبرتقال والزيتون¹، ثم شنت هجوماً آخر على خربة الطاقة في الطرف الشمالي من عكا، واستخدمت القرية مراعيًا لأبقار المستوطنين².

وما كاد الليل ينتصف 14-15 أيار حتى احتل اليهود بنك باركلس ومعظم المباني والمرتفعات المطلة على الاحياء العربية، وانشأوا فوق سطح البنك حصناً صغيراً راحوا يتصيدون منه الناس من مدنيين ومجاهدين على حد سواء، وبعد معركة حامية الوطيس تمكن رجال منظمة شتيرن من الوصول الى عمارة النوتردام، إلا أن المجاهدين العرب كروا عليهم وأخرجوهم منها، وأنزلوا بهم 35 إصابة³.

ورأى مصطفى الدباغ أن ليلة الرابع عشر من أيار شهدت هجمات متنوعة على العديد من القرى الفلسطينية، فشنوا هجوماً على قرى صفد، وشردوا سكان قرية الشوكة التحتا البالغ عددهم 232 نسمة، وبلغت مساحة أراضيها 2,132 دونم⁴، وطردت أهالي قرية الناعمة وعددهم 1195 نسمة، وابتعلت مساحتها البالغة 7155 دونم⁵، كما شنوا هجوماً على قرى طولكرم مثل قرية كفر سابا وشردوا سكانها البالغ عددهم 1473 نسمة⁶، وظهرت خربة الزبادة تطهيراً عرقياً كاملاً، وأقامت على أراضيها مستعمرتين هما "يكوم" و"غاغش"⁷.

بينما كانت القوات البريطانية تنهي آخر ترتيبات الجلاء عن فلسطين، نفذت المنظمات العسكرية الصهيونية معركة كلشون (المذراة) في أيار 1948م لاحتلال المناطق العربية، ومع نهاية انسحاب القوات البريطانية تمكنت الهاغاناة من احتلال كافة الاحياء الفلسطينية في الجزء الغربي في القدس (القطمون، البقعة، الطالبية، مامبلا، المصراة)⁸.

وفي صباح يوم الجمعة 14 أيار 1948م انسحب الجيش البريطاني من القدس، وأنزل العلم البريطاني عن قصر المندوب السامي في جبل المكبر، وارتفع مكانه علم الصليب الأحمر

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، ص366.

² م، ن، ص362.

³ العارف، عارف، نكبة، ج1، ص336-337.

⁴ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص145.

⁵ م، ن، ص156.

⁶ م، ن، ج3، ص396.

⁷ م، ن، ص377.

⁸ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص320. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص294.

الدولي، وغادر المندوب السامي ألن كينغهام (Allen Cunningham) مدينة القدس، وما كاد يغادر حتى فتح اليهود النار بكل عنف، وشنوا هجوماً على المواقع الاستراتيجية التي اخلاها اليهود، فاحتلوا فندق الملك داود وبنائية جمعية الشبان المسيحية¹، وفي صباح اليوم التالي (15 أيار) تسلل اليهود من دير القربان الى بنائية النوتردام الواقعة خارج سور البلدة القديمة في القدس، وشنوا هجوماً على الباب الجديد، فتصدى لهم المجاهدون الفلسطينيون ببسالة²، كما شنوا هجوماً على حي الشيخ جراح في 15 أيار 1948م، وتمكنوا من الاستيلاء على الحي بأكمله، وتقدم اليهود الى أحياء البقعة التحتا وحي النمامرة³.

وفيما كان صوت الرصاص يرتفع في شوارع مدينة القدس وقراها كان رجالات اليهود مجتمعين في دار الوكالة اليهودية يعلنون قيام دولة إسرائيل في تمام الساعة الثانية عشرة من مساء 14-15 أيار 1948م، وما كاد ينقضي على ذلك أحد عشر ساعة وخمس دقائق حتى أعلنت الولايات المتحدة اعترافها بها⁴.

كان الصهاينة يمتلكون حاميتين قويتين في كل من مشروع كهرباء روتنبرغ ومستعمرة جيشر، وبعد الإنذار الذي وجهته الحكومة الأردنية إلى هيئة إدارة المشروع⁵، انسحب الصهاينة على مستعمرة جيشر وعززوا دفاعاتها، وكان من ضمن دفاعات المستعمرة حصنها المنيع الذي أقامه البريطانيون خلال الحرب العالمية الثانية⁶، وبعد دراسة الموقع الجغرافي للمنطقة استنتج الصهاينة أن الدفاع عن المستعمرة يستوجب احتلال قرية "كوكب الهوا" شمال بيسان، وذلك لمنع المناضلين من معاونة الجيش العراقي في هجومه المرتقب على المستعمرة، ونسف الصهاينة جسر المجمع على نهر الأردن لإعاقة تقدم القوات العراقية⁷.

¹ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص333-334. السفري، عيسى، الوعود، ص51. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص294.

² العارف، عارف، النكبة، ج1، ص146.

³ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص292.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص333-334. السفري، عيسى، الوعود، ص51. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص294.

⁵ العارف، عارف، نكبة، ج2، ص372.

⁶ م، ن، ص377.

⁷ العارف، ج2، ص377-380. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص519-524.

وفي يوم 15 أيار 1948م طوقت القوات الصهيونية كوكب الهوا بقوات كبيرة، فتصدى لها رجال القرية وأوقعوا بها خسائر كبيرة إلا أنهم اضطروا للانسحاب لنفاذ ذخيرتهم، فدخل الصهاينة القرية فور إخلائها، وفي تلك الأثناء تمكنت سرية عراقية من عبور النهر وإقامة جسر تحت جناح الظلام، وتوالي عبور القوات العراقية بقصد مهاجمة جيشر، وتيقن القائد العراقي أنه لا يمكن مهاجمة المستوطنة دون استعادة كوكب الهوا، فكلف سرية بمهاجمتها، ونجحت السرية في تحرير القرية بعد معركة عنيفة تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة، وهاجمت القوات العراقية المستعمرة عدة مرات دون أن تتمكن من احتلالها، وقد استمر وصول النجديات إلى جيشر من قبل الصهاينة، وهاجموا العراقيين بعنف، فسقط منهم 23 شهيداً بينهم الرئيس الأول طالب العزاوي، وانسحب العراقيون بعدها من القرية، فتمكن الصهاينة من القرية نهائياً¹.

وأعلن بن غوريون قيام دولة إسرائيل في 15 أيار 1948م فقال "نحن أعضاء المجلس الوطني الممثلين للأمة اليهودية وللحركة الصهيونية في العالم استناداً إلى الحق القومي والتاريخي للأمة اليهودية، ولقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة نعلن قيام دولة يهودية في فلسطين باسم إسرائيل، وإننا نوجه النداء إلى الشعب اليهودي في أنحاء العالم أجمع، أن يلتف حولنا ويعاوننا في مشروعات الهجرة والتعمير، وأن يقف إلى جانبنا في نضالنا العظيم في سبيل تحقيق حلم الأجيال بتحرير إسرائيل"²، وأضاف قائلاً "ليست هذه هي نهاية كفاحنا بل إننا اليوم بدأنا وعلينا أن نمضي لنحقق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات"³.

لم تكتفِ الحركة الصهيونية بتهجير غالبية الشعب الفلسطيني واغتصاب أرضهم، بل عملت على طمس كل أثر يدل على ارتباط الفلسطينيين بهويتهم وأرضهم، فقامت بتهويد أسماء المعالم الجغرافية الفلسطينية، وأطلقت اسم "إسرائيل" على دولتهم، بدلاً من الاسم الذي كان ثيودور هرتزل قد اختاره "دولة اليهود"⁴، ويعود ذلك بإعتقاد الباحثة بعد دراستها لمؤلفات المؤرخين الفلسطينيين إلى جملة من الأسباب، منها عدم الرغبة في التذكير بالحدود القديمة لمملكة يهودا البائدة التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبي من فلسطين من دون ساحل البحر، الأمر الذي يمثل قيداً تاريخياً للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة، والرغبة في إيجاد تناسق بين اسم الدولة

¹ العارف، ج1، 377-380. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، ص519-524.

² مارديني، زهير، فلسطين، ص67.

³ جرار، حسني، نكبة، ص12.

⁴ العارف، عارف، النكبة، ج1، ص333-334. السفري، عيسى، الوعود، ص51. الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، ص294. زعيتر، أكرم، القضية، ص220.

والاسم العبري لفلسطين "ايرتس يسرائيل"، ولكونه يحمل مدلولات دينية (إسرائيل: المجاهدة مع الله)، إضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى أطلق على اليهود (المنتمين للديانة اليهودية) من نسل يعقوب عليه السلام (الأسباط) اسم "بني إسرائيل"، فأطلقوا على أنفسهم "إسرائيل" لتكون الأرض المقدسة مباحة لهم.

مع العلم أن اليهود يرفضون الحركة الصهيونية بكافة أشكالها ويعارضون وجود دولة إسرائيل، وخير مثال على ذلك جماعة "ناطوري كارتا" اليهودية، التي أسست عام 1935م وتنادي بإنهاء الكيان الصهيوني وإعادة الأرض إلى الفلسطينيين، من منطلق إن اليهود تم طردهم من إسرائيل بسبب خطاياهم، وإن محاولة استرداد الأرض الإسرائيلية بالقوة هي مخالفة للإرادة الإلهية، فإعادة دولة إسرائيل سيتم عند مجيء المسيح فقط، وبلغ عددهم خمسة آلاف تقريباً وينتشرون في القدس ونيويورك ولندن¹.

وهكذا عرضت الباحثة لمجمل العمليات والهجمات العسكرية الصهيونية في المدن والقرى الفلسطينية التي وثقها المؤرخون الفلسطينيون "موضع الدراسة"، وبنظرهم أن الأمر كان عبارة عن طرد بكل معنى الكلمة، فقد تسببت في تشريد الفلسطينيين وتحويلهم إلى لاجئين، فاحتلت العصابات الصهيونية حوالي 230 قرية، وأرغمت 391,380 فلسطيني على مغادرة منازلهم، وسيطرت على 5400 كم² ما يقرب 13% من مساحة فلسطين البالغة 27 ألف كم².

أما بحسب التاريخ الإسرائيلي التقليدي فإن ملوك الدول العربية وحكامها وقادة الشعب الفلسطيني هم من أوعزوا للسكان العرب وطلبوا منهم وأمروهم بترك قراهم ومدنهم، ووصل الادعاء إلى الزعم بأن هذه الأوامر أُذيعت على الهواء من محطات الإذاعة في الدول العربية ناشدت السكان العرب بضرورة ترك قراهم والنزوح إلى أماكن آمنة في فلسطين أو الدول العربية³.

لم تستطع هذه الأكاذيب طمس الحقائق، فقد ظهرت إسهامات بحثية غالبيتها للمنتمين إلى ما يسمى "تيار المؤرخين الجدد" نقدت الرواية الصهيونية السابقة وأيدت الرواية الفلسطينية وبيّنت الأسباب الحقيقية وراء هجرة الشعب الفلسطيني اعتماداً على الارشيفات والوثائق الإسرائيلية التي أُفرج عنها عام 1978م، وهنا ستعرض الباحثة عدداً من هذه الروايات.

¹ جماعة ناطوري كارتا، www.Wikipedia.com

² هذه الإحصائية اعتماداً على موسوعة بلادنا فلسطين لمصطفى الدباغ.

³ بني موريس، التطهير، ص33.

حسب دراسة للكاتب والصحفي البريطاني تيرانس بريتي (Terence Pretty) اعتبر أسباب "فرار العرب" (حسب ما أسماه) من فلسطين يعود إلى اجبار الفلسطينيين على مغادرة منازلهم وقراهم بالقوة، وخذلان القادة العرب لشعبهم بمغادرة الكثيرين منهم والخروج من أماكنهم الأصلية، ونجاح الحملة الدعائية التي تبنتها المنظمات الصهيونية، ومغادرة أهالي القرية عند سماعهم بما يحدث من اعمال العنف الصهيوني بالقرية المجاورة مثل مذبحه دير ياسين¹.

وحسب تقرير أعده المؤرخ الإسرائيلي "مئير باعيل" توزعت بنظره أسباب الخروج الفلسطيني نتيجة الخوف، والإخراج الإسرائيلي بالقوة، والتشجيع على الهروب من قبل اليهود².

وحسب دراسة نشرها بني موريس عام 1986 كان من أسباب رحيل العرب العمليات العسكرية التي قامت بها الهاغاناة على القرى والمدن العربية سواء مباشرة أو على البلدان المجاورة والتي أسهمت بنحو 55% من النزوح، والعمليات العسكرية للقوات اليهودية المنشقة الارغون وليحي والتي أسهمت بنحو 15%، وخوف الفلسطينيين على مستقبلهم بنحو 15%، وقد ساهمت الاوامر من المؤسسات العربية وغير الرسمية، والحرب النفسية التي تبنتها المنظمات الصهيونية، والاورام المباشرة من قبل القوات الإسرائيلية بالرحيل بنحو 2%، بينما لم تساهم مخاوف العرب من انتقام اليهود بعد شن هجوم عربي على مواقع يهودية إلا بنحو 1%³.

وفي إحصاء أورده سلمان أبو ستة ضمن "سجل النكبة 1948م" استناداً إلى دراسة أخرى لبني موريس حول "طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين" رأى أن أسباب النزوح من القرى العربية توزعت كالاتي، اولاً الطرد المباشر من قبل العصابات الصهيونية (122 قرية)، ثانياً الهجوم العسكري على القرية (270 قرية)، ثالثاً شن الحرب النفسية الصهيونية (13 قرية)، رابعاً الخوف من هجوم يهودي متوقع (38 قرية)، خامساً تأثير سقوط قرية مجاورة والنزوح منها (49 قرية)، سادساً الخروج الاختياري (6 قرى)، سابعاً أسباب النزوح غير معروفة (32 قرية)⁴.

¹ المسيري، عبد الوهاب، الأيدلوجية، ج1، ص302.

² عبد الكريم، إبراهيم، تهويد، ص40.

³ م، ن.

⁴ أبو ستة، سلمان، سجل، ص222.

نتائج الدراسة

1. لم يكن إعلان دولة إسرائيل في 15 أيار 1948م سوى خطوة سياسية رمزية، فقد أتمت الحركة الصهيونية منذ سنين طويلة عملية توطيد الوجود اليهودي في فلسطين، بمساعدة الحكومة البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية، وأثبت محمد دروزة وعارف العارف وعيسى السفري ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر أن الحكومة البريطانية هي أصل الداء وأساس البلاء، فعندما دخلت بريطانيا فلسطين عام 1918م لم يكن عدد اليهود فيها يتجاوز 50 ألف نسمة، وعندما غادروها عام 1947م كان عدد اليهود فيها يزيد عن 700 ألف نسمة، كما تمكن اليهود من امتلاك ما يقرب مليوني دونم من الأراضي في فلسطين حتى قيام إسرائيل 15 أيار 1948م، أي ما يعادل 7.7% من مساحة فلسطين البالغة 27 ألف كم²، في حين كان مجموع الأراضي عند بداية الانتداب لا تزيد عن 2% فقط.
2. وأكد المؤرخون الفلسطينيون (موضوع الدراسة) أن فلسطين لم يكن بها عند احتلال الانجليز لها غير جندي يهودي واحد، وغادروها ولليهود فيها نحو ستون ألف مسلح، وثلاثة مصانع للأسلحة، ومخازن كبيرة ومخابئ سرية للأسلحة، والاف السيارات المصفحة، وطائرات هائلة تجوب سماء فلسطين ونقصف المدن والقرى العربية قبل مغادرة السلطات البريطانية بشهر، وعندما دخل الانجليز فلسطين لم يكن لليهود فيها تنظيم شعبي أو هيئة قيادية، وعندما غادروها كان لليهود فيها حكومة قائمة في ظل حكومة الانتداب، فأنشئت الحركة الصهيونية الوكالة اليهودية لتكون حكومة المستقبل من خلال تأسيس الدوائر والجيش خاصة خلال سنتي (1946-1947م).
3. بعد صدور قرار التقسيم أظهر محمد دروزة وعارف العارف ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر موقف بريطانيا المتحيز لليهود، فكانت تتدخل في كل معركة يفوز بها العرب لحماية اليهود ومنع العرب من الاستيلاء على ممتلكاتهم ومستعمراتهم، فكانت القوات البريطانية تغض الطرف عن جرائم اليهود في الاحياء العربية، وتسهل وصول النجذات والسلاح الى اليهود، وقد حدثت معظم المذابح التي اقترفها اليهود في القرى العربية تحت مسمع وبصر القوات البريطانية مثل مذبحه دير ياسين، وناصر الدين، وحواسة وغيرها، وكانت معظم الفظائع اقترفتها الهاغاناة والاغون وشستيرن.

4. ولم يخفَ على المؤرخون الفلسطينيين أن الولايات المتحدة الامريكية احتضنت المشروع الصهيوني منذ البداية، فعندما أعلنت بريطانيا وعد بلفور عام 1917م استشارت الرئيس ويلسون بخصوص القرار، فوافق عليه، كما وافق على صك الانتداب البريطاني على فلسطين، وكان روزفلت من أشد المؤيدين لجعل فلسطين دولة يهودية، وفي 11 أيار 1942م عقدت الولايات المتحدة الامريكية مؤتمر بلتيمور في نيويورك واتخذ قراراً بتحويل فلسطين الى دولة يهودية، وإجلاء العرب عنها.

وتابع محمد دروزة ومصطفى الدباغ وأكرم زعيتر سير اللجنة الانجلو- الأمريكية التي قدمت عام 1945م، وأصدرت تقريراً يدعو إلى ادخال مئة ألف مهاجر يهودي لفلسطين، كما قدم الرئيس الأمريكي ترومان إلى الحكومة البريطانية في 14 آب 1946م خطة لتقسيم فلسطين بموجب الحدود التي اقترحها اليهود في 5 آب 1946م.

5. اثبت محمد دروزة وعارف العارف وأكرم زعيتر اتحاد القوات البريطانية والأمريكية في تمهيد السيطرة اليهودية على فلسطين، حيث عملتا على الضغط السياسي على المسؤولين العرب لانتزاع زمام القضية الفلسطينية من أيدي أهلها، مما أدى إلى العدول عن الخطة التي أقرتها جامعة الدول العربية للدفاع عن فلسطين، والامتناع عن تسليم المساعدات الضرورية إلى الفلسطينيين من أموال وأسلحة، فساهم ذلك في إضعاف جهادهم، واتبعوا أسلوب الدعاية المضللة في داخل فلسطين وخارجها والتي عملت على إرهاب الفلسطينيين من خلال تشويه سمعتهم، وإقناع الفلسطينيين بقلة جدوى المقاومة.

وأصبح دور بريطانيا وأمريكا بعد صدور قرار التقسيم يتمثل في منع العرب من عرقلة التقسيم، وضمان بريطانيا قيام الدولة اليهودية عن طريق مساعدة اليهود عسكرياً بالأسلحة والعتاد، وعملت على ترحيل العرب من المنطقة المخصصة للدولة اليهودية مثل صغد وطبريا وحيفا ويافا.

6. تمكن المؤرخون الفلسطينيون من إثبات الإنجازات التي حققتها المقاومة العربية الفلسطينية، من حيث إلحاق الخسائر الفادحة والأضرار الجسيمة بالعدو الصهيوني، ودب الرعب بين قطعان الصهاينة.

7. بعد انقضاء ثلاثين عاماً على وجود بريطانيا في فلسطين، وبعد أن اطمأنت على قدرة اليهود على إعلان دولتهم "إسرائيل" فوق الأرض الفلسطينية قررت أن تتسحب كدولة منتدبة، وأعلن قيام الدولة في 15 أيار 1948م.

قائمة المصادر والمراجع

مصادر الدراسة

- الدباغ، مصطفى: بلادنا فلسطين، 11 جزء، دار الطليعة، لبنان، بيروت، (ب.ط)، 1965م.
- الدباغ، مصطفى: التعليم العربي في عهد الانتداب، الموسوعة الفلسطينية، 6 أجزاء، مج3، ق2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط1، 1990م.
- دروزة، محمد: حول الحركة الوطنية العربية الحديثة تاريخ ومذكرات وتعليقات، 6 أجزاء المطبعة العصرية، لبنان، بيروت، (ب.ط)، 1951م.
- دروزة، محمد: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، جزئين، المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، ط3، 1959م.
- دروزة، محمد: فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة ضد بريطانيا والصهيونية العالمية (1917-1948م)، الهيئة العربية العليا لفلسطين، مصر، القاهرة، (ب.ط)، 1959م.
- دروزة، محمد: مأساة فلسطين عرض موجز لقضية فلسطين وتاريخها، دار اليقظة، سوريا، دمشق، ط1، 1959م.
- دروزة، محمد: مئة عام مذكرات وتسجيلات، جزئين، الجمعية الفلسطينية للتاريخ والاثار، سوريا، دمشق، ط1، 1986م.
- دروزة، محمد: مذكرات محمد عزة دروزة (1887-1984)، 6 أجزاء، دار الغرب الاسلامي، لبنان، بيروت، ط1، 1993م.
- دروزة، محمد: محمد عزة دروزة خمسة وتسعون عاماً في الحياة مذكرات وتسجيلات، ملتقى الفكر العربي، فلسطين، القدس، ط2، 1993م.
- زعيتر، أكرم: القضية الفلسطينية، دار المعارف، مصر، القاهرة، (ب.ط)، 1955م.

زعيتر، أكرم: يوميات أكرم زعيتر الحركة الوطنية الفلسطينية (1935-1939م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط1، 1980م.

زعيتر، أكرم: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

زعيتر، أكرم: مذكرات أكرم زعيتر بواكير النضال (1909-1935م)، ومن أجل أمّتي (1939-1946م)، جزئين، المؤسسة العربية، لبنان، بيروت، (ب.ط)، 1994م.

السفري، عيسى: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، جزئين، وزارة الثقافة الفلسطينية، فلسطين، يافا، (ب.ط)، 1937م.

السفري، عيسى: الوعود الثلاثة في تاريخ فلسطين، مطبعة فلسطين الجديدة، فلسطين، يافا، ط1، 1947م.

العارف، عارف: النكبة: نكبة فلسطين والفردوس المفقود، 3 أجزاء، المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، (ب.ط)، 1970م.

العارف، عارف: تاريخ القدس، دار المعارف، مصر، القاهرة، (ب.ط)، (ب.ت).

العارف، عارف: أوراق عارف العارف، 8 أجزاء، الدار العربية، لبنان، بيروت، ط3، (ب.ت).

المذكرات والمراجع اليهودية

بن غوريون، دافيد، يوميات الحرب 1947-1949، المؤسسة الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط2، 1998م.

بيغن، مناحيم، التمرد، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط2، 1987م.

بني موريس، طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين، دار الجليل، الأردن، عمان، ط2، 1993م.

دايان، موشي، دايان يعترف "سيرة حياتي"، ترجمة شوقي ابراهيم، مؤسسة دار التعاون، مصر، القاهرة، (ب.ط.)، 1977م.

رابين، اسحق، مذكرات اسحق رابين، جزءان، دار الجليل للنشر، الاردن، عمان، (ب.ط.)، 1993م.

ليلينتال، الفريد، إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة، دار المنابر، لبنان—بيروت، ط1، 1985م.

مائير، غولدا، اعترافات غولدا مائير بين الطموح الشخصي والطموح الدولي، كنوز للنشر، مصر، القاهرة، 2014م.

نحمانى، يوسف، مذكرات سمسار أراض صهيون، دار الحصاد، سوريا، دمشق، (ب.ط.)، 2010م.

هرتزل، ثيودور، يوميات هرتزل، منظمة التحرير الفلسطينية، فلسطين، رام الله، (ب.ط.)، 1968م.

وايزمن، حايم، مذكرات وايزمن، ترجمة محمد الشهابي، (ب.ن.)، (ب.م.)، ط2، (ب.ت.).

المراجع

أبو ستة، سلمان، سجل النكبة 1948م: سجل المدن والقرى التي احتلت وطرد أهلها أثناء الغزو الإسرائيلي، (ب.ن.)، فلسطين، (ب.ط.)، 1997م.

أبو صبيح، عمران، الهجرة اليهودية حقائق وأرقام: رصد وتحليل للهجرة اليهودية من فلسطين وإليها 1882-1990م، دار الجليل للدراسات والأبحاث الفلسطينية، الأردن، عمان، (ب.ط.)، 1990م.

أبو غربية، بهجت، مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط2، 1993م.

أبو نزيه، نضال، الكاشف - معجم أدباء وكتاب فلسطين، 5 أجزاء، المجلس الأعلى للثقافة، فلسطين، رام الله، ط1، 2007م.

الأغا، نبيل، وجوه فلسطينية خالدة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، 2002م.

أبو يصير، صالح، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، دار الفتح للنشر والطباعة، الكويت، ط3، (ب.ت).

البديري، هند، أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، جامعة الدول العربية، مصر، القاهرة، (ب.ط)، 1998م.

توما، أميل، جذور القضية الفلسطينية، المكتبة الشعبية، فلسطين، الناصرة، (ب.ط)، (ب.ت).

تيسير، جبارة، والبيشاوي، سعيد، معجم المؤرخين الفلسطينيين في القرن العشرين، دار الشيماء للنشر والتوزيع، فلسطين، رام الله، ط1، 2010م.

الحسيني، أمين، حقائق عن قضية فلسطين، مكتبة الهيئة العربية العليا لفلسطين، مصر، القاهرة، ط3، 1957م.

الحزماوي، محمد، ملكية الأراضي في فلسطين 1918-1948م، مؤسسة الأسوار، فلسطين، عكا، (ب.ط)، 1998م.

حمادة، حسين، محمد عزة دروزة: صفحات من حياته وجهاده ومؤلفاته، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين، سوريا، دمشق، ط2، 1983م.

حمادة، محمد، موسوعة أعلام فلسطين من القرن الأول حتى القرن الخامس عشر الهجري، 8 أجزاء، دار الوثائق، سوريا، دمشق، (ب.ط)، 2007م.

حمد، علي، أعلام التربية في فلسطين، مركز الدراسات والتطبيقات التربوية، فلسطين، رام الله، ط1، 2014م.

خلة، كامل، فلسطين والانتداب البريطاني، مركز الأبحاث، لبنان، بيروت، ط1، 1974م.

خليفة، أحمد (مترجم)، الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939م الرواية الإسرائيلية الرسمية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، (ب.ط)، 1989م.

جبارة، تيسير، والبيشاوي، سعيد، أعلام من فلسطين: معجم المؤرخين الفلسطينيين في القرن العشرين، دار الشيماء للنشر والتوزيع، فلسطين، رام الله، (ب.ط)، 2010م.

جبر، يحيى، عارف العارف (1892-1973م)، الدار الوطنية، فلسطين، نابلس، (ب.ط)، 1995م.

جرار، حسني، نكبة فلسطين 1947-1948م مؤامرات وتضحيات، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط1، 1995م.

جريس، صبري، تاريخ الصهيونية (1862-1948)، جزئين، منظمة التحرير الفلسطينية، فلسطين، رام الله، ط2، 2015م.

الدجاني، أحمد، وآخرون، من أعلام الفكر في فلسطين، دار الطفل العربي، فلسطين، القدس، (ب.ط)، 1991م.

الزاملي، إبراهيم، فلسطين في التقارير البريطانية 1917-1948م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط2، (ب.ت).

سرحان، نمر، سجل القادة والثوار والمتطوعين لثورة 1936-1939م، دار الهدى للنشر، فلسطين، رام الله، ط1، 2009م.

السلوادي، فتح الله، رجال لقيتهم، أروقة للدراسات والنشر، الأردن، عمان، ط1، 2015م.

السكاكيني، خليل، يوميات خليل السكاكيني، 5 أجزاء، مركز خليل السكاكيني، فلسطين، رام الله، ط2، 2005م.

السوافيري، كامل، الأدب العربي المعاصر في فلسطين (1860-1960م)، دار المعارف، مصر، القاهرة، (ب.ط)، 1979م.

شاهين، أحمد، موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، جزئين، المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، ط2، 2000م.

شبيب، سميح، من رواد الثقافة والتنوير في فلسطين، مركز الأبحاث، فلسطين، رام الله، ط1، 2017م.

الشريف، كامل، الاخوان المسلمون في حرب فلسطين، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط3، 1984م.

الشريف، ماهر، فلسطين في الكتابة التاريخية العربية، دار الفارابي، لبنان، بيروت، ط1، (ب.ت).

صالح، جهاد: عارف العارف، الاتحاد العام للكتاب والادباء الفلسطينيين، فلسطين، رام الله، ط1، 2010م.

صالح، جهاد: الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين، الاتحاد العام للكتاب والادباء الفلسطينيين، فلسطين، رام الله، ط1، 2010م.

صالح، جهاد: موسوعة رواد النهضة الفكرية والأدبية وأعلامها في فلسطين، جزئين، دائرة الثقافة والأعلام، الامارات العربية المتحدة، الشارقة، ط1، 2016م.

عبد الكريم، إبراهيم، تهويد الأرض والمعالم الفلسطينية (دراسة ودليل)، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق، (ب.ط)، 2001م.

عبد الهادي، مهدي، المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية 1934-1974م، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، بيروت، ط1، 1974م.

عرفات، جميل، من ذاكرة الوطن، الاتحاد، (ب.م)، (ب.ط)، 1999م.

العقيل، عبد الله، من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 2001م.

العلاونة، أحمد، ذيل الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 3 أجزاء، دار المنارة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، جدة، (ب.ط)، 1998م.

علم، نبيل، تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ودور المرأة فيها، مركز دراسات والتراث والمجتمع الفلسطيني، فلسطين، رام الله، (ب.ط)، 2005م.

علوش، ناجي، المقاومة العربية في فلسطين 1917-1948م، دار الأسوار، فلسطين، عكا، (ب.ط)، 1979م.

العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، دار الاسراء، فلسطين، القدس، ط2، 1992م.

قاسمية، خيرية، أوراق خاصة: عوني عبد الهادي، مركز الأبحاث، فلسطين، رام الله، (ب.ط)، 1974م.

كنعان، جورج، خطبة الفلسطينيين، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 2007م.

الكيالي، عبد الوهاب: الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، دار الأسوار، فلسطين، عكا، (ب.ط)، 1984م.

الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط10، 1990م.

لوباني، حسين، معجم أعلام فلسطين في العلوم والفنون والآداب، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، ط1، 2012م.

المارديني، زهير، فلسطين والحاج أمين الحسني، دار إقرأ، الكويت، ط3، 2019م.

مجموعة من المؤلفين، الموسوعة التربوية الفلسطينية، 3 أجزاء، الدار الوطنية للنشر، فلسطين، نابلس، (ب.ط)، 2000م.

مجموعة من المؤلفين، موسوعة علماء فلسطين وأعيانها، 4 أجزاء، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس، ط1، 2010م.

المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 8 أجزاء، دار الشروق، لبنان، بيروت، (ب.ط)، 1999م.

مصالحة، نور، طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882-1948م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط1، 1992م.

مصطفى، أحمد، علماء ومفكرون عاصرتهم، جزئين، مجد للدعاية والاعلان، فلسطين، رام الله، ط1، 2015م.

المعلواني، عبد الله، الدولة ثنائية القومية كخيار بديل لحل الدولتين (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، فلسطين، غزة، 2014م.

الناشف، تيسير، مفكرون فلسطينيون في القرن العشرين، منشورات الطلائع، فلسطين، الناصرة، ط3، 1999م.

النعامي، صالح، الصحافة في إسرائيل، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط1، 2005م.

النوري، محمد، من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي، مجلة الحياة، فلسطين، حيفا، ط1، (ب.ت).

الهندي، سحر، التأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي 1920-1925م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط1، 2003م.

الهوري، عرفان، أعلام أرض السلام، شركة الأبحاث العلمية والعملية، فلسطين، حيفا، (ب.ط)، 1979م.

الهور، منير، والموسى، طارق، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985م، دار الجليل، الأردن، عمان، ط2، 1986م.

الصحف الفلسطينية

صحيفة الجامعة العربية، فلسطين، القدس: *خطورة الوطن القومي اليهودي* (خبر)،
1933/10/22م.

أنواع السماسرة (خبر)، 1925/6/20م.

زعيترا، أكرم (مقال)، السماسرة، 1931/5/14م.

بيع الأراضي لليهود (خبر)، 1932/3/15م.

صحيفة فلسطين، فلسطين، يافا: أسباب بيع الأراضي الفلسطينية (خبر)، 1930/8/24م.

بيع أراضي قرب تل أبيب (خبر)، 1930/6/25م.

أسماء باعة الأراضي لليهود (خبر)، 1930/5/16م.

معارضة المجلس الاستشاري (خبر)، 1920/10/11م.

التحيز في المجلس التشريعي (خبر)، 1923/10/22م.

صحيفة الكرمل، فلسطين، حيفا: سماسرة الأراضي (خبر)، 1925/6/20م.

بيع الأراضي لليهود (خبر)، 1925/12/27م.

الأراضي الفلسطينية المباعة (خبر)، 1925/12/29م.

صحيفة الدفاع، فلسطين، يافا: كيف باع الفلسطينيون أراضيهم (خبر)، 1934/11/30م.

الدوريات

أبو الرب، مجدولين، *عارف العارف شيخ مؤرخي فلسطين*، مجلة أقلام جديدة، الجامعة
الأردنية، الأردن، عمان، ع33، 2010م.

الدباغ، مصطفى، *الاستيطان اليهودي في ريف فلسطين في العهدين العثماني والبريطاني*
1854-1948م، مجلة دراسات عربية، ع5، 1975م.

حاطوم، نور، محمد عزة دروزة وتفكيره القومي، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للثقافة، (ب.م)، مج6، ع10، 1986م.

الحزماوي، محمد، المؤرخ المقدسي عارف العارف، مجلة الجامعة الإسلامية، جامعة القدس- كلية الآداب، فلسطين، القدس، مج11، ع1، 2003م.

الحلبي، عبد الرحمن، محمد عزة دروزة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق، مج59، ع60، (ب.ت).

الحوت، بيان: محمد عزة دروزة الشاهد، المفكر، المؤرخ، من خلال مذكراته السياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ع31، 1997م.

الحوت، بيان: المؤرخون الفلسطينيون والنكبة، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، مج23، ع89، 2012م.

الخالدي، وليد: بناء الدولة اليهودية 1897-1948، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ع39، 1999م.

الخالدي، وليد: عارف العارف النكبة والفردوس المفقود، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ع90، مج52، 2012م.

جرار، مروان، مبررات الرفض الفلسطيني للهجرة اليهودية إلى فلسطين 1930-1936م، مجلة جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، رام الله، ع35، 2013م.

دروزة، محمد، حياة محمد عزة دروزة بقلمه، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (ب.م)، مج6، ع10، 1986م.

سليمان، فريد، محمد عزة دروزة في ميزان العلم والعلماء، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (ب.م)، مج7، ع12، 1987م.

شبيب، سميح، صفحات من الثقافة الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية، فلسطين، رام الله، ع118، 1981م.

عدوان، أكرم، *المشاريع والأفكار الصهيونية تجاه تسوية القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي 1922-1973م*، مجلة الجامعة الإسلامية، كلية الآداب الإسلامية، فلسطين، عزة، مج12، ع2، 2004م.

عطية، علي، *المجاهد العلامة محمد عزة دروزة*، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، مج14، ع1، 1986م.

المارديني، زهير، *واحد من بناء الفكر القومي*، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للثقافة، (ب.م)، مج6، ع10، 1986م.

المواقع الإلكترونية

أبو عامر، عدنان، *تطور المقاومة الفلسطينية*، [/https://adnanabuamer.com](https://adnanabuamer.com).

دنيا الوطن، *مذكرة عبد القادر الحسيني للجامعة العربية حول القسطل عام 1948*، www.alwatanvoice.com.

العمق المغربي، وثيقة هامة تثبت عدم اعتراف بريطانيا بإسرائيل، [/https://al3omk.com](https://al3omk.com).

عودة الله، خالد، *مقدمة لم تكتب لبلادنا فلسطين وتأملات حول كتابة تاريخنا الوطني*، <https://www.nawa.ps/ar/post/41556>.

غيلر، شموئيل، *مزامع الحركة الصهيونية في شرائها للأرض التي أقيمت عليها مدينة تل أبيب* "فيما بعد" من ملاكها الفلسطينيين، سما الإخبارية، [/https://samanews.ps](https://samanews.ps).

فلسطين في الذاكرة، *خارطة العمليات العسكرية الصهيونية خارج نطاق الدولة اليهودية المقترحة في توصية الأمم المتحدة بالتقسيم (كانون الأول 1947-15 أيار 1948م)*، www.palestineremembered.com.

وفا الإخبارية، *خرائط المدن والقرى الفلسطينية المحتلة*، www.wafa.com.

وكالة وطن، *حصول رئيس الوزراء السابق شمعون بيريز على الجنسية الفلسطينية عام 1937م*، www.wattan.net.

ويكيبيديا، *جماعة ناظوري كارتا*، WWW.Wikipedia.com.

الملاحق

ملحق (3)

جدول يبين أعداد المهاجرين اليهود من عام 1919م إلى عام 1947م¹

السنة	عدد المهاجرين اليهود
1919م	1643
1920م	15,079
1921م	4784
1922م	7834
1923م	7421
1924م	12,856
1925م	33,801
1926م	13,081
1927م	2713
1928م	5249
1929م	5249
1930م	4944
1931م	4075
1932م	9553
1933م	32,327
1934م	42,359
1935م	61,854
1936م	29,727
1937م	10,536
1938م	12,868
1939م	16,405
1940م	10,445
1941م	3839

¹ السفرى، عيسى، فلسطين، ج1، (ص197-198).

السنة	عدد المهاجرين اليهود
1942م	3581
1943م	8558
1944م	14,491
1945م	13,156
1946م	17,761
1947م	7290

ملحق (4)

جدول يبين عدد ومساحة المستوطنات في فلسطين خلال عامي (1914-1946م)¹

تاريخ إنشاء المستوطنات	عدد المستوطنات	مساحة الاراضي التي قامت عليها المستوطنات
1914م	27 مستوطنة	420,000 دونم
1922م	75 مستوطنة	594,000 دونم
1927م	96 مستوطنة	903,000 دونم
1931م	110 مستوطنة	1,058,500 دونم
1936م	172 مستوطنة	1,392,600 دونم
1939م	222 مستوطنة	1,533,400 دونم
1941م	231 مستوطنة	1,604,800 دونم
1944م	259 مستوطنة	1,731,300 دونم
1946م	274 مستوطنة	1,807,300 دونم

¹ هذا الجدول من إنشاء الباحثة اعتماداً على موسوعة بلادنا فلسطين لمصطفى الدباغ.

ملحق (5)

جدول يبين عدد سكان فلسطين من عام 1919م إلى عام 1947م¹

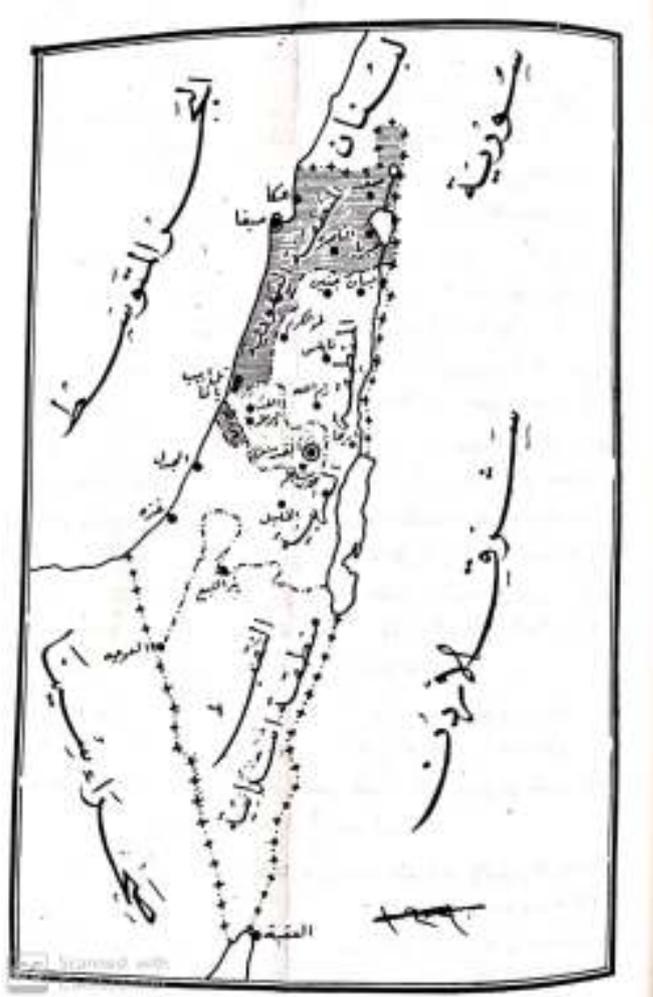
طوائف أخرى	اليهود	المسيحيون	المسلمون	عدد السكان العام	السنة
5050	65,300	26,500	515,000	647,850	1919-1921م
7617	83,790	71,464	589,177	752,048	1922م
7908	89,660	72,090	69,331	778,989	1923م
8263	94,945	74,094	627,660	804,962	1924م
8507	121,725	75,12	641,494	847,238	1925م
8782	149,500	76,467	663,613	898,902	1926م
8921	149,789	77,880	680,725	917,315	1927م
9203	151,656	79,812	665,280	935,951	1928م
9443	156,481	81,776	712,343	960,043	1929م
9628	164,796	84,986	733,149	992,599	1930م
10,101	174,006	91,398	759,712	1,035,821	1931م
10,367	192,137	92,520	778,803	1,073,827	1932م
10,677	234,697	96,719	798,506	1,140,941	1933م
10,793	282,975	102,407	814,379	1,210,554	1934م
11,031	355,157	105,236	836,688	1,308,112	1935م
11,378	384,078	108,506	862,730	1,366,692	1936م
11,643	395,836	110,869	883,446	1,401,794	1937م
11,839	411,222	111,974	900,250	1,435,285	1938م
12,150	455,457	116,958	927,133	1,501,698	1939م
12,562	463,535	120,587	947,846	1,544,530	1940م
12,881	474,102	125,413	973,104	1,858,500	1941م
13,121	484,408	127,184	995,292	1,620,005	1942م

¹ جريس، صبري، تاريخ، ج2، ص281. الزامل، إبراهيم، فلسطين، ص207.

طوائف أخرى	اليهود	المسيحيون	المسلمون	عدد السكان العام	السنة
13,663	502,912	131,281	1,028,715	1,676,571	1943م
14,098	528,702	135,547	1,061,277	1,739,624	1944م
-	554,000	-	-	1,810,037	1945م
-	583,327	-	-	1,887,214	1946م
15,849	589,341	146,162	15,849	1,908,775	1947م

ملحق (6)

خارطة تقسيم فلسطين عام 1937م¹

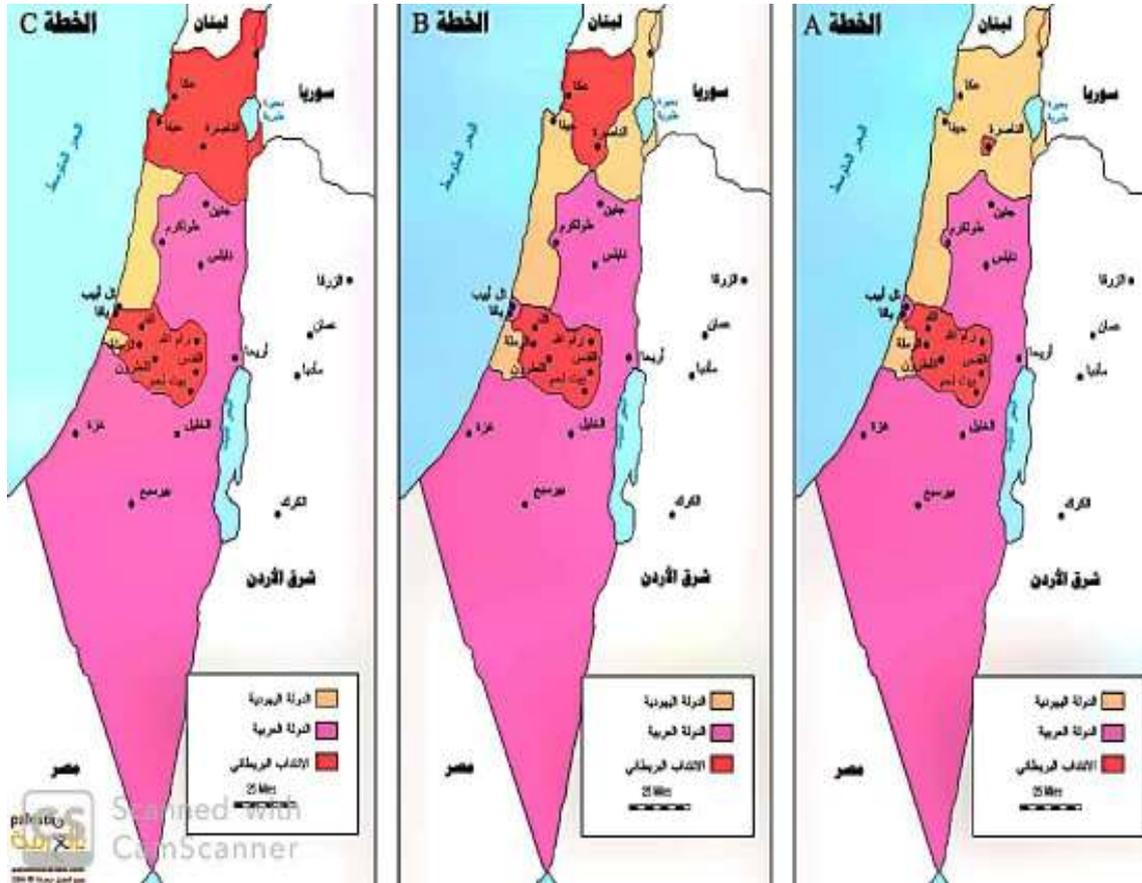


¹ دروزة، محمد، القضية، ج1، ص158.

ملحق (7)

خارطة تبين مشروع تقسيم فلسطين بناءً على خطة اللجنة الفنية (وودهد) عام

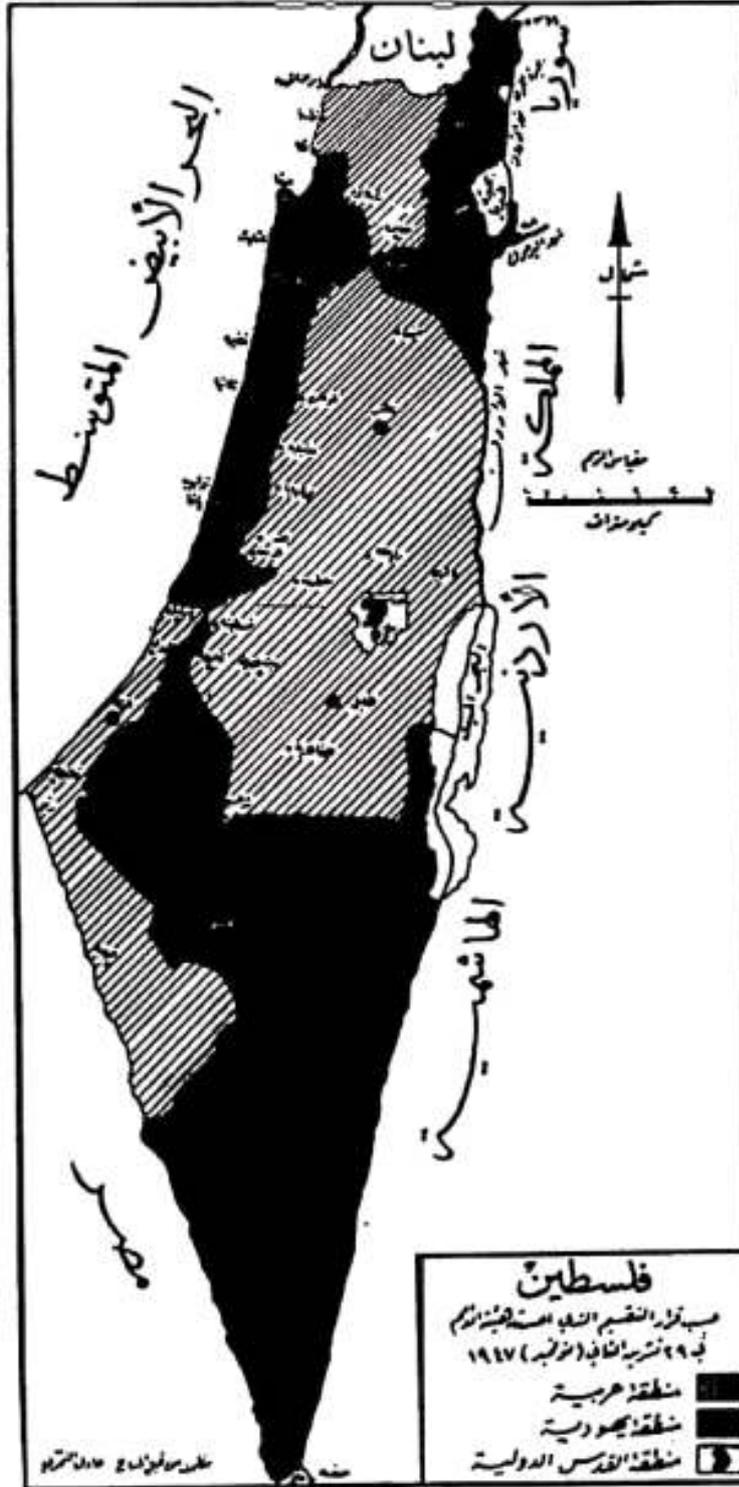
1938م¹



¹ دروزة، محمد، مأساة، ص102.

ملحق (8)

خارطة تقسيم فلسطين في 29 تشرين الثاني 1947م¹



¹ دروزة، محمد، القضية، ج2، ص108.

ملحق (9)

جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء القدس ما بين 15/5/1948 – 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين¹

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	عدد الفلسطينيين المطردين
لفتا	1/1/1948	2958 نسمة
بيت ثول	1/4/1948	302 نسمة
بيت نقوبا	1/4/1948	278 نسمة
القسطل	3/4/1948	104 نسمة
بيت محيسن	10/4/1948	2784 نسمة
قالونيا	11/4/1948	1056 نسمة
نطاف	15/4/1948	46 نسمة
دير ياسين	9/4/1948	708 نسمة
ساريس	16/4/1948	650 نسمة
حي القطمون	28/4/1948	69693 نسمة

خارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة في قضاء القدس²



¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج8، (ص65-192).

² وكالة وفا، خرائط، <https://info.wafa.ps/userfiles/image/Jerusalem1948.jpg>.

ملحق (10)

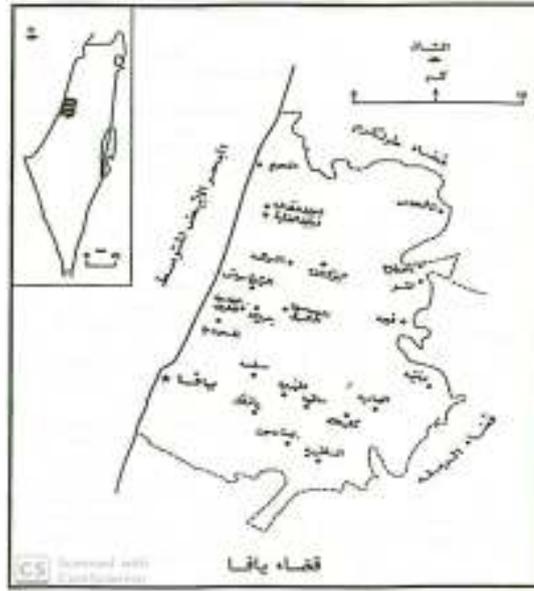
جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء يافا ما بين 15/5/1948 – 29/11/1947

وأعداد الفلسطينيين المهجّرين منها¹

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	أعداد الفلسطينيين المطردين
المر	1/2/1948	197 نسمة
الحرم (سيدنا علي)	3/2/1948	603 نسمة
الجماسين الشرقي	17/3/1948	847 نسمة
الجماسين الغربي	17/3/1948	1253 نسمة
الشيخ مؤنس	30/3/1948	2239 نسمة
عرب السوالمة	30/3/1948	928 نسمة
عرب أبو كشك	30/3/1948	2204 نسمة
إجليل الشمالية	3/4/1948	220 نسمة
إجليل القبلية	3/4/1948	545 نسمة
بيار عدس	12/4/1948	348 نسمة
ساقية	25/4/1948	1276 نسمة
سلمة	25/4/1948	7807 نسمة
الخيرية	25/4/1948	1647 نسمة
كفر عانة	25/4/1948	3248 نسمة
بيت دجن	25/4/1948	4454 نسمة
جريشة	1/5/1948	220 نسمة
يازور	1/5/1948	4675 نسمة
العباسية	4/5/1948	6554 نسمة
سارونا	15/5/1948	غير معروف

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، (ص303-349).

خارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة في قضاء يافا¹



¹ وكالة وفا، خرائط، <https://info.wafa.ps/userfiles/image/yafa1948.jpg>

ملحق (11)

جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء حيفا ما بين 15/5/1948 – 29/11/1947

وأعداد الفلسطينيين المهجّرين¹

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	أعداد الفلسطينيين المطردين
قيسارية	15/2/1948	1114 نسمة
خربة البرج	15/2/1948	غير معروف
وادي عارة	27/2/1948	267 نسمة
قبرة وقامون	1/3/1948	476 نسمة
خربة المنارة	1/3/1948	غير معروف
دالية الروحاء	1/3/1948	325 نسمة
خربة الشونة	15/3/1948	غير معروف
أم العمدة	1/4/1948	302 نسمة
خربة رأس علي	1/4/1948	غير معروف
الغبية التحتا	8/4/1948	غير معروف
الغبية الفوقا	8/4/1948	غير معروف
أبو شوثة	9/4/1948	835 نسمة
خربة لد	9/4/1948	742 نسمة
عرب الفقراء	10/4/1948	360 نسمة
الضميرة	10/4/1948	غير معروف
عرب النفيعات	10/4/1948	951 نسمة
المنسي	12/4/1948	1392 نسمة
النغنية	12/4/1948	1311 نسمة
الكفارين	12/4/1948	1067 نسمة
أبو زريق	12/4/1948	638 نسمة
خربة السركس	15/4/1948	751 نسمة
عرب الغوارنة	15/4/1948	719 نسمة

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، (ص563-717).

أعداد الفلسطينيين المطردين	تاريخ الاحتلال	اسم القرية
464 نسمة	15/4/1948	هوشة
220 نسمة	16/4/1948	وعرة السريس
غير معروف	16/4/1948	خربة الكساير
4779 نسمة	25/4/1948	بلد الشيخ
708 نسمة	25/4/1948	ياجور
870 نسمة	25/4/1948	قنير
151 نسمة	28/4/1948	خربة سعسع
223 نسمة	28/4/1948	خربة المنصورة
278 نسمة	30/4/1948	الريحانية
394 نسمة	30/4/1948	خربة الدامون
139 نسمة	30/4/1948	كبارة
128 نسمة	1/5/1948	البطيمات
336 نسمة	5/5/1948	بريكة
557 نسمة	12/5/1948	أم الشوك
1450 نسمة	12/5/1948	السديانة
336 نسمة	12/5/1948	خبيزة
1972 نسمة	12/5/1948	صبارين
1705 نسمة	15/5/1948	أم الزينات
غير معروف	15/5/1948	خربة قмбаزة
719 نسمة	15/5/1948	عرب الضميري
غير معروف	15/5/1948	برة قيسارية
174 نسمة	15/5/1948	عتليت

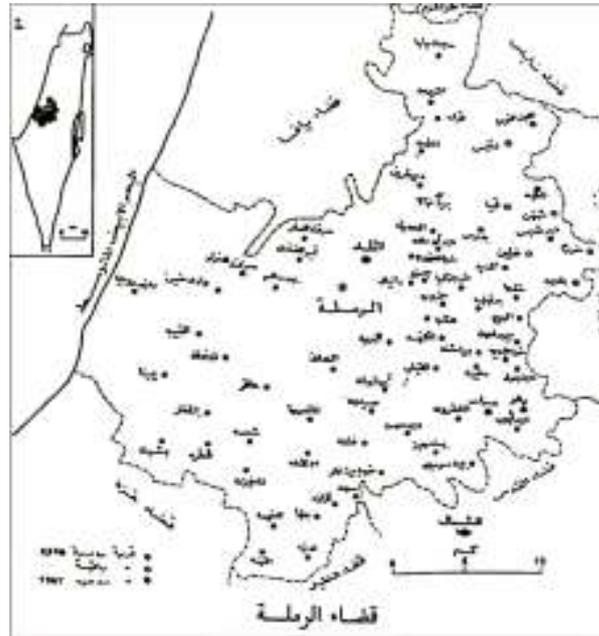
ملحق (12)

جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء الرملة ما بين 15/5/1948 – 29/11/1947 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين¹

أعداد الفلسطينيين المطردين	تاريخ الاحتلال	اسم القرية
371 نسمة	6/3/1948	دير أيوب
244 نسمة	6/4/1948	صيدون
325 نسمة	6/4/1948	خلدة
534 نسمة	6/4/1948	دير محيسن
70 نسمة	7/4/1948	أم كلحة
348 نسمة	7/4/1948	خربة بيت فار
1879 نسمة	17/4/1948	وادي حنين
1206 نسمة	20/4/1948	صرفند الخراب
232 نسمة	20/4/1948	المخيزن
104 نسمة	20/4/1948	المنصورة
2877 نسمة	6/5/1948	عافر
592 نسمة	9/5/1948	أبو الفضل
467 نسمة	9/5/1948	ببر سالم
1879 نسمة	13/5/1948	بشيت
2680 نسمة	13/5/1948	بيت نبالا
325 نسمة	14/5/1948	شحمة
1705 نسمة	14/5/1948	النعاني
1009 نسمة	14/5/1948	أبو شوشة
2297 نسمة	15/5/1948	القباب

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج4، (ص492-607).

خارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة في قضاء الرملة¹



¹ وكالة وفا، خرائط، <https://info.wafa.ps/userfiles/image/Ramla1948.jpg>.

ملحق (13)

جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء طولكرم ما بين 15/5/1948 – 29/11/1947

وأعداد الفلسطينيين المهجّرين¹

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	أعداد الفلسطينيين المطردين
وادي القباني	1/3/1948	371 نسمة
خربة المجدل	1/3/1948	غير معروف
الجملة	1/3/1948	81 نسمة
وادي الحوارث	15/3/1948	2552 نسمة
رمل زيتا	15/3/1948	162 نسمة
فرديسيا	1/4/1948	23 نسمة
تبصر	3/4/1948	غير معروف
خربة بيت ليد	5/4/1948	534 نسمة
غابة كفر صور	15/4/1948	858 نسمة
خربة المنشية	15/4/1948	302 نسمة
خربة زلفة	15/4/1948	244 نسمة
مسكة	20/4/1948	1021 نسمة
بركة رمضان	20/4/1948	غير معروف
كفر سابا	15/5/1948	1473 نسمة
خربة الزبابدة	15/5/1948	غير معروف

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج3، (ص287-342).

ملحق (14)

جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء صفد ما بين 15/5/1948 – 29/11/1947

وأعداد الفلسطينيين المهجّرين¹

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	أعداد الفلسطينيين المطردين منها
الفراضية	1/2/1948	777 نسمة
منصورة الخيط	6/2/1948	232 نسمة
العريفية	1/4/1948	غير معروف
يردا	1/4/1948	23 نسمة
عرب الزبيد	20/4/1948	غير معروف
العلمانية	20/4/1948	302 نسمة
الحسينية	21/4/1948	394 نسمة
كراد الغنامة	22/4/1948	406 نسمة
كراد البقارة	22/4/1948	418 نسمة
طليل (تليل)	28/4/1948	394 نسمة
الدردارة	30/4/1948	116 نسمة
الشونة	30/4/1948	197 نسمة
المداحل	30/4/1948	غير معروف
جاحولة	1/5/1948	487 نسمة
الويزية	1/5/1948	116 نسمة
طيظبا	1/5/1948	615 نسمة
السميرية	1/5/1948	151 نسمة
الدرباشية	1/5/1948	360 نسمة
خيام الوليد	1/5/1948	325 نسمة
الحمراء	1/5/1948	غير معروف
مغر الخيط	2/5/1948	658 نسمة
بيريا	2/5/1948	278 نسمة
عين الزيتون	2/5/1948	951 نسمة
هونين	3/5/1948	1879 نسمة

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، (ص141-238).

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	أعداد الفلسطينيين المطردين منها
البطيحة	4/5/1948	754 نسمة
الزنغرية	4/5/1948	974 نسمة
جب يوسف	4/5/1948	197 نسمة
عرب الشمالنة	4/5/1948	754 نسمة
القديرية	4/5/1948	452 نسمة
خربة كرازة	4/5/1948	غير معروف
الجاعونة	9/5/1948	1334 نسمة
عكبرة	9/5/1948	302 نسمة
الظاهرية التحتا	10/5/1948	406 نسمة
دلانة	10/5/1948	418 نسمة
أبل القمح	10/5/1948	383 نسمة
ميرون	10/5/1948	336 نسمة
الزوق التحتاني	11/5/1948	1218 نسمة
قديتا	11/5/1948	278 نسمة
الخالصة	11/5/1948	2134 نسمة
البويزية	11/5/1948	592 نسمة
السموعي	12/5/1948	360 نسمة
الشوكة التحتا	12/5/1948	232 نسمة
الناعمة	14/5/1948	1195 نسمة

خارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة في قضاء صفد¹



¹ وكالة وفا، خرائط، <https://info.wafa.ps/userfiles/image/Safad.jpg>.

ملحق (15)

جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء طبريا ما بين 15/5/1948 – 29/11/1947

وأعداد الفلسطينيين المهجّرين¹

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	أعداد الفلسطينيين المطردين
المنارة	1/3/1948	568 نسمة
العبيدية	3/3/1948	1009 نسمة
المنشية	3/3/1948	غير معروف
خربة ناصر الدين	12/4/1948	104 نسمة
السمرا	21/4/1948	336 نسمة
وادي الحمام	22/4/1948	غير معروف
الدلهمية	15/4/1948	476 نسمة
الوعرة السوداء	18/4/1948	2169 نسمة
غوير أبو شوشة	21/4/1948	1438 نسمة
المجدل	22/4/1948	418 نسمة
كفر سبت	22/4/1948	557 نسمة
سمخ	28/4/1948	4014 نسمة
ياقوق	1/5/1948	244 نسمة
الطابغة	4/5/1948	383 نسمة
عرب السمكية	4/5/1948	441 نسمة
الشجرة	6/5/1948	893 نسمة
المنصورة	10/5/1948	2482 نسمة
معذر	12/5/1948	557 نسمة
حدثا	12/5/1948	603 نسمة
عولم	12/5/1948	835 نسمة
النقيب	15/5/1948	371 نسمة

¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج6، (ص358-426).

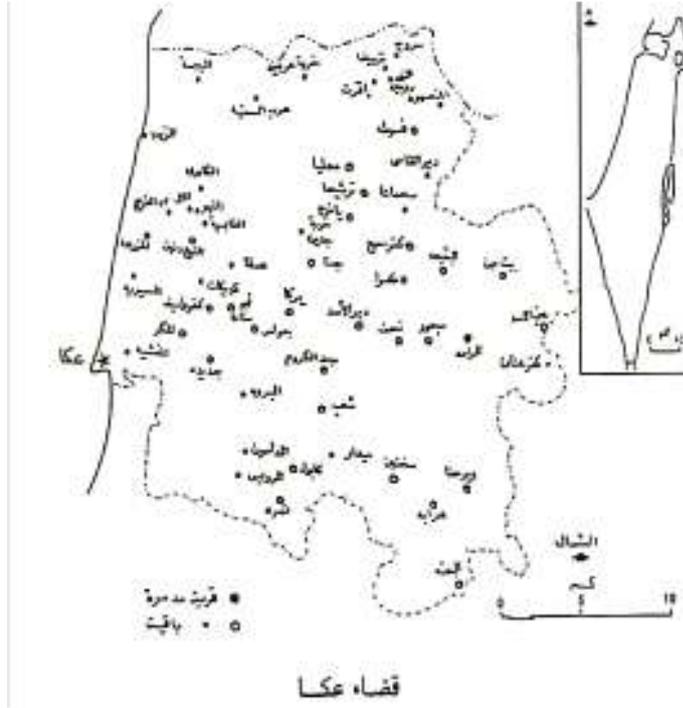
ملحق (17)

جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء عكا ما بين 29/11/1947 – 15/5/1948

وأعداد الفلسطينيين المهجّرين¹

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	أعداد الفلسطينيين المطردين
الغابسية	1/5/1948	1438 نسمة
الزيب	14/5/1948	2216 نسمة
السامرية	14/5/1948	882 نسمة
المنشية	14/5/1948	940 نسمة
البصة	14/5/1948	3422 نسمة

خارطة تبين القرى الباقية والمدمرة في قضاء عكا²



¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج7، (ص337-438).

² وكالة وفا، خرائط، <https://info.wafa.ps/userfiles/image/Akka.jpg>.

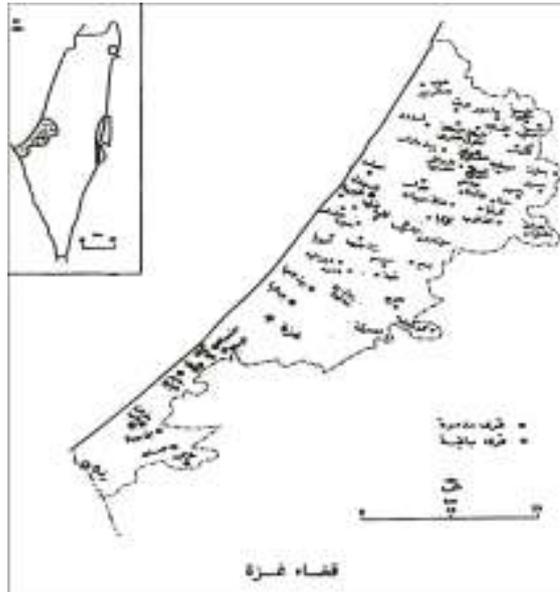
ملحق (18)

جدول يبين القرى التي احتلت في قضاء غزة وبئر السبع ما بين 29/11/1947 -

15/5/1948 وأعداد الفلسطينيين المهجّرين¹

اسم القرية	تاريخ الاحتلال	أعداد الفلسطينيين المطردين
بيت داراس	11/5/1948	3190 نسمة
كوكبا	12/5/1948	789 نسمة
حليقات	12/5/1948	487 نسمة
برير	12/5/1948	3178 نسمة
نجد	13/5/1948	719 نسمة
سمسم	13/5/1948	1496 نسمة
البطاني الشرقي	13/5/1948	754 نسمة
البطاني الغربي	13/5/1948	1137 نسمة
برقة	13/5/1948	1032 نسمة
العمارة (قضاء بئر السبع)	13/5/1948	46 نسمة

خارطة توضيحية تبين القرى الباقية والمدمرة في قضاء غزة²



¹ الدباغ، مصطفى، موسوعة، ج1، (ص251-272).

² وكالة وفا، خرائط، <https://info.wafa.ps/userfiles/image/Gaza.jpg>.

ملحق (20)

المذكرة التي أرسلها عبد القادر الحسيني إلى الجامعة العربية في 6 نيسان 1948م¹



مخيمه العباد المنصر
الحياء العامة
المنصر

الرقم ٩٤٨/٤٦٦

مذكرة

الى الامم المتحدة بجمعة الدول العربية
القاهرة

اني احملكم المسؤولية بانه ان
تركتم جنودكم في اوج انتصاراتهم بدون
عون او سلاح .
عبد القادر الحسيني

¹ دنيا الوطن، مذكرة، www.alwatanvoice.com.

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**Palestinian Historians and the Zionist
Project in Palestine (1917-1948):
Historical Analytical Study**

**By
Diana Ziad Abdul- Latif Al- Qasim**

**Supervised by
Dr. Adnan Mohammad Melhem**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements for the Degree of Master of History, Faculty of
Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus,
Palestine.**

2021

**Palestinian Historians and the Zionist Project in Palestine
(1917-1948): Historical Analytical Study**

By

Diana Ziad Abdul- Latif Al- Qasim

Supervised by

Dr. Adnan Mohammad Melhem

Abstract

The Zionist project in Palestine is based on four fundamentals, namely: Torah and national ideology, dedicated mission to complete the Jewish immigration to the promised land, confiscating the Arab lands by any means possible, appropriating the circumstances and political alliances and establishing the Zionist institutions to turn these fundamentals to a fact in real world.

The main important and urgent question of the study is how the Palestinians observed and assessed the development of the Zionist project in their land highlighting its dimensions and aftermath.

As a result, the researcher has chosen a group of Palestinian historians who have lived that time and played a leading role in the Palestinian National Movement (PNA) and wrote their memoirs as a witness of the battle. These historians are Mohammad Izzat Darwaza (1887-1984); Arif Al-Aref (1892-1973); Issa Safari (1894-1949); Mustafa Al-Dabbagh (1898-1989) and Akram Zuaiter (1909-1996).

The researcher has explored the vision of these Palestinian historians and their point of views about the Zionist project in their homeland in 1917 until the establishment of the Israeli state on the 15th of May, 1948 considering them witnesses on the scene and critiques and creators of the resistance mechanisms.

Issa Safari, Mustafa Al-Dabbagh and Akram Zuaiter have viewed the demands of Zionism to establish their homeland in Palestine in the 19th century based on considering the Jews Gods chosen nation and their holy land is Palestine. Furthermore, this concept has developed to be the cornerstone of bringing in many Jews from all over the world and giving residence in Palestine by displacing the Palestinians.

It is apparent in the study the agreement of Mohammed Darwaza, Issa Safari, Mustafa Al-Dabbagh and Akram Zuaiter that Zionism has started to transfer the Jews to Palestine by any means possible.

In addition, the first immigration has arrived on ships to Haifa's port, but after the First World War (WWI) in 1914 when Palestine was under the British mandate. Thus, the British mandate eased the Jewish attack from all over the countries on Palestine. Also, it protected the Zionists outposts leading to the increase of the rate of the Zionist immigration to Palestine in public and in an organized manner after issuing Belfour promise on the 2nd of November, 1917. Furthermore, this promise was a pledge by the British government to establish a national homeland for the Israelis on the Palestinian land.

Consequently, Petah Tikva settlement was expanded in order to empower the Jewish existence in Palestine by providing them with weapons or establish terroristic organizations to terrify the people in the Palestinian cities and villages as well as providing them with the required protection.

Issa Safari continues that the numbers of immigrants from 1918 to 1938 in Palestine reached 55, 000 in 1918; 62,000 in 1932 and 174.000 in 1938. However, Mohammed Darwaza and Akram Zuaiter indicated that their

number increased to 590,000 in 1947 and then increased again in 1948 reaching 650,000 while the population of the Palestinians was 1,400,000.

This study indicates that the Jewish immigration waves to Palestine has increased along with the expansion of the settlements that Mustafa Al-Dabbagh indicated that the Jews confiscated about 420,000 donums in 1914 on which 47 settlement were built.

In addition, Issa Safari has assured that the total number of the sold donums sold to the Jews until the end of 1931 were 70,000 as they reached 1,501,644 donums in 1945. Furthermore, Mohammed Darwaza has mentioned that the Jews owned 2,000,000 donums in 1947. Also, Al-Dabbagh has indicated that the number of settlements from 1939 to 1948 reached 78 new settlement built on 2,052,000 donums.

Thus, Mohammed Darwaza, Issa Safari, Mostafa Al-Dabbagh and Akram Zuaiteer have highlighted the role of the Arabs in facing the threats of settlements and the Zionist immigration earlier than the media campaign, conferences and societies. However, this peaceful resistance turned into revolutions and demonstrations all around Palestine, namely: the revolution of Al-Nabi Mousa in 1920; Jaffa revolution in 1921; Al-Buraq revolution in 1929; overwhelming revolutions in 1933; Izz ad-Din al-Qassam's revolution and the great Palestinian revolution (1936-1939).

However, Aref Al-Aref highlights that the activities of the army Al-Jihad Al-Moqadas, Al-Inqath army and Muslim Brotherhood succeeded in causing great losses to the Jews.

These historians varied in proposing peaceful solutions all the parties including Britain, Zionism, Palestinians and Arab parties for the Palestinian

cause that they differed in their agenda and concepts. All the Palestinian historians except for Aref Al-Aref saw that one of the most important projects developing the political stands is Bell committee to divide Palestine in 1937. However, Aref Al-Aref considers the project of the division of Palestine according to UN resolution 181 issued on the 29th of November, 1947 one of the most significant projects which caused troubles between the PNA and Zionism.

The historians consider the military institutions and semi-military organizations as one of the main bases of implementing the Zionist plan to expel the Palestinians such as the Hagana, Argon, Shtern and Lehi.

Furthermore, Aref Al-Aref and Mustafa Al-Dabbagh have continued in depicting the events of attacking the villagers and farmers near settlements and setting fire on them as well as harming the Palestinians as they move between villages and cities and committing massacres such as Der Yaseen, Al-Qastal, and Naser Al-Din. This has led people to leave their houses escaping from the criminal Zionists in order to prove the alleged Zionist motto "Palestine is a land without people".